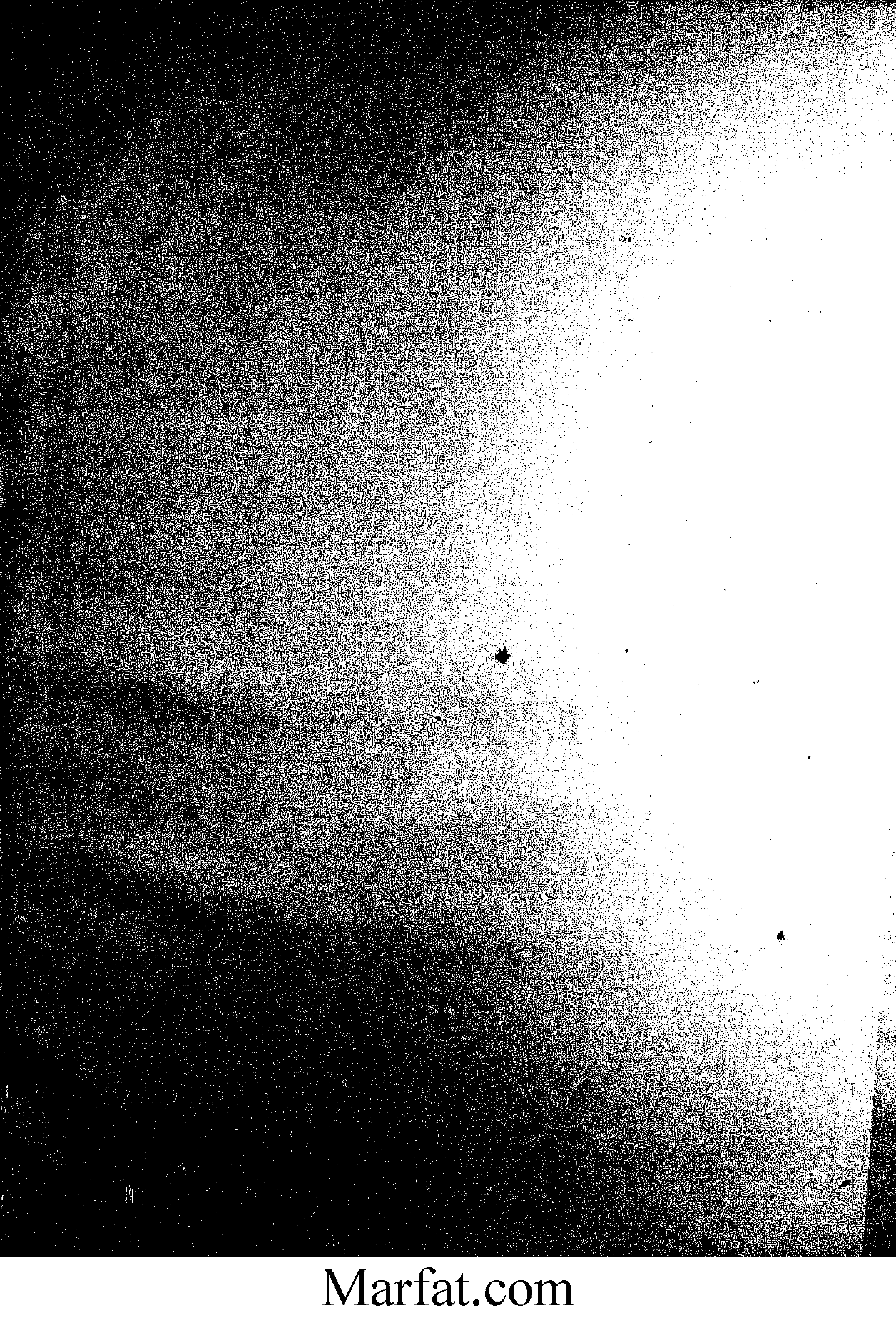
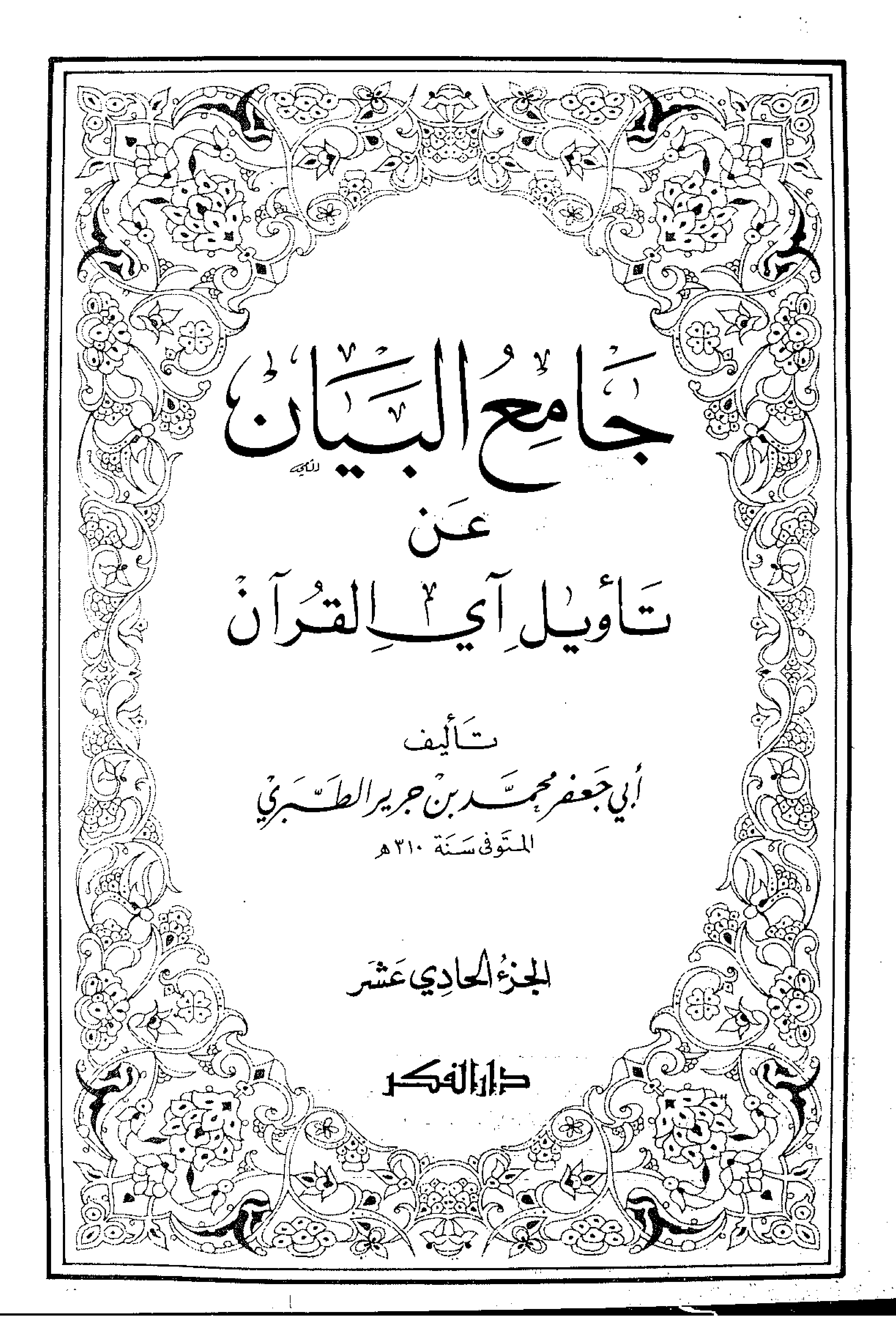

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن
تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ
الجزءان
١١ - ١٢
دار الفكر





جَامِعُ البَيَان

عَن

تَأوِيلِ آيِ القُرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠هـ

الجزء الحادي عشر

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

بيروت لبنان
المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب : ١١ / ٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ ، ٢٧٣٤٨٧
برقياً : فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الحادي عشر

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

[illegible]

[illegible]

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

[illegible]

فهارس الجزء الحادي عشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ — فهرس الآيات

سورة هود عليه السلام

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

الصفحة

٣ — فهرس القوافى

٤ ـ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر يا محمد، ولكنها على الذين يستأذنونك في التخلف خلافك، وترك الجهاد معك، وهم أهل غنى وقوة وطاقة للجهاد والغزو نفاقا وشكا في وعد الله ووعيده (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) يقول: رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء وهن الخوالف خلف الرجال في البيوت، ويتركوا الغزو معك (وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول: وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب (فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك، وتركهم الجهاد معك، وما عليهم من قبيح الثناء في الدنيا وعظيم البلاء في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: يعتذر إليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين بالأباطيل والكذب إذا رجعتم إليهم من سفركم وجهادكم قل لهم يا محمد: (لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ) يقول: لن نصدقكم على ما تقولون (قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) يقول: قد أخبرنا الله من أخباركم، وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) يقول: وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم، أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه

(ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ) يقول : ثم ترجعون بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة ، يعنى الذى يعلم السرّ والعلانية الذى لايخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها ، فيجازيكم بها الحسن منها بالحسن ، والسيئ منها بالسيئ .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾

يقول تعالى ذكره : سيحلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله (إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ) يعنى : إذا انصرفتم إليهم من غزوكم (لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ) فلاتؤنبوهم (فأعْرِضُوا عَنْهُمْ) يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين : فدعوا تأنيبهم وخلوهم ، وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق .(إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ) يقول : إنهم نجس ومأواهم جهنم ، يقول : ومصيرهم إلى جهنم وهى مسكنهم الذى يأوونه فى الآخرة (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : ثوابا بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من معاصى الله ، وذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين من المنافقين قالا : ما حدثنا به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَيَحْلِفُون باللهِ لَكُمْ إذا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا) .. إلى (بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ألا تغزو بنى الأصفر لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم ، فإنهم حسان ، فقال رجلان : قد علمت يارسول الله أن النساء فتنة ، فلا تفتنا بهنّ ؛ فأذن لنا ، فأذن لهما ؛ فلما انطلقا ، قال أحدهما : إن هو إلا شحمة لأوّل آكل ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولم ينزل عليه فى ذلك شىء،فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهوعلى بعض المياه(لَوْ كانَ عَرَضًا قَرِيباً وَسَفَرًا قاصِدًا لاتَّبَعُوك، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) ونزل عليه (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أذِنْتَ لَهمْ) ، ونزل عليه (لايَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ) ونزل عليه (إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ) فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم وهم خلفهم ، فقال : تعلمون أن قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن ، قالوا : ما الذى سمعت ؟ قال ما أدرى ، غير أنى سمعت أنه يقول : إنهم رجس ، فقال رجل يدعى مخشيا : والله لوددت أنى أجلد مئة جلدة ، وإنى لست معكم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاء بك ؟ فقال : وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح ، وأنا فى الكنّ ، فأنزل الله عليه (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى وَلا تَفْتِنِّى... وَقالُوا لاتَنْفِرُوا فى الحَرّ) ونزل عليه فى الرجل الذى قال : لوددت أنى أجلد مئة جلدة قول الله (يَحْذَرُ المُنافِقُونَ أنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ

تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) فقال رجل مع رسول الله : لئن كان هؤلاء كما يقولون : ما فينا خير ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أنت صاحب الكلمة التي سمعتُ ، فقال : لا والذي أنزل عليك الكتاب ، فأنزل الله فيه (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ) وأنزل فيه (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب ، قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، وصدّقته حديثى ، فقال كعب : والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قطّ بعد أن هدانى للإسلام أعظم فى نفسك من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى ، ما قال لأحد (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ...إلى قوله (فَإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : يَحْلِفُ لَكُمْ أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون اعتذارا بالباطل والكذب (لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ) يقول : فإن أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم ، وقبلتم معذرتهم ، إذ كنتم لاتعلمون صدقهم من كذبهم ، فإن رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله ، لأن الله يعلم من سرائرأمرهم ما لاتعلمون ، ومن خفيّ اعتقادهم ما تجهلون ، وأنهم على الكفر بالله ، يعنى أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر بالله ، ومن الطاعة إلى المعصية .

القول في تأويل قوله تعالى :

ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : الأعراب أشدّ جحودا لتوحيد الله ، وأشدّ نفاقا من أهل الحضر فى القرى والأمصار ، وإنما وصفهم جلّ ثناؤه بذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم ، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير ، فهم لذلك أقسى قلوبا وأقلّ علما بحقوق الله ، وقوله (وَأَجْدَرُ أَنْ لا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ) يقول : وأخلق أن لايعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، وذلك فيما قال قتادة : السنن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأجدرُ ألاّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أنزلَ اللهُ على رَسُولِهِ) قال : هم أقلّ علما بالسُّنَن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مُغْرَاء عن الأعمش، عن إبراهيم ، قال : جلس أعرابي إلى زيد بن صُوحان وهو يحدّث أصحابه ، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند ، فقال : والله إن حديثك ليعجبني ، وإن يدك لتريبني ، فقال زيد : وما يريبك من يدي ، إنها الشمال ، فقال الأعرابي : والله ما أدري أليمين يقطعون أم الشمال ، فقال زيد بن صُوحان : صدق الله (الأعرابُ أشدُّ كُفْرًا وَنِفاقًا ، وأجْدَرُ أنْ لايَعْلَمُوا حُدُودَ ما أنْزَلَ اللهُ على رَسُولِهِ) وقوله (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله عليم بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله ، والمنافق من خلقه ، والكافر منهم لايخفى عليه منهم أحد ، حكيم فى تدبيره إياهم ، وفى حلمه عن عقابهم مع علمه بسرائرهم ، وخداعهم أولياءه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٩٨

☆ يقول تعالى ذكره: ومن الأعراب من يَعُدّ نفقته التي ينفقها فى جهاد مشرك أو فى معونة مسلم ، أو فى بعض ما ندب الله إليه عباده مَغْرَما ، يعني غُرْما لزمه لايرجو له ثوابا ، ولا يدفع به عن نفسه عقابا ، (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ) يقول : وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الأيام والليالى إلى مكروه ونفي محبوب ، وغلبة عدوّ لكم ، يقول الله تعالى ذكره (عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ) يقول : جعل الله دائرة السوء عليهم ، ونزول المكروه بهم لاعليكم أيها المؤمنون ، ولا بكم ، والله سميع لدعاء الداعين ، عليم بتدبيرهم ، وما هو بهم نازل من عقاب الله ، وما هم إليه صائرون من أليم عقابه .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَمِنَ الأعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَمًا ويَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ) قال : هؤلاء المنافقون من الأعراب الذين إنما ينفقون رياء اتقاء أن يغزوا ، أو يحاربوا ، أو يقاتلوا ، ويرون نفقتهم مَغْرَما ، ألا تراه يقول (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة (عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ) بفتح السين ، بمعنى النعت للدائرة ، وإن كانت الدائرة مضافة إليه ، كقولهم : هو رجل السوء ، وامرؤ الصدق ، كأنه إذا فتح مصدر من قولهم : سؤته أسوءه سَوْءا ومساءة ومسائية . وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز

وبعض البصريين (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) بضمّ السين كأنه جعله اسما ، كما يقال عليه دائرة البلاء والعذاب ، ومن قال (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) فضمّ ، لم يقل هذا رجل السُّوء بالضمّ ، والرجل السُّوء ، وقال الشاعر :

وكُنْتُ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رأى دَمًا   بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أحالَ عَلَى الدَّمِ [1]

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا بفتح السين ، بمعنى : عليهم الدائرة التى تسوءهم سوءا ، كما يقال هو رجلٌ صِدْقٍ على وجه النعت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : ومن الأعرب من يصدّق الله ويقرّ بوحدانيته ، وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب ، وينوى بما ينفق من نفقة فى جهاد المشركين ، وفى سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ) القربات : جمع قُرْبة،وهو ما قربه من رضا الله ومحبته . (وصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) ، يعنى بذلك ، ويبتغى بنفقة ما ينفق مع طلب قربته من الله دعاء الرسول واستغفاره له .

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن من معانى الصلاة الدعاء بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن‌عباس ، قوله (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) يعنى استغفار النبىّ عليه الصلاة والسلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) قال : دعاء الرسول ، قال هذه ثنية الله من الأعراب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ) قال : هم بنو مقرن من مزينة وهم الذين قال الله فيهم (وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لا أجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ، تَوَلَّوْا وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) قال : هم بنو مُقَرِّن من مزينة .

(١) البيت للفرزدق أورده صاحب اللسان فى (سوأ) ، وهو شاهد على أن السوء ، بفتح السين مصدر ساءه تسوءه ، ويقول : هذا رجل سوء ، ورجل السوء ، كما قال الفرزدق : ذئب السوء . وقال ابن برى : ولم يجوز الأخفش هذا رجل سوء (بضم السين) لأن السوء اسم للفنر وسوء الحال ، وإنما يضاف إلى المصدر الذى هو فعله ، كما يقال : رجل الضرب والطعن . فيقوم مقامه قولك رجل ضراب وطعان ، فلهذا أجاز أن يقال : رجل السوء (بالفتح) ، ولم يجز أن يقال هذا رجل السوء (بالضم) .
قال الله تعالى : (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) . وتقول فى النكرة : رجل سوء (بالإضافة) وإذا عرفت قلت هذا الرجل السوء ، ولم تضف (اللسان) .

قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله ﴿ الأعراب أشد كفرا ونفاقا ﴾ ثم استثنى فقال ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا جعفر ، عن البختري[1] بن المختار العبدى ، قال : سمعت عبد الله بن مغفل قال : كنا عشرة ولد مقرن ، فنزلت فينا ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ . . . إلى آخر الآية ، قال الله : ﴿ ألا إنها قربة لهم ﴾ يقول تعالى ذكره : ألا إن صلوات الرسول قربة لهم من الله ، وقد يحتمل أن يكون معناه : ألا إن نفقته التى ينفقها كذلك قربة لهم عند الله ، ﴿ سيدخلهم الله فى رحمته ﴾ يقول : سيدخلهم الله فيمن رحمه ، فأدخله برحمته الجنة ، إن الله غفور لما اجترموا ، رحيم بهم مع توبتهم وإصلاحهم أن يعذبهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى ذكره : والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم ، والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله ﴿ والذين اتبعوهم بإحسان ﴾ يقول : والذين سلكوا سبيلهم فى الإيمان بالله ورسوله ، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، طلب رضا الله ، ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ .

واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله ﴿ والسابقون الأولون ﴾ فقال بعضهم : هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أو أدركوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن إسماعيل ، عن عامر ﴿ والسابقون الأولون ﴾ قال : من أدرك بيعة الرضوان .

قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عامر ، قال ﴿ المهاجرون الأولون ﴾ من أدرك البيعة تحت الشجرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى ، قال ﴿ المهاجرون الأولون ﴾ الذين شهدوا بيعة الرضوان .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن مطرف ، عن الشعبى ، قال : المهاجرون الأولون : من كان قبل البيعة إلى البيعة فهم المهاجرون الأولون ، ومن كان بعد البيعة فليس من المهاجرين الأولين .

(١) فى خلاصة الخزرجى : البخترى بن أبى البخترى مختار العبدى الكوفى . قال ابن عدى : لا أعلم له حديثا منكرا ، توفى سنة ثمان وأربعين ومئة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل ومطرِّف عن الشعبي ، قال (السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ) هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن دواد ، عن عامر ، قال : فصل ما بين الهجرتين بيعة الرضوان ، وهي بيعة الحُديبية .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ومطرِّف ، عن الشعبي ، قال : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبثر أبو زبيد ، عن مطرف ، عن الشعبي ، قال : المهاجرون الأوّلون : من أدرك بيعة الرضوان .

وقال آخرون : بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عثمان الثقفي ، عن مولى لأبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : المهاجرون الأوّلون : من صلى القبلتين مع النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن مولى لأبي موسى ، قال : سألت أبا موسى الأشعري ، عن قوله (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ) قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي هلال ، عن قتادة ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : لم سموا المهاجرين الأوّلين؟ قال : من صلى مع النبيّ صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا ، فهو من المهاجرين الأوّلين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : المهاجرون الأوّلون : الذين صلوا القبلتين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيِّب ، قوله (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ) قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، وعن أشعث ، عن ابن سيرين في قوله (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ) قال : هم الذين صلوا القبلتين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، عن محمد ، قال : المهاجرون الأوّلون : الذين صلوا القبلتين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله :

(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعا ، وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأوّلين والأنصار باحسان ، فهم الذين أسلموا لله إسلامهم ، وسلكوا منهاجهم فى الهجرة والنصرة وأعمال الخير .

كما حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : مرّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية(والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) قال : من أقرأك هذه الآية ؟ قال أقرأنيها أبىّ بن كعب ، قال : لاتفارقنى حتى أذهب بك إليه فأتاه فقال أنت :أقرأت هذا هذه الآية؟قال نعم،قال : وسمعتَها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لايبلغها أحد بعدنا ، قال : وتصديق ذلك فى أوّل الآية التى فى أوّل الجمعة ، وأوسط الحشر ، وآخر الأنفال ؛ أما أوّل الجمعة (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) ؛ وأوسط الحشر (وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ولإخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإيمَانِ) وأما آخر الأنفال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) . . . حتى بلغ (وَرَضُوا عَنْهُ) قال : وأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ ؟ قال : أبىّ بن كعب ، فقال : لاتفارقنى حتى أذهب بك إليه ، فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم ، قال : أنت سمعتَها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : لقدكنت أظنّ أنا رفعنا رفعة لايبلغها أحد بعدنا ، فقال أبىّ : بلى تصديق هذه الآية فى أوّل سورة الجمعة (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) . . . إلى (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) ، وفى سورة الحشر : (وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولإخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإيمَانِ) ، وفى الأنفال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) . . . إلى آخر الآية .

ورُوِى عن عمر فى ذلك ما حدثنى به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن حبيب بن الشهيد ، وعن ابن عامر الأنصارى ، أن عمر بن الخطاب قرأ (والسَّابِقُونَ الأوَّلُون مِن المُهاجِرِين والأنْصارُ الَّذِين اتَّبَعُوهُمْ باحْسانٍ) فرفع الأنصار ، ولم يلحق الواو فى الذين ، فقال له زيد بن ثابت : والذين اتبعوهم باحسان ، فقال عمر : الذين اتبعوهم باحسان ، فقال زيد : أمير المؤمنين أعلم ، فقال عمر : ائتونى بأبىّ بن كعب ، فأتاه فسأله عن ذلك ، فقال أبىّ : (والَّذِين اتَّبَعُوهُمْ بِإحْسانٍ) فقال عمر : إذا نُتابع أبيا ، والقراءة على خفض الأنصار عطفا بهم على المهاجرين ، وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ (الأنصارُ) بالرفع عطفا بهم على السابقين ، ✻ والقراءة التى لاأستجيز غيرها الخفض فى الأنصار، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأن السابق كان من الفريقين جميعا من المهاجرين والأنصار ، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع ،

وإلحاق الواو فى الذين اتبعوهم باحسان ، لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين جميعا ، على أن التابعين باحسان غير المهاجرين والأنصار . وأما السابقون فإنهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم فى قوله (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) ومعنى الكلام : رضى الله عن جميعهم لما أطاعوه ، وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه ، ورضى عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه وإيمانهم به وبنبيه عليه الصلاة والسلام ، وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الأنهار يدخلونها خالدين فيها ، لابثين فيها أبدا لايموتون فيها، ولا يخرجون منها ، ذلك الفوز العظيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعرب منافقون ، ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون ، وقوله (مَرَدُوا على النِّفاقِ) يقول : مرنوا عليه ودربوا به ، ومنه شيطان مارد ومريد : وهو الخبيث العاتى ، ومنه قيل : تمرّد فلان على ربه : أى عتا ومرد على معصيته واعتادها .

وقال ابن زيد فى ذلك ، ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ومِنْ أهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ) قال : أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ومِنْ أهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ) أى لجوا فيه وأبوا غيره (لاتَعْلَمُهُمْ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتعلم يا محمد أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الأعراب ، ومن أهل المدينة ، ولكنا نحن نعلمهم .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعْرابِ مُنافِقُونَ) . . . إلى قوله (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ)قال : فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان فى الجنة ، وفلان فى النار ، فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لاأدرى ، لعمرى أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ، ولقد تكلفت شيئا ما تكلفته الأنبياء قبلك ، قال نبيّ الله نوح عليه السلام (وما عِلْمِي بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقال نبيّ الله شعيب عليه السلام (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وما أنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) وقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام (لاتَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) وقوله (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) يقول : سنعذّب هؤلاء المنافقين مرّتين : إحداهما فى الدنيا ، والأخرى فى القبر .

ثمّ اختلف أهل التأويل فى التى فى الدنيا ما هى ؟ فقال بعضهم : هى فضيحتهم فضحهم الله بكشف أمورهم ، وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن عمرو العنقزى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس ، فى قول الله (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ) . . . إلى قوله (عَذَابٍ عَظِيمٍ) قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة ، فقال « اخْرُجْ يا فُلانُ فإنَّكَ مُنافِقٌ ، اخْرُج يا فُلانُ فإنَّكَ مُنافِقٌ » ، فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم ، فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد ، فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة ، وظنّ أن الناس قد انصرفوا واختبئوا هم من عمر ، ظنوا أنه قد علم بأمرهم ، فجاء عمر فدخل المسجد ، فإذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر يا عمر ، فقد فضح الله المنافقين اليوم ، فهذا العذاب الأوّل حين أخرجهم من المسجد ، والعذاب الثانى : عذاب القبر .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتَيْنِ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فيذكر المنافقين فيعذّبهم بلسانه ، قال : وعذاب القبر [1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : القتل والسباء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) بالجوع ، وعذاب القبر ، قال (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ) يوم القيامة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون والقاسم ويحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع والقتل ، وقال يحيى : بالخوف والقتل .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : بالجوع ، والقتل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع ، وعذاب القبر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع ، والقتل .

وقال آخرون : معنى ذلك : سنعذّبهم عذابا فى الدنيا ، وعذابا فى الآخرة .

---

(١) يظهر أن فى الكلام سقطا والأصل : وقال آخرون : هى الخوف والجوع أو القتل والسباء ذكر الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) عذاب الدنيا ، وعذاب القبر (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ) ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أسرّ إلى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين ، فقال ستة منهم ، تكفيكهم الدبيلة سراج من نار جهنم ، يأخذ فى كتف أحدهم ، حتى يفضى إلى صدره ، وستة يموتون موتا ، ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان إذا مات رجل يرى أنه منهم ، نظر إلى حذيفة ، فإن صلى عليه صلى عليه وإلا تركه . وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشدك الله أمنهم أنا ؟ قال : لا والله ، ولا أؤمن منها أحدا بعدك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : عذاب الدنيا وعذاب القبر .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء ، قالا : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : عذابا فى الدنيا ، وعذابا فى القبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردونَ إلى عذاب النار .

وقال آخرون : كان عذابهم إحدى المرّتين مصائبهم فى أموالهم وأولادهم ، والمرّة الأخرى فى جهنم :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : أما عذاب فى الدنيا : فالأموال والأولاد ، وقرأ قول الله (فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالمصائب فيهم هى لهم عذاب ، وهى للمؤمنين أجر ، قال : وعذاب فى الآخرة فى النار (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ) قال النار .

وقال آخرون : بل إحدى المرّتين : الحدود ، والأخرى : عذاب القبر ، ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضىّ .

وقال آخرون : بل إحدى المرّتين : أخذ الزكاة من أموالهم ، والأخرى عذاب القبر . ذُكر ذلك عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن .

وقال آخرون : بل إحدى المرّتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ فى أمر الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : العذاب الذى وعدهم مرّتين فيما بلغنى عنهم ما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبر إذا صاروا إليه ، ثم العذاب العظيم الذى يردّون إليه عذاب الآخرة ويخلدون فيه .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال : إن الله أخبر أنه يعذّب هؤلاء

الذين مردوا على النفاق مرّتين ، ولم يضع لنا دليلا نتوصل به إلى علم صفة ذينك العذابين ، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم ، وليس عندنا علم بأىّ ذلك من بأىّ ، على أن فى قوله جلّ ثناؤه (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلىعَذَابٍ عَظِيمٍ) دلالة على أن العذاب فى المرّتين كلتيهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من إحدى المرّتين أنها فى القبر . وقوله (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ) يقول : ثم يردّ هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله إياهم مرّتين إلى عذاب عظيم ، وذلك عذاب جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ، ومنهم آخرون اعترفوا بذنوبهم ، يقول : أقرّوا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا ، يعنى جلّ ثناؤه بالعمل الصالح الذى خلطوه بالعمل السيئ : اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها ، والآخر السيئ هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج غازيا ، وتركهم الجهاد مع المسلمين .

فإن قال قائل : وكيف قيل : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وإنما الكلام : خلطوا عملا صالحا بآخر سيء قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك ، فكان بعض نحويى البصرة يقول : قيل ذلك كذلك ، وجائز فى العربية أن يكون بآخر كما تقول : استوى الماء والخشبة : أى بالخشبة ، وخلطت الماء واللبن ، وأنكر آخرون أن يكون نظير قولهم استوى الماء والخشبة . واعتلّ فى ذلك بأن الفعل فى الخلط عامل فى الأوّل والثانى ، وجائز تقديم كلّ واحد منهما على صاحبه ، وأن تقديم الخشبة على الماء غير جائز فى قولهم : استوى الماء والخشبة ، وكان ذلك عندهم دليلا على مخالفة ذلك الخلط .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنه بمعنى قولهم : خلطت الماء واللبن ، بمعنى خلطته باللبن (عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) يقول : لعلّ الله أن يتوب عليهم ، وعسى من الله واجب ، وإنما معناه : سيتوب الله عليهم ، ولكنه فى كلام العرب على ما وصفت (إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وساتر له عليها ، رحيم به أن يعذّبه بها .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بهذه الآية ، والسبب الذى من أجله أنزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت فى عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، منهم أبو لبابة ، فربط سبعة منهم أنفسهم إلى السوارى عند مقدم النبىّ صلى الله عليه وسلم توبة منهم من ذنبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله :

(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فلما حضر رجوع النبيّ صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد ، وكان ممرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا رجع فى المسجد عليهم ، فلما رآهم قال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسوارى ؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم[1] وتعذرهم ، فقال النبيّ عليه الصلاة والسلام : وأنا أُقْسِمُ بالله لا أُطْلِقُهُمْ وَلا أَعْذِرُهُمْ حتى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِى يُطْلِقُهُمْ ، رَغِبُوا عَنِّى وَتَخَلَّفُوا عَنِ الغَزْوِ مَعَ المُسْلِمِينَ ؛ فلما بلغهم ذلك ، قالوا : ونحن بالله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذى يطلقنا ، فأنزل الله تبارك وتعالى (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وعسى من الله واجب ؛ فلما نزلت ، أرسل إليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأطلقهم وعذرهم .

وقال آخرون : بل كانوا ستة ، أحدهم أبو لبابة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك ، فتخلف أبو لُبابة وخمسة معه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم إن أبا لُبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهَلَكة ، وقالوا : نكون فى الكنّ والطمأنينة مع النساء ، ورسول الله والمؤمنون معه فى الجهاد ، والله لنوثقنّ أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا ، فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسوارى المسجد ، وبقى ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان طريقه فى المسجد ، فمرّ عليهم فقال : مَنْ هَؤُلاءِ المُوثِقُو أَنْفُسِهِمْ بالسَّوارِى ؟ فقالوا : هذا أبو لُبابة وأصحاب له تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أُطْلِقُهُمْ حتى أُومَرَ بإِطْلاقِهِمْ ، ولا أعْذِرهُمْ حتى يَكُونَ اللهُ هُوَ يَعْذُرُهُمْ ، وَقَدْ تَخَلَّفُوا عَنِّى وَرَغِبُوا بأَنْفُسِهِمْ عَنْ غَزْوِ المُسْلِمِينَ وَجِهادِهِمْ ، فأنزل الله برحمته (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وعسى من الله واجب ؛ فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم ، وتجاوز عنهم .

وقال آخرون : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى كانوا ثمانية .

(١) الذى فى الدر : أوثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى . . . الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال : هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، منهم كَرْدم ومِرْداس وأبو لُبابة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى : هلال ، وأبولُبابة ، وكَرْدم ، ومِرْداس ، وأبوقيس .

وقال آخرون : كانوا سبعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) ذُكر لنا أنهم كانوا سبعة رَهْط تخلفوا عن غزوة تبوك . فأما أربعة فخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا : جَد بن قيس ، وأبو لُبابة ، وحَرام ، وأوس ، وكلهم من الأنصار ، وهم الذين قيل فيهم (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قال : هم نفر ممن تخلف عن تَبوك : منهم أبولبَابة ، ومنهم جد بن قيس تِيبَ عليهم ، قال قتادة : وليسوا بثلاثة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) قال : هم سبعة ، منهم أبو لبابة كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك ، وليسوا بالثلاثة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) نزلت فى أبى لبابة وأصحابه تخلفوا عن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ؛ فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان قريبا من المدينة ، ندموا على تخلفهم عن رسول الله ، وقالوا : نكون فى الظلال والأطعمة والنساء ، ونبىّ الله فى الجهاد واللأواء ، والله لنوثقنّ أنفسنا بالسوارى ، ثم لانطلقها حتى يكون نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا ، وأوثقوا أنفسهم ، وبقى ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم ؛ فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، فمرّ فى المسجد وكان طريقه ، فأبصرهم ، فسأل عنهم ، فقيل له : أبولبابة وأصحابه تخلفوا عنك يا نبىّ الله ، فصنعوا بأنفسهم ما ترى ، وعاهدوا الله أن لايطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم ، فقال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : لاأُطْلِقُهُمْ حتى أُومَرَ بإطْلاقِهِمْ وَلا أعْذُرُهُمْ حتى يَعْذُرَهُمُ اللهُ ، قَدْ رَغِبُوا بأنْفُسِهِمْ عَنْ غَزْوَةِ المُسْلِمِينَ ، فأنزل الله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) . . . إلى (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وعسى من الله واجب فأطلقهم نبىّ الله وعذرهم .

وقال آخرون : بل عُنى بهذه الآية أبو لبابة خاصة وذنبه الذى اعترف به فتيب عليه منه ما كان من أمره فى بنى قريظة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) قال : نزلت فى أبى لبابة قال لبنى قريظة ما قال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) قال أبو لبابة إذ قال لقريظة ما قال ، أشار إلى حلقه : إن محمدا ذابحكم إن نزلتم على حكم الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) فذكر نحوه ، إلا أنه قال : إن نزلتم على حكمه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ربط أبو لبابة نفسه إلى سارية ، فقال : لاأحلّ نفسى حتى يحلنى الله ورسوله ، قال : فحله النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفيه أنزلت هذه الآية (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) قال نزلت فى أبى لبابة .

وقال آخرون : بل نزلت فى أبى لبابة بسبب تخلفه عن تبوك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الزهرى : كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فربط نفسه بسارية ، فقال : والله لاأحلّ نفسى منها ولاأذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت ، أو يتوب الله علىّ ، فمكث سبعة أيام لايذوق طعاما ولا شرابا حتى خرّ مغشيا عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، ثم قيل له : قد تيب عليك يا أبا لبابة ، فقال : والله لاأحلّ نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلنى ، قال : فجاء النبىّ صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله إن من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالى كله صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال : « يَجْزِيكَ يا أبا لُبابَةُ الثُّلُثُ » .

وقال بعضهم : عنى بهذه الآية الأعراب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قال : فقال : إنهم من الأعراب

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حجاج بن أبي ذئب ، قال : سمعت أبا عثمان يقول : مافي القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) . . . إلى (إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك ، وإن الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك ، لأن الله جلّ ثناؤه قال (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترف بذنبه ، الموثق نفسه بالسارية في حصار قريظة غير أبي لبابة وحده ، فإذ كان ذلك ، وكان الله تبارك وتعالى قد وصف في قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) بالاعتراف بذنوبهم جماعة ، علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد ، فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذا لم تكن إلا لجماعة ، وكان لاجماعة فعلت ذلك فيما نقله أهل السير والأخبار ، وأجمع عليه أهل التأويل إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك صحّ ما قلنا في ذلك ، وقلنا : كان منهم أبو لبابة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى:

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم ، وتزكيهم بها ، يقول : وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها ، إلى منازل أهل الإخلاص (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم ، (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) منها (إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم بأن الله قد عفا عنهم ، وقبل توبتهم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم ، ولغير ذلك من كلام خلقه ، عليم بما تطلب لهم بدعائك ربك لهم ، وبغير ذلك من أمور عباده .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : جاءوا بأموالهم ، يعني أبا لبابة وأصحابه حين أطلقوا ، فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا فتصدّق بها عنا واستغفر لنا ، قال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه ، انطلق أبو لبابة وصاحباه بأموالهم ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خذ من أموالنا فتصدّق بها عنا ، وصلّ علينا ، يقولون : استغفر لنا وطهرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا آخُذُ مِنْها شَيْئًا حتى أُومَرَ ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا ؛ فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءا من أموالهم ، فتصدّق بها عنهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم ، قال : لما أطلق النبيّ صلى الله عليه وسلم أبا لبابة ، والذين ربطوا أنفسهم بالسواري ، قالوا : يارسول الله خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال الذين ربطوا أنفسهم بالسواري حين عفا الله عنهم : يا نبيّ الله طهر أموالنا ، فأنزل الله(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) ، وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله ، وكان عمي منهم اثنان ، فلم يزل الآخر يدعو حتى عمي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الأربعة : جدّ بن قيس ، وأبو لبابة ، وحرام ، وأوس ، وهم الذين قيل فيهم (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) أي وقار لهم ، وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ، ويجاهدوا ، ويتصدّقوا .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، قال : لما أطلق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه ، أتوا نبيّ الله بأموالهم ، فقالوا : يا نبيّ الله خذ من أموالنا فتصدّق به عنا ، وطهرنا وصل علينا ، يقولون : استغفر لنا ، فقال نبيّ الله : لا آخُذُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا حتى أُومَرَ فيها ، فأنزل الله عزّ وجلّ (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) من ذنوبهم التي أصابوا (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم ، ففعل نبيّ الله عليه الصلاة والسلام ما أمره الله به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) أبو لبابة وأصحابه (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم لذنوبهم التي كانوا أصابوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) قال : هؤلاء ناس

من المنافقين ممن كان تخلف عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، اعترفوا بالنفاق وقالوا : يا رسول الله قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ، ولكن توبة جديدة ، وصدقة نخرجها من أموالنا ، فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) بعد ما قال (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

واختلف أهل العربية فى وجه رفع تزكيهم ، فقال بعض نحويى البصرة : رفع تزكيهم بها فى الابتداء وإن شئت جعلته من صفة الصدقة ، ثم جئت بها توكيدا ، وكذلك تطهرهم ؛ وقال بعض نحويى الكوفة : إن كان قوله (تُطَهِّرُهُمْ) للنبيّ عليه الصلاة والسلام فالاختيار أن تجزم بأنه لم يعد على الصدقة عائد (وَتُزَكِّيهِمْ) مستأنف ، وإن كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيهم بها جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما .

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك من القول أن قوله (تُطَهِّرُهُمْ) من صلة الصدقة ، لأن القرّاء مجمعة على رفعها ، وذلك دليل على أنه من صلة الصدقة . وأما قوله (وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) فخبر مستأنف ، بمعنى وأنت تزكيهم بها ، فلذلك رفع .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) فقال بعضهم : رحمة لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : رحمة لهم .

وقال آخرون : بل معناه : إن صلاتك وقار لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) : أى وقار لهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قرّاء المدينة (إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) بمعنى دعواتك . وقرأ قرّاء العراق وبعض المكيين (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) بمعنى إن دعاءك ، وكأن الذين قرءوا ذلك على التوحيد رأوا أن قراءته بالتوحيد أصحّ ، لأن فى التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس فى قوله (إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) إذ كانت الصلوات هى جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك ، والذى قالوا من ذلك عندنا كما قالوا ، وبالتوحيد عندنا القراءة لا لعلة أن ذلك فى العدد أكثر من الصلوات ، ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم وصلاته أنه سكن لهؤلاء القوم لا الخبر عن العدد ، وإذا كان ذلك كذلك ، كان التوحيد فى الصلاة أولى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

☆ وهذا خبر من الله تعالى ذكره أخبر المؤمنين به أن قبول توبة من تاب من المنافقين ، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها ليسا إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، وأن نبيّ الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسوارى من المتخلفين عن الغزو معه ، وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له فى ذلك إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد ، وأن محمدا إنما يفعل ما يفعل من ترك وإطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله بأمر الله ، فقال جلّ ثناؤه : ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين الموثقو أنفسهم بالسوارى ، القائلون لانطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ، السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ صدقة أموالهم أن ذلك ليس إلى محمد ، وأن ذلك إلى الله ، وأن الله هو الذى يقبل توبة من تاب من عباده ، أو يردّها ، ويأخذ صدقة من تصدّق منهم ، أو يردّها عليه دون محمد ، فيوجهوا توبتهم وصدقتهم إلى الله ، ويقصدوا بذلك قصد وجهه دون محمد وغيره ، ويخلصوا التوبة له ويريدوه بصدقتهم ، ويعلموا أن الله هو التوّاب الرحيم ، يقول المرجع بعبيده إلى العفو عنهم إذا رجعوا إلى طاعته ، الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال الآخرون : يعنى الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء : يعنى الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لايكلمون ولا يجالسون، فما لهم ؟ فقال الله (أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ،ويأْخُذُ الصَّدَقاتِ ، وأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى رجل كان يأتى حمادا ولم يجلس إليه ، قال شعبة ، قال العوّام بن حوشب : هو قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب قال : سمعت عبد الله بن السائب وكان جاره ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ما من عبد تصدّق بصدقة إلا وقعت فى يد الله ، فيكون هو الذى يضعها فى يد السائل ، وتلا هذه الآية (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبى قتادة المحاربى ، عن عبد الله بن مسعود قال : ما تصدّق رجل بصدقة إلا وقعت فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل ، وهو يضعها فى يد السائل ، ثم قرأ (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله ابن أبى قتادة ، عن ابن مسعود ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبى قتادة ،

قال : قال عبد الله : إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل ، ثم قرأ هذه الآية (هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن القاسم ، أنه سمع أباهريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ ، وَيَأْخُذُها بِيَمِينِهِ ، فَيُرَبِّيها لأحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أحَدُكُمْ مُهْرَهُ ، حتى إنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ » وتصديق ذلك فى كتاب الله (أن اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) و (يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا ويُرْبِي الصَّدَقاتِ).

حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع الرقى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم ، عن أبى هريرة ، ولا أراه إلا قد رفعه قال : إن الله يقبل الصدقة ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد عن أبى هريرة قال : إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيب ، ويأخذها بيمينه ، وإن الرجل يتصدّق بمثل اللقمة ، فيربيها الله له ، كما يربى أحدكم فصيله أو مهره ، فتربو فى كفّ الله ، أو قال فى يد الله ، حتى تكون مثل الجبل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ يَعْلَمُوا أنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ويَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لايَتَصَدَّقُ رَجُلٌ بِصَدَقَةٍ فَتَقَعُ فِي يَدِ السَّائِلِ حَتَّى تَقَعَ فِي يَدِ اللهِ ».

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وأنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) يعنى إن استقاموا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَقُلْ) يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك (اعْمَلُوا) لله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه (فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) يقول : فسيرى الله إن عملتم عملكم ، ويراه رسوله (وَالمُؤْمِنُونَ) فى الدنيا (وَسَتُرَدُّونَ) يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم ، فلا يخفى عليه شىء من باطن أموركمْ وظواهرها (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فيخبركم بما كنتم تعملون ، وما منه خالصا ، وما منه رياء وما منه طاعة ، وما منه لله معصية ، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم ، المحسن باحسانه ، والمسىء باساءته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمُؤْمِنُونَ) قال : هذا وعيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوكم أيها المؤمنون آخرون ، ورفع قوله آخرون عطفا على قوله : وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وآخرون مرجون : يعنى مرجئون لأمر الله وقضائه ، يقال منه أرجأته أرجئه إرجاء وهو مرجأ بالهمز ، وترك الهمز وهما لغتان معناهما واحد ، وقد قرأت القرّاء بهما جميعا . وقيل: عنى بهؤلاء الآخرين نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمه ، ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحت توبتهم ، فتاب عليهم ، وعفا عنهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : وكان ثلاثة منهم ، يعنى من المتخلفين عن غزوة تبوك لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى أرجئوا سبتة[١] لايدرون أيعذّبون أو يتاب عليهم ، فأنزل الله (لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِيِّ وَالمُهاجِرِينَ) . . . إلى قوله (إنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية ، يعنى قوله (خُذْ مِنْ أمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها) أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم ، يعنى من أموال أبى لبابة وصاحبيه ، فتصدّق بها عنهم ، وبقى الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة ، ولم يوثقوا ، ولم يذكروا بشيء ، ولم ينزل عذرهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وهم الذين قال الله (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ ، إمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فجعل الناس يقولون : هلكوا إذ لم ينزل لهم عذر . وجعل آخرون يقولون : عسى الله أن يغفر لهم ، فصاروا مرجئين لأمر الله حتى نزلت (لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِيِّ وَالمُهاجِرِينَ وَالأنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ) الذين خرجوا معه إلى الشام (مِنْ بَعْدِ ماكادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) ثم قال (وَعَلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) يعنى المرجئين لأمر الله نزلت عليهم التوبة ، فعموا بها ، فقال (حَتَّى إذَا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أنْفُسُهُمْ) . . . إلى قوله (إنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ) قال : هم الثلاثة الذين خلفوا .

(١) السبتة : البرهة من الدهر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ) قال : هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الأوس والخزرج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ) هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك من الأوس والخزرج .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ) هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة ، يريد غير أبي لبابة وأصحابه ، ولم ينزل الله عذرهم ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين : فرقة تقول : هلكوا حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لبابة وأصحابه ، وتقول فرقة أخرى : عسى الله أن يعفو عنهم ، وكانوا مرجئين لأمر الله ، ثم أنزل الله رحمته ومغفرته ، فقال(لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِيّ والمُهاجِرِينَ) . . . الآية ، وأنزل (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمرِ اللهِ) قال : كنا نحدّث أنهم الثلاثة الذين خلفوا : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، رهط من الأنصار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ) قال : هم الثلاثة الذين خلفوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ ، إمَّا يُعَذّبُهُمْ وإمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم ، حتى أتتهم توبتهم من الله .

وأما قوله(إمَّا يُعَذّبُهُمْ) فإنه يعني : إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه إياهم فيعذّبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة (وإمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) يقول : وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم ، فيغفر لهم (واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله ذو علم بأمرهم ، وما هم صائرون إليه من التوبة ، والمقام على الذنب ، حكيم في تدبيرهم ، وتدبير من سواهم من خلقه ، لايدخل حكمه خلل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره : والذين ابتنوا مسجدا ضرارا ، وهم فيما ذكرنا اثنا عشر نفسا من الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، قالوا : « أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى من تبوك حتى نزل بذى أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذى العلة ، والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وإنا نحبّ أن تأتينا فتصلىَ لنا فيه ، فقال : إنّى على جَناحِ سَفَرٍ وَحالِ شُغْلٍ ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَلَوْ قَدْ قَدِمْنا أتَيْناكُمْ إنْ شاءَ اللهُ فَصَلَّيْنا لَكُمْ فِيهِ فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدىّ ، أو أخاه عاصم بن عدىّ أخا بنى العجلان ، فقال : انْطَلِقا إلى هَذَا المَسْجِدِ الظَّالِمِ أهْلُهُ فاهْدِماهُ وَحَرِّقاهُ ، فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاه وهدماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وكُفْرًا) إلى آخر القصة » وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خذام بن خالد بن عبيد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد وهو إلى بنى أمية بن زيد ، ومعتب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر من بنى ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه : مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحرث وهم من بنى ضبيعة وبحدج وهو إلى بنى ضبيعة ، وبجاد بن عثمان وهو من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت وهو إلى بنى أمية رهط أبى لبابة بن عبد المنذر .

❁ فتأويل الكلام : والذين ابتنوا مسجدا ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله لمحادّتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفرّقوا به المؤمنين ليصلى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا ، (وَإرْصَادًا لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) يقول : وإعدادا له ، لأبى عامر الكافر الذى خالف الله ورسوله ، وكفر بهما وقاتل رسول الله ، من قبل ، يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد ، وذلك أن أباعامر هو الذى كان حزب الأحزاب ، يعنى حزب الأحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما خذله الله ، لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبىّ الله ، وكتب إلى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلى فيه فيما يزعم إذا رجع إليهم ، ففعلوا ذلك ، وهذا معنى قول الله جلّ ثناؤه (وَإرْصَادًا لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إنْ أرَدْنا إلاّ الحُسْنَى) يقول

جلّ ثناؤه ، وليحلفنّ بانوه إن أردنا إلا الحسنى ببنائناه إلا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ، ومن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه ، وتلك هى الفعلة الحسنة (وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى حلفهم ذلك ، وقيلهم ما بنيناه إلا ونحن نريد الحسنى ، ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوأى ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرا بالله ، وتفريقا بين المؤمنين ، وإرصادا لأبى عامر الفاسق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم ، واستعدوا بما استطعتم من قوّة ومن سلاح ، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فآتى بجند من الروم ، فأخرج محمدا وأصحابه ؛ فلما فرغوا من مسجدهم أتوُا النبىّ عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحبّ أن تصلى فيه وتدعو لنا بالبركة ، فأنزل الله فيه (لاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ، لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) . . . إلى قوله (وَاللهُ لاَيَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ، خرج رجال من الأنصار منهم بخدج جدّ عبد الله بن حنيف ، ووديعة بن حزام ، ومجمع بن جارية الأنصارى ، فبنوا مسجد النفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبخدج : وَيْلَكَ ما أَرَدْتَ إلى ما أرَى ، فقال : يارسول الله ، والله ما أردت إلا الحسنى وهو كاذب ، فصدّقه رسول الله ، وأراد أن يعذره ، فأنزل الله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يعنى رجلا منهم يقال له أبو عامر كان محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد انطلق إلى هرقل ، فكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلى فيه ، وكان قد خرج من المدينة محاربا لله ولرسوله (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى ، وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال أبو عامر الراهب انطلق إلى قيصر ، فقالوا إذا جاء يصلى فيه كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) قال المنافقون لمن حارب الله ورسوله لأبى عامر الراهب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : نزلت فى المنافقين ، وقوله (وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَه مِنْ قَبْلُ) قال : هو أبو عامر الراهب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً) قال : هم بنوغنم بن عوف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً) قال : هم حىّ يقال لهم بنوغنم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً)قال : هم حىّ يقال لهم بنو غنم .

قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت(وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) أبوعامر الراهب انطلق إلى الشأم ، فقال الذين بنوا مسجد الضرار : إنما بنيناه ليصلى فيه أبوعامر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً) . . . الآية ، عمد ناس من أهل النفاق ، فابتنوا مسجدا بقباء ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلى فيه ، ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم حتى أطلعه الله على ذلك.

وأما قوله (وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) فإنه كان رجلا يقال له أبوعامر ، فرّ من المسلمين فلحق بالمشركين [١] فقتلوه بإسلامه ، قال : إذا جاء صلى فيه ، فأنزل الله (لاتَقُمْ فِيهِ أَبَداً ، لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى) . . . الآية .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً) هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء يضارّون به نبىّ الله والمسلمين (وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) كانوا يقولون : إذا رجع أبو عامر من عند قيصر من الروم صلى فيه ، وكانوا يقولون : إذا قدم ظهر على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وتفريقا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : مسجد قباء ، كانوا يصلون فيه كلهم ، وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له أبو عامر أبو حنظلة غسيل الملائكة وصيفى وأخيه ، وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين ، فخرج أبو عامر هاربا هو وابن باليل من ثقيف وعلقمة بن علاثة من قيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لحقوا بصاحب الروم ، فأما

(١) كذا فى الأصل ولعله مصحف ، والأصل : فبنوه باشارته وقالوا إذا الخ .

علقمة وابن بالين فرجعا فبايعا النبيّ صلى الله عليه وسلم وأسلما ، وأما أبو عامر فتنصر وأقام . قال : وبنى ناس من المنافقين مسجد الضرار لأبي عامر ، قالوا : حتى يأتي أبو عامر يصلي فيه وتفريقا بين المؤمنين يفرّقون بين جماعتهم ، لأنهم كانوا يصلون جميعا في مسجد قباء ، وجاءوا يخدعون النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين الوادي ، ويحول بيننا وبين القوم ، فنصلي في مسجدنا فإذا ذهب السيل صلينا معهم ، قال : وبنوه على النفاق ، قال : وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وألقى الناس عليه النتن والقمامة ، فأنزل الله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) لئلا يصلي في مسجد قباء جميع المؤمنين (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) أبي عامر (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن أبي جعفر ، عن ليث أن شقيقا لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر ، فقيل له مسجد بني فلان ، لم يصلوا بعد ، فقال : لاأحبُّ أنْ أُصَلِّيَ فيه فإنَّه بُنِيَ على ضِرارٍ ، وكلّ مسجد بني ضرارا أو رياء أو سمعة ، فإن أصله ينتهي إلى المسجد الذي بني على ضرار .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ ١٠٨

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتقم يا محمد في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون ضرارا وتفريقا بين المؤمنين ، وإرصادا لمن حارب الله ورسوله ، ثم أقسم جلّ ثناؤه فقال : (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ) أنت فيه ، يعني بقوله (أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى) ابتدئ أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته من أوّل يوم ابتدئ في بنائه (أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) يقول : أولى أن تقوم فيه مصليا . وقيل : معنى قوله (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) مبدأ أوّل يوم كما تقول العرب : لم أره من يوم كذا ، بمعنى مبدؤه ، ومن أوّل يوم يراد به من أوّل الأيام ، كقول القائل : لقيت كلّ رجل ، بمعنى كلّ الرجال .

واختلف أهل التأويل في المسجد الذي عناه بقوله (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) فقال بعضهم : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه منبره وقبره اليوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن عثمان بن عبيد الله ، قال : أرسلني محمد بن أبي هريرة إلى ابن عمر أسأله عن المسجد الذي أسس على التقوى ، أيّ مسجد هو ؟ مسجد المدينة ، أو مسجد قباء ؟ قال : لا ، مسجد المدينة .

قال : ثنا القاسم بن عمرو العنقزى ، عن الدراوردى ، عن عثمان بن عبيد الله ، عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد ، قالوا : المسجد الذى أسس على التقوى : مسجد الرسول .

قال : ثنا أبي ، عن ربيعة بن عثمان ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سألت ابن عمر عن المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال : هو مسجد الرسول .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، قال : هو مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا أبي ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، قال : هو مسجد الرسول .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا حميد الخراط المدنى ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن ، قال : مرّبى عبد الرحمن بن أبي سعيد ، فقلت : كيف سمعت أباك يقول فى المسجد الذى أسس على التقوى ؟ فقال لي : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فى بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أيّ مسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا ، هكذا سمعت أباك يذكره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : المسجد الذى أسس على التقوى : هو مسجد النبيّ الأعظم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن المسيب ، قال : إن المسجد الذى أسس على التقوى من أوّل يوم ، هو مسجد المدينة الأكبر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن داود ، قال : قال سعيد بن المسيب ، فذكر مثله ، إلا أنه قال : الأعظم .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : هو مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد ، قال : أحسبه عن أبيه ، قال : مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم الذى أسس على التقوى .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : مسجد قباء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أوَّلِ يَوْمٍ) يعنى مسجد قباء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال: ثنى عمى ، قال: ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال: ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أوَّلِ يَوْمٍ) هو مسجد قباء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن صالح بن حَيَّان ، عن ابن بريد ، قال : مسجد قباء الذى أُسِّس على التقوى ، بناه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المسجد الذى أسس على التقوى : مسجد قباء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ابن الزبير : الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى : بنو عمرو بن عوف .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لصحة الخبر بذلك عن رسول الله .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قال أبو كريب : ثنا وكيع ، وقال ابن وكيع : ثنا أبى ، عن ربيعة ابن عثمان التيمى ، عن عمران بن أبى أنس رجل من الأنصار ، عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد النبيّ ؛ وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألاه ، فقال : هو مسجدى ، هذا اللفظ لحديث أبى كريب ، وحديث سفيان نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمى عن عمران بن أبى أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبيّ بن كعب ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال : مسجدى هذا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : ثنى الليث ، عن عمران بن أبى أنس ، عن ابن أبى سعيد ، عن أبيه ، قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أوّل يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال آخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : هُوَ مَسْجِدِى هَذَا .

حدثنى بحر بن نصر الخولانى ، قال : قرئ على شعيب بن الليث ، عن أبيه ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سعيد بن أبى سعيد الخدرى ، قال : تمارى رجلان ، فذكر مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى سجل بن محمد بن أبى يحيى ، قال : سمعت عمى أنيس بن أبى يحيى يحدّث ، عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المَسْجِدُ الَّذِى أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مَسْجِدِى هَذَا ، وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنى الحمانى ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن أنيس ، عن أبيه ، عن أبى سعيد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : أخبرنا أنيس بن أبى يحيى ، عن أبيه ،

عن أبي سعيد ، أن رجلا من بني خدرة ، ورجلا من بني عمرو بن عوف ، امتريا في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخدريّ : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال العوفي : هو مسجد قباء ، فأتيا النبيّ صلى الله عليه وسلم وسألاه ، فقال : هُوَ مَسْجِدِي هَذَا ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ » .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ :

يقول تعالى ذكره في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أوّل يوم رجال يحبو ن أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط ، والله يحبّ المتطهرين بالماء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا همام بن يحيى ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب قال : لما نزل (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَا الطُّهُورُ الَّذِي أَثْنَى اللهُ عَلَيْكُمْ ؟ قالوا : يا رسول الله نغسل أثر الغائط » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء : « إِنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمُ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ ، فَمَا تَصْنَعُونَ ؟ قالوا : إنا نغسل عنا أثر الغائط والبول » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي أَثْنَى اللهُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ؟ قالوا : إنا نستطيب بالماء إذا جئنا من الغائط » .

حدثني جابر بن الكردي ، قال : ثنا محمد سابق ، قال : ثنا مالك بن مِغْوَل ، عن سيار أبي الحَكَم ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أَلَا أَخْبِرُونِي ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ بِالطُّهُورِ خَيْرًا ، فقالوا : يا رسول الله إنا نجد عندنا مكتوبا في التوراة الاستنجاء بالماء .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن رافع ، عن مالك بن مغول ، قال : سمعت سيارا أبا الحكم غير مرّة ، يحدّث عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : « لما قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم على أهل قباء قال : إِنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ بِالطُّهُورِ خَيْرًا ، يعني قوله (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قالوا : إنا نجده مكتوبا عندنا في التوراة : الاستنجاء بالماء» .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن رافع ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن سيار ، عن شهر ابن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال يحيى : ولا أعلمه إلا عن أبيه ، قال : قال النبيّ

صلى الله عليه وسلم لأهل قباء: « إنَّ اللهَ قَدْ أثْنَى عَلَيْكُمْ فى الطُّهُورِ خَيْرًا ، قالوا : إنا نجده مكتوبا علينا فى التوراة : الاستنجاء بالماء ، وفيه نزلت (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا) » .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا إسماعيل بن صبيح اليشكرى ، قال : ثنا أبو أويس المدنى ، عن شرحبيل بن سعد ، عن عويم بن ساعدة ، وكان من أهل بدر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : « إنِّى أسْمَعُ اللهَ قَدْ أثْنَى عَلَيْكُمُ الثَّناءَ فِى الطُّهُورِ ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ؟ قالوا : يا رسول الله مانعلم شيئا إلا أن جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا » .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، عن شرحبيل بن سعد قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) قال : كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى ليلى ، عن عامر ، قال : كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء ، فنزلت (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا شبابة بن سوار ، عن شعبة ، عن مسلم القرى ، قال : قلت لابن عباس : أصب على رأسى وهو محرم ، قال : ألم تسمع الله يقول (إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن داود وابن أبى ليلى ، عن الشعبى ، قال : لما نزلت (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء « ماهَذَا الَّذِى أثْنَى اللهُ عَلَيْكُمْ ؟ قالوا ما منا من أحد إلا وهو يستنجى من الخلاء » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الحميد المدنى ، عن إبراهيم ابن إسماعيل الأنصارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة : « ما هَذَا الَّذِى أثْنَى اللهُ عَلَيْكُمْ (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) قال : نوشك أن نغسل الأدبار بالماء » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدالرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبوجعفر ، عن حصين ، عن موسى بن أبى كثير ، قال : بدء حديث هذه الآية فى رجال من الأنصار من أهل قباء (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) فسألهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : نستنجى بالماء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أصبغ بن الفرج ، قال أخبرنى ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن أبى الزناد ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، عن عويم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف ، ومعن بن عدىّ من بنى العجلان ، وأبى الدحداح ، فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « : مَنِ الذين قال الله فيهم (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الرِّجالُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ ساعِدَةَ ، لم يبلغنا أنه سمى منهم رجلا غير عويم » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن هشام بن حسان ، قال : ثنا الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما هَذَا الَّذِي ذَكَرَكُمُ اللهُ بِهِ فِي أَمْرِ الطُّهُورِ ، فَأَثْنَى بِهِ عَلَيْكُمْ ؟ قالوا : نغسل أثر الغائط والبول » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن مغول ، قال : سمعت سيارا أبا الحكم يحدّث ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أو قال : قدم علينا رسول الله فقال : « إنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ خَيْرًا أَفَلا تُخْبِرُونِي ؟ قالوا : يا رسول الله ، إنا نجد علينا مكتوبا فى التوراة : الاستنجاء بالماء » قال مالك : يعني قوله (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) » .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، قال : لما نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما طُهُورُكُمْ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ؟ قالوا : يا رسول الله كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام لم ندعه ، قال : فَلا تَدَعُوهُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان فى مسجد قباء رجال من الأنصار يوضئون سَفِلَتهم (١) بالماء يدخلون النخل والماء يجرى ، فيتوضئون ، فأثنى الله بذلك عليهم ، فقال (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء ، فنزلت فيهم (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) وقيل : (وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) وإنما هو المتطهرين ، ولكن أدغمت التاء فى الطاء ، فجعلت طاء مشددة لقرب مخرج إحداهما من الأخرى .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ) فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة (أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أُسِّسَ بُنْيانُهُ) على وجه ما لم يسمَّ فاعله فى الحرفين كليهما ، وقرأت ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ

---

(١) فى اللسان : السافلة : المقعدة والدبر .

ورِضْوَانٍ خَيْرٌ أمَنْ أسَّسَ بُنْيانَهُ) على وصف من بناء الفاعل الذى أسس بنيانه ، وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى من إذ كان من المؤسس من أعجب إلىّ .

فتأويل الكلام إذاً : أى هؤلاء الذين بنوا المساجد خير أيها الناس عندكم الذين ابتدءوا بناء مسجدهم على اتقاء الله بطاعتهم فى بنائه وأداء فرائضه ، ورضا من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك ، وفعلهم ما فعلوه خير ، أم الذين ابتدءوا بناء مسجدهم على شفا جرف هار ، يعنى بقوله (على شَفَا جُرُفٍ) على حرف جرف ، والجُرُف من الركىّ مالم يبن له جول هار ، يعنى متهوّر ، وإنما هو هائر ولكنه قلب ، فأخرت ياؤها ، فقيل هار كما قيل : هو شاك السلاح وشائك ، وأصله من هار يهور فهو هائر ؛ وقيل : هو من هار يهار : إذا انهدم ، ومن جعله من هذه اللغة قال : هِرْتَ ياجُرُفُ ، ومن جعله من هار يهور قال : هُرْتُ ياجُرُف ، وإنما هذا مثل يقول تعالى ذكره : أىّ هذين الفريقين خير ، وأىّ هذين البناءين أثبت ، أمن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعلم منه بأن بناءه لله طاعة والله به راض ، أم من ابتدأه بنفاق وضلال ، وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه ، فهو لايدرى متى يتبين له خطأ فعله وعظم ذنبه فيهدمه كما يأتى البناء على جرف ركية لاحابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه ، ترى به التراب متناثرا لاتلبثه السيول أن تهدمه وتنثره ، يقول الله جلّ ثناؤه (فانْهارَ بِهِ فِى نارِ جَهَنَّمَ) يعنى فانتثر الجرف الهارى ببنائه فى نار جهنم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فانهار به قواعده فى نار جهنم .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فانْهارَ بِهِ) يقول : فخر به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (أفَمَنْ أسَّسَ بُنْيانَهُ على تَقْوَى مِنَ اللهِ) . . . إلى قوله (فانْهارَ بِهِ فِى نارِ جَهَنَّمَ) قال : والله ماتناهى أن وقع فى النار ، ذكر لنا أنه حفرت بقعة منه فروى منها الدخان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج [1] : بنوعمرو بن عوف استأذنوا النبىّ صلى الله عليه وسلم فى بنيانه ، فأذن لهم ، ففرغوا منه يوم الجمعة فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد ، قال : وانهار يوم الاثنين ، قال : وكان قد استنظرهم ثلاثا : السبت والأحد والاثنين فانهار به فى نار جهنم ، مسجد المنافقين انهار فلم يتناه دون أن وقع فى النار .

قال ابن جريج : ذكر لنا أن رجالا حفروا فيه ، فأبصروا الدخان يخرج منه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج ، عن طلق

(١) الذى تقدم له عن غير ابن جريج أن بانى مسجد الضرار بنو غنم بن عوف ، وأن بانى مسجد قباء بنو عمرو بن عوف ، فإن لم يكن مصحفا أو رواية فهو اشتباه .

ابن حبيب ، عن جابر ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) قال : رأيت المسجد الذى بنى ضرارا يخرج منه الدخان على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن مرزوق البصرى ، قال : ثنا أبوسلمة ، قال : ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج ، قال : ثنى طلق العنزى ، عن جابر بن عبد الله ، قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار .

حدثنى سلام بن سالم الخزاعى ، قال : ثنا خلف بن ياسين الكوفى ، قال : حججت مع أبى فى ذلك الزمان ، يعنى زمان بنى أمية ، فمررنا بالمدينة ، فرأيت مسجد القبلتين ، يعنى مسجد الرسول ، وفيه قبلة بيت المقدس ؛ فلما كان زمان أبى جعفر ، قالوا : يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة ، فهذا البناء الذى يرون جرى على يد عبد الصمد بن علىّ ، ورأيت مسجد المنافقين الذى ذكره الله فى القرآن ، وفيه حجر يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مزبلة .

قوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : والله لايوفق للرشاد فى أفعاله من كان بانيا بناءه فى غير حقه وموضعه ، ومن كان منافقا مخالفا بفعله أمر الله وأمر رسوله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

يقول تعالى ذكره : لايزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ريبة ، يقول : لايزال مسجدهم الذى بنوه ريبة فى قلوبهم ، يعنى شكا ونفاقا فى قلوبهم ، يحسبون أنهم كانوا فى بنائه محسنين (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يعنى إلا أن تتصدّع قلوبهم فيموتوا ، والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكهم فى دينهم ، وما قصدوا فى بنائهموه وأرادوه ، وما إليه صائر أمرهم فى الآخرة وفى الحياة ما عاشوا ، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم ، حكيم فى تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) يعنى شكا (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يعنى الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : شكا فى قلوبهم (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) إلى أن يموتوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يقول : حتى يموتوا .

حدثنى مطر بن محمد الضبى ، قال : ثنا أبوقتيبة ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، فى قوله (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : إلا أن يموتوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : يموتوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح عن أبي مجاهد (إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : يموتوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدالله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة والحسن (لايَزَالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قالا : شكا فى قلوبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازى ، قال : ثنا أبو سنان ، عن حبيب (لايَزَالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : غيظا فى قلوبهم .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : يموتوا .

قال : ثنا إسحاق الرازى ، عن أبي سنان ، عن حبيب (إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) : إلا أن يموتوا .

قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن السدىّ (رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : كفر ، قلت : أكفر مجمّع ابن جارية ؟ قال : لا ، ولكنها حزازة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ (لايَزَالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : حزازة فى قلوبهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لايَزَالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) لايزال ريبة فى قلوبهم راضين بما صنعوا ، كما حب العجل فى قلوب أصحاب موسى ، وقرأ (وأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ) قال : حبه (إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : لايزال ذلك فى قلوبهم حتى يموتوا ، يعنى المنافقين .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن السدىّ ، عن إبراهيم (رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : شكا ، قال : قلت يا أبا عمران تقول هذا وقد قرأت القرآن ؟ قال : إنما هى حزازة .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) فقرأ ذلك بعض قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة (إلاَّ أنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) بضم التاء من تقطع ، على أنه لم يسمّ فاعله ، وبمعنى : إلا أن يقطع الله قلوبهم . وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة (إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) بفتح التاء من تقطّع على أن الفعل للقلوب ، بمعنى : إلا أن تتقطع قلوبهم ، ثم حذفت إحدى التاءين . وذكر أن الحسن كان يقرأ (إلى أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) بمعنى : حتى تتقطع قلوبهم ، وذكر أنها فى قراءة عبد الله : (وَلَوْ قُطِّعَتْ قُلُوبُهُمْ) وعلى الاعتبار بذلك قرأ من قرأ ذلك (إلاَّ أنْ تُقَطَّعَ) بضم التاء ٥

* والقول عندى فى ذلك أن الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى ، لأن القلوب لاتتقطع إذا تقطعت إلا بتقطيع الله إياها ، ولا يقطعها الله إلا وهى متقطعة ، وهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته . وأما قراءة من قرأ ذلك : إلى أن تُقْطَعَ ، فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ، ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزة .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

* يقول تعالى ذكره : إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة وعدا عليه حقا ، يقول : وعدهم الجنة جلّ ثناؤه ، وعدا عليه حقا أن يوفى لهم به فى كتبه المنزّلة ، التوراة والإنجيل والقرآن ، إذا هم وفوا بما عاهدوا الله ، فقاتلوا فى سبيله ونصرة دينه أعداءه ، فقَتَلوا وقُتِلوا ، (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ) يقول جلّ ثناؤه : ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله (فَاسْتَبْشِرُوا) يقول ذلك للمؤمنين ، فاستبشروا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا (بِبَيْعِكُمْ) أنفسكم وأموالكم بالذى بعتموها من ربكم به ، فإن ذلك هو الفوز العظيم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : ما من مسلم إلا ولله فى عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها فى قول الله (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . إلى قوله (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ثم حلاهم فقال (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) . . . إلى (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) يعنى بالجنة .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن يسار ، عن قتادة أنه تلا هذه الآية (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) قال : ثامنهم الله فأغلى لهم الثمن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن أنه تلا هذه الآية (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) قال : بايعهم فأغلى لهم الثمن .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى وغيره ، «قالوا : قال عبدالله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، قال : أَشْتَرِطُ لِرَبِّى أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ

منه ُ أنْفُسَكُم ْ وأمْوالَكُم ْ ،قالوا : فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا ؟ قال : الجَنَّةُ ، قالوا : ربح البيع لانقيل ولا نستقيل ، فنزلت (إنّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ) . . . » الآية .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبيد بن طفيل العبسي ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، وسأله رجل عن قوله (إنّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ) . . . الآية ، قال الرجل : ألا أحمل على المشركين ، فأقاتل حتى أقتل ؟ قال : ويلك أين الشرط (التّائِبُونَ العابِدُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ، ولكنه رفع ، إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها ، والعرب تفعل ذلك ، وقد تقدم بياننا ذلك فى قوله (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، ومعنى التائبون : الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى مايحبه ويرضاه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن فى قول الله (التّائِبُونَ) قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها .

حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى ، قال : ثنى أبى ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، أنه قرأ (التّائِبُونَ العابِدُونَ) قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبى الأشهب ، قال : قرأ الحسن (التّائِبُونَ العابِدونَ) قال : تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجاء عن الحسن ، قال : التائبون من الشرك .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية (التّائِبُونَ العابِدُونَ) قال الحسن : تابوا والله من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (التّائبونَ) قال : تابوا من الشرك ثم لم ينافقوا فى الإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (التائِبُونَ) قال : الذين تابوا من الذنوب ثم لم يعودوا فيها .

وأما قوله (العابِدُونَ) فهم الذين ذلوا خشية لله وتواضعا له ، فجدّوا فى خدمته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (العابِدُونَ) : قوم أخذوا من أبدانهم فى ليلهم ونهارهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن فى قول الله (العابِدُونَ) قال : عبدوا الله على أحايينهم كلها فى السرّاء والضرّاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (العابِدُونَ) قال : العابدون لربهم .

وأما قوله (الحامِدُونَ) فإنهم الذين يحمدون الله على كلّ ما امتحنهم به من خير وشرّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الحامِدُونَ) قوم حمدوا الله على كل حال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة ، قال : قال الحسن (الحامِدُونَ) : الذين حمدوا الله على أحايينهم كلها فى السرّاء والضرّاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (الحامِدُونَ) قال : الحامدون على الإسلام .

وأما قوله (السَّائِحُونَ) فإنهم الصائمون .

كما حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى وابن وكيع ، قالا : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحرث ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير ، قال : «سئل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن السائحين ، فقال : هُمُ الصَّائِمُونَ » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا حكيم بن حزام ، قال : ثنا سليمان ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السَّائِحُونَ هُمُ الصَّائِمُونَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، قال (السَّائِحُونَ) الصائمون .

قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبد الرحمن ، قال : السياحة : الصيام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، وإسرائيل عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، قال : (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث بن أبى الشعثاء، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن ، قال : (السَّائِحُونَ) : هم الصائمون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (السَّائِحُونَ) قال : يعنى بالسائحين : الصائمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيدالله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قال (السَّائِحُونَ) هم الصائمون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (السَّائِحُونَ) الصائمون .

قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : كلّ ما ذكر الله فى القرآن السياحة : هم الصائمون .

قال : ثنا أبى عن المسعودى ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن أبى عمرو العبدى ، قال (السَّائِحُونَ) : الذين يديمون الصيام من المؤمنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن (السَّائِحُونَ) الصائمون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون ، شهر رمضان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

قال : ثنا أبوأسامة ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كلّ شىء فى القرآن (السَّائِحُونَ) فإنه الصائمون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك(السَّائحون) الصائمون .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (السَّائِحُونَ) يعنى : الصائمين .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا ابن نمير ويعلى وأبو أسامة ، عن عبد الملك ، عن عطاء، قال (السَّائِحُونَ) الصائمون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا عمرو أنه سمع وهب بن منبه يقول : كانت السياحة فى بنى إسرائيل ، وكان الرجل إذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون

قبله ، فساح ولد بغيّ أربعين سنة فلم ير شيئا ، فقال : أى ربّ أرأيت إن أساء أبواى وأحسنت أنا ؟ قال : فأُرى ما أُرى السائحون قبله .

قال ابن عيينة : إذا ترك الطعام والشراب والنساء فهو السائح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : السائحون قوم أخذوا من أبدانهم صوما لله.

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : سياحة هذه الأمة : الصيام .

وقوله (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) يعني : المصلين الراكعين فى صلاتهم ، الساجدين فيها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) قال : الصلاة المفروضة .

وأما قوله (الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ) فإنه يعنى أنهم يأمرون الناس بالحق فى أديانهم ، واتباع الرشد والهدى والعمل ، وينهونهم عن المنكر ، وذلك نهيهم الناس عن كلّ فعل وقول نهى الله عباده عنه .

وقد روى عن الحسن فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ) لا إله إلا الله (والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ) عن الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن ، فى قوله (الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ) قال : أما إنهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها (والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ) قال : أما إنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنى إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : كلّ ما ذكر فى القرآن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالأمر بالمعروف : دعاء من الشرك إلى الإسلام ؛ والنهى عن المنكر : نهى عن عبادة الأوثان والشياطين .

وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا من أن الأمر بالمعروف هو كلّ ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم . والنهى عن المنكر هو كلّ ما نهى الله عنه عباده أو رسوله . وإذ كان ذلك كذلك ولم يكن فى الآية دلالة على أنها عنى بها خصوص دون عموم ، ولا خبر عن الرسول ، ولا فى فطرة عقل ، فالعموم بها أولى لما قد بينا فى غير موضع من كتبنا .

وأما قوله (والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) فإنه يعنى : المؤدّونَ فَرَائِضَ الله ، المنتهون إلى أمره ونهيه ، الذين لا يضيعون شيئا ، ألزمهم العمل به ، ولا يركبون شيئا نهاهم عن ارتكابه .

كالذى حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس

(والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) يعني : القائمين على طاعة الله، وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد إذا وفوا الله بشرطه ، وفى لهم شرطهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) قال : القائمون على طاعة الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام، عن ثعلبة ، بن سهيل، قال : قال الحسن ،في قوله (والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) قال : القائمون على أمر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثني منصور، بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن أبي أبي رجاء ، عن الحسن (والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) قال : لفرائض الله .

وأما قوله (وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ) فانه يعني : وبشر المصدقين بما وعدهم الله إذا هم وفوا الله بعهده أنه موف لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة .

كما حدثنا ابن بشار ، قال :ثنا هوذة بن خليفة،قال : ثنا عوف،عن الحسن(إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أنْفُسَهُم) ... حتى ختم الآية، قال: الذين وفوا ببيعتهم (التَّائِبُونَ العَابدونَ الحامدُونَ) ، حتى ختم الآية ، فقال: هذا عملهم وسيرهم في الرخاء ، ثم لقوا العدوّ فصدّقوا ما عاهدوا الله عليه .

وقال بعضهم : معنى ذلك : وبشر من فعل هذه الأفعال ، يعني قوله (التَّائِبُونَ العابِدُونَ) . . . إلى آخر الآية ، وإن لم يغزوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني منصور بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ) قال : الذين لم يغزوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره : ما كان ينبغي للنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به أن يستغفروا يقول : أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولي قربى ، ذوي قرابة لهم (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُمْ أصحابُ الجَحِيمِ) يقول : من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار ، لأن الله قد قضى أن لايغفر لمشرك ، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لايفعله .

❊ فإن قالوا : فان إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك ، فلم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ) وعلم أنه لله عدوّ خلاه وتركه وترك الاستغفار له ،وآثر الله وأمره عليه ، فتبرأ منه حين تبين له أمره .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه ، فقال بعضهم : نزلت فى شأن أبي طالب عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عَمّ قُلْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ كَلِمَةً أُحاجُّ لَكَ بِها عِنْدَ اللهِ ، فقال له أبوجهل وعبد الله بنأبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ، فنزلت (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) ، ونزلت (إنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) » .

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمى عبد الله بن وهب ، قال : ثنى يونس ، عن الزهرى ، قال : أخبرنى سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : لما حضرت أباطالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعَمّ قُلْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ كَلِمَةً أشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ ، قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لاإله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ، فأنْزَلَ اللهُ (ماكانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) وأنزل الله فى أبى طالب ، فقال لرسول الله (إنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) . . . الآية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ماكانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) قال : يقول المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافرا ، فأنزل الله (وَماكانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاهُ) . . . الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن عمرو بن دينار أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « اسْتَغْفَرَ إبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَهُوَمُشْرِكٌ ، فَلا أزَالُ أسْتَغْفِرُ لأَبى طالِبٍ حتى يَنْهانِى

عَنْهُ رَبِّي ، فقال أصحابه : لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبيّ صلى الله عليه وسلم لعمه ، فأنزل الله (ما كانَ للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . إلى قوله (تَبَرَّأَ مِنْهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب قال : لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عبد الله بن أبى أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيْ عَمّ إنَّكَ أعْظَمُ النَّاسِ عَلَيَّ حَقّاً وأحْسَنُهُمْ عِنْدِي يَداً ، ولأنْتَ أعْظَمُ عَلَيَّ حَقّاً مِنْ وَالِدِي ، فَقُلْ كَلِمَةً تَجِبُ لِي بِها الشَّفاعَةُ يَوْمَ القِيامَةِ ، قُلْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ ، ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور .

وقال آخرون : بل نزلت فى سبب أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها ، فمنع من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل ، عن عطية قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له ، فيستغفر لها ، حتى نزلت (ما كانَ للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبَى) . . . إلى قوله (تَبَرَّأَ مِنْهُ) .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أتى رسما ، قال : وأكثر ظنى أنه قال قبرا ، فجلس إليه ، فجعل يخاطب ، ثم قام مستعبرا ، فقلت : يارسول الله ، إنا رأينا ماصنعت ، قال : إنّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيارَةِ قَبْرِ أُمِّي فَأَذِنَ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الاسْتِغْفارِ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، فما رؤى باكيا أكثر من يومئذ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ماكانَ للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) . . . إلى (أَنَّهُمْ أَصْحابُ الجَحِيمِ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : وَإِنَّ إبْراهِيمَ خَلِيلَ اللهِ قَدِ اسْتَغْفَرَ لأَبِيهِ فأنزل الله (وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْراهِيمَ) . . . إلى (لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

وقال آخرون : بل نزلت من أجل أن قوما من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين ، فنهوا عن ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنى عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ما كان للنَّبِيِّ والَّذِين آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِين) . . . الآية ، فكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية ، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله (وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْراهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاهُ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية ، ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا : يا نبيّ الله ، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفكّ العانى ، ويوفى بالذمم ؛ أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : بَلَى واللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لأبى كَمَا اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ ، قال : فأنزل الله (ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . حتى بلغ (الْجَحِيمِ) ، ثم عذر الله إبراهيم فقال (وما كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ)قال : وذُكر لنا أن نبيّ الله قال : أوحى إلىّ كلمات ، فدخلن فى أذنى ، ووقرن فى قلبى ، أمرت أن لاأستغفر لمن مات مشركا ، ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو شرّ له ، ولا يلوم الله على كفاف .

واختلف أهل العربية فى معنى قوله (ماكان لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : ما كان لهم الاستغفار ، وكذلك معنى قوله (وَمَا كان لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ) وما كان لنفس الإيمان إلا بإذن الله . وقال بعض نحويى الكوفة : معناه : ما كان ينبغى لهم أن يستغفروا لهم ، قال : وكذلك إذا جاءت أن مع كان ، فكلها بتأويل ينبغى ما كان لنبىّ أن يغلّ ما كان ينبغى له ليس هذا من أخلاقه ، قال : فلذلك إذا دخلت أن تدل على الاستقبال ، لأن ينبغى تطلب الاستقبال .

وأما قوله (وَمَا كان اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) فإن أهل العلم اختلفوا فى السبب الذى أنزل فيه ، فقال بعضهم أنزل من أجل أن النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ظنا منهم أن إبراهيم خليل الرحمن ، قد فعل ذلك حين أنزل الله قوله خبرا عن إبراهيم ، قال : (سلامٌ عَلَيْكَ سأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا) ، وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضرنا ذكره ، وسنذكر عمن لم نذكره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الخليل ، عن علىّ قال : «سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ، قال : فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ) . . . إلى (تَبَرَّأَ مِنْهُ)» .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الخليل ، عن علىّ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لأبويه وهما مشركان ، حتى نزلت (وَمَاكَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ) . إلى قوله (تَبَرَّأَ مِنْهُ) ، وقيل (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ) ، ومعناه : إلا من بعد موعدة ، كما يقال : ماكان هذا الأمر إلا عن سبب كذا ، بمعنى : من بعد ذلك السبب أو من أجله ، فكذلك قوله (إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ) : من أجل موعدة وبعدها .

وقد تأوّل قوم قول الله (ماكَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا

أُولِى قُرْبَى) . . . الآية ، أن النهى من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم ، لقوله (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصحابُ الجَحِيمِ) وقالوا : ذلك لايتبينه أحد إلا بأن يموت على كفره ، وأما وهو حيّ ، فلا سبيل إلى علم ذلك ، فللمؤمنين أن يستغفروا لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سليمان بن عمر الرقى ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان الثورى ، عن الشيبانى ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل يهودى وله ابن مسلم ، فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس ، فقال : كان ينبغى له أن يمشى معه ويدفنه ، ويدعو له بالصلاح مادام حيا ، فاذا مات وكله إلى شأنه ، ثم قال (وَمَا كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرأَ مِنْهُ) لم يدع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا فضيل ، عن ضرار بن مرّة ، عن سعيد بن جبير ، قال : مات رجل نصرانى ، فوكله ابنه إلى أهل دينه ، فأتيت ابن عباس ، فذكرت ذلك له فقال : ما كان عليه لومشى معه وأجنه واستغفر له ، ثم تلا (وَمَا كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاهُ) . . . الآية .

وتأوّل آخرون الاستغفار فى هذا الموضع بمعنى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنى إسحاق ، قال : ثنا كثير بن هشام ، عن جعفر بن برقان ، قال : ثنا حبيب ابن أبى مرزوق ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ، ولو كانت حبشية حبلى من الزنا ، لأنى لم أسمع الله يحجب الصلاة إلا عن المشركين ، يقول الله (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) .

وتأوّله آخرون بمعنى الاستغفار ، الذى هو دعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن عصمة بن راشد ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله رجلا استغفر لأبى هريرة ولأمه ، قلت : ولأبيه ؟ قال : لا إن أبى مات وهو مشرك .

۞ قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن معنى الاستغفار : مسألة العبد ربه غفر الذنوب ؛ وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت مسألة العبد ربه ، ذلك قد تكون فى الصلاة وفى غير الصلاة ، لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسدا ، لأن الله عمّ بالنهى عن الاستغفار للمشرك بعدما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ، ولم يخصص من ذلك حالا أباح فيها الاستغفار له .

وأما قوله (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصحابُ الجَحِيمِ) فإن معناه : ماقد بينت من أنه من بعد

ما يعلمون بموته كافرا أنه من أهل النار ، وقيل : أصحاب الجحيم لأنهم سكانها وأهلها الكائنون فيها كما يقال لسكان الدار : هؤلاء أصحاب هذه الدار ، بمعنى سكانها .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصحابُ الجَحِيمِ) قال : تبين للنبىّ صلى الله عليه وسلم أنأبا طالب حين مات أن التوبة قد انقطعت عنه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تبين لهحين مات ، وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه ،يعنى فى قوله (مِنْ بَعْدِ ماتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصحابُ الجَحِيمِ)

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال: سمعتُ أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال:سمعت الضحاك فى قوله (ما كانَ للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية، يقول : إذا ماتوا مشركين ، يقول الله (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ) . . . الآية .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال بعضهم : معناه : فلما تبين له بموته مشركا بالله تبرأ منه ، وترك الاستغفار له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه ، حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدوّ لله .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لم يزل إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات لم يستغفر له .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْراهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) يعنى استغفر له ماكان حيا ، فلما مات أمسك عن الاستغفار له .

حدثنى مطر بن محمد الضبى ، قال : ثنا أبوعاصم وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة ، قالا : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، فى قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : لما مات .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ) قال : موته وهو كافر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا البراء بن عتبة ، عن أبيه، عن الحكم (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : حين مات ولم يؤمن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن عمرو بن دينار (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) : موته وهو كافر .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : لما مات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) لما مات على شركه تبرأ منه .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ) كان إبراهيم صلوات الله عليه يرجو أن يؤمن أبوه ما دام حيا ؛ فلما مات على شركه تبرأ منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : موته وهو كافر .

حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدوّ لله فلم يستغفر له .

قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا أبوإسرائيل ، عن علىّ بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) قال : فلما مات .

وقال آخرون : معناه : فلما تبين له فى الآخرة ، وذلك أن أباه يتعلق به إذا أراد أن يجوز الصراط ، فيمرّ به عليه ، حتى إذا كاد أن يجاوزه حانت من إبراهيم التفاتة فإذا هو بأبيه فى صورة قرد أو ضبع ، فخلى عنه وتبرأ منه حينئذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا عبد الله بن سليمان ، قال : سمعت سعيد ابن جبير يقول : إن إبراهيم يقول يوم القيامة : ربّ والدى ، ربّ والدى ، فإذا كان الثالثة أخذ بيده ، فيلتفت إليه وهو ضبعان فيتبرأ منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن عبيد بن عمير ، قال : إنكم مجموعون يوم القيامة فى صعيد واحد يسمعكم الداعى ، وينفذكم البصر ، قال : فتزفر جهنم زفرة لايبقى ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل إلا وقع لركبتيه ترعد فرائصه ، قال : فحسبته يقول : نفسى نفسى ، قال : ويضرب الصراط

على جسر جهنم كحدّ السيف ، وحضرمن له ؛ وفي جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السعدان ، قال : فيمضون كالبرق وكالريح وكالطير ، وكأجاويد الركاب ، وكأجاويد الرجال ، والملائكة يقولون : ربّ سلم سلم ،فناج سالم ، ومخدوش ناج ، ومكدوس فى النار ،فيقول إبراهيم لأبيه : إنى كنت آمرك فى الدنيا فتعصيني ولست تاركك اليوم ، فخذ بحقوىّ ، فيأخذ بضبعيه ، فيمسخ ضبعا ، فاذا رآه قد مسخ تبرأ منه .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول الله ، وهو خبره عن إبراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدوّ تبرأ منه ، وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدوّ ، وهو به مشرك ، وهو حال موته على شركه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ :

اختلف أهل التأويل فى الأوّاه ، فقال بعضهم : هو الدعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الدعَّاء .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله قال : الأوّاه : الدّعّاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش ، قال : سألت عبد الله عن الأوّاه ، فقال : هو الدعاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن ابن أبى عروبة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله مثله .

قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الدعاء .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان وإسرائيل ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله مثله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، قال : نبئت عن عبيد بن عمير ، قال : الأوّاه : الدعاء .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا داود ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى ، عن أبيه ، قال : الأوّاه : الدعاء .

وقال آخرون : بل هو الرحيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبى العبيدين ، قال : سئل عبد الله عن الأوّاه ، فقال : الرحيم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى ابن الجزّار يحدّث ، عن أبي العبيد ين رجل ضرير البصر ، أنه سأل عبد الله عن الأوّاه فقال : الرحيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربى ؛ وحدثنا خلاد بن أسلم ، قال أخبرنا النضر بن شميل جميعا ، عن المسعودى ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود ، فقال : ما الأوّه ؟ قال : الرحيم.

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، أنه جاء إلى عبد الله ، وكان ضرير البصر ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، من نسأل إذا لم نسألك ، فكأن ابن مسعود رق له ، قال : أخبرنى عن الأوّاه ، قال : الرحيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن البطين ، عن أبي العبيدين ، قال : سألت عبد الله عن الأوّاه ، فقال : هو الرحيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، قال : جاء أبو العبيدين إلى عبد الله ، فقال له ما حاجتك ؟ قال : ما الأواه ؟ قال : الرحيم .

قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين رجل من بنى سوأة ، قال : جاء رجل إلى عبد الله فسأله عن الأوّاه ، فقال له عبد الله : الرحيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى وهانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الرحيم .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين رجل من بنى نمير ، قال : يعقوب كان ضرير البصر ؛ وقال ابن وكيع : كان مكفوف البصر ، سأل ابن مسعود فقال : ما الأوّاه ؟ قال : الرحيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : الأوّاه : الرحيم .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : هو الرحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كنا نحدّث أن الأواه : الرحيم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، إن إبراهيم لأوّاه ، قال : رحيم .

قال عبد الكريم الجزرى ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود مثل ذلك .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الرحيم .

حدثنا أحمد ،قال : ثنا أبوأحمد قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين ، أنه سأل عبد الله ، عن الأوّاه ، فقال : الرحيم .

قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأوّاه : الرحيم .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : الأوّاه : الرحيم بعباد الله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوخيثمة زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق اهمدانى ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأوّاه : الرحيم بلحن الحبشة .

وقال آخرون : بل هو الموقن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن قابوس، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الأوّاه : الموقن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن مبارك ، عن خالد ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : الأوّاه : الموقن بلسان الحبشة .

قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الأوّاه : الموقن بلسان الحبشة .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : سمعت سفيان ، يقول : الأوّاه : الموقن . وقال بعضهم الفقيه الموقن .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن عطاء ، قال : الأوّاه : الموقن بلسان الحبشة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : هو الموقن بلسان الحبشة .

قال : ثنا ابن نمير ، عن الثورى ، عن مجالد ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، قال : الأوّاه : الموقن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن مسلم ، عن مجاهد، قال : الأوّاه : الموقن .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قابوس ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس، قال : الأوّاه : الموقن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أوّاه : موقن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أوّاه ، قال : مؤتمن موقن .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّ إبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) قال : الأوّاه : الموقن .

وقال آخرون : هى كلمة بالحبشية معناها : المؤمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) قال : الأوّاه : هو المؤمن بالحبشة .

حدثنا علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ إبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) يعنى : المؤمن التوّاب .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا حسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن عباس ، قال : الأوّاه : المؤمن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : الأوّاه : المؤمن بالحبشة .

وقال آخرون : هو المسبح الكثير الذكر لله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : الأوّاه : المسبح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن الحسن بن مسلم بن يناق ، أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح ، فذكر ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال « إنَّهُ أوّاهٌ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن ابن لهيعة ، عن الحرث بن يزيد ، عن علىّ بن رباح عن عقبة بن عامر ، قال : الأوّاه : الكثير الذكر لله .

وقال آخرون : هو الذى يكثر تلاوة القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا المنهال بن خليفة ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء عن ابن عباس « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دفن ميتا ، فقال : يَرْحَمُكَ اللهُ إنْ كُنْتَ لَأَوَّاهًا » يعنى : تلاء للقرآن .

وقال آخرون : هو من التأوّه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى يونس القشيرى ، عن قاصّ كان بمكة أن رجلا كان فى الطواف ، فجعل يقول : أوّه ، قال : فشكاه أبو ذرّ للنبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « دَعْهُ إنَّهُ أوّاهٌ » .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى يونس

الباهلى ، قال : سمعت رجلا بمكة كان أصله روميا يحدّث عن أبى ذرّ ، قال : كان رجل يطوف بالبيت ويقول فى دعائه أوّه أوّه ، فذكر ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : « إنّهُ أوّاهٌ » . زاد أبو كريب فى حديثه، قال : فخرجت ذات ليلة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، قال : ثنا أبو عمران ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، قال : الأوّاه : إذا ذكر النار قال أوّه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن عبد الصمد القمى ، عن أبى عمران الجونى ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، قال : كان إذا ذكر النار قال أوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، قال : أخبرنا أبو عمران ، قال : سمعت عبد الله بن رباح الأنصارى يقول : سمعت كعبا يقول : إن إبراهيم لأوّاه ، قال : إذا ذكر النار قال : أوّه من النار .

وقال آخرون : معناه أنه فقيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إنّ إبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ) قال : فقيه .

وقال آخرون : هو المتضرّع الخاشع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا عبد الحميد بن بهرام ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد ، قال : «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، قال رجل : يا رسول الله ما الأوّاه؟ قال : المتضرّع ، قالَ :(إنّ إبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ حَلِيمٌ)» .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن عبد الحميد ، عن شهر ، عن عبد الله بن شداد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأوّاهُ : الخاشِعُ المُتَضَرّعُ » .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب القول الذى قاله عبدالله بن مسعود الذى رواه عنه زرّ أنه الدّعّاء

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الله ذكر ذلك ووصف به إبراهيم خليله ، صلوات الله عليه ، بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه ، فقال (وَمَا كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لهُ أنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبرّأ مِنْهُ) وترك الدعاء والاستغفار له ، ثم قال : إن إبراهيم لدعاء ربه شاك له حليم عمن سبه وناله بالمكروه ، وذلك أنه صلوات الله عليه ، وعد أباه بالاستغفار له ، ودعاءَ الله له بالمغفرة عند وعيد أبيه إياه ، وتهدده له بالشتم بعد ما ردّ عليه نصيحته فى الله ، وقوله (أرَاغِبٌ أنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إبْرَاهِيمُ ، لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) فقال له صلوات الله عليه (سَلامٌ عَلَيْكَ سأسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إنَّهُ كانَ بِى حَفِيًّا . وأعْتَزِلُكُمْ وَما

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وأدْعُو رَبِّى عَسَى أنْ لا أكُونَ بِدُعاءِ رَبِّى شَقِيًّا) فوفى لأبيه بالاستغفار له حتى تبين له أنه عدوّ لله ، فوصفه الله بأنه دعاء لربه حليم عمن سفه عليه ، وأصله من التأوّه وهو التضرّع ، والمسألة بالحزن والإشفاق ، كما روى عبد الله بن شدّاد ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكما روى عقبة بن عامر الخبر الذى حدثنيه يحيى بن عثمان بن صالح السهمى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا ابن لهيعة ، قال : ثنى الحرث بن يزيد ، عن علىّ بن رباح ، عن عقبة بن عامر أنه قال لرجل يقال له ذوالبجادين : إنه أوّاه ، وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته ، ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض لم تتأوّه ؟ كما قال المثقب العبدى :

إذَا ما قُمْتُ أرْحَلُها بِلَيْلٍ تَأوَّهُ آهَــةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ [١]

ومنه قول الجعدى :

ضَرُوحٌ مَرُوحٌ تَتْبَعُ الوُرْقَ بَعْدَما يُعَرِّسْنَ تَشْكُو آهَــةً وَتَذَمُّرَا [٢]

ولا تكاد العرب تنطق منه بفعل يفعل ، وإنما تقول فيه : تفعل يتفعّل ، مثل تأوّه يتأوّه ، وأوّه يؤوّه ، كما قال الراجز : فأوَّهَ الرَّاعِى وضَوْضَى أكْلُبُهْ [٣]

وقالوا أيضا : أوّه منك ، ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده :

فَأوْهْ مِنَ الذِّكْرَى إذَا ما ذَكَرْتُها وَمِنْ بُعْدِ أرْضٍ بَيْنَنَا وسَماءِ [٤]

قال : وربما أنشدنا : فأوّ من الذكرى بغير هاء ، ولوجاء فعل منه على الأصل لكان آه يئوه أوها ، ولأن معنى ذلك : توجع وتحزن وتضرّع ، اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذى ذكرت ، فقال ما قال : معناه الرحمة ، إن ذلك كان من إبراهيم على وجه الرقة على أبيه والرحمة له ولغيره من الناس .

---

(١) البيت للمثقب العبدى (اللسان : أوه) . قال : قال ابن سيده : وقد تأوه آها وآهة . قال المثقب : إذا ما قمت . . . البيت قال ابن سيده : وعندى أنه وضع الاسم موضع المصدر أى تأوه تأوه الرجل . قال : ويروى : تهوه هاهة الرجل الحزين . ويروى : أهة (بشد الهاء) من قولهم (أه بالتشديد) أى توجع .

(٢) البيت للنابغة الجعدى من رائيته المشهورة ، أوردها صاحب جمهرة أشعار العرب طبعة بولاق ص ١٤٥ : وروايته عنده ؛ ولعلها أوثق الروايات :

خَنُوفٌ مَرُوحٌ تعجلُ الوُرْقَ بَعْدَما تُعَرِّسْنَ تَشْكُو آهَــةً وَتَذَمُّرَا

وقال فى شرحه : الخنوف : لينة اليدين فى السير . والآهة : التأوه . ورواه ابن قتيبة فى كتاب (المعانى الكبير طبع الهند سنة ١٩٤٩ ص ٢١٥) باختلاف فى قوله « يعرسن شكوى » وقال فى شرحه : الخنوف : التى ترمى بيديها إلى وحشيها . والمروح : التى تمرح . والورق : القطا . تعجلهن : أى تذعرهن إذا عرسن من آخر الليل ، توقظهن . آهة : يعنى تأوها . والضروح فى رواية الطبرى : وصف للناقة ، يقال ضرحت الدابة برجلها تضرح ضرحا وضراحا . فهى ضروح ، إذا رمحت ، وهو من صفات الخيل ، ولذلك كانت رواية خنوف أليق بالمقام . والمروح : من المرح ، وهو النشاط أو التبختر والاختيال . والنون فى « يعرسن » راجعة إلى الورق . والتذمر : التغضب ورفع الصوت . والعبارة الأخيرة من صفة الناقة .

(٣) أوه : تأوه وصاح : وضوضى : نبح وصاح . ولم نقف على قائله .

(٤) البيت فى (لسان العرب : أوه) قال : وأوه (بشد الواو وسكون الهاء) وأوه (بسكون الواو وكسر الهاء) : كلمة معناها التحزن . وأنشد الفراء فى أوه : « فأوه لذكراها إذا ماذكرتها » . . . البيت . ويروى : فأو (بتشديد الواو المكسورة) ويروى : فآه لذكراها . وقوله « من الذكرى » : قال الفراء أنشدنيه أبو الجراح : « فأوه من الذكرى إذا ما ذكرتها » .

وقال آخرون : إنما كان ذلك منه لصحة يقينه وحسن معرفته بعظمة الله وتواضعه له .

وقال آخرون : كان لصحة إيمانه بربه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذى أنزله عليه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند ذكر ربه ، وكلّ ذلك عائد إلى ما قلت ، وتقارب معنى بعض ذلك من بعض ، لأن الحزين المتضرّع إلى ربه ، الخاشع له بقلبه ، ينوبه ذلك عند مسألته ربه ودعائه إياه فى حاجاته ، وتعتوره هذه الخلال التى وجه المفسرون إليها تأويل قول الله (إنَّ إبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

يقول تعالى ذكره : وما كان الله ليقضى عليكم فى اسغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ، ووفقكم للإيمان به وبرسوله ، حتى يتقدم إليكم بالنهى عنه ، فتتركون الانتهاء عنه . فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهى عنه ، ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه ، فإنه لايحكم عليكم بالضلال ، لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهى ، فأما من لم يؤمر ولم ينه ، فغير كائن مطيعا أو عاصيا ، فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه (إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهى الله إياكم عن الاستغفار لموتاكم المشركين من الجزع على ما سلف منكم من الاستغفار لهم قبل تقدمه إليكم بالنهى عنه ، وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها ، فبين لكم حلمه فى ذلك عليكم ليضع عنكم ثقل الوجد بذلك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ) قال : بيان الله للمؤمنين فى الاستغفار للمشركين خاصة ، وفى بيانه طاعته ومعصيته ، فافعلوا أو ذروا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ) قال : بيان الله للمؤمنين أن لايستغفروا للمشركين خاصة ، وفى بيانه طاعته ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذروا .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَما كانَ

اللهُ ليُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ) قال : يبين الله للمؤمنين فى أن لايستغفروا للمشركين فى بيانه فى طاعته وفى معصيته ، فافعلوا أو ذروا .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله أيها الناس له سلطان السماوات والأرض وملكهما ، وكلّ من دونه من الملوك فعبيده ومماليكه ، بيده حياتهم وموتهم ، يحيي من يشاء منهم ، ويميت من يشاء منهم ، فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بى من الملوك ، ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة أو غيرهم ، واغزوهم وجاهدوهم فى طاعتى ، فانى المعزّ من أشاء منهم ومنكم ، والمذلّ من أشاء ، وهذا حضّ من الله جلّ ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك ، وإغراء منه لهم بحربهم .

وقوله (وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيّ وَلا نَصِير) يقول : ومالكم من أحد هو لكم حليف من دون الله يظاهركم عليه إن أنتم خالفتم أمر الله فعاقبكم على خلافكم أمره ، يستنقذكم من عقابه ، ولا نصير ينصركم منه ، إن أراد بكم سوءا ، يقول : فبالله فثقوا ، وإياه فارهبوا ، وجاهدوا فى سبيله من كفر به ، فإنه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بأن لكم الجنة ، تقاتلون فى سبيلِهِ (فتَقْتُلُونَ وتُقْتَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى ذكره : لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام ، وأنصار رسوله فى الله ، الذين اتبعوا رسول الله فى ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء (مِنْ بعدِ ماكادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيق مِنْهُمْ) يقول : من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحقّ ، ويشكّ فى دينه ، ويرتاب بالذى ناله من المشقة والشدّة فى سفره وغزوه . (ثُمَّ تابَ عَلَيْهِم) يقول : ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه ، وإبصار الحقّ الذى كان قد كاد يلتبس عليهم (إنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول : إن ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم فى سفرهم من الشدّة والمشقة ، رءوف بهم ، رحيم أن يهلكهم ، فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا فى الله ما أبلوا مع رسوله ، وصبروا عليه من البأساء والضرّاء .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ) فى غزوة تبوك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل (فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ) قال : خرجوا فى غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير ، وخرجوا فى حرّ شديد ، وأصابهم يومئذ عطش شديد ، فجعلوا ينحرون إبلهم ، فيعصرون أكراشها ، ويشربون ماءها ، وكان ذلك عسرة من الماء ، وعسرة من الظهر ، وعسرة من النفقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (سَاعَةِ العُسْرَةِ) قال : غزوة تبوك . قال : العسرة : أصابهم جهد شديد حتى أن الرجلين ليشقان التمرة بينهما وإنهم ليمصون التمرة الواحدة ويشربون عليها الماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ) قال : غزوة تبوك .

قال : ثنا زكريا بن علىّ ، عن ابن مبارك ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ) قال : عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة الماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ) . . . الآية ، الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قبل الشأم فى لهبان الحرّ على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد ، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، ثم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن عتبة بن أبى عتبة ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه فى شأن العسرة ، فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك فى قيظ شديد ، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى أن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء ، فلا يرجع حتى يظنّ أن رقبته ستنقطع ، حتى أن الرجل لينحر بعيره ، فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل مابقى على كبده ، فقال أبوبكر : يا رسول الله إن الله قد عوّدك فى الدعاء خيرا ، فادع لنا ، قال : تُحِبُّ ذلكَ ؟ قال نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء ، فأظلت ثم سكبت ، فملئوا ما معهم ، ثم رجعنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

حدثني إسحاق بن زيادة العطار ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : ثنا عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قيل لعمر بن

الخطاب رحمة الله عليه : حدثنا عن شأن جيش العسرة ، فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

يقول تعالى ذكره : لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله فى هذه الآية بما وصفهم به فيما قبل ، هم الآخرون الذين قال جلّ ثناؤه (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فتاب عليهم عزّ ذكره ، وتفضل عليهم . وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . فتأويل الكلام إذًا : ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلّفهم الله عن التوبة ، فأرجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عمن سمع عكرمة ، فى قوله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : خلفوا عن التوبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله (خُلِّفُوا) فخلفوا عن التوبة (حتى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) يقول : بسعتها غمًّا وندما على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) بما نالهم من الوجد والكرب بذلك ، (وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ) يقول : وأيقنوا بقلوبهم أن لاشىء لهم يلجئون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينجيهم من كربه ، ولا مما يحذرون من عذاب الله إلا الله ، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته ، والرجوع إلى مايرضيه عنهم ، لينيبوا إليه ، ويرجعوا إلى طاعته ، والانتهاء إلى أمره ونهيه (إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) يقول : إن الله هو الوهاب لعباده الإنابة إلى طاعته الموفق من أحبّ توفيقه منهم لما يرضيه عنه ، الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة ، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة ولا يتوب عليه .

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ، فى قوله

(وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) : قال كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار .

حدثني عبيد بن الورّاق ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بنحوه ، إلا أنه قال : ومرارة بن الربيع ، أو ابن ربيعة ، شكّ أبوأسامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : أرجئوا في أوسط براءة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : الذين أرجئوا في أوسط براءة ، قوله (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ) هلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) الذين أرجئوا في وسط براءة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : كلهم من الأنصار : هلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : الذين أرجئوا .

قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : (الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) : كعب ابن مالك وكان شاعرا ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكلهم أنصار .

قال : ثنا أبوخالد الأحمر والمحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كلهم من الأنصار : هلال ابن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هاشم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : هلال بن أمية ، وكعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع : كلهم من الأنصار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) . . . إلى قوله (ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) كعب بن مالك ، وهلال ابن أمية ، ومرارة بن ربيعة تخلفوا في غزوة تبوك . ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه إلى سارية ، فقال : لاأطلقها أو لاأطلق نفسي حتى يطلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : والله لاأُطْلِقُهُ حتى يُطْلِقَهُ رَبُّهُ إنْ شاءَ . وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك ، فجعله صدقة في سبيل الله ، وقال : والله لاأطعمه . وأما الآخر فركب المفاوز يتبع رسول الله ترفعه أرض وتضعه أخرى ، وقدماه تشلشلان دما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيدالله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، قال (الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) : هلال بن أمية ، وكعب بن مالك ، ومرارة بن ربيعة .

قال : ثنا أبوداود الحفرى ، عن سلام أبى الأحوص ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : هلال بن أمية ، ومرارة ، وكعب بن مالك .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، قال : قال كعب بن مالك : ما كنت فى غزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى تلك الغزاة . قال كعب بن مالك : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : أتجهز غدا ثم ألحقه ، فأخذت فى جهازى ، فأمسيت ولم أفرغ ؛ فلما كان اليوم الثالث أخذت فى جهازى ، فأمسيت ولم أفرغ ، فقلت : هيهات ، سار الناس ثلاثا ، فأقمت ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل الناس يعتذرون إليه ، فجئت حتى قمت بين يديه فقلت : ما كنت فى غزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى هذه الغزاة ، فأعرض عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الناس أن ألايكلمونا ، وأمرت نساؤنا أن يتحوّلن عنا ، قال : فتسوّرت حائطا ذات يوم فإذا أنا بجابر بن عبد الله ، فقلت : أى جابر ، نشدتك بالله هل علمتنى غششت الله ورسوله يوما قطّ ، فسكت عنى ، فجعل لايكلمنى ، فبينا أنا ذات يوم ، إذ سمعتُ رجلا على الثنية يقول : كعب كعب حتى دنا منى ، فقال بشروا كعبا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام ، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة ، صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها ، وأنزل الله (لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ) . . . الآية ، والثلاثة الذين خلفوا : رهط منهم كعب بن مالك ، وهو أحد بنى سلمة ؛ ومرارة بن ربيعة ، وهو أحد بنى عمرو بن عوف ؛ وهلال بن أمية ، وهو من بنى واقف ، وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ، فى بضعة وثمانين رجلا ؛ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، صدّقه أولئك حديثهم ، واعترفوا بذنوبهم ، وكذب سائرهم ، فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسهم إلا العذر ، فقبل منهم رسول الله وبايعهم ، ووكلهم فى سرائرهم إلى الله ، ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خلفوا ، وقال لهم حين حدّثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم « قَدْ صَدَقْتُمْ فَقُومُوا حتى يَقْضِيَ اللهُ فِيكُمْ » فلما أنزل الله القرآن تاب على الثلاثة ، وقال للآخرين (سَيَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ) . . . حتى بلغ (لايَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ) قال ابن شهاب : وأخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمى ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قطّ إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى قد تخلفت فى غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحبّ أن لى بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر فى الناس منها . فكان من خبرى حين تخلفت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك أنى لم أكن قطّ أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قطّ ، حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرّ شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز ، واستقبل عدوّا كثيرا ، فجلى للمسلمين أمرهم ، ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذى يريد ، والمسلمون مع النبىّ صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ ، يريد بذلك الديوان ، قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا يظنّ أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وأنا إليهما أصعر ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكى أتجهز معهم ، فلم أقض من جهازى شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل ، فأدركهم ، فياليتنى فعلت ، فلم يقدّر ذلك لى ، فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج النبىّ صلى الله عليه وسلم يحزننى أنى لاأرى لى أسوة إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مالكٍ ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا خَيْثَمَةَ ، فإذا هو أبو خيثمة الأنصارى ، وهو الذى تصدّق بصاع التمر ، فلمزه المنافقون ، قال كعب : فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى همى ، فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول بم أخرج من سخطه غدا ، وأستعين على ذلك بكلّ ذى رأى من أهلى ، فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ قادما زاح عنى الباطل ، حتى عرفت أنى لن أنجو منه بشىء أبدا ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ؛ فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله حتى جئت ، فلما سلمت تبسّم تبسُّم المغضب ، ثم قال : تعال ، فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خَلَّفَكَ ، أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ قال : قلت يا رسول الله إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكنّ الله أن

يسخطك علىّ ، ولئن حدّثتك حديث صدق تجد علىّ فيه إنى لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قطّ أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، قُمْ حتى يَقْضِيَ اللهُ فيكَ ، فقمت ، وثار رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى وقالوا : والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا ، لقد عجزت أن لاتكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، قال : فوالله ما زالوا يؤنبوننى ، حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذّب نفسى ، قال : ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قال : قلت من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى ، قال : فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا لى فيهما أسوة ، قال : فمضيت حين ذكروهما لى ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، قال : فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا ، فكنت أشبّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى هل حرّك شفتيه بردّ السلام أم لا ؟ ثم أصلى معه وأسارقه النظر ، فاذا أقبلت على صلاتى نظر إلىّ وإذا التفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحبّ الناس إلىّ ، فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ علىّ السلام ، فقلت : ياأبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أنى أحبّ الله ورسوله ؟ فسكت ، قال : فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار ، فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة ، إذا بنبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلّ على كعب بن مالك ، قال : فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى ، فدفع إلىّ كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا ، فقرأته فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك ، قال : فقلت حين قرأته . وهذا أيضا من البلاء ، فتأممت به التنور فسجرته به ، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها فلا تقربها ، قال : وأرسل إلى صاحبىّ بذلك ، قال : فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك تكونى عندهم ، حتى يقضى الله فى هذا الأمر ، قال : فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ فقال لا « وَلَكِنْ لايَقْرُبَنَّكِ » قالت : فقلت : إنه والله ما به حركة إلى شىء ، ووالله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه ، قال : فقلت

لأستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يدريني ماذا يقول لى إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ، قال : ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عنا ، قد ضاقت على نفسى ، وضاقت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم قبلى ، وأوفى الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى ، فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئونى بالتوبة ، ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ، قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور : أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ، فقلت : أمن عندك يارسول الله ، أم من عند الله؟ قال : لا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمْسِكْ بَعْضَ مالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قال : فقلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر ، وقلت : يا رسول الله إن الله إنما أنجانى بالصدق ، وإن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، قال : فوالله ما علمت أحدا من المسلمين ابتلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه الصلاة والسلام أحسن مما ابتلانى ، والله ما تعمدت كذبة ، منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى أرجو أن يحفظنى الله فيما بقى ؛ قال : فأنزل الله (لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِيِّ) . . . حتى بلغ (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) . . . إلى (اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال كعب : والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شر ما قال لأحد (سَيَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) . . . إلى قوله (لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ) قال كعب : خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه سلم أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله (وَعلى الثَّلاثَةِ

الَّذِينَ خُلِّفُوا) وليس الذى ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منهم .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمى ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه ، قال : لم أتخلف عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غزاة غزاها إلا بدرا ، ولم يعاتب النبىّ صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف عن بدر ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السلمى ، عن أبيه ، أن أباه عبد الله بن كعب ، وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها ، غير أنى كنت تخلفت عنه فى غزوة بدر ، ثم ذكر نحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرّفهم سبيل النجاة من عقابه ، والخلاص من أليم عذابه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه وتجنب حدوده ، وكونوا فى الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته ، تكونوا فى الآخرة مع الصادقين فى الجنة ، يعنى مع من صدق الله الإيمان به ، فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذّب قيلهم فعلهم .

وإنما معنى الكلام : وكونوا مع الصادقين فى الآخرة باتقاء الله فى الدنيا ، كما قال جلّ ثناؤه (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) .

وإنما قلنا : ذلك معنى الكلام ، لأن كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأىّ وجوه الكون كان معهم إن لم يكن عاملا عملهم ، وإذا عمل عملهم فهو منهم ، وإذا كان منهم كان لا وجه فى الكلام أن يقال : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . ولتوجيه الكلام إلى ما وجهنا من تأويله فسر ذلك من فسره من أهل التأويل بأن قال : معناه : وكونوا مع أبى بكر وعمر ، أو مع النبىّ صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم .

ذكر من قال ذلك أو غيره فى تأويله

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع ، فى قول الله (اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جبويه أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع ، قال : قيل للثلاثة الذين خلفوا (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) محمد وأصحابه.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع أبى بكر وعمر وأصحابهما رحمة الله عليهم .

قال : ثنا محمد بن يحيى ، قال : ثنا إسحاق بن بشر الكاهلى ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن أبى هاشم الرمانى ، عن سعيد بن جبير ، فى قول الله (اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع أبى بكر وعمر رحمة الله عليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع المهاجرين الصادقين . وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرؤه (وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) ويتأوّله أن ذلك نهى من الله عن الكذب .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلانى ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت أبا عبيدة ابن عبد الله بن مسعود يقول : قال ابن مسعود : إن الكذب لايحلّ منه جدّ ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) قال : وكذلك هى قراءة ابن مسعود من الصادقين ، فهل ترون فى الكذب رخصة .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت أبا عبيدة ، عن عبد الله ، نحوه .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت أبا عبيدة يحدّث ، عن عبد الله قال : الكذب لايصلح منه جدّ ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) وهى كذلك فى قراءة عبد الله ، فهل ترون من رخصة فى الكذب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : لايصلح الكذب فى هزل ولا جدّ ، ثم تلا عبد الله (اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا) ما أدرى أقال (مِنَ الصَّادِقِين) أو (مَعَ الصَّادقِينَ) وهو فى كتابى : (مَعَ الصَّادِقِينَ) .

قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، مثله .

❊ والصحيح من التأويل فى ذلك هو التأويل الذى ذكرناه عن نافع والضحاك ، وذلك أن رسوم المصاحف

كلها مجمعة على (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) ، وهى القراءة التى لاأستجيز لأحد القراءة بخلافها ، وتأويل عبد الله رحمة الله عليه فى ذلك على قراءته تأويل غير صحيح ، أن القراءة بخلافها .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره : لم يكن لأهل المدينة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حولهم من الأعراب سكان البوادى ، الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وهم من أهل الإيمان به أن يتخلفوا فى أهاليهم ولا دارهم ، ولا أن يرغبوابأنفسهم عن نفسه فى صحبته فى سفره ، والجهاد معه ، ومعاونته على ما يعانيه فى غزوه ذلك ، يقول : إنه لم يكن لهم هذا بأنهم من أجل أنهم ، وبسبب أنهم لايصيبهم فى سفرهم إذا كانوا معه ظمأ وهو العطش ولا نصب ، يقول : ولا تعب (وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ) يعنى : ولا مجاعة فى إقامة دين الله ونصرته ، وهدم منار الكفر (وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا) يعنى أرضا ، يقول : ولا يطئون أرضا يغيظ الكفار وطؤهم إياها (وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا) يقول ولا يصيبون من عدوّ الله وعدوّهم شيئا فى أموالهم وأنفسهم وأولادهم إلا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه (إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يقول : إن الله لايدع محسنا من خلقه أحسن فى عمله فأطاعه فيما أمره ، وانتهى عما نهاه عنه أن يجازيه على إحسانه ، ويثيبه على صالح عمله ، فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ما ذكر فى هذه الآية الثواب على كل ما فعل فلم يضيع له أجر فعله ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية ، فقال بعضهم : هى محكمة ، وإنما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، لم يكن لأحد أن يتخلف إذا غزا خلافه ، فيقعد عنه إلا من كان ذا عذر ، فأما غيره من الأئمة والولاة ، فان لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافه إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) هذا إذا غزا نبيّ الله بنفسه ، فليس لأحد أن يتخلف ، ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

«لَوْلا أنْ أشُقَّ على أُمَّتِى ما تَخَلَّفْتُ خَلْفَ سَرِيَّة تَغْزُو فى سَبِيلِ اللهِ ، لكِنِّى لاأجِدُ سَعَةً فانْطَلِقْ بِهِمْ مَعِى ، وَيَشُقُّ عَلَىَّ أوأكْرَهُ أنْ أدَعَهُمْ بَعْدِى » .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت الأوزاعى ، وعبد الله بن المبارك ، والفزارى ، والسبيعى ، وابن جابر ، وسعيد بن عبد العزيز يقولون فى هذه الآية (ما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ) . . . إلى آخر الآية ، إنها لأوّل هذه الأمة وآخرها من المجاهدين فى سبيل الله .

وقال آخرون : هذه الآية نزلت وفى أهل الإسلام قلة ، فلما كثروا نسخها الله ، وأباح التخلف لمن شاء ، فقال (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ) فقرأ حتى بلغ (لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) قال : هذا حين كان الإسلام قليلا ، فلما كثر الإسلام بعد ، قال (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً ، فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَة مِنْهُمْ طائِفَةٌ) . . . إلى آخر الآية .

☆ والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن الله عنى بها الذين وصفهم بقوله (وجاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) . . . الآية ، ثم قال جلّ ثناؤه : ماكان لأهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ، ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه أن يتخلفوا خلافه ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب فى غزوته تلك كلّ من أطاق النهوض معه إلى الشخوص إلا من أذن له ، أو أمره بالمقام بعده ، فلم يكن لمن قدر على الشخوص التخلف ، فعدّد جلّ ثناؤه من تخلف منهم ، فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا ، وعذر من كان تخلفه لعذر ، وتاب على من كان تخلفه تفريطا من غير شكّ ولا ارتياب فى أمر الله إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل . فأما التخلف عنه فى حال استغنائه فلم يكن محظورا إذا لم يكن عن كراهته منه صلى الله عليه وسلم ذلك ، وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم ، فليس بفرض على جميعهم النهوض معه إلا فى حال حاجته إليهم لما لابدّ للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم ، واستنهاضه إياهم ، فيلزمهم حينئذ طاعته ، وإذا كان ذلك معنى الآية لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للأخرى ، إذ لم تكن إحداهما نافية حكم الأخرى من كلّ وجوهه ، ولا جاء خبر يوجه الحجة بأن إحداهما ناسخة للأخرى .

وقد بيّنا معنى المخمصة ، وأنها المجاعة بشواهده ، وذكرنا الرواية عمن قال ذلك فى موضع غير هذا ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا . وأما النيل : فهو مصدر من قول القائل : نالنى ينالنى ، ونلت الشىء : فهو منيل ، وذلك إذا كنت تناله بيدك ، وليس من التناول ، وذلك أن التناول من النوال ، يقال منه : نلت له أنول له من العطية ، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : النيل مصدر من قول القائل : نالنى بخير

ينولني نوالا ، وأنالني خيرا إنالة ، وقال : كأنّ النيل من الواو أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو ، وليس ذلك بمعروف فى كلام العرب ، بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو إذا سكنت ، وانفتح ما قبلها ، كقولهم : القول ، والعول ، والحول ، ولو جاز ما قال لجاز القيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

يقول تعالى ذكره : ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ، وسائر ما ذكر ، ولا ينالون من عدوّ نيلا ، ولا ينفقون نفقة صغيرة فى سبيل الله ، ولا يقطعون مع رسول الله فى غزوه واديا إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك، جزاء لهم عليه ، كأحسن مايجزيهم على أحسن أعمالهم ، التى كانوا يعملونها وهم مقيمون فى منازلهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً) . . . الآية ، قال : ما ازداد قوم من أهليهم فى سبيل الله بعدا إلا ازدادوا من الله قربا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعا . وقد بيّنا معنى الكافّة بشواهده وأقوال أهل التأويل فيه ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله بهذه الآية ، وما النفر الذى كرهه لجميع المؤمنين ، فقال بعضهم : هو نفر كان من قوم كانوا بالبادية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الإسلام فلما نزل قوله (ما كانَ لأهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ) انصرفوا عن البادية إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه ، وممن عنى بالآية ، فأنزل الله فى ذلك عذرهم بقوله (وَما كانَ المُؤْمِنُون لِيَنْفِرُوا كافَّةً) وكره انصراف جميعهم من البادية إلى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً ، فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائفَةٌ) قال : ناس من

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرجوا فى البوادى ، فأصابوا من الناس معروفا ، ومن الخصب ما ينتفعون به ، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا ؛ فوجدوا فى أنفسهم من ذلك حرجا ، وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال الله (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) يبتغون الخير (لِيَتَفَقَّهُوا) وليسمعوا ما فى الناس ، وما أنزل الله بعدهم (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ) الناس كلهم (إذا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال فى حديثه : فقال الله (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) خرج بعض وقعد بعض ، يبتغون الخير .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحو حديثه ، عن أبى حذيفة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد نحو حديث المثنى ، عن أبى حذيفة ، غير أنه قال فى حديثه : ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم وقال (لِيَتَفَقَّهُوا) ليسمعوا ما فى الناس .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان المؤمنون لينفروا جميعا إلى عدوّهم ؛ ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) قال : ليذهبوا كلهم ، فلولا نفر من كلّ حيّ وقبيلة طائفة ، وتخلف طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ليتفقه المتخلفون مع النبيّ صلى الله عليه وسلم فى الدين ، ولينذر المتخلفون النافرين إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) يقول : ماكان المؤمنون لينفروا جميعا ، ويتركوا النبيّ صلى الله عليه وسلم وحده (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) يعنى عصبة ، يعنى السرايا ، ولا يتسروا إلا باذنه ، فاذا رجعت السرايا ، وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبيّ صلى الله عليه وسلم . قالوا : إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا ، وقد تعلمناه فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا أخر ، فذلك قوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ) يقول : يتعلمون ما أنزل الله على نبيه ، ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا

كافَّةً) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) قال : هذا إذا بعث نبيّ الله الجيوش أمرهم أن لايعرّوا نبيه وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه فى الدين ، وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذّرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم .

حدثنا الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَاكَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) . . . الآية ، كان نبيّ الله إذا غزا بنفسه لم يحلّ لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل العذر ، وكان إذا أقام فأسرت السرايا لم يحلّ لهم أن ينطلقوا إلا باذنه ، فكان الرجل إذا أسرى فنزل بعده قرآن ، تلاه نبيّ الله على أصحابه القاعدين معه ، فاذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا ، فيقرءونهم ، ويفقهونهم فى الدين . وهو قوله (وَمَا كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) يقول : إذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) يعنى بذلك أنه لاينبغى للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبيّ الله قاعد ، ولكن إذا قعد نبيّ الله تسرّت السرايا ، وقعد معه معظم الناس .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ، ولوكانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ، ولكنهم منافقون ، ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون لنفر بعض ليتفقه فى الدين ، ولينذر قومه إذا رجع إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) فإنها ليست فى الجهاد ، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين ، أجدبت بلادهم ، وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ، ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون ، فضيقوا على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم ، وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردّهم رسول الله إلى عشائرهم ، وحذّر قومهم أن يفعلوا فعلهم ، فذلك قوله (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .

وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قول ثالث ، وهو ما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَماكانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) قال : كان ينطلق من كلّ حىّ من العرب عصابة فيأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدونه من دينهم ، ويتفقهون فى دينهم ، ويقولون لنبيّ الله : ماتأمرنا أن نفعله ، وأخبرنا مانقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم ، قال فيأمرهم نبيّ الله بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا إذا أتوا قومهم نادوا : إن من أسلم فهو منا وينذرونهم ، حتى إن الرجل ليعرّف أباه وأمه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم ، فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام ، وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة .

وقال آخرون : إنما هذا تكذيب من الله لمنافقين أزروا بأعراب المسلمين ، وعزّروهم فى تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ممن قد عذره الله بالتخلف .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية (ماكانَ لأهْلِ المَدِينَةِ ومَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ) . . . إلى (إنَّ اللهَ لايُضِيعُ أجْرَ المُحْسِنِينَ) قال ناس من المنافقين : هلك من تخلف ، فنزلت (ومَا كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) . . . إلى (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ، ونزلت (والَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ) . . . الآية .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا سليمان الأحول عن عكرمة ، قال : سمعته يقول : لما نزلت (إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً ألِيماً - وَ- ماكانَ لأهْلِ المَدِينَةِ ومَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرابِ) . . . إلى قوله (لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أحْسَنَ ماكانُوا يَعْمَلُونَ) قال المنافقون : هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه ، وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم ، فأنزل الله (ومَاكانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً ، فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ، ونزلت (والَّذِينَ يُحاجُّونَ فى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ) . . . الآية .

واختلف الذين قالوا : عنى بذلك النهى عن نفر الجميع فى السرية ، وترك النبيّ عليه الصلاة والسلام وحده فى المعنيين بقوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ) فقال بعضهم : عنى به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : معنى الكلام : فهلا نفر من كلّ فرقة طائفة للجهاد ، ليتفقه المتخلفون فى الدين ، ولينذروا قومهم الذين نفروا فى السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم ، وذلك قول قتادة ، وقد ذكرنا رواية ذلك عنه من رواية سعيد بن أبى عروبة .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) . . . الآية ، قال : ليتفقه الذين قعدوا مع نبى الله (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِم) يقول : لينذروا الذين خرجوا إذا رجعوا إليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة (ومَاكانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) قالا : كافة ويدعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك : لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة ، وتحذر النافرة المتخلفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ

كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) قال : ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

☼ وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال : تأويله : وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا فى غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم ، ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا ،ولكن عليهم إذا سرى رسول الله سرية أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب وهى الفرقة طائفة ، وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد ، كما قال الله جل ثناؤه (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ) يقول : فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، وهذا إلى هاهنا على أحد الأقوال التى رُويت عن ابن عباس ، وهو قول الضحاك وقتادة .

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة ،مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الأعراب لغير عذر يعذرون به إذا خرج رسول الله لغزو وجهاد عدو قبل هذه الآية بقوله(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ)، ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) فكان معلوما بذلك إذ كان قد عرّفهم فى الآية التى قبلها اللازم لهم من فرض النفر ،والمباح لهم من تركه فى حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشخوصه عن مدينته لجهاد عدو ، وأعلمهم أنه لايسعهم التخلف خلافه إلا لعذر بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم أن يكون عقيب تعريفهم ذلك تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته ، وإشخاص غيره عنها ، كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم .

وأما قوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) .

☼ فإن أولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به ، فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه ، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذى نزل بمن شاهدوا وعاينوا ، ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك ، إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) يقول : لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك يحذرون ، فيؤمنون بالله ورسوله ، حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، وهوقول الحسن البصرى الذى رويناه عنه ، لأن النفر قد بيّنا فيما مضى أنه إذا كان مطلقا بغير صلة بشيء أن الأغلب من استعمال العرب إياه فى الجهاد والغزو ، فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعانى فيه ، وكان جل ثناؤه قال (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) علم أن قوله : ليتفقهوا إنما هو شرط للنفر لا لغيره ، إذ كان يليه دون غيره من الكلام .

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معناه : ليتفقه المتخلفون فى الدين ؟ قيل : ننكر ذلك لاستحالته ، وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة ، وجب أن يكون مقامها معهم سببا لجهلهم ، وترك التفقه ، وقد علمنا أن مقامهم أو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سببا لمنعهم من التفقه ، وبعد ، فإنه قال جلّ ثناؤه (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) عطفا به على قوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) ولا شكّ أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها ، وللإنذار وخوف الوعيد نفرت ، فما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة ، وقد تساوتا فى المعرفة بانذار الله إياهما ، ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بانذار الأخرى ، لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة ، لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ، ما لم تعاين المقيمة ، ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا من أنها تنذر من حيها وقبيلتها ، من لم يؤمن بالله إذا رجعت إليه أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قاتلوا من وليكم من الكفار دون من بعُد منهم ، يقول لهم : ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم دارا دون الأبعد فالأبعد ، وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم ، لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ ، والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق . فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد ، فان الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحى بلاد الإسلام ، فان اضطرّوا إليهم لزم عونهم ، ونصرهم ، لأن المسلمين يد على من سواهم ، ولصحة كون ذلك ، تأوّل كل من تأوّل هذه الآية ، أن معناها إيجاب الفرض على أهل كلّ ناحية قتال من وليهم من الأعداء .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن شبيب بن غرقدة ، عن عروة البارقى ، عن رجل من بنى تميم ، قال : سألت ابن عمر ، عن قتال الديلم ، قال : عليك بالروم .

حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق وسفيان بن وكيع ، قالوا : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن يونس عن الحسن (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) قال : الديلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن أنه كان إذا سئل عن قتال الروم والديلم تلا هذه الآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا عمران أخى ، قال : سألت جعفر بن محمد بن علىّ بن

الحسين ، فقلت : ما ترى فى قتال الديلم ؟ فقال : قاتلوهم ورابطوهم ، فإنهم من الذين قال الله (قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع ، عن الحسن أنه سئل عن الشام والديلم ، فقال (قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) : الديلم .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد ، قال : سمعت أبا عمرو ، وسعيد بن عبد العزيز يقولان : يرابط كلّ قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ، ويتأوّلان قول الله (قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) قال : كان الذين يلونهم من الكفار العرب ، فقاتلهم حتى فرغ منهم ، فلما فرغ قال الله (قاتِلُوا الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِاليَوْمِ الآخِرِ) . . . حتى بلغ (وَهُمْ صَاغِرُونَ) قال : فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب ، قال : وجهادهم أفضل الجهاد عند الله .

وأما قوله (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) فإن معناه : وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم فيكم : أى منكم شدّة عليهم . (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ) يقول : وأيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم ، فإن اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾

✲ يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله فى هذه السورة من يقول : أيها الناس أيكم زادته هذه السورة إيمانا ؟ يقول تصديقا بالله وبآياته ، يقول الله : فأما الذين آمنوا من الذين قيل لهم ذلك ، فزادتهم السورة التى أنزلت إيمانا وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين .

✲ فان قال قائل : أو ليس الإيمان فى كلام العرب : التصديق والإقرار ؟ قيل : بلى . فإن قيل : فكيف زادتهم السورة تصديقا وإقرارا ؟ قيل : زادتهم إيمانا حين نزلت، لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الإقرار بها ، والعمل بها بعينها إلا فى جملة إيمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحقّ ؛ فلما أنزل الله السورة لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه ، فكان ذلك هو الزيادة التى زادهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا) قال : كان إذا نزلت سورة آمنوا بها ، فزادهم الله إيمانا وتصديقا ، وكانوا يستبشرون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله : (فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا) قال : خشية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : وأما الذين في قلوبهم مرض : نفاق وشك في دين الله ، فان السورة التي أنزلت زادتهم رجسا إلى رجسهم ، وذلك أنهم شكوا في أنها من عندالله ، فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوا ، فكان ذلك زيادة شك حادثة في تنزيل الله لزمهم الإيمان به عليهم ، بل ارتابوا بذلك ، فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم إلى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق ، وذلك معنى قوله (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا) يعني هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا (وَهُمْ كَافِرُونَ) يعني وهم كافرون بالله وآياته .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (أَوَلَا يَرَوْنَ) فقرأته عامة قراء الأمصار (أَوَلَا يَرَوْنَ) بالياء ، بمعنى أولا يرى هؤلاء الذين في قلوبهم مرض النفاق . وقرأ ذلك حمزة (أَوَلَا تَرَوْنَ) بالتاء ، بمعنى أولا ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون ؟

والصواب عندنا من القراءة في ذلك : الياء على وجه التوبيخ من الله لهم ، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه وصحة معناه . فتأويل الكلام إذًا : أولا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم في كل عام مرة أو مرتين ، بمعنى أنه يختبرهم في بعض الأعوام مرة ، وفي بعضها مرتين ، ثم لا يتوبون ، يقول : ثم هم مع البلاء الذي يحل بهم من الله ، والاختبار الذي يعرض لهم لاينيبون من نفاقهم ، ولا يتوبون من كفرهم ، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ، ويعاينون من آياته ، فيتعظوا بها ، ولكنهم مصرون على نفاقهم .

واختلف أهل التأويل في معنى الفتنة التي ذكر الله في هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها ، فقال بعضهم : ذلك اختبار الله إياهم بالقحط والشدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالسنة والجوع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يُفْتَنون) قال : يُبتلون (فى كلّ عام مَرَّةً أوْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالسنة والجوع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أوَلا يَرَوْنَ أنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كلّ عام مَرَّةً أوْ مَرَّتَيْنِ) قال : يُبتلون بالعذاب فى كل عام مرّة أو مرّتين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد، قوله (يُفْتَنُونَ فِى كُلّ عامٍ مَرَّةً أوْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالسنة والجوع .

وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بالغزو والجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أوَلا يَرَوْنَ أنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلّ عامٍ مَرَّةً أوْ مَرَّتَيْنِ) قال : يُبتلون بالغزو فى سبيل الله فى كلّ عام مرّة أو مرّتين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيفتتن بذلك الذين فى قلوبهم مرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن أبى الضحى ، عن حذيفة (أوَلا يَرَوْنَ أنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فى كُلّ عامٍ مَرَّةً أوْ مَرَّتَيْنِ) قال : كنا نسمع فى كلّ عام كذبة أو كذبتين ، فيضلّ بها فئام من الناس كثير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبى الضحى ، عن حذيفة ، قال : كان لهم فى كلّ عام كذبة أو كذبتان .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال : إن الله عجّب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين ، ووبخ المنافقين فى أنفسهم بقلة تذكرهم ، وسوء تنبههم لمواعظ الله التى يعظهم بها ، وجائز أن تكون تلك المواعظ الشدائد التى يُنزلها بهم من الجوع والقحط ، وجائز أن تكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر به ، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم ، وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم ، وخبث سرائرهم بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض من الوجه الذى يجب التسليم له ، ولا قول ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله ، وهو : أولا يرون أنهم يختبرون فى كلّ عام مرّة أو مرّتين بما يكون زاجرا لهم ثم لاينزجرون ولا يتعظون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم فى هذه السورة ، وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم إلى بعض ، فتناظروا هل يراكم من أحد إن تكلمتم أو تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به ، ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستمعوا قراءة السورة التى فيها معايبهم ، ثم ابتدأ جلّ ثناؤه قوله (صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) فقال : صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين ذلك (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ) يقول : فعل الله بهم هذا الخذلان ، وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل أنهم قوم لايفقهون عن الله مواعظه ، استكبارا ونفاقا .

واختلف أهل العربية فى الجالب حرف الاستفهام ، فقال بعض نحويى البصرة ، قال : نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ؟ كأنه قال : قال بعضهم لبعض ، لأن نظرهم فى هذا المكان كان إيماء وتنبيها به ، والله أعلم . وقال بعض نحويى الكوفة : إنما هو : وإذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض : هل يراكم من أحد ؟ وقال آخر منهم : هذا النظر ليس معناه القول ، ولكنه النظر الذى يجلب الاستفهام كقول العرب : تناظروا أيهم أعلم ، واجتمعوا أيهم أفقه : أى اجتمعوا لينظروا ، فهذا الذى يجلب الاستفهام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا : انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : قد قضينا الصلاة .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمير بن تميم الثعلبى ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا : انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا ، فصرف الله قلوبهم .

قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : قد قضينا الصلاة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ) . . . الآية ، قال : هم المنافقون .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أحَدٍ) ممن سمع خبركم رآكم أحد أخبره إذا نزل شىء يخبر عن كلامهم ، قال : وهم المنافقون ، قال : وقرأ (وَإِذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانا) . . . حتى بلغ (نَظَرَ

بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) أخبره بهذا، أكان معكم أحد سمع كلامكم ، أحد يخبره بهذا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق الهمداني ، عمن حدثه ، عن ابن عباس، قال : لاتقل انصرفنا من الصلاة، فإن الله عير قوما فقال(انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) ولكن قل : قد صلينا .

القول في تأويل قوله تعالى:

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

يقول تعالى ذكره للعرب : (لَقَدْ جاءَكُمْ) أيها القوم (رَسُولٌ) الله إليكم (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) تعرفونه لا من غيركم ، فتهموه على أنفسكم فى النصيحة لكم (عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) : أى عزيز عليه عنتكم ، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) يقول: حريص على هدى ضلاّلكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحقّ (بالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ) : أى رفيق (رَحِيمٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه ، فى قوله (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) قال : لم يصبه شيء من شرك فى ولادته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، فى قوله (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قال : وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنّى خَرَجْتُ مِنْ نِكاحٍ ولَمْ أخْرُجْ مِنْ سِفاحٍ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) قال : جعله الله من أنفسهم ، ولا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوّة والكرامة .

وأما قوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ ماعَنِتُّمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله، فقال بعضهم: معناه : ما ضللتم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال: ثنا طلق بن غنام ، قال : ثنا الحكم بن ظهير عن السديّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) قال : ما ضللتم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عزيز عليه عنت مؤمنكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) عزيز عليه عنت مؤمنهم .

❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول ابن عباس ، وذلك أن الله عمّ بالخبر عن نبيّ الله أنه عزيز عليه ما عنت قومه ، ولم يخصص أهل الإيمان به ، فكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به عزيزا عليه عنت جميعهم .

❊ فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزا عليه عنت جميعهم وهو يقتل كفارهم ، ويسبى ذراريهم ، ويسلبهم أموالهم ؟ قيل : إن إسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحبّ إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه حتى يستحقوا ذلك من الله ، وإنما وصفه الله جلّ ثناؤه بأنه عزيز عليه عنتهم ، لأنه كان عزيزا عليه أن يأتوا ما يعنتهم ، وذلك أن يضلوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبى .

وأما « ما » التى فى قوله (ما عَنِتُّمْ) فإنه رفع بقوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ) لأن معنى الكلام : ما ذكرت عزيز عليه عنتكم .

وأما قوله (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) فإن معناه : ما قد بينت ، وهو قول أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) حريص على ضالهم أن يهديه الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) قال : حريص على من لم يسلم أن يسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿١٢٩﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فإن تولى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحقّ من عند ربك من قومك ، فأدبروا عنك ، ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة فى الله ، وما دعوتهم إليه من النور والهدى ، فقل حسبى الله ، يكفينى ربى (لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) لا معبود سواه (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) وبه وثقت ، وعلى عونه اتكلت ، وإليه وإلى نصره استندت ، فانه ناصرى ومعينى على من خالفنى ، وتولى عنى منكم ومن غيركم من الناس (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الذى يملك كل ما دونه ، والملوك كلهم مماليكه وعبيده ، وإنما عنى بوصفه جلّ ثناؤه نفسه بأنه ربّ العرش العظيم ، الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده وفى ملكه وسلطانه ، لأن العرش

العظيم إنما يكون للملوك ، فوصف نفسه بأنه ذو العرش دون سائر خلقه ، وأنه الملك العظيم دون غيره ، وأن من دونه فى سلطانه وملكه جار عليه حكمه وقضاؤه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ) يعنى الكفار تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه فى المؤمنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير ، قال : كان عمر رحمة الله عليه لايثبت آية فى المصحف حتى يشهد رجلان ، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ) فقال عمر : لاأسألك عليهما بينة أبدا ، كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن زهير ، عن الأعمش ، عن أبى صالح الحنفى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ رَحِيمٌ يُحِبُّ كُلَّ رَحِيمٍ ، يَضَعُ رَحْمَتَهُ على كُلِّ رَحِيمٍ ، قالوا : يا رسول الله إنا لنرحم أنفسنا وأموالنا ، قال : وأراه قال : وأزواجنا ، قال : ليسَ كذلكَ ، ولكِنْ كُونُوا كما قالَ اللهُ (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكم عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، فإنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاإلَهَ إلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) » أراه قرأ هذه الآية كلها .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف ، عن ابن عباس ، عن أبىّ بن كعب ، قال : آخر آية نزلت من القرآن (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكم عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، عن أبىّ ، قال : آخر آية نزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن أبىّ ، قال : أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) . . . إلى آخر الآيتين .

حدثنى أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن محمد ، قال : ثنا أبان بن يزيد العطار ، عن قتادة ، عن أبىّ ابن كعب ، قال : أحدث القرآن عهدا بالله الآيتان (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ) . . إلى آخر السورة .

(١٠) سورة يونس مكية
وآياتها تسع ومائة

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : تأويله أنا الله أرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، فى قوله (الر) : أنا الله أرى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبىالضحى عن ابن عباس ، قوله (الر) قال : أنا الله أرى .

وقال آخرون : هى حروف من اسم الله الذى هو الرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه ، قال : ثنا علىّ بن الحسين ، قال : ثنى أبى ، عن يزيد ، عن عكرمة عن ابن عباس (الر ، وحم ، ونون) حروف الرحمن مقطعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد عن الحسين بن عثمان ، قال : ذكر سالم بن عبد الله (الر ، وحم ، ونون) فقال : اسم الرحمن مقطع ، ثم قال الرحمن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبىحماد ، قال : ثنا مندل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال (الر ، وحم ، ونون) هو اسم الرحمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبى ، عن أبى عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن عامر أنه سئل عن (الر ، وحم ، وص) قال : هى أسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء ، فإذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله تعالى .

وقال آخرون : هى اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الر) اسم من أسماء القرآن . وقد ذكرنا اختلاف الناس ، وما إليه ذهب كلّ قائل فى الذى قال فيه ، وما الصواب لدينا من

القول فى ذلك فى نظيره ، وذلك فى أول سورة البقرة ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، وإنما ذكرنا فى هذا الموضع القدر الذى ذكرنا لمخالفة من ذكرنا قوله فى هذا ،قوله فى (الم) ، فأما الذين وفقوا بين معانى جميع ذلك ، فقد ذكرنا قولهم هناك مكتفيا عن الإعادة ههنا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ ﴾ :

اختلف فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تلك آيات التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ) قال : التوراة والإنجيل .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ) قال : الكتب التى كانت قبل القرآن .

وقال آخرون : معنى ذلك : هذه آيات القرآن .

وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله هذه آيات القرآن ، ووجه معنى تلك إلى معنى هذه ، وقد بيّنا وجه توجيه تلك إلى هذا المعنى فى سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، والآيات الأعلام ، والكتاب اسم من أسماء القرآن ، وقد بيّنا كلّ ذلك فيما مضى قبل .

وإنما قلنا : هذا التأويل أولى فى ذلك بالصواب ، لأنه لم يجئ للتوراة والإنجيل قبل ذكر ولا تلاوة بعده ، فيوجه إليه الخبر ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : والرحمن هذه آيات القرآن الحكيم . ومعنى الحكيم فى هذا الموضع : المحكم صرف مفعل إلى فعيل ، كما قيل عذاب أليم ، بمعنى مؤلم ، وكما قال الشاعر : أمِنْ رَيحانةَ الدّاعى السَّميعُ [١]

وقد بيّنا ذلك فى غير موضع من الكتاب ، فمعناه إذاً : تلك آيات الكتاب المحكم الذى أحكمه الله وبيّنه لعباده ، كما قال جلّ ثناؤه (الر . كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : أكان عجبا للناس إيحاؤنا القرآن على رجل منهم بانذارهم عقاب الله على معاصيه ، كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله إلى مثله من البشر ، فتعجبوا من وحينا إليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدى (اللسان : سمع) . وهو شاهد على أن السميع بمعنى المسمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، فأنزل الله تعالى (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ) . . . وقال (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : عجبت قريش أن بُعث رجل منهم ، قال : ومثل ذلك (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا - وإلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) قال الله (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ) .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ :

يقول جلّ ثناؤه : أكان عجبا للناس أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ، وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق عطف على أنذر .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (قَدَمَ صِدْقٍ) فقال بعضهم : معناه : أن لهم أجرا حسنا بما قدّموا من صالح الأعمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : ثواب صدق .

قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : الأعمال الصالحة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول : أجرا حسنا بما قدّموا من أعمالهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حبان ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبي مغيث عن مجاهد (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : صلاتهم ، وصومهم ، وصدقتهم ، وتسبيحهم

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدَمَ صِدْقٍ) قال : خير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدَمَ صِدْقٍ) مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : (قَدَمَ صِدْقٍ) ثواب صدق عند ربهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ) قال : القدم الصدق : الثواب الصدق بما قدموا من الأعمال .

وقال آخرون : معناه : أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول : سبقت لهم السعادة في الذكر الأول .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيع لهم قدم صدق .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن فضيل بن عمرو بن الجون ، عن قتادة أو الحسن (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : محمد شفيع لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) : أي سلف صدق عند ربهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن زيد بن أسلم ، في قوله (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب ، قول من قال معناه : أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب ، وذلك أنه محكيّ عن العرب هؤلاء أهل القدم في الإسلام : أي هؤلاء الذين قدموا فيه خيرا ، فكان لهم فيه تقديم ، ويقال له عندي قدم صدق وقدم سوء ، وذلك ما قدم إليه من خير أو شرّ ، ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لَنَا القَدَمُ الأُولى إِلَيْكَ وَخَلْفُنا ... لأَوَّلِنا في طاعَةِ اللهِ تابِعُ[1]

وقول ذي الرمّة :

لَكُمْ قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّها ... مَعَ الحَسَبِ العادِيِّ طَمَّتْ على البَحْرِ[2]

(١) البيت لحسان بن ثابت (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠) بعناية لجنة جب التذكارية (ص ٥٨ من قصيدة له أحد عشر بيتا ، وهو العاشر فيها) يذكر الأيام الأولى من تاريخ المسلمين في المدينة : ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، والبيت خطاب للرسول .

(٢) البيت لذي الرمة ، أنشده الزمخشري في الأساس (قدم) قال : ولفلان قدم في هذا الأمر : سابقة وتقدم . وله قدم صدق ؛ قال ذو الرمة : لكم قدم . . . البيت . والبيت في ديوانه طبعة كيمبردج . وروايته فيه « طمت على الفخر » . وقال في شرحه : أي لكم سوابق تقدمت من الخير والفضل والحسب : ما يعده الإنسان من مفاخره . والعادي : القديم .

فتأويل الكلام إذًا : وبشر الذين آمنوا أن لهم تقدمة خير من الأعمال الصالحة عند ربهم .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قال الكافرُونَ إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ :

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة (إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) بمعنى : إن هذا الذى جئتنا به ، يعنون القرآن لسحر مبين . وقرأ ذلك مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قرّاء الكوفيين (إنَّ هَذَا لَساحِرٌ مُبِينٌ) وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك أن كل موصوف بصفة نزل الموصوف على صفته ، وصفته عليه ، فالقارئ مخير فى القراءة فى ذلك ، وذلك نظير هذا الحرف (قال الكافِرُونَ إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) ولساحر مبين ، وذلك أنهم إنما وصفوه بأنه ساحر ، ووصفهم ما جاءهم به أنه سحر يدلّ على أنهم قد وصفوه بالسحر ، وإذا كان ذلك كذلك فسواء بأىّ ذلك قرأ القارئ لاتفاق معنى القراءتين ، وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره وهو : فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحى ، قال الكافرون إن هذا الذى جاءنا به لسحر مبين .

فتأويل الكلام إذًا : أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ، أن أنذر الناس ، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، فلما أتاهم بوحى الله ، وتلاه عليهم ، قال المنكرون توحيد الله ورسالة رسوله إن هذا الذى جاءنا به محمد لسحر مبين : أى يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ③

يقول تعالى ذكره : إن ربكم الذى له عبادة كلّ شىء ، ولا تنبغى العبادة إلا له هو الذى خلق السموات السبع ، والأرضين السبع فى ستة أيام ، وانفرد بخلقها بغير شريك ، ولا ظهير ، ثم استوى على عرشه مدبرا للأمور ، وقاضيا فى خلقه ما أحبّ ، لا يضادّه فى قضائه أحد ، ولا يتعقب تدبيره متعقب ، ولا يدخل أموره خلل (ما مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) يقول : لا يشفع عنده شافع يوم القيامة فى أحد إلا من بعد أن يأذن فى الشفاعة (ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ) يقول جلّ جلاله : هذا الذى هذه صفته سيدكم ومولاكم لا من لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يدبر ، ولا يقضى من الآلهة والأوثان فاعبدوه ؛ يقول : فاعبدوا ربكم الذى هذه صفته ، وأخلصوا له العبادة ، وأفردوا له الألوهة والربوبية بالذلة منكم له دون أوثانكم ، وسائر ما تشركون معه فى العبادة (أفَلا تَذَكَّرُونَ) يقول : أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج ، فتنيبون إلى الإذعان بتوحيد ربكم ، وإفراده بالعبادة ، وتجمعون الأنداد وتبرءون منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الأمْرَ) قال : يقضيه وحده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الأمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إلاّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ) قال : يقضيه وحده .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الأمْرَ) قال : يقضيه وحده .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : إلى ربكم الذى صفته ما وصف جلّ ثناؤه فى الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم القيامة جميعا (وَعْدَ اللهِ حَقًّا) فأخرج وعد الله مصدرا من قوله (إلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) لأن فيه معنى الوعد ، ومعناه : يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدا حقا . فلذلك نصب وعد الله حقا (إنَّهُ يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يقول تعالى ذكره : إن ربكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده ثم يعيده ، فيوجده حيا كهيئته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) قال : يحييه ثم يميته .

قال أبو جعفر : وأحسبه أنه قال : ثم يحييه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) قال : يحييه ثم يميته ، ثم يحييه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « إنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ » : يحييه ثم يميته ، ثم يبدؤه[1] ثم يحييه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

---

(١) لعله تفسير للبدء .

وقرأت قرّاء الأمصار ذلك (إنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ) بكسر الألف من إنه على الاستئناف. وذُكر عن أبي جعفر الرازي أنه قرأه أنه بفتح الألف من أنه كأنه أراد حقا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده ، فأنّ حينئذ تكون رفعا ، كما قال الشاعر :

أحَقًّا عِبادَ اللهِ أنْ لَسْتُ زَائِرًا ... أبا حَبَّةٍ إلاَّ عَلَيَّ رَقِيبُ [١]

وقوله (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالقِسْطِ) يقول : ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ، ليجزى الذين آمنوا ، يقول : ليثيب من صدق الله ورسوله ، وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال ، واجتنبوا مانهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط ، يقول : ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب ، والصالح من الجزاء في الآخرة ، وذلك هو القسط ، والقسط العدل والإنصاف .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِالقِسْطِ) بالعدل .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ) فإنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعدّ الله للذين كفروا من العذاب ، وفيه معنى العطف على الأوّل ، لأنه تعالى ذكره عمّ بالخبر عن معاد جميعهم كفارهم ومؤمنيهم إليه ، ثم أخبر أن إعادتهم ليجزي كلّ فريق بما عمل ، المحسن منهم بالإحسان والمسيء بالإساءة ، ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعدّ للذين كفروا من العذاب ما يدلّ سامع ذلك على المراد ابتدأ الخبر ، والمعنى العطف ، فقال : والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله ، لهم شراب في جهنم من حميم ، وذلك شراب قد أغلي واشتدّ حرّه حتى أنه فيما ذكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروة رأسه ، وكما وصفه جلّ ثناؤه (كَالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ) وأصله مفعول صرف إلى فعيل ، وإنما هو محموم : أي مسخن ، وكلّ مسخن عند العرب فهو حميم ، ومنه قول المرقش :

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌ ... فِيها كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمْ [٢]

يعني بالحميم : الماء المسخن . وقوله (عَذَابٌ أليمٌ) يقول : ولهم مع ذلك عذاب موجع سوى الشراب من الحميم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بالله ورسوله .

---

(١) الشاهد في هذا البيت أن « حقا » مصدر منصوب جار مجرى الظرف ، ويؤيد ذلك أن العرب نطقت قبله في بني قولهم « أفي الحق أني مغرم بك هائم » والمصدر من قوله : « أن لست . . . الخ » مرفوع : إما على أنه فاعل بالظرف ، وهو مذهب سيبويه والأخفش والكوفيين وإما على أنه مبتدأ أو الظرف قبله خبره ، وهو مذهب الخليل؛ وإما على أنه فاعل للمصدر ، لأنه نائب عن فعله حق ، وهو مذهب المبرد . (انظر خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ١ : ١٩٣) . وفي الحماسة (٣ : ١٧١) بيته يشبه هذا البيت ، لعبد الله ابن الدمينة وهو :

أحَقًّا عِبادَ اللهِ أنْ لَسْتُ وَارِداً ... وَلا صادِراً إلاَّ عَلَيَّ رَقِيبُ

(٢) البيت للمرقش الأصغر (اللسان : قطر) . قال : والمقطرة : المجمر . وأنشد أبو عبيد للمرقش الأصغر : في كل يوم . . . البيت . والحميم : الماء الحار تحم به . والكباء : نوع من البخور . وقد سبق الكلام على هذا البيت في (ج ٧ : ٢٣٤) .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض (هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضياءً) بالنهار (والقَمَرَ نُورًا) بالليل ، ومعنى ذلك : هو الذى أضاء الشمس وأنار القمر (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ) يقول : قضاه فسوّاه منازل لايجاوزها ، ولا يقصر دونها على حال واحدة أبدا ، وقال (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ) فوحده ، وقد ذكر الشمس والقمر ، فإن فى ذلك وجهين : أحدهما أن تكون الهاء فى قوله (وَقَدَّرَهُ) للقمر خاصة ، لأن بالأهلة يعرف انقضاء الشهور والسنين لابالشمس . والآخر : أن يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، كما قال فى موضع آخر (وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) وكما قال الشاعر :

رَمَانِى بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِى بَرِيًّا وَمِنْ جُولِ الطَّوِىِّ رَمَانِى[1]

وقوله (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحسابَ) يقول : وقدّر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين : دخول ما يدخل منها ، وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها ، يقول : وحساب أوقات السنين وعدد أيامها ، وحساب ساعات أيامها (ما خَلَقَ اللهُ ذلكَ إلا بالحَقّ) يقول جلّ ثناؤه : لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحقّ ، يقول الحقّ تعالى ذكره : خلقت ذلك كله بحقّ وحدى بغير عون ولا شريك (يُفَصِّلُ الآيات) يقول : يبين الحجج والأدلة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) إذا تدبروها، حقيقة وحدانية الله ، وصحة ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، من خلع الأنداد ، والبراءة من الأوثان .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره منبها عباده على موضع الدلالة على ربوبيته ، وأنه خالق كلّ ما دونه ، إن فى اعتقاب

(١) البيت أنشده الفراء فىمعانى القرآن (مصورة الجامعة ٥٩ : ٢٤ الورقة ١٣٣ ، قال عند قوله تعالى : (جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل) : لم يقل : وقدرهما ، فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة ، لأن به تعلم الشهور ، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعا ، فاكتفى بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال الشاعر : « رمانى بأمر . . . البيت » . وهو مثل قوله . (والله ورسوله أحق أن يرضوه) ولم يقل : أن يرضوهما . وأنشد البيت صاحب اللسان فى « جول » قال ابن برى : البيت لابن أحمر . وقيل : هو للأزرق بن طرفة بن العمرد الفراصى ؛ أى رمانى بأمر عاد عليه قبحه ، لأن الذى يرمى من جول البئر يعود ما رمى به عليه . ويروى ومن أجل الطوى قال : وهو الصحيح ، لأن الشاعر كان بينه وبين خصمه حكومة فى بئر ، فقال خصمه : إنه لص ابن لص فقال هذه القصيدة. وبعد البيت :

دَعَانِىَ لِصًّا فى لُصُوصٍ وَمَا دَعَا بِهَا وَالِدِى فِيمَا مَضَى رجلانِ

والجول : قال أبو عبيد : هو كل ناحية من نواحى البئر إلى أعلاها من أسفلها . والطوى : البئر المبطنة نواحيها بالحجارة .

الليل والنهار ، واعتقاب النهار الليل إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا وفيما خلق الله في السماوات من الشمس والقمر والنجوم وفى الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شيء ، لآيات : يقول لأدلة وحججا وأعلاما واضحة لقوم يتقون الله ، فيخافون وعيده ، ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم .

فإن قال قائل : أو لادلالة فيما خلق الله في السماوات والأرض على صانعه إلا لمن اتقى الله ؟ قيل : فى ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكلّ من صحت فطرته ، وبرئ من العاهات قلبه ، ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله ، وإنما معناه : إن فى ذلك لآيات لمن اتقى عقاب الله ، فلم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحقّ ، لأن ذلك يدلّ كلّ ذى فطرة صحيحة على أن له مدبرا يستحقّ عليه الإذعان له بالعبودة دون ما سواه من الآلهة والأنداد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين لايخافون لقاءنا يوم القيامة ، فهم لذلك مكذّبون بالثواب والعقاب ، متنافسون فى زين الدنيا وزخارفها ، راضون بها عوضا من الآخرة ، مطمئنين إليها ساكنين (وَالَّذِينَ هُم) عن آيات الله ، وهى أدلته على وحدانيته ، وحججه على عباده فى إخلاص العبادة له (غَافِلُونَ) معرضون عنها لاهون ، لايتأملونها تأمل ناصح لنفسه ، فيعلموا بها حقيقة ما دلّهم عليه ، ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون (أُولَـٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ) يقول جلّ ثناؤه : هؤلاء الذين هذه صفتهم مأواهم مصيرها إلى النار نار جهنم فى الآخرة (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فى الدنيا من الآثام والأجرام ، ويجترحون من السيئات والعرب تقول : فلان لايرجو فلانا : إذا كان لايخافه . ومنه قول الله جلّ ثناؤه (مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا) . ومنه قول أبي ذويب :

إذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ... وخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ[1]

وبنحوما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :

(١) البيت أنشده صاحب اللسان ونسبه لأبي ذؤيب (اللسان : رجا) قال : قال ثعلب : قال الفراء : الرجا فى معنى الخوف لايكون إلا مع الجحد ، تقول : مارجوتك : أي ما خفتك ، ولا تقول : رجوتك فى معنى : خفتك . وأنشد لأبي ذؤيب : إذا لسعته . البيت . . . أى لم يخف ولم يبال . والنوب : هنا معناه السوء : شبه النحل الصغيرة العاسلة فى سواد لونها بالنوب . والعوامل : التى تفرز العسل . ويروى : عوامل بالميم ، أى تعمل فى خلية النحل ، وقد سبق الاستشهاد بالبيت فى (ج ٥ : ٢٦٤).

(واطْمَأنُّوا بِها) قال : هو مثل قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) . .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إنَّ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدُّنْيا واطْمأنُّوا بِها) قال : هو مثل قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدُّنْيا واطْمَأنُّوا بِها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ) قال : إذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح ، ولها يحزن ، ولها يسخط ، ولها يرضى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إن الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدُّنْيا واطْمَأنُّوا بِها) . . . الآية كلها ، قال : هؤلاء أهل الكفر ، ثم قال (أُولَئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

يقول تعالى ذكره (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) إن الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات ، وذلك العمل بطاعة الله والانتهاء إلى أمره (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بإيمانِهِمْ) يقول : يرشدهم ربهم بإيمانهم به إلى الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بإيمانِهِمْ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنْهارُ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ) بلغنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ المُؤْمِنَ إذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ في صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، فَيَقُولُ لَهُ ما أنْتَ ، فوَاللهِ إنّي لأرَاكَ امْرأ صِدْقٍ ، فَيَقُولُ أنا عَمَلُكَ ، فَيَكُونُ لَهُ نُورًا وَقائِدًا إلى الجَنَّةِ . وأمَّا الكافِرُ إذا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ في صُورَةٍ سَيِّئَةٍ وَبِشارَةٍ سَيِّئَةٍ ، فَيَقُولُ ما أنْتَ فَوَاللهِ إنّي لأرَاكَ امْرأَ سَوْءٍ ، فَيَقُولُ أنا عَمَلُكَ فَيَنْطَلِقُ بِهِ حَتى يُدْخِلَهُ النّارَ » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) قال : يكون لهم نورا يمشون به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال ابن جريج (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) قال : يمثل له عمله فى صورة حسنة ، وريح طيبة ، يعارض صاحبه ، ويبشره بكل خير ، فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا عملك فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة ، فذلك قوله (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) والكافر يمثل له عمله فى صورة سيئة وريح منتنة ، فيلازم صاحبه ويلادّه حتى يقذفه فى النار .

وقال آخرون : معنى ذلك : بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه ، يقول بتصديقهم هداهم .

ذكر من قال ذلك

. . . (١)

وقوله (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ) يقول : تجرى من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم أنهار الجنة (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يقول : فى بساتين النعيم الذى نعّم الله به أهل طاعته والإيمان به

⁂ فإن قال قائل : وكيف قيل تجرى من تحتهم الأنهار ، وإنما وصف جلّ ثناؤه أنهار الجنة فى سائر القرآن أنها تجرى تحت الجنات ، وكيف يمكن الأنهار أن تجرى من تحتهم إلا أن يكونوا فوق أرضها ، والأنهار تجرى من تحت أرضها ، وليس ذلك من صفة أنهار الجنة ، لأن صفتها أنها تجرى على وجه الأرض فى غير أخاديد ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ ، وإنما معنى ذلك : تجرى من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم فى بساتين النعيم ، وذلك نظير قول الله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) ومعلوم أنه لم يجعل السرىّ تحتها وهى عليه قاعدة ، إذ كان السرى هو الجدول ، وإنما عنى به جعل دونها : بين يديها ، وكما قال جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل فرعون (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) بمعنى : من دونى بين يدى .

وأما قوله (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) فإن معناه : دعاؤهم فيها سبحانك اللهمّ .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرت أن قوله (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) قال : إذا مرّ بهم الطير فيشتهونه ، قالوا : سبحانك اللهمّ ، وذلك دعواهم ، فيأتيهم الملك بما اشتهوا ، فيسلم عليهم ، فيردّون عليه ، فذلك قوله (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) قال : فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم ، فذلك قوله (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

(١) بآخر صفحة ١٠٣ من الجزء الثانى عشر من النسخة رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية بياض بقدر سطرين أو ثلاثة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (دَعْوَاهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ) يقول : ذلك قولهم فيها (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله الأشجعي ، قال : سمعت سفيان يقول (دَعْوَاهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ) قال : إذا أرادوا الشيء قالوا : اللهمّ فيأتيهم ما دعوا به .

وأما قوله (سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ) فإن معناه : تنزيها لك يا ربّ مما أضاف إليك أهل الشرك بك من الكذب عليك والفرية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن غير واحد عطية فيهم سبحان الله تنزيه لله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : سمعت موسى بن طلحة ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله ، قال : « إبْرَاءُ اللهِ عَنِ السُّوءِ » .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وخلاد بن أسلم ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه أن ابن الكوّاء سأل عليا رضي الله عنه ، عن سبحان الله قال : كلمة رضيها الله لنفسه .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان بن سعيد الثوري عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحي ، عن موسى بن طلحة ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن سبحان الله ، فقال : تَنْزِيها لِلهِ عَنِ السُّوءِ » .

حدثني عليّ بن عيسى البزار ، قال : ثنا عبيد الله بن محمد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن حماد ، قال ، ثني حفص بن سليمان ، قال : ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن أبيه ، ن طلحة بن عبيد الله ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله ، فقال : « هُوَ تَنْزِيهُ اللهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ » .

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي ، قال : ثنا سليمان بن أيوب ، قال : ثني أبي ، عن جدي ، عن موسى بن طلحة ، عن أبيه ، قال : قلت : يا رسول الله قول سبحان الله ، قال : « تَنْزِيهُ اللهِ عَنِ السُّوءِ » (وَتَحِيَّتُهُمْ) يقول : وتحية بعضهم بعضا (فيها سَلامٌ) : أي سلمت وأمنت مما ابتلى به أهل النار ، والعرب تسمي الملك التحية ؛ ومنه قول عمرو بن معديكرب :

أزُورُ بها أبا قابُوسَ حتى ... أنيخَ على تَحِيَّتِهِ بِجُنْدِي[1]

(١) البيت أنشده صاحب (اللسان : حيا) ونسبه إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي . قال : والتحية : تفعلة من الحياة . . . قال أبو عمرو : والتحية الملك (بضم الميم) ، وأنشد قول عمرو بن معد يكرب : « أسير به إلى النعمان حتى . . . . البيت » . يعني : على ملكه . قال ابن بري : ويروى : أسير بها . ويروى : أؤم بها . وقبل البيت :

ومنه قول زهير بن جناب الكلبي :

مِنْ كُلِّ ما نالَ الفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إلاَّ التَّحِيَّهْ [1]

وقوله (وآخِرُ دَعْوَاهُمْ) يقول : وآخر دعائهم (أنِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ) يقول : وآخر دعائهم أن يقولوا : الحمد لله ربّ العالمين ، ولذلك خففت « أن » ولم تشدّد ، لأنه أريد بها الحكاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١)

يقول تعالى ذكره (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ للنَّاسِ) إجابة دعائهم فى (الشَّرِّ) ، وذلك فيما عليهم مضرّة فى نفس أو مال (اسْتِعْجَالَهُمْ بالخَيْرِ) يقول : كاستعجاله لهم فى الخير بالإجابة إذا دعوه به (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أجَلُهُمْ) يقول : لهلكوا وعجل لهم الموت ، وهو الأجل . وعنى بقوله (لَقُضِيَ) لفرغ إليهم من أجلهم ، وتبدّى لهم كما قال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِما مَسْرُودَتانِ قَضَاهُما دَاوُدُ أوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ [2]

(فَنَذَرُ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا) يقول : فندع الذين لايخافون عقابنا ، ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور (فِي طُغْيانِهِمْ) يقول : فى تمرّدهم وعتوّهم (يَعْمَهُونَ) يعنى يتردّدون ؛ وإنما أخبر جلّ ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث ، بما أخبر به عنهم من طغيانهم ، وترددهم فيه عند تعجيله إجابة دعائهم فى الشرّ ، لو استجاب لهم أن ذلك كان يدعوهم إلى التقرّب إلى الوثن الذى يشرك به أحدهم ، أو يضيف ذلك إلى أنه من فعله .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

وكُلَّ مُفاضَةٍ بَيْضَاءَ زَغْفٍ وكُلَّ مُعاوِدِ الغاراتِ جَلْدِ

(١) البيت أنشده فى (اللسان : حيا) قال : والتحية : البقاء . والتحية : الملك . وقول زهير بن جناب الكلبى :

ولَكُلُّ ما نال الفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إلاَّ التَّحِيَّهْ

قيل أراد الملك . وقال ابن الأعرابى : أراد البقاء ، لأنه كان ملكا فى قومه . قال ابن برى : زهير هذا : هو سيد كلب فى زمانه ، وكان كثير الغارات ، وعمر عمرا طويلا ، وهو القائل (وأنشد ثلاثة أبيات ، آخرها بيت الشاهد) ثم قال : والمعروف بالتحية هنا : إنما هى بمعنى البقاء ، لا بمعنى الملك . . . قال أبو عبيدة : والتحية فى غير هذا : السلام .

(٢) هذا البيت من عينية أبى ذؤيب الهذلى المشهورة فى الرثاء التى مطلعها « أمن المنون » . ذكرها صاحب جمهرة أشعار العرب (ص ١٢٨ – ١٣٣ طبعة بولاق) . وبيت الشاهد قبل آخرها بثلاثة أبيات ، وروايته « وعليهما ماذيتين » أى درعان من الحديد لينتان سهلتان . وقضاهما : أحكمهما . ويقال : رجل صنع وامرأة صناع ؛ إذا كانا صانعين . وتبع من ملوك اليمن ، قيل كان يصنع الدروع أو يأمر بصنعها محكمة وداود النبى عليه السلام اشتهر كذلك بصنع الدروع : « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » .

وقوله « مسرودتان » : هذه رواية المفضل الضبى وفى المفضليات . والمسرودة : الدرع التى سمرت حلقاتها . والسرد : الحلق وقوله تعالى : « وقدر فى السرد » : هو ألا يجعل المسمار غليظا والثقب دقيقا ، فيفصم الحلق . ولا يجعل المسمار دقيقا والثقب واسعا فيتقلقل أو ينخلع أو يتقصف ، أى اجعله على القصد وقدر الحاجة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان إذا غضب لولده وماله : لابارك الله فيه ولعنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه : اللهمّ لاتبارك فيه والعنه ، فلو يعجل الله الاستجابة لهم في ذلك ، كما يستجاب في الخير لأهلكهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ،عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان لولده وماله : إذا غضب عليه : اللهمّ لاتبارك فيه والعنه (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) قال : لأهلك من دعا عليه ولأماته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الرجل لولده إذا غضب عليه ، أو ماله : اللهمّ لا تبارك فيه والعنه ، قال الله (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) قال : لأهلك من دعا عليه ولأماته . قال (فَنَذَرُ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا) قال : يقول : لانهلك أهل الشرك ، ولكن نذرهم في طغيانهم يعمهون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له.

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) قال : لأهلكناهم ، وقرأ (ما تَرَكَ على ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ) قال : يهلكهم كلهم ، ونصب قوله (اسْتِعْجالَهُمْ) بوقوع يعجل عليه ، كقول القائل : قمت اليوم قيامك ، بمعنى قمت كقيامك ، وليس بمصدر من يعجل ، لأنه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف ، أعني كاف التشبيه فيه .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء الحجاز والعراق (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) على وجه ما لم يسمّ فاعله بضم القاف من قُضى ، ورفع الأجل . وقرأ عامة أهل الشأم (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ) بمعنى : لقضى الله إليهم أجلهم ، وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أني أقرؤه على وجه ما لم يسمّ فاعله ، لأن عليه أكثر القرّاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الإنسان الشدّة والجهد (دَعانا لِجَنْبِهِ) يقول : استغاث بنا فى كشف ذلك عنه . لجنبه : يعنى مضطجعا لجنبه (أَوْ قاعِداً أَوْ قائما) بالحال التى يكون بها عند نزول ذلك الضرّ به (فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ) يقول : فلما فرّجنا عنه الجهد الذى أصابه (مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ) يقول : استمرّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضرّ ، ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء ، أو تناساه ، وترك الشكر لربه الذى فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به ، وعاد للشرك ، ودعوى الآلهة والأوثان أربابا معه ، يقول تعالى ذكره (كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : كما زين لهذا الإنسان الذى وصفنا صفته استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضرّ ، كذلك زين للذين أسرفوا فى الكذب على الله وعلى أنبيائه ، فتجاوزوا فى القول فيهم إلى غير ما أذن الله لهم به ، ما كانوا يعملون من معاصى الله والشرك وبه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (دَعانا لِجَنْبِهِ) قال : مضطجعا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد أهلكنا الأمم التى كذّبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم لما ظلموا ، يقول : لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه (وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ) من عند الله (بِالْبَيِّناتِ) وهى الآيات والحجج التى تبين عن صدق من جاء بها .

ومعنى الكلام : وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق (وَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا) يقول : فلم تكن هذه الأمم التى أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ، ويصدّقوهم إلى ما دعوهم إليه من توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، (كَذلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون بظلمهم أنفسهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وردّهم نصيحتهم ، كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم ، إن أنتم لم تنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم ، فإن من ثواب الكافر بى على كفره عندى أن أهلكه بسخطى فى الدنيا ، وأورده النار فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

☼ يقول تعالى ذكره (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ) أيها الناس (خَلَائِفَ) من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا تخلفونهم (فِي الأَرْضِ) وتكونون فيها بعدهم (لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) يقول : لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم ، تحذون مثالهم فيه ، فتستحقون من العقاب ما استحقوا ، أم تخالفون سبيلهم ، فتؤمنون بالله ورسوله ، وتقرّون بالبعث بعد الممات ، فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : صدق ربنا ما جعلنا خلفاء إلا لينظر كيف أعمالنا ، فأروا الله من أعمالكم خيرا، بالليل والنهار والسرّ والعلانية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا يزيد بن عوف أبو ربيعة بهذا . قال : ثنا حماد ، عن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، أن عوف بن مالك رضى الله عنه قال لأبى بكر رضى الله عنه : رأيت فيما يرى النائم كأن سببا دلى من السماء ، فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دلى فانتشط أبو بكر ، ثم ذرع الناس حول المنبر ، ففضل عمر رضى الله عنه بثلاث أذرع إلى المنبر ، فقال عمر : دعنا من رؤياك لاأرب لنا فيها ؛ فلما استخلف عمر قال : يا عوف رؤياك ، قال : وهل لك فى رؤياى من حاجة ، أو لم تنتهرنى ؟ قال : ويحك إنى كرهت أن تنعى لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، فقصّ عليه الرؤيا حتى إذا بلغ ذرع الناس إلى المنبر بهذه الثلاث الأذرع قال :أما إحداهنّ فانه كائن خليفة . وأما الثانية فانه لايخاف فى الله لومة لائم . وأما الثالثة فانه شهيد قال: فقال يقول الله (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فقد استخلفت يا ابن أم عمر ، فانظر كيف تعمل . وأما قوله « فإنّى لاأخافُ فى الله لَوْمَةَ لائم » فما شاء الله . وأما قوله « فإنّى شَهِيدٌ » فأنى لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به ، ثم قال « إنَّ اللهَ على ما يَشاءُ قَديرٌ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

☼ يقول تعالى ذكره : وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذى أنزلناه إليك يا محمد بينات واضحات على الحقّ دالات (قالَ الَّذينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا) يقول ، قال الذين لايخافون

عقابنا، ولا يوقنون بالمعاد إلينا ، ولا يصدّقون بالبعث لك (ائْتِ بِقُرْآنٍ غيرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) يقول: أو غيره (قُلْ) لهم يا محمد (ما يَكُونُ لى أنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي) : أى من عندى .

والتبديل الذى سألوه فيما ذُكر ، أن يحوّل آية الوعيد آية وعد ، وآية الوعد وعيدا ، والحرام حلالا والحلال حراما ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه ، وأن ذلك إلى من لا يردّ حكمه ، ولا يتعقب قضاؤه ، وإنما هو رسول مبلغ ، ومأمور متبع .

وقوله (إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحَى إلىَّ) يقول : قل لهم : ما أتبع فى كلّ ما آمركم به أيها القوم وأنهاكم عنه إلا ما ينزله إلىّ ربى ويأمرنى به (إنّى أخافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول : إنى أخشى من الله إن خالفت أمره ، وغيرت أحكام كتابه ، وبدّلت وحيه ، فعصيته بذلك (عذابَ يومٍ عظيمٍ) هوله ، وذلك (يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه معرّفه الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له : ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل لهم يا محمد (لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ) : أى ما تلوت هذا القرآن عليكم أيها الناس بأن كان لا ينزله علىّ ، فيأمرنى بتلاوته عليكم (وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ولا أعلمكم به (فَقَدْ لَبِثْتُ فيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ) يقول : فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم ، ومن قبل أن يوحيه إلىّ ربى (أفَلا تَعْقِلُونَ) أنى لو كنت متنحلا ما ليس لى من القول كنت قد انتحلته فى أيام شبابى وحداثتى . وقبل الوقت الذى تلوته عليكم ، فقد كان لى اليوم لو لم يوح إلىّ وأومر بتلاوته عليكم ، مندوحة عن معاداتكم ، ومتسع فى الحال التى كنت بها منكم ، قبل أن يوحى إلىّ ، وأومر بتلاوته عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ) : ولا أعلمكم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى : قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : لو شاء الله لم يعلمكموه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ما حذّرتكم به .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)،وهو قول مشركى أهل مكة للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) لبث أربعين سنة.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) ولا أعلمكم به .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، أنه كان يقرأ (وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ) يقول : ما أعلمتكم به .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ولا أشعركم الله به ، وهذه القراءة التى حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط ، وكان الفراء يقول فى ذلك قد ذكر عن الحسن أنه قال : ولا أدْرأتكم به ، قال : فإن يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت ، فلعلّ الحسن ذهب إليها ، وأما أن يصلح من دريت أو أدريت فلا ، لأن الياء والواو إذا انفتح ماقبلهما وسكنتا صحتا ولم تنقلبا إلى ألف مثل قضيت ودعوت، ولعلّ الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته ، فهمزها ، لأنها تضارع درأت الحدّ وشبهه ، وربما غلطت العرب فى الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز . وسمعت امرأة من طيّ تقول : رثأت زوجى بأبيات ، ويقولون : لبأت بالحجّ ، وحلأت السويق يتغلطون ، لأن حلأت قد يقال فى دفع العطاش من الإبل ، ولبأت : ذهبت به إلى اللبأ ، لبأ الشاة ، ورثأت زوجى : ذهبت به إلى رثأت اللبن إذا أنت حلبت الحليب على الرائب ، فتلك الرثيئة ، وكان بعض البصريين يقول : لاوجه لقراءة الحسن هذه لأنها من أدريت مثل أعطيت ، إلا أن لغة بنى عقيل أعطأت ، يريدون أعطيت ، تحوّل الياء ألفا ، قال الشاعر :

لَقَدْ آذَنَتْ أَهْلَ الْيَمَامَةِ طَيِّءٌ بِحَرْبٍ كَنَاصَاةِ الْأَغَرِّ الْمُشَهَّرِ[1]

يريد كناصية ، حكى ذلك عن المفضل ، وقال زيد الخيل :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصَعْلُكَ مَا بَقَا عَلَى الْأَرْضِ قَيْسِيٌّ يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا[2]

فقال بقا ، وقال الشاعر :

---

(١) البيت لحريث بن عتاب الطائى . (اللسان : نصا) وفيه : «الحصان المشهر » وهو شاهد على أن الناصاة لغة طيئية فى الناصية . قال : وليس لها نظير إلا حرفين : بادية وباداة ، وقارية وقاراة ، وهى الحاضرة . والناصية : منبت الشعر فى مقدم الرأس ، لا الشعر الذى تسميه الناس ناصية ، وسمى الشعر ناصية ، لنباته من ذلك الموضع .

(٢) زيد الخيل : لقبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد الخير . وهو طائى ، والبيت شاهد على لغة طيىء فى أنها تجعل بقى وما ماثله : بقا . بفتح القاف . قال فى (اللسان : بقى) ولغة طيىء : بقى يبقى ؛ وكذلك لغتهم فى كل ياء انكسر ماقبلها يجعلونها ألفا ، نحو : بقى ورضى وفنى (بفتح ثانيهما) . ولا تزال بقية من هذه اللغة تجرى على لسان أهل مصر والقاهرة . والتصعلك : الفقر

زَجَرَتْ فَقُلْنا لا نَرِيعُ لِزَاجِرٍ　　إنّ الغَوِيَّ إذا نُهَا لَمْ يُعْتِبِ[1]

يريد نُهِي ؛ قال : وهذا كله على قراءة الحسن ، وهي مرغوب عنها ؛ قال : وطيِّئ تصير كل ياء انكسر ما قبلها ألفا يقولون : هذه جاراة . وفي الترقوة ترقاة ، والعرقوة عرقاة ؛ قال : وقال بعض طيِّئ قد لقت فزارة حذف الياء من لقيت لما لم يمكنه أن يحوّلها ألفا لسكون التاء ، فيلتقي ساكنان . وقال : زعم يونس أن نسا ورضا لغة معروفة ؛ قال الشاعر :

وأبْنَيْتُ بالأعْراضِ ذا البَطْنِ خالِداً　　نَسا أوْ تَناسَى أن يَعُدَّ المَوَالِيا[2]

ورُوي عن ابن عباس في قراءة ذلك أيضا رواية أخرى ، وهي ما حدثنا به المثنى ، قال : ثنا المعلى بن أسد ، قال : ثنا خالد بن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ (قُلْ لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أنْذَرْتُكُمْ بِهِ) .

والقراءة التي لا أستجيز أن تعدوها هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار (قُلْ لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُم بِهِ) بمعنى : ولا أعلمكم به ، ولا أشعركم به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك إلى الكذب : أيّ خلق أشر بعدنا ، وأوضع لقيله في غير موضعه ، ممن اختلق على الله كذبا ، وافترى عليه باطلا (أوْ كَذَّبَ بآياتِهِ) يعني بحججه ورسله وآيات كتابه ، يقول له جلّ ثناؤه : قل لهم ليس الذي أضفتموني إليه بأعجب من كذبكم على ربكم وافترائكم عليه ، وتكذيبكم بآياته (إنَّهُ لا يُفْلِحُ المُجْرِمُونَ) يقول : إنه لا ينجح الذين اجترموا الكفر في الدنيا يوم القيامة إذا لقوا ربهم ، ولا ينالون الفلاح .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

---

(١) لانريع : لا نرجع ، أي لا نستجيب . الغوي : الضال . لم يعتب : من الإعتاب وهو الإرضاء ، يقال قد أعتبني فلان ، أي ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجع إلى ما أرضاني عنه ، بعد إسخاطه إياي عليه . والشاهد في قوله : نها بصيغة المجهول إذ أصله نهي ، فتحت هاؤه على لغة طيىء ، فقلبت ياؤه ألفا .

(٢) أبنيت الرجل : أعطيته بناء ، أو ما يبتني به داره . والأعراض : موضع جاء في قول لبيد :

" على الأعْراضِ أيمَنُ جانِبَيْهِ　　وأيسرُهُ على كَوْرَى أُثال

أو الأعراض : جمع عرض ، وهو كما في تاج العروس : جانب الوادي والبلد . وقيل ناحيتهما وجوهما من الأرض ، وكذا عرض كل شيء ناحيته . يقول : من صنائعي أني أعطيت خالدا بناء يسكنه أو أعطيته ما يتخذ به بناء بالأعراض ، ولكنه نسي أو تناسى أن يذكر من أحسن إليه . والشاهد في قوله نسا ، فإنه على لغة طيىء وأصله نسي ، بكسر السين .

﴿ يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من دون الله الذى لايضرّهم شيئا ، ولا ينفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وذلك هو الآلهة والأصنام التى كانوا يعبدونها ، (وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهِ) يعنى أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله ، قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ لَهُمْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لايَعْلَمُ فِى السَّمَوَاتِ وَلا فِى الأَرْضِ) يقول : أتخبرون الله بمالايكون فى السماوات ولا فى الأرض ، وذلك أن الآلهة لاتشفع لهم عند الله فى السماوات ولا فى الأرض ، وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : قل لهم : أتخبرون الله أن ما لايشفع فى السماوات ولا فى الأرض يشفع لكم فيهما ، وذلك باطل لاتعلم حقيقته وصحته ، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون ، وأنها لاتشفع لأحد ، ولا تنفع ولا تضرّ (سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها لله وعلوّا عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم فى عبادة ما لايضرّ ولا ينفع ، وافترائهم عليه الكذب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة ، فاختلفوا فى دينهم ، فافترقت بهم السبل فى ذلك (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يقول : ولولا أنه سبق من الله أنه لايهلك قوما إلا بعد انقضاء آجالهم (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول : لقضى بينهم بأن يهلك أهل الباطل منهم ، وينجى أهل الحق .

وقد بيّنا اختلاف المختلفين فى معنى ذلك فى سورة البقرة ، وذلك فى قوله (كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً ، فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ) وبيّنا الصواب من القول فيه بشواهده ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما كانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً واحِدَةً فاخْتَلَفُوا) حين قتل أحد ابنى آدم أخاه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا القاسم، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، يقول : علم ودليل نعلم به أن محمدا محقّ فيما يقول ؟ قال الله له : فقل : يا محمد إنما الغيب لله ، أى لايعلم أحد بفعل ذلك إلا هو جلّ ثناؤه ، لأنه لايعلم الغيب ، وهو السرّ والخفىّ من الأمور إلا الله ، فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا بتعجيل عقوبته للمبطل منا ، وإظهاره المحقّ عليه ، إنى معكم ممن ينتظر ذلك ، ففعل ذلك جلّ ثناؤه فقضى بينهم وبينه ، بأن قتلهم يوم بدر بالسيف .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وإذا رزقنا المشركين بالله فرجا بعد كرب ، ورخاء بعد شدّة أصابتهم ، وقيل : عنى به المطر بعد القحط ، والضرّاء : هى الشدّة ، والرحمة : هى الفرج ، يقول (إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فى آياتنا) استهزاء وتكذيب .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فى آياتنا) قال : استهزاء وتكذيب .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) يقول تعالى ذكره : قل لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا ، يا محمد الله أسرع مكرا : أى أسرع محالا بكم ، واستدراجا لكم ، وعقوبة منكم من المكر فى آيات الله ، والعرب تكتفى بإذا من فعلت وفعلوا ، فلذلك حذف الفعل معها . وإنما معنى الكلام : وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضرّاء مستهم مكروا فى آياتنا ، فاكتفى من مكروا ، بإذا لهم مكر ، (إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ) يقول: إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون فى آياتنا .

القول في تأويل قوله تعالى:

هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾

❊ يقول تعالى ذكره : الله الذى يسيركم أيها الناس فى البرّ على الظهر ، وفى البحر فى الفلك (حتى إذا

كُنْتُمْ فى الفُلْكِ) وهى السفن (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) يعنى : وجرت الفلك بالناس (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) فى البحر (وَفَرِحُوا بِها) يعنى : وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التى يسيرون بها ، والهاء فى قوله : بها عائدة على الريح الطيبة (جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ) يقول : جاءت الفلك ريح عاصف ، وهى الشديدة ، والعرب تقول : ريح عاصف وعاصفة ، وقد أعصفت الريح وعصفت وأعصفت فى بنى أسد فيما ذكر ، قال بعض بنى دبير :

حتى إذا أعْصَفَتْ رِيحٌ مُزَعْزِعةٌ ... فيها قِطارٌ ورَعْدٌ صَوْتُهُ زَجِلُ (١)

(وَجاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ) يقول تعالى ذكره : وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) يقول : وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول : أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم ، وكان مفزعهم حينئذ إلى الله دونها .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) قال : إذا مسّهم الضرّ فى البحر أخلصوا له الدعاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن الأعمش ، عن عمرو بن ابن مرّة ، عن أبى عبيدة ، فى قوله (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) هياشراهيا ، تفسيره : يا حىّ يا قيوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا أَذَقْنا النّاسَ رَحْمَةً مِنَ بَعْدِ ضَرّاءَ مَسَّتْهُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء المشركون يدعون مع الله مايدعون ، فاذا كان الضرّ لم يدعو إلا الله فإذا نجاهم إذا هم يشركون لئن أنجيتنا من هذه الشدّة التى نحن فيها لنكوننّ من الشاكرين لك على نعمك وتخليصك إيانا مما نحن فيه باخلاصنا العبادة لك ، وإفراد الطاعة دون الآلهة والأنداد .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ)من السير بالسين . وقرأ ذلك أبوجعفر القارى (هُوَ الَّذِى يَنْشُرُكُمْ) من النشر ، وذلك البسط من قول القائل : نشرت الثوب ، وذلك بسطه ونشره من طيه ، فوجه أبو جعفر معنى ذلك إلى أن الله يبعث عباده ، فيبسطهم برّا وبحرا ، وهو قريب المعنى من التسيير ، وقال (وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) وقال فى موضع آخر (فِى الفُلْكِ المَشْحُونِ) فوحد ، والفلك : اسم للواحدة والجماع ، ويذكر ويؤنث ، قال (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) وقد قال (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ) فخاطب ثم عاد إلى الخبر عن الغائب وقد بينت ذلك فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وجواب قوله (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الفُلْكِ . . . جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ) وأما جواب قوله (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) فـ(دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) .

---

(١) فى لسان العرب : (عصف) : عصفت الريح تعصف عصفا وعصوفا ، وهى ريح عاصف ، وعاصفة ، ومعصفة ، وعصوف وأعصفت فى بنى أسد ، وهى معصف ، من رياح معاصف ومعاصيف : إذا اشتدت . والمزعزعة : الشديدة ، التى تحرك كل ما على الأرض من شجر وتراب ومدر . والقطار : المطر ، والزجل : المرتفع فيه تطريب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا فى البحر أنهم أحيط بهم من الجهد الذى كانوا فيه ، أخلفوا الله ما وعدوه ، وبغوا فى الأرض ، فتجاوزوا فيها إلى غير ما أذن الله لهم فيه من الكفر به ، والعمل بمعاصيه على ظهرها ، يقول الله : يا أيها الناس إنما اعتداؤكم الذى تعتدونه على أنفسكم وإياها تظلمون ، وهذا الذى أنتم فيه متاع الحياة الدنيا ، يقول ذلك بلاغ تبلغون به فى عاجل دنياكم . وعلى هذا التأويل ، البغى يكون مرفوعا بالعائد من ذكره فى قوله (عَلَى أَنْفُسِكُمْ) ويكون قوله : (مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) مرفوعا على معنى : ذلك متاع الحياة الدنيا ، كما قال (لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ) بمعنى : هذا بلاغ ، وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك : إنما بغيكم فى الحياة الدنيا على أنفسكم ، لأنكم بكفركم تكسبونها غضب الله ، متاع الحياة الدنيا ، كأنه قال : إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا ، فيكون البغى مرفوعا بالمتاع ، وعلى أنفسكم من صلة البغى . وبرفع المتاع قرأت القرّاء سوى عبد الله بن أبى إسحاق فإنه نصبه بمعنى : إنما بغيكم على أنفسكم متاعا فى الحياة الدنيا ، فجعل البغى مرفوعا بقوله (على أَنْفُسِكُمْ) والمتاع منصوبا على الحال ، وقوله (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ) يقول : ثم إلينا بعد ذلك معادكم ومصيركم ، وذلك بعد الممات (فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصى الله ، ونجازيكم على أعمالكم التى سلفت منكم فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : إنما مثل ما تباهون فى الدنيا ، وتفاخرون به من زينتها وأموالها مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت ، (كَـ)مثل(ماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) يقول : كمطر أرسلناه من السماء إلى الأرض (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ) يقول : فنبت بذلك المطر أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ،

عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ) قال : اختلط فنبت بالماء كل لون (مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ) كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار ، وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي .

وقوله (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا) يعني : ظهر حسنها وبهاؤها (وَازَّيَّنَتْ) يقول : وتزينت (وَظَنَّ أَهْلُهَا) يعني : أهل الأرض (أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) يعني : على ما أنبتت ، وخرج الخبر عن الأرض ، والمعنى للنبات ، إذ كان مفهوما بالخطاب ما عني به . وقوله (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا) يقول : جاء الأرض أمرنا يعني قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلا وإما نهارا (فَجَعَلْنَاهَا) يقول : فجعلنا ما عليها (حَصِيدًا) يعني مقطوعة مقلوعة من أصولها ، وإنما هي محصودة صرفت إلى حصيد (كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ) يقول : كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابتة قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس ، وأصله : من غني فلان بمكان كذا ، يغنى به : إذا أقام به ، كما قال النابغة الذبياني :

غَنِيَتْ بذلكَ إذْ هُمُ لي جِيرَةٌ مِنْها بعَطْفِ رِسالَةٍ وتَوَدُّدِ[١]

يقول : فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها ، فيفنيها ويهلكها كما أهلك أمرنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها حتى صارت (كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ) كأن لم تكن قبل ذلك نباتا على ظهرها ، يقول الله جلّ ثناؤه (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول : كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا ، وعرّفناكم حكمها وأمرها ، كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر ، وخصّ به أهل الفكر ، لأنهم أهل التمييز بين الأمور ، والفحص عن حقائق مايعرض من الشبه في الصدور .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا) ... الآية : أي والله لئن تشبث بالدنيا وحدب عليها لتوشكنّ الدنيا أن تلفظه وتقضي منه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَازَّيَّنَتْ) قال : أنبتت وحسنت .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، قال : سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) وما كان الله ليهلكها

(١) البيت للنابغة الذبياني ، وهو السابع من داليته المطولة في وصف المتجردة (مختار الشعر الجاهلي ، طبعة الحلبي ص ١٨٣) وفيه : « إذ هم لك » . وغنيت : أقامت . يقول : أقامته مع مودته ، وهي جارة لك ، فكانت تتودد إليك ، وتعرض لك ، وتعطف رسائلها عليك . وفي (اللسان : غنى) : أغنى القوم بالدار غنى : أقاموا قال الله عز وجل : « كأن لم يغنوا فيها » : أي لم يقيموا فيها .

إلا بذنوب أهلها ، قال : قد قرأتها ، وليست فى المصحف ، فقال عباس بن عبد الله بن العباس هكذا يقرؤها ابن عباس ، فأرسلوا إلى ابن عباس فقال : هكذا أقرأنى أُبىّ بن كعب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ) يقول : كأن لم تعش ، كأن لم تنعم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول فى قراءة أبىّ (كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ) وما أهلكناها إلا بذنوب أهلها (كذلكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَازَّيَّنَتْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق (وَازَّيَّنَتْ) بمعنى : وتزينت ، ولكنهم أدغموا التاء فى الزاى لتقارب مخرجيهما ، وأدخلوا ألفا ليوصل إلى قراءته ، إذ كانت التاء قد سكنت ، والساكن لا يبتدأ به . وحُكى عن أبى العالية وأبى رجاء والأعرج وجماعة أخر غيرهم أنهم قرءوا ذلك (وأَزْيَنَتْ) على مثال أفْعَلَتْ .

والصواب من القراءة فى ذلك (وَازَّيَّنَتْ) لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ٢٥

يقول تعالى ذكره لعباده : أيها الناس لا تطلبوا الدنيا وزينتها ، فإن مصيرها إلى فناء وزوال ، كما مصير النبات الذى ضربه الله لها مثلا إلى هلاك وبوار ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ، ولها فاعملوا ، وما عند الله فالتمسوا بطاعته ، فإن الله يدعوكم إلى داره ، وهى جنّاته التى أعدّها لأوليائه ، تسلموا من الهموم والأحزان فيها ، وتأمنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التى أعدّها لمن دخلها ، وهو يَهْدى من يشاء من خلقه ، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم ، وهو الإسلام الذى جعله جلّ ثناؤه سببا للوصول إلى رضاه ، وطريقا لمن ركبه ، وسلك فيه إلى جنانه وكرامته .

كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الله السلام ، وداره الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَاللهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلامِ) قال : الله هو السلام ، وداره الجنة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « قيلَ لى : لِتَنَمْ عَيْنُكَ ، ولْيَعْقِلْ قَلْبُكَ ، ولْتَسْمَعْ أُذُنُكَ فَنامَتْ عَيْنِى ، وعَقَلَ قَلْبِى ، وسَمِعَتْ أُذُنِى ، ثمَّ قِيلَ سَيِّدٌ بَنَى دارًا ، ثمَّ صَنَعَ مَأْدُبَةً ، ثُمَّ أرْسَلَ داعِيا ، فَمَنْ أجابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ ، وأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ ورَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ ،

---

(١) أى صارت ذات زينة .

ومَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ، ولَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ ، ولَمْ يَرْضَ عَنْهُ السَّيِّدُ ، فاللهُ السَّيِّدُ ، والدَّارُ الإسلامُ ، والمَأْدُبَةُ الجَنَّةُ ، والدَّاعِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ».

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ذُكر لنا أن في التوراة مكتوبا : يا باغي الخير هلمّ ، ويا باغي الشرّ انته .

حدثني الحسين بن سلمة بن أبي كبشة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، قال : ثني خليد العصري ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إلاَّ وبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ، يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كلُّهُمْ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ : يا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إلى رَبِّكُمْ ، إنَّ ما قَلَّ وكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وأَلْهَى » قال : وأنزل ذلك في القرآن في قوله (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « إنِّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كأنَّ جِبْرَائِيلَ عِنْدَ رَأْسِي ، ومِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، يَقُولُ أحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اضْرِبْ لَهُ مَثَلاً . فقالَ : اسْمَعْ سَمِعَتْ أُذُنُكَ ، واعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ : إنَّمَا مَثَلُكَ ومَثَلُ أُمَّتِكَ كمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتًا ، ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو النَّاسَ إلى طَعَامِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أجابَ الرَّسُولَ ، ومِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ فاللهُ المَلِكُ ، والدَّارُ الإسْلامُ ، والبَيْتُ الجَنَّةُ ، وأنْتَ يا مُحَمَّدُ الرَّسُولُ مَنْ أجابَكَ دَخَلَ الإسْلامَ ومَنْ دَخَلَ الإسْلامَ دَخَلَ الجَنَّةَ ، ومَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ أَكَلَ مِنْهَا » .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه ، فأطاعوه فيما أمر ونهى الحسنى .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الحسنى والزيادة اللتين وعدهما المحسنين من خلقه ، فقال بعضهم : الحسنى : هي الجنة ، جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء ، والزيادة عليها النظر إلى الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن أبي بكر الصدّيق (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن

سعيد بن نمران ، عن أبي بكر (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه الله تعالى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، قال في هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الزيادة : النظر إلى وجه الرحمن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم بن نذير ، عن حذيفة (لِلَّذِين أَحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، قال : سمعت أبا إسحاق يقول في قول الله (وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه الرحمن .

حدثني عليّ بن عيسى ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا أبو بكر الهذليّ ، قال : سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدّث عن أبي موسى الأشعري ، قال : إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى أهل الجنة مناديا ينادي : هل أنجزكم الله ما وعدكم ، فينظرون إلى ما أعدّ الله لهم من الكرامة ، فيقولون نعم ، فيقول (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) النظر إلى وجه الرحمن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : أخبرنا أبو تميمة الهجيمي ، قال : سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول : « إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون إلى ما أعدّ الله لهم من الكرامة ، فيرون الحليّ والحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقولون : نعم ، قد أنجزنا الله ماوعدنا ، ثم يقول الملك : هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرّات ، فلا يفقدون شيئا مما وعدوا ، فيقولون نعم ، فيقول : قد بقي لكم شيء ، إن الله يقول (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) ألا إن الحسنى الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني شبيب ، عن أبان ، عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يَبْعَثُ يَوْمَ القِيامَةِ مُنادِيا يُنادِي أَهْلَ الجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ وآخِرَهُمْ ، إنَّ اللهَ وَعَدَكُمُ الحُسْنَى وَزِيادَةٌ ، فالحُسْنَى الجَنَّةُ ، والزِّيادَةُ النَّظَرُ إلى وَجْهِ الرَّحْمَنِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم ، وقرأ (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ) قال : بعد النظر إلى وجه ربهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله (وَزِيادَةٌ) قال : قيل له : أرأيت قوله (لِلَّذِينَ

أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة فأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم قال : نودوا يا أهل الجنة إن الله قد وعدكم الزيادة ، فيتجلى لهم ، قال ابن أبي ليلى : فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم ، وحين صارت الصحف فى أيمانهم ، وحين جاوزوا جسر جهنم ودخلوا الجنة ، وأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم ، كل ذلك لم يكن شيئا فيما رأوا .

قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر وسليمان بن المغيرة ، عن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

قال : ثنا الحجاج ومعلى بن أسد ، قالا : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال لهم : إنه قد بقى من حقكم شىء لم تُعْطَوْه ، قال : فيتجلَّى لهم تبارك وتعالى . قال : فيصغر عندهم كلّ شىء أُعْطُوه . قال : ثم قال (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه ربهم ، ولا يَرْهَقُ وجوههم قَتَر ولا ذلة بعد ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) النظر إلى وجه الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قول الله (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) النظر إلى الربّ .

حدثنا عمرو بن علىّ ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « فى هذه الآية (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ)قال: إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، وأهْلُ النارِ النَّارَ ، نُودُوا يا أهْلَ الجَنَّةِ ، إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِداً ، قالُوا ماهُوَ ؟ ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا ، وَتُثَقِّلْ مَوَازِينَنا ، وَتُدْخِلْنا الجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ ، فَيُكْشَفُ الحِجابُ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ ، فَوَاللهِ ما أعْطاهُمْ شَيْئا أحَبَّ إلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلَيْهِ » ولفظ الحديث لعمرو .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد، عن ثابت ، عن عبدالرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب ، قال : « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قالَ : إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، وأهْلُ النَّارِ النَّارَ ، نادَى مُنادٍ : يا أهْلَ الجَنَّةِ ، إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِداً يُرِيدُ أنْ يُنْجِزَكُمُوهُ ، فَيَقُولُونَ وَما هُوَ ؟ ألَمْ يُثَقِّلِ اللهُ مَوَازِينَنا ، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنا ؟ » ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو بن علىّ وابن بشار ، عن عبد الرحمن .

قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن نمران ، عن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قال . ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى

وَزِيادَةٌ) بلغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد : إن الله وعدكم الحسنى وهى الجنة . وأما الزيادة : فالنظر إلى وجه الرحمن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب بن عجرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الزيادة : النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابط ، قال : الحسنى : النضرة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية ، قال : ثنا أبيّ بن كعب « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،عن قول الله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله » .

وقال آخرون فى الزيادة بما حدثنا به يحيى بن طلحة ، قال ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن الحكم ، عن عليّ رضى الله عنه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الزيادة : غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن الحكم ، عن على رضى الله عنه ، نحوه ، إلا أنه قال : فيها أربعة أبواب .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم بن عتيبة ، عن عليّ رضى الله عنه ، مثل حديث يحيى بن طلحة ، عن فضيل سواء .

وقال آخرون : الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة ، والزيادة : التضعيف إلى تمام العشر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : هو مثل قوله (وَلَدَيْنا مَزِيدٌ) يقول : يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله ، وقال (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها ، وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن علقمة بن قيس (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيادَةٌ) قال : قلت : هذه الحسنى ، فما الزيادة ؟ قال : ألم تر أن الله يقول (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول فى هذه الآية

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الزيادة : بالحسنة عشر أمثالها ، إلى سبع مئة ضعف .

وقال آخرون : الحسنى : حسنة مثل حسنة ، والزيادة : زيادة مغفرة من الله ورضوان .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى) مثلها حسنى وزيادة مغفرة ورضوان .

وقال آخرون : الزيادة ما أعطوا فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الحسنى : الجنة ، وزيادة : ما أعطاهم فى الدنيا لايحاسبهم به يوم القيامة . وقرأ (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فى الدُّنْيا) قال : ما آتاه مما يحبّ فى الدنيا عجّل له أجره فيها .

وكان ابن عباس يقول فى قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى) بما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ابن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى) يقول: للذين شهدوا أن لاإله إلا الله .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة ، وأن تبيض وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه ، وأن يعطيهم غرفا من لآلئ ، وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا كلّ ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التى جعلها الله لأهل جناته ، وعمّ ربنا جلّ ثناؤه بقوله (وَزِيادَةٌ) : الزيادات على الحسنى ، فلم يخصص منها شيئا دون شيء ، وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم ، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله . فأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يعمّ كما عمه عزّ ذكره .

● القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ، أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ :

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ) لايغشى وجوههم كآبة ولا كسوف حتى تصير من الحزن كأنما علاها قتر ، والقتر : الغبار وهو جمع قترة ، ومنه قول الشاعر :

مُتَوَّجٌ بِرداءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُ مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّاياتِ والقَتَرَا[1]

يعنى بالقتر : الغبار ، ولا ذلة : ولا هوان ، أولئك أصحاب الجنة ، يقول هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم

(١) البيت للفرزدق (لسان العرب : قتر) ؛ قال : القتر : جمع القترة ، وهى الغبرة ، ومنه قوله تعالى : « وجوه يومئذ ، عليها غبرة ، ترهقها قترة . عن أبي عبيدة ، وأنشد للفرزدق : متوج . . . البيت .

وقال الأزهرى فى التهذيب : القترة : غبرة يعلوها سواد كالدخان .

أهل الجنة وسكانها ومن هم فيها خالدون ، يقول هم فيها ماكثون أبدا لاتبيد ، فيخافوا زوال نعيمهم ، ولا هم بمخرجين ، فتتنغص عليهم لذتهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

وكان ابن أبى ليلى يقول فى قوله (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ) ما حدثنا محمد بن منصور الطوسى ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد بن زيد قال : ثنا زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ) قال : بعد نظرهم إلى ربهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ومعلى بن أسد ، قالا : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ) قال : سواد الوجوه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : والذين عملوا السيئات فى الدنيا ، فعصوا الله فيها ، وكفروا به وبرسوله ، جزاء سيئة من عمله السيئ الذى عمله فى الدنيا بمثلها من عقاب الله فى الآخرة (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يقول : وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله إياهم (ما لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ) يقول : مالهم من الله من مانع يمنعهم إذا عاقبهم يحول بينه وبينهم .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) قال : تغشاهم ذلة وشدّة .

واختلف أهل العربية فى الرافع للجزاء ، فقال بعض نحويى الكوفة : رفع بإضمار لهم ، كأنه قيل : ولهم جزاء السيئة بمثلها ، كما قال (فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) والمعنى : فعليه صيام ثلاثة أيام قال : وإن شئت رفعت الجزاء بالباء فى قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها) وقال بعض نحويى البصرة : الجزاء مرفوع بالابتداء ، وخبره بمثلها .

قال : ومعنى الكلام : جزاء سيئة مثلها ، وزيدت الباء كما زيدت فى قوله : بحسبك قول السوء ، وقد أنكر ذلك من قول بعضهم فقال : يجوز أن تكون الباء فى حسب ، لأن التأويل : إن قلت السوء فهو حسبك ، فلما لم تدخل فى الجزاء أدخلت فى حسب بحسبك أن تقوم إن قمت ، فهو حسبك ، فإن مدح

ما بعد حسب أدخلت الباء فيما بعدها كقولك : حسبك بزيد ، ولا يجوز : بحسبك زيد ، لأن زيدا الممدوح فليس بتأويل جزاء .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يكون الجزاء مرفوعا بإضمار بمعنى : فلهم جزاء سيئة بمثلها ، لأن الله قال فى الآية التى قبلها (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) فوصف ما أعدّ لأوليائه ، ثم عقب ذلك بالخبر عما أعدّ الله لأعدائه ، فأشبه بالكلام أن يقال : وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة ، وإذا وجه ذلك إلى هذا المعنى كانت الباء صلة للجزاء .

● القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات قطعا من الليل ، وهى جمع قطعة. وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة (كأنما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) قال : ظلمة من الليل .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله تعالى (قِطَعًا) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (قِطَعًا) بفتح الطاء على معنى جمع قطعة ، وعلى معنى أن تأويل ذلك : كأنما أغشيت وجه كلّ إنسان منهم قطعة من سواد الليل ، ثم جمع ذلك فقيل : كأنما أغشيت وجوههم قطعا من سواد ، إذ جمع الوجه . وقرأه بعض متأخرى القرّاء (قِطْعًا) بسكون الطاء ، بمعنى : كأنما أغشيت وجوههم سوادا من الليل ، وبقية من الليل ، ساعة منه ، كما قال (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) أى ببقية قد بقيت منه ، ويعتلّ لتصحيح قراءته ذلك كذلك أنه فى مصحف أبىّ ، ويغشى وجوههم قطع من الليل مظلم .

والقراءة التى لايجوز خلافها عندى ، قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار على تصويبها وشذوذ ما عداها ، وحسب الأخرى دلالة على فسادها ، خروج قارئها عما عليه قرّاء أهل الأمصار والإسلام .

فإن قال لنا قائل : فإن كان الصواب فى قراءة ذلك ما قلت ، فما وجه تذكير المظلم وتوحيده ، وهو من نعت القِطَع والقِطَع جمع لمؤنث ، قيل فى تذكيره ذلك وجهان : أحدهما : أن يكون قطعا من الليل ، وأن يكون من نعت الليل ، فلما كان نكرة ، والليل معرفة نصب على القطع . فيكون معنى الكلام حينئذ : كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل المظلم ، ثم حذفت الألف واللام من المظلم ، فلما صار نكرة وهو من نعت الليل نصب على القطع ، وتسمى أهل البصرة ما كان كذلك حالا ، والكوفيون قطعا . والوجه الآخر على نحو قول الشاعر : لو أنَّ مِدْحَةَ حَيَّ مُنْشِرٌ أحَدًا[1]

والوجه الأول أحسن وجهيه .

(١) هذا شطر من بيت لأبى ذؤيب نقله الأصمعى ، ورواية البيت عنده :

لَوْ كانَ مِدْحَةُ حَيٍّ أنْشَرَتْ أحَدًا أحْيَا أبُوَّتَكَ الشُّمَّ الأماديحُ

وقوله (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول : هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها ، (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يقول : هم فيها ماكثون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعا ، ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والأنداد مكانكم : أي امكثوا مكانكم ، وقفوا في موضعكم أنتم أيها المشركون ، وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان (فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) يقول : ففرّقنا بين المشركين بالله ، وما أشركوه به وبين غيره (١) وأبنته منه ، وقال : فزيلنا إرادة تكثير الفعل وتكريره ، ولم يقل : فزلنا بينهم . وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه فزايلنا بينهم ، كما قيل (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ) ولا تصاعر خدّك ، والعرب تفعل ذلك كثيرا في فعلت ، يلحقون فيها أحيانا ألفا مكان التشديد ، فيقولون : فاعلت إذا كان الفعل لواحد . وأما إذا كان لاثنين فلا تكاد تقول إلا فاعلت ، وقال شركاؤهم : ما كنتم إيانا تعبدون ، وذلك حين (تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ، وَرَأَوُا الْعَذَابَ ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) لما قيل للمشركين اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله ، ونصبت لهم آلهتهم ، قالوا : كنا نعبد هؤلاء ، فقالت الآلهة لهم : ما كنتم إيانا تعبدون .

كما حُدثت عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يكون يوم القيامة ساعة فيها شدّة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدون ، فيقال : هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله ، فتقول الآلهة : والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ، ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا ، فيقولون : والله لإياكم كنا نعبد ، فتقول لهم الآلهة : (فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ، فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) قال : فرّقنا بينهم (وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) قالوا : بلى قد كنا نعبدكم ، (ف)قالوا (كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) ما كنا نسمع ولا نبصر ، ولا نتكلم فقال الله (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) . . . الآية .

ورُوي عن مجاهد ، أنه كان يتأوّل الحشر في هذا الموضع : الموت .

= ووجه الاستشهاد بالبيت على رواية المؤلف ، أن يؤول لفظ مدحة بمعنى المدح ، وهو مذكر ، فيسوغ الإخبار عنه بمنشر . كما يؤول لفظ قطعا من الليل (جمع قطعة) بأن في معنى كثير ، كما أشار إليه أبو البقاء العكبري في إعراب القرآن ، فيسوغ نعته بمظلما . وأما على رواية الأصمعي فلا شاهد في البيت .

(١) لعل فيه سقطا من الناسخ ، والأصل يقال زلت بين الشيء وبين غيره أبنته منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، قال : سمعتهم يذكرون عن مجاهد ، في قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) قال : الحشر : الموت .

والذى قلنا فى ذلك أولى بتأويله ، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه يقول يومئذ للذين أشركوا ماذكر أنه يقول لهم ، ومعلوم أن ذلك غير كائن فى القبر ، وأنه إنما هو خبر عما يقال لهم ، ويقولون فى الموقف بعد البعث .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شركاء المشركين من الآلهة والأوثان لهم يوم القيامة ، إذ قال المشركون بالله لها : إياكم كنا نعبد ، كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم : أى إنها تقول : حسبنا الله شاهدا بيننا وبينكم أيها المشركون ، فإنه قد علم أنا ما علمنا ما تقولون ، إنا كنا عن عبادتكم لغافلين ، يقول : ما كنا عن عبادتكم إيانا دون الله إلا غافلين ، لانشعر به ، ولا نعلم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ) قال : ذلك كلّ شيء يُعبد من دون الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنى إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لغَافِلِينَ) قال : يقول ذلك كلّ شيء كان يعبد من دون الله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (هُنالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ) بالباء ، بمعنى : عند ذلك تختبر كلّ نفس بما قدّمت من خير أو شرّ ، وكان ممن يقرؤه ، ويتأوّله كذلك مجاهد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (هُنالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ) قال : تختبر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة ، وبعض أهل الحجاز (تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ) بالتاء .

واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه وتأويله : هنالك تتبع كلّ نفس ماقدمت فى الدنيا لذلك اليوم . ورُوى بنحو ذلك خبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم من وجه وسند غير مرتضى أنه

قال : « يُمَثَّلُ لِكُلِّ قَوْمٍ ماكانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، فَيَتَّبِعُونَهُمْ حتى يُورِدُوهُمُ النَّارَ . قال : ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هُنالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أسْلَفَتْ)» وقال بعضهم : بل معناه : تتلو كتاب حسناته وسيئاته ، يعنى تقرأ كما قال جلّ ثناؤه : (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلْقاهُ مَنْشُورًا) .

وقال آخرون : تبلو : تعاين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هُنالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أسْلَفَتْ) قال : ماعملت . تبلو : تعاينه .

* والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء ، وهما متقاربتا المعنى ، وذلك أن من تبع فى الآخرة ما أسلف من العمل فى الدنيا ، هجم به على مورده ، فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيئ فى الدنيا ، وإن من خير من أسلف فى الدنيا من أعماله فى الآخرة ، فانما يخبر بعد مصيره إلى حيث أحله ما قدم فى الدنيا من عمله ، فهو فى كلتا الحالتين متبع ما أسلف من عمله مختبر له ، فبأيّهما قرأ القارئ كما وصفنا ، فمصيب الصواب فى ذلك .

وأما قوله (وَرُدُّوا إلى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ) فإنه يقول : ورجع هؤلاء المشركون يومئذ إلى الله الذى هو ربهم ومالكهم الحقّ ، لاشكّ فيه دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والأنداد (وَضَلَّ عَنْهُمْ ماكانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وبطل عنهم ماكانوا يتخرّصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء ، وأنها تقرّبهم منه زلفى .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَرُدُّوا إلى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) قال : ما كانوا يدعون معه من الأنداد والآلهة ما كانوا يفترون الآلهة ، وذلك أنهم جعلوها أندادا وآلهة مع الله افتراء وكذبا .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٣١

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الأوثان والأصنام (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ) الغيث والقطر ، ويطلع لكم شمسها ، ويغطش ليلها ، ويخرج ضحاها (وَ) من (الأرْضِ) أقواتكم وغذاءكم الذى ينبته لكم ، وثمار أشجارها (أمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبْصارَ) يقول : أم من ذا الذى يملك أسماعكم وأبصاركم التى تسمعون بها أن يزيد فى قواها أو يسلبكموها ، فيجعلكم

صمًا ، وأبصاركم التى تبصرون بها أن يضيئها لكم وينيرها ، أو يذهب بنورها فيجعلكم عميا لاتبصرون (وَمَنْ يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ) يقول : ومن يخرج الشيء الحىّ من الميت (وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) يقول : ويخرج الشيء الميت من الحىّ .

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل ،والصواب من القول عندنا فى ذلك بالأدلة الدالة على صحته فى سورة آل عمران بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

(وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ) وقل لهم : من يدبر أمر السماء والأرض وما فيهنّ ، وأمركم وأمر الخلق ، (فَسَيَقُولُونَ اللهُ) يقول جلّ ثناؤه : فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذى يفعل ذلك كله الله (فَقُلْ أفَلا تَتَّقُونَ) يقول : أفلا تخافون عقاب الله على شرككم ، وادّعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته ، وعبادتكم معه ، من لايرزقكم شيئا ، ولا يملك لكم ضرًا ولا نفعا .

القول فى تأويل قوله تعالى:

فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره لخلقه : أيها الناس ، فهذا الذى يفعل هذه الأفعال ، فيرزقكم من السماء والأرض ويملك السمع والأبصار ، ويخرج الحىّ من الميت ، والميت من الحىّ ، ويدبّر الأمر (اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ) لاشكّ فيه (فَمَاذا بَعْدَ الحَقِّ إلاَّ الضَّلالُ) يقول : فأىّ شيء سوى الحقّ إلا الضلال وهو الجور عن قصد السبيل ، يقول : فاذا كان الحقّ هو ذا ، فادّعاؤكم غيره إلها وربا هو الضلال والذهاب عن الحقّ لاشكّ فيه (فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) يقول : فأىّ وجه عن الهدى والحقّ تصرفون ، وسواهما تسلكون وأنتم مقرّون بأن الذى تصرفون عنه هو الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى:

كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره : كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحقّ إلى الضلال (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) يقول : وجب عليهم قضاؤه وحكمه فى السابق من علمه (على الَّذِينَ فَسَقُوا) فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته ، وكفروا به (أَنَّهُمْ لايُؤْمِنُونَ) يقول: لايصدقون بوحدانية الله ولا بنبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى:

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ) يعنى من الآلهة والأوثان (مَنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟) يقول : من ينشئ خلق شىء من غير أصل ، فيحدث خلقه ابتداء ، ثم يعيده ، يقول : ثم يفنيه بعد إنشائه ، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه ، فإنهم لايقدرون على دعوى ذلك لها ، وفى ذلك الحجة القاطعة ، والدلالة الواضحة على أنهم فى دعواهم أنها أرباب ، وهى لله فى العبادة شركاء كاذبون مفترون ، ف(قُلِ) لهم حينئذ يا محمد (اللهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ) فينشئه من غير شىء ، ويحدثه من غير أصل ، ثم يفنيه إذا شاء (ثُمَّ يُعِيدُهُ) إذا أراد كهيئته قبل الفناء (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) يقول : فأىّ وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تصرفون وتقلبون .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) قال : أنى تصرفون .

وقد بيَّنا اختلاف المختلفين فى تأويل قوله (أَنَّى تُؤْفَكُونَ) والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده فى سورة الأنعام .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين (هَلْ مِنْ شُرَكائِكم) الذين تدعون من دون الله ، وذلك آلهتهم وأوثانهم (مَنْ يَهْدِى إلى الحَقّ) يقول : من يرشد ضالا من ضلالته إلى قصد السبيل ، ويسدّد جائرا عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم ، فإنهم لايقدرون أن يدّعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالا ، أو تهدى حائرا ، وذلك أنهم إن ادّعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة ، وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعاينة ، فاذا قالوا لا وأقرّوا بذلك ، فقل لهم ، فالله يهدى الضالّ عن الهدى إلى الحقّ (أَفَمَنْ يَهْدِى) أيها القوم ضالا (إلى الحَقّ) ، وجائرا عن الرشد إلى الرشد (أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ) إلى ما يدعو إليه (أَمْ مَنْ لا يَهْدِى إلاَّ أَنْ يُهْدَى) .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة (أَمْ مَنْ لا يَهْدّى)بتسكين الهاء ، وتشديد الدال ، فجمعوا بين ساكنين ، وكأن الذى دعاهم إلى ذلك أنهم وجهوا أصل الكلمة إلى أنه أم مَن لايهتدى ووجدوه فى خطّ المصحف بغير ما قرروا ، وأن التاء حذفت لما أدغمت فى الدال ، فأقرّوا الهاء ساكنة على أصلها الذى كانت عليه ، وشدّدوا الدال طلبا لإدغام التاء فيها ، فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال ، وكذلك فعلوا فى قوله (وَقُلْنا لَهُمْ لاتَعْدُوا فى السَّبْتِ) فى قوله (يَخْصّمونَ) ، وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والشام والبصرة (يَهَدّى) بفتح الهاء وتشديد الدال ،وأمّوا ما أمّه المدنيون من الكلمة غير أنهم

نقلوا حركة التاء من يهتدى ، إلى الهاء الساكنة ، فحرّكوا بحركتها ، وأدغموا التاء فى الدال فشدّدوها ، وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة (يَهِدّى) بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ، بنحو ما قصده قرّاء أهل المدينة ، غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من يهتدى استثقالا للفتحة بعدها كسرة فى حرف واحد . وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الكوفيين (أمْ مَنْ لا يَهْدِى) بتسكين الهاء وتخفيف الدال ، وقالوا : إن العرب تقول : هديت : بمعنى اهتديت ، قالوا : فمعنى قوله (أم مَنْ لا يَهْدِى) : أم من لايهتدى (إلاّ أنْ يَهْدِى) .

❁ وأولى القراءة فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ (أمْ مَنْ لا يَهَدّى) بفتح الهاء وتشديد الدال لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك ، وإن ذلك لايدفع صحته ذو علم بكلام العرب ، وفيهم المنكر غيره ، وأحقّ الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التى نزل بها كلام الله تبارك وتعالى .

فتأويل الكلام إذًا : أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع ، أم من لايهتدى إلى شىء إلا أن يهدى .

وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك : أم من لايقدر أن ينتقل عن مكانه إلا أن ينقل .

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أفَمَنْ يَهْدِى إلى الحَقّ أحَقّ أنْ يُتّبَعَ أمْ مَنْ لا يَهَدّى إلاّ أنْ يَهْدِى) قال : الأوثان ، الله يهدى منها ومن غيرها من شاء لما شاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أمَنْ لا يهَدّى إلاّ أنْ يَهْدِى) قال : قال : الوثن .

وقوله (فمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) ألا تعلمون أن من يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع ، من الذى لايهتدى إلى شىء ، إلا أن يهديه إليه هاد غيره ، فتتركوا اتباع من لايهتدى إلى شىء وعبادته، وتتبعوا من يهديكم فى ظلمات البرّ والبحر ، وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده دون ماتشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظنا ، يقول : إلا ما لاعلم لهم بحقيقته وصحته ، بل هم منه فى شكّ وريبة (إنّ الظّنّ لا يُغْنِى مِنَ الحَقّ شَيْئًا) يقول : إن الشكّ لايغنى من اليقين شيئا ، ولا يقوم فى شىء مقامه ، ولا ينتفع به حيث يحتاج إلى اليقين (إنّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظنّ ، وتكذيبهم الحقّ اليقين ، وهو لهم بالمرصاد ، حيث لايغنى عنهم ظنهم من الله شيئا .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ما ينبغي لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ، يقول : ما ينبغي له أن يتخرّصه أحد من عند غير الله ، وذلك نظير قوله (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) بمعنى : ما ينبغي لنبيّ أن يغله أصحابه . وإنما هذا خبر من الله جلّ ثناؤه أن هذ القرآن من عنده ، أنزله إلى محمد عبده ، وتكذيب منه للمشركين الذين قالوا : هو شعر وكهانة ، والذين قالوا : إنما يتعلمه محمد من يعيش الرومى . يقول لهم جلّ ثناؤه : ما كان هذا القرآن ليختلقه أحد من عند غير الله ، لأن ذلك لايقدر عليه أحد من الخلق (وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول تعالى ذكره : ولكنه من عند الله أنزله مصدّقا لما بين يديه : أى لما قبله من الكتب التى أنزلت على أنبياء الله كالتوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه (وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ) يقول : وتبيان الكتاب الذى كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفرائضه التى فرضها عليهم فى السابق من علمه (لارَيْبَ فِيهِ) يقول : لاشكّ فيه أنه تصديق الذى بين يديه من الكتاب وتفصيل الكتاب من عند ربّ العالمين ، لاافتراء من عند غيره ولا اختلاق .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

❊ يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون : افترى محمد هذا القرآن من نفسه ، فاختلقه وافتعله ، قل يامحمد لهم : إن كان كما تقولون إنى اختلقته وافتريته ، فإنكم مثلى من العرب ، ولسانى وكلامى مثل لسانكم ، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن ، والهاء فى قوله مثله كناية عن القرآن . وقد كان بعض نحويى البصرة يقول : معنى ذلك : قل فأتوا بسورة مثل سورته ، ثم ألقيت سورة ، وأضيف المثل إلى ماكان مضافا إليه السورة ، كما قيل (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) يراد به : واسأل أهل القرية . وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ويزعم أن معناه : فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى أن السورة إنما هى سورة من القرآن ، وهى قرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن ، فقيل لهم (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) ولم يقل : مثلها ، لأن الكناية أخرجت على المعنى ، أعنى معنى السورة ، لاعلى لفظها ، لأنها لو أخرجت على لفظها لقيل : فأتوا بسورة مثلها (وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : وادعوا أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها من قدرتم أن تدعوا

على ذلك من أوليائكم وشركائكم من دون الله ، يقول : من عند غير الله ، فأجمعوا على ذلك واجتهدوا ، فإنكم لاتستطيعون أن تأتوا بسورة مثله أبدا .

وقوله (إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول : إن كنتم صادقين فى أن محمدا افتراه ، فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على الإتيان بها ، فإن لم تفعلوا ذلك ، فلا شكّ أنكم كذبة فى زعمكم أن محمدا افتراه ، لأن محمدا لن يعدو أن يكون بشرا مثلكم ، فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورة مثله ، فالواحد منهم عن أن يأتى بجميعه أعجز .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ، ولكن بهم التكذيب (بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) مما أنزل الله عليك فى هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم بربهم (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) يقول : ولما يأتهم بعد بيان ما يئول إليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى هذا القرآن (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره : كما كذّب هؤلاء المشركون يا محمد بوعيد الله ، كذلك كذّب الأمم التى خلت قبلهم بوعيد الله إياهم على تكذيبهم رسلهم ، وكفرهم بربهم (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد كيف كان عقبى كفر من كفر بالله ، ألم نهلك بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالخسف ، وبعضهم بالغرق ، يقول : فإن عاقبة هؤلاء الذين يكذّبونك ، ويجحدون بآياتى من كفار قومك ، كالتى كانت عاقبة من قبلهم من كفرة الأمم ، إن لم ينيبوا من كفرهم ، ويسارعوا إلى التوبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : ومن قومك يا محمد من قريش من سوف يؤمن به ، يقول : من سوف يصدّق بالقرآن ، ويقرّ أنه من عند الله (وَمِنْهُمْ مَنْ لايُؤْمِنُ بِهِ) أبدا ، يقول : ومنهم من لايصدّق به ، ولا يقرّ أبدا (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) يقول : والله أعلم بالمكذّبين به منهم ، الذين لايصدّقون به أبدا من كل أحد لايخفى عليه ، وهو من وراء عقابه . فأما من كتبت له أنه يؤمن به منهم فإنى سأتوب عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : وإن كذّبك يا محمد هؤلاء المشركون وردّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك ، فقل لهم : أيها القوم لى دينى وعملى ، ولكم دينكم وعملكم ، لايضرّنى عملكم ، ولا يضرّكم عملى ، وإنما يجازى كلّ عامل بعمله (أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ) لاتؤاخذون بجريرته (وأنا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) لاأؤاخذ بجريرة عملكم ، وهذا كما قال جلّ ثناؤه (قُلْ يا أَيُّها الكافِرُونَ . لاأَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ . وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ) وقيل : إن هذه الآية منسوخة ، نسخها الجهاد والأمر بالقتال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لى عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ) . . . الآية ، قال : أمره بهذا ثم نسخه ، وأمره بجهادهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إلى قولك ، (أفأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لايَعْقِلُونَ) يقول : أفأنت تخلق لهم السمع ، ولو كانوا لاسمع لهم يعقلون به ، أم أنا ؟ وإنما هذا إعلام من الله عباده أن التوفيق للإيمان به بيده لاإلى أحد سواه، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أنك لاتقدر أن تسمع يا محمد من سلبته السمع ، فكذلك لاتقدر أن تفهم أمرى ونهيى ، قلبا سلبته فهم ذلك ، لأنى ختمت عليه أنه لايؤمن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المشركين ، مشركى قومك ، من ينظر إليك يامحمد ، ويرى أعلامك وحججك على نبوّتك ، ولكن الله قد سلبه التوفيق فلا يهتدى ، ولا تقدر أن تهديه ، كما لاتقدر أن تحدث للأعمى بصرا يهتدى به (أفأَنْتَ تَهْدِى العُمْيَ وَلَوْ كانُوا لايُبْصِرُونَ) يقول : أفأنت يا محمد تحدث لهؤلاء الذين ينظرون إليك وإلى أدلتك وحججك ، فلا يوفقون للتصديق بك أبصارا لو كانوا عميا يهتدون بها ويبصرون ، فكما أنك لاتطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك ، ولا يقدر عليه أحد سواى ، فكذلك لاتقدر على أن تبصرهم سبيل الرشاد ، أنت ولا أحد غيرى ، لأن ذلك بيدى وإلىّ ، وهذا من الله تعالى ذكره تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم عن جماعة ممن كفر به من قومه ، وأدبر عنه فكذّب ، وتعزية له عنهم ، وأمر برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

✿ يقول تعالى ذكره : إن الله لايفعل بخلقه ما لايستحقون منه ، لايعاقبهم إلا بمعصيتهم إياه ، ولا يعذّبهم إلا بكفرهم به ، ولكن الناس يقول : ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم مايورثها غضب الله وسخطه ، وإنما هذا إعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، أنه لم يسلب هؤلاء الذين أخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم لايؤمنون الإيمان ابتداء منه بغير جرم سلف منهم ، وإخبار أنه إنما سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه لذنوب اكتسبوها ، فحقّ عليهم قول ربهم (وَطَبَعَ على قُلُوبِهِم)

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾

✿ يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء المشركين ، فنجمعهم في موقف الحساب كأنهم كانوا قبل ذلك ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم ، ثم انقطعت المعرفة ، وانقضت تلك الساعة ، يقول الله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الله ، وَما كانُوا مُهْتَدِينَ) ، قد غبن الذين جحدوا ثواب الله وعقابه ، وحظوظهم من الخير ، وهلكوا . وما كانوا مهتدين ، يقول : وما كانوا موفقين لإصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله لأنه أكسبهم ذلك مالاقبَل لهم به من عذاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾

✿ يقول تعالى ذكره : وإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب ، أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فيهم (فإلَيْنا مَرْجِعُهُمْ) يقول : فمصيرهم بكلّ حال إلينا ومنقلبهم (ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ على ما يَفْعَلُونَ) يقول جلّ ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا ، وأنا عالم بها لايخفى عليّ شيء منها ، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إليّ ، ومرجعهم ، جزاءهم الذي يستحقونه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وإمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) من العذاب في حياتك (أوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل (فإلَيْنا مَرْجِعُهُمْ)

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولكلّ أمة خلت قبلكم أيها الناس رسول أرسلته إليهم ، كما أرسلت محمدا إليكم يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته ، فإذا جاء رسولهم ، يعنى فى الآخرة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ولِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فإذَا جاءَ رَسُولُهُمْ) قال : يوم القيامة . وقوله (قُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ) يقول قضى حينئذ بينهم بالعدل (وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) من جزاء أعمالهم شيئا ، ولكن يجازى المحسن بإحسانه ، والمسىء من أهل الإيمان ، إما أن يعاقبه الله ، وإما أن يعفو عنه ، والكافر يخلد فى النار ، فذلك قضاء الله بينهم بالعدل ، وذلك لاشكّ عدل لاظلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ) قال : بالعدل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ويقول هؤلاء المشركون من قومك يا محمد (مَتَى هَذَا الوَعْدُ) الذى تعدنا أنه يأتينا من عند الله ، وذلك قيام الساعة (إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنت ومن تبعك فيما تعدوننا به من ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لمستعجليك وَعيدَ الله ، القائلين لك : متى يأتينا الوعد الذى تعدنا إن كنتم صادقين : لاأملك لنفسى أيها القوم : أى لا أقدر لها على ضرّ ولا نفع فى دنيا ولا دين إلا ما شاء الله أن أملكه ، فأجلبه إليها باذنه ، يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : فإذ كنت لاأقدر على ذلك إلا بإذنه ، فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ، ومعرفة قيام الساعة أعجز وأعجز ، إلاّ بمشيئته وإذنه لى فى ذلك (لكلّ أمة أجَلٌ) يقول: لكلّ قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم ، فإذا جاء

وقت انقضاء أجلهم ، وفناء أعمارهم ، لايستأخرون عنه ساعة ، فيُمهَلُون ويُؤَخَّرون ، ولا يستقدمون قبل ذلك ؛ لأن الله قضى أن لايتقدّم ذلك قبل الحين الذى قدّره وقضاه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك : أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بياتا ، يقول : ليلا أو نهارا ، وجاءت الساعة ، وقامت القيامة ، أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم ، يقول الله تعالى ذكره : ماذا يَستعجل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله ، وهم الصالون بحره دون غيرهم ، ثم لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : أهنالك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به ، يقول : صدّقتم به فى حال لاينفعكم فيها التصديق ، وقيل لكم حينئذ : آلآن تصدّقون به ، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون ، وأنتم بنزوله مكذّبون ، فذوقوا الآن ما كنتم به تكذّبون ، ومعنى قوله (أَثُمَّ) فى هذا الموضع : أهنالك وليست « ثم » هذه هاهنا التى تأتى بمعنى العطف .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بكفرهم بالله (ذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ) تجرّعوا عذابَ الله الدّائم لكم أبدا ، الذى لافناء له ولا زوال (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : يقال لهم : فانظروا (هَلْ تُجْزَوْنَ) أى هل تثابون (إِلاَّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : إلا بما كنتم تعملون فى حياتكم قبل مماتكم من معاصى الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره : ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فيقولون لك : أحقّ ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله فى الدار الآخرة جزاء على ما كنا نكسب من معاصى الله فى الدنيا ؟ قل لهم يا محمد إى وربى إنه لحقّ لاشكّ فيه ، وما أنتم بمعجزى الله إذا أراد ذلك بكم بهرب أو امتناع ، بل أنتم فى قبضته وسلطانه وملكه ، إذا أراد فعل ذلك بكم ، فاتقوا الله فى أنفسكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولو أن لكلّ نفس كفرت بالله ، وظلمها فى هذا الموضع : عبادتها غير من يستحقّ عبادة وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ، (ما فى الأرض) من قليل أو كثير (لافتدت به) يقول : لافتدت بذلك كله من عذاب الله إذا عاينته . وقوله (وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب) يقول : وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم ، وأيقنوا أنه واقع بهم (وقضى بينهم بالقسط) يقول : وقضى الله يومئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل (وهم لا يظلمون) وذلك أنه لايعاقب أحدا منهم إلا بجريرته ، ولا يأخذه بذنب أحد ، ولايعذّب إلا من قد أعذر إليه فى الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول جلّ ذكره : ألا إن كلّ ما فى السموات وكلّ ما فى الأرض من شىء لله ملك ، لاشىء فيه لأحد سواه ، يقول : فليس لهذا الكافر بالله يومئذ شىء يملكه ، فيفتدى به من عذاب ربه ، وإنما الأشياء كلها للذى إليه عقابه ، ولو كانت له الأشياء التى هى فى الأرض ثم افتدى بها لم يقبل منه بدلا من عذابه . فيصرف بها عنه العذاب ، فكيف وهو لاشىء له يفتدى به منه ، وقد حقّ عليه عذاب الله ، يقول الله جلّ ثناؤه (ألا إنّ وعد الله حق) يعنى أن عذابه الذى أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم حقّ ، فلا عليهم أن لايستعجلوا به ، فإنه بهم واقع لاشكّ (ولكنّ أكثرهم لايعلمون) يقول : ولكن أكثر هؤلاء المشركين لايعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم ، فهم من أجل جهلهم به مكذّبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله هو المحيى المميت لايتعذّر عليه فعل ما أراد فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم ولا إماتتهم إذا أراد ذلك ، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم ، فيعاينون ما كانوا به مكذّبين من وعيد الله وعقابه .

القول في تأويل قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره لخلقه (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) يعني ذكرى ، تذكركم عقاب الله ، وتخوفكم وعيده من ربكم ، يقول : من عند ربكم لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم ولم يفتعلها أحد ، فتقولوا : لانأمن أن تكون لاصحة لها ، وإنما يعني بذلك جل ثناؤه القرآن ، وهو الموعظة من الله . وقوله (وشفاء لما في الصدور) يقول : ودواء لما في الصدور من الجهل ، يشفي به الله جهل الجهال ، فيبرئ به داءهم ، ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به (وهدى) يقول : وهو بيان لحلال الله وحرامه ، ودليل على طاعته ومعصيته (ورحمة) يرحم بها من شاء من خلقه ، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى ، وينجيه به من الهلاك والردى ، وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به ، لأن من كفر به فهو عليه عمى ، وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود في لظى .

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بك ، وبما أنزل إليك من عند ربك (بفضل الله) أيها الناس الذي تفضل به عليكم ، وهو الإسلام ، فبينه لكم ، ودعاكم إليه (وبرحمته) التي رحمكم بها ، فأنزلها إليكم ، فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه ، وبصركم بها معالم دينكم ، وذلك القرآن (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يقول : فإن الإسلام الذي دعاهم إليه والقرآن الذي أنزله عليهم ، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، في قوله (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) قال : بفضل الله القرآن وبرحمته أن جعلكم من أهله .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن هلال بن يساف (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) قال : بالإسلام الذي هداكم ، وبالقرآن الذي علمكم .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف

(قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : بالإسلام والقرآن (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُون) من الذهب والفضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : فضل الله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : الإسلام والقرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم وقبيصة ، قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف مثله.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أما فضله : فالإسلام ، وأما رحمته : فالقرآن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : فضله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَبِرَحْمَتِهِ) قال : القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) قال : الأموال وغيرها .

حدثنا على بن داود ، قال : ثنى أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) يقول : فضله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بكتاب الله وبالإسلام (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

وقال آخرون : بل الفضل : القرآن ، والرحمة : الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله(قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) قال : بفضل الله: القرآن ، وبرحمته : حين جعلهم من أهل القرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، قال : فضل الله : القرآن ، ورحمته : الإسلام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : بفضل الله : القرآن ، وبرحمته : الإسلام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : كان أبى يقول : فضله : القرآن ، ورحمته : الإسلام .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (فَلْيَفْرَحُوا) بالياء (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) بالياء أيضا على التأويل الذى تأوّلناه من أنه خبر عن أهل الشرك بالله ، يقول : فبالإسلام والقرآن الذى دعاهم إليه فليفرح هؤلاء المشركون ، لا بالمال الذى يجمعون ، فان الإسلام والقرآن خير من المال الذى يجمعون .

وكذلك حُدثت عن عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن أبى التياح (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يعنى الكفار .

ورُوى عن أبىّ بن كعب فى ذلك ماحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أسلم المنقرى ، عن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن أبىّ بن كعب أنه كان يقرأ (فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ) بالتاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم عن الأجلح ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى ، عن أبيه ، عن أبىّ بن كعب مثل ذلك ، وكذلك كان الحسن البصرى يقول : غير أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ قوله (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) بالياء الأوّل على وجه الخطاب ، والثانى على وجه الخبر عن غائب ، وكان أبو جعفر القارئ فيما ذكر عنه يقرأ ذلك نحو قراءة أبىّ بالتاء جميعا .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قرّاء الأمصار من قراءة الحرفين جميعا بالياء (فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القرّاء عليه . والثانى : صحته فى العربية ، وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء ، وإنما تأمره فتقول ، افعل ولا تفعل .

وبعد : فانى لا أعلم أحدا من أهل العربية إلا وهو يستردئ أمر المخاطب باللام ، ويرى أنها لغة مرغوب عنها غير الفراء ، فإنه كان يزعم أن اللام فى ذى التاء الذى خلق له واجهت به أم لم تواجه ، إلا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الأمر خاصة فى كلامهم ، كما حذفوا التاء من الفعل ، قال : وأنت تعلم أن الجازم والناصب لا يقعان إلا على الفعل الذى أوله الياء والتاء والنون والألف ، فلما حذفت التاء ذهبت اللام ، وأحدثت الألف فى قولك : اضرب وافرح ، لأن الفاء ساكنة ، فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن ، فأدخلوا ألفا خفيفة يقع بها الابتداء ، كما قالوا : ادّاركتم واثّاقلتم . وهذا الذى اعتلّ به الفراء عليه لا له ، وذلك أن العرب إن كانت قد حذفت اللام فى المواجه وتركتها ، فليس لغيرها إذا نطق بكلامها أن يدخل فيه ما ليس منه ، ما دام متكلما بلغتها ، فإن فعل ذلك كان خارجا عن لغتها ، وكلام

الله الذى أنزله على محمد بلسانها ، فليس لأحد أن يتلوه إلا بالأفصح من كلامها ، وإن كان معروفا بعض ذلك من لغة بعضها ، فكيف بما ليس بمعروف من لغة حيّ ولا قبيلة منها ، وإنما هو دعوى لاثبت بها ولا حجة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ ٥٩

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين (أرَأَيْتُمْ) أيها الناس (ما أنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ) يقول : ما خلق الله لكم من الرزق فخوّلكموه ، وذلك ما تتغذّون به من الأطعمة (فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً) يقول : فحللتم بعض ذلك لأنفسكم ، وحرّمتم بعضه عليها وذلك كتحريمهم ما كانوا يحرّمونه من حروثهم التي كانوا يجعلونها لأوثانهم ، كما وصفهم الله به ، فقال (وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا ، فَقالُوا هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ ، وَهَذَا لِشُرَكائِنا) ومن الأنعام ما كانوا يحرّمونه بالتبحير والتسييب ونحو ذلك ، مما قدمناه فيما مضى من كتابنا هذا ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد (آللهُ أذِنَ لَكُمْ) بأن تحرّموا ما حرّمتم منه (أمْ على اللهِ تَفْتَرُونَ) : أى تقولون الباطل وتكذبون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : إن أهل الجاهلية كانوا يحرّمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها ، وهو قول الله (قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً) وهو هذا ، فأنزل الله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أخْرَجَ لِعِبادِهِ) . . . الآية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ) . . . إلى قوله (أمْ على اللهِ تَفْتَرُونَ) قال : هم أهل الشرك .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً) قال : الحرث والأنعام .

قال ابن جريج : قال مجاهد : البحائر والسيب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً) قال : فى البحيرة والسائبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ أرأيتُمْ ما أنزَلَ اللهُ لكُمْ مِنْ رِزْقٍ فجَعَلتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً) . . . الآية ، يقول : كلّ رزق لم أحرّم حرّمتموه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم (آللهُ أذِنَ لكُمْ) فيما حرّمتم من ذلك (أمْ عَلى الله تفْتَرُونَ)؟

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ أرأيتُمْ ما أنزَلَ اللهُ لكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً) فقرأ حتى بلغ (أمْ على الله تَفْتَرُونَ) . وقرأ (وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَمُحَرَّمٌ على أزْوَاجِنا) . وقرأ (وَقالُوا هَذِهِ أنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ) . . . حتى بلغ (لايَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْها) فقال : هذا قوله : جعل لهم رزقا ، فجعلوا منه حراما وحلالا ، وحرّموا بعضه ، وأحلّوا بعضه . وقرأ (ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ : مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أمِ الأُنْثَيَيْنِ ، أمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ) أىّ هذين حرّم على هؤلاء الذين يقولون ؟ وأحلّ لهؤلاء (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذا) . . . إلى آخر الآيات .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قُلْ أرأيتُمْ ما أنزَلَ اللهُ لكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً) هو الذى قال الله : (وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً) . . . إلى قوله (ساءَ ما يَحْكُمُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وما ظنّ هؤلاء الذين يتخرّصون على الله الكذب فيُضيفون إليه تحريم ما لم يحرّمه عليهم من الأرزاق والأقوات التى جعلها الله لهم غذاء . أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفريتهم عليه ، أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر ، كلا بل يصليهم سعيرا خالدين فيها أبدا (إنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ على النَّاسِ) يقول : إن الله لذو تفضل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة فى الدنيا ، وإمهاله إياه إلى وروده عليه فى القيامة (وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لايَشْكُرُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس لايشكرونه على تفضله عليهم بذلك ، وبغيره من سائر نعمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ

فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَمَا تَكُونُ) يا محمد (فِي شَأْنٍ) يعنى فى عمل من الأعمال (وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) يقول : وما تقرأ من كتاب الله من قرآن (وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ) يقول : ولا تعملون من عمل أيها الناس من خير أو شرّ (إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا) يقول : إلا ونحن شهود لأعمالكم وشئونكم ، إذ تعملونها وتأخذون فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك رُوِى القول عن ابن عباس وجماعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) يقول : إذ تفعلون .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذ تشيعون فى القرآن الكذب .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبى روق ، عن الضحاك (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) يقول : فتشيعون فى القرآن من الكذب .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذ تفيضون فى الحقّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) فى الحقّ ما كان .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فيه ، لأنه تعالى ذكره أخبر أنه لا يعمل عبادُه عملا إلا كان شاهده ، ثم وصل ذلك بقوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) فكان معلوما أن قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) إنما هو خبر منه عن وقت عمل العاملين ، أنه له شاهد لا عن وقت تلاوة النبىّ صلى الله عليه وسلم القرآن ، لأن ذلك لو كان خبرا عن شهوده تعالى ذكره وقت إفاضة القوم فى القرآن ، لكانت القراءة بالياء (إِذْ يُفِيضُونَ فِيهِ) خبرا منه عن المكذّبين فيه .

فإن قال قائل : ليس ذلك خبرا عن المكذّبين ، ولكن خطاب للنبىّ صلى الله عليه وسلم أنه شاهده إذ تلا القرآن ، فان ذلك[1] لو كان كذلك لكان التنزيل : إذ تفيض فيه ، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم واحد لا جمع

(١) قوله « فإن ذلك » : هو ابتداء رد المؤلف على الاعتراض الذى قدمه .

كما قال (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرآنٍ) فأفرده بالخطاب ، ولكن ذلك[١] فى ابتدائه خطابه صلى الله عليه وسلم بالإفراد ، ثم عوده إلى إخراج الخطاب على الجمع ، نظير قوله (يا أيُّها النَّبِيّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ) وذلك أن فى قوله (إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ) دليلا واضحا على صرفه الخطاب إلى جماعة المسلمين مع النبيّ صلى الله عليه وسلم مع جماعة الناس غيره[٢] ، لأنه ابتدأ خطابه ، ثم صرف الخطاب إلى جماعة الناس ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم فيهم ، وخبر عن أنه لايعمل أحد من عباده عملا إلا وهو له شاهد يحصى عليه ، ويعلمه كما قال (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ) يا محمد عمل خلقه ، ولا يذهب عليه علم شيء حيث كان من أرض أو سماء ، وأصله من عزوب الرجل عن أهله فى ما شيته ، وذلك غيبته عنهم فيها ، يقال منه : عزب الرجل عن أهله يعزب ، ويعزِب لغتان فصيحتان ، قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء ، وبأيّهما قرأ القارئ فمصيب ، لاتفاق معنييهما واستفاضتهما فى منطق العرب ، غير أنى أميل إلى الضمّ فيه ، لأنه أغلب على المشهورين من القرّاء .

وقوله (مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ) يعنى : من زنة نملة صغيرة ، يحكى عن العرب : خذ هذا فانه أخفّ مثقالا من ذاك : أى أخفّ وزنا ، والذرّة واحدة الذرّ ، والذرّ : صغار النمل ، وذلك خبر عن أنه لايخفى عليه جلّ جلاله أصغر الأشياء ، وإن خفّ فى الوزن كلّ الخفة ، ومقادير ذلك ومبلغه ، ولا أكبرها وإن عظم وثقل وزنه ، وكم مبلغ ذلك ؟ يقول تعالى ذكره لخلقه : فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضى ربكم عنكم ، فإنا شهود لأعمالكم ، لايخفى علينا شيء منها ، ونحن محصوها ومجازوكم بها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ) فقرأ ذلك عامّة القرّاء بفتح الراء من أصغر وأكبر على أن معناها الخفض عطفا بالأصغر على الذرّة ، وبالأكبر على الأصغر ، ثم فتحت راؤهما ، لأنهما لايجريان . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ) رفعا ، عطفا بذلك على معنى المثقال ، لأن معناه الرفع ، وذلك أن مِن لو ألقيت من الكلام لرفع المثقال ؛ وكان الكلام حينئذ وَمَا يَعْزُبُ عن ربك مثقال ذرّة ، ولا أصغر من مثقال ذرّة ، ولا أكبر ، وذلك نحو قوله : (مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ) وغيرِ الله .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح على وجه الخفض ، والردّ على الذرّة ، لأن ذلك قراءة قرّاء الأمصار ، وعليه عوامّ القرّاء ، وهو أصحّ فى العربية مخرجا وإن كان للأخرى وجه معروف.

وقوله (إلاَّ فِي كِتَابٍ) يقول : وما ذاك كله إلا فى كتاب عند الله مبين ، عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه أنه لاشيء كان أو يكون إلا وقد أحصاه الله جلّ ثناؤه فيه ، وأنه لايعزب عن الله علم شيء من خلقه حيث كان من سمائه وأرضه .

---

(١) قوله « ولكن ذلك . . . الخ » : هو من استدراك المؤلف على ذلك الاعتراض المتقدم فى قوله « فإن قال قائل » .

(٢) قوله « مع جماعة الناس غيره » عبارة زائدة ، يستغنى عنها الكلام ، أو لعلها سقط منها شيء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يَعْزُبُ) يقول : لايغيب عنه .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ) قال : ما يغيب عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝

يقول تعالى ذكره : ألا إن أنصار الله لاخوف عليهم في الآخرة من عقاب الله ، لأن الله رضي عنهم ، فآمنهم من عقابه ، ولاهم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا ، والأولياء جمع ولي ، وهو النصير . وقد بينا ذلك بشواهده .

واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم ، فقال بعضهم : هم قوم يُذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والإخبات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس (ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين يذكر الله لرؤيتهم .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبي الضحى ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه ، (ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين يذكر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا ابن مهدي وعبيد الله ، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبي الضحى ، قال : سمعته يقول في هذه الآية (ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : من الناس مفاتيح إذا رءوا ذكر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن سهل بن الأسد ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله ، فقال « الَّذِينَ إذا رءوا ذُكِرَ اللهُ » .

قال : ثنا زيد بن حباب ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي وائل ، عن عبد الله (ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين إذا رءوا ذكر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا أبو يزيد الرازى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال « هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا فرات ، عن أبى سعد ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله ، قال « هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، عن عبد الله بن أبى الهذيل فى قوله (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) . . . الآية ، قال : إن ولىّ الله إذا رؤى ذكر الله .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبوهشام الرفاعى ، قال : ثنا أبوفضيل ، قال : ثنا أبى عن عمارة ابن القعقاع الضبى ، عن أبى زرعة ، عن عمرو بن جرير البجلى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ ، قيل : من هم يا رسول الله ، فلعلنا نحبهُم ؟ قال : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فى الله مِنْ غيرِ أَمْوَالٍ وَلا أَنْسَابٍ ، وُجُوهُهُمْ مِنْ نُورٍ . على مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، لايَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، وقرأ (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عمارة ، عن أبى زرعة ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لأُنَاسًا ما هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ ، قالوا : يا رسول الله أخبرنا من هم ، وما أعمالهم ، فإنا نحبهم لذلك ؟ قال : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِى اللهِ بِرُوحِ اللهِ على غيرِ أَرْحامٍ بَيْنَهُمْ وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ ، لايَخافونَ إِذَا خافَ النَّاسُ وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، وقرأ هذه الآية (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) » .

حدثنا الحسن بن نصر الخولانى ، قال : ثنا يحيى بن حسان ، قال : ثنا عبد الحميد بن بهرام ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن أبى مالك الأشعرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَأْتِى مِنْ أفناءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ القَبَائِلِ قَوْمٌ لَمْ يَتَّصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِى اللهِ ، وَتَصَافَوْا فِى اللهِ يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا يَفْزَعُ النَّاسُ فَلا يَفْزَعُونَ ، وَهُمْ أَوْلِياءُ اللهِ الَّذِينَ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

☼ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : الولىّ : أعنى ولىّ الله ، هو من كان بالصفة التى وصفه الله بها ، وهو الذى آمن واتقى ، كما قال الله (الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، كان ابن زيد يقول : حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) من هم يا ربّ ؟ قال (الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ) قال : أبى أن يتقبل الإيمان إلا بالتقوى .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره: الذين صدّقوا الله ورسوله، وما جاء به من عند الله، وكانوا يتقون الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا) من نعت الأولياء. ومعنى الكلام: ألا إن أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون، لاخوف عليهم ولا هم يحزنون.

فإن قال قائل: فإذ كان معنى الكلام ما ذكرت عندك أفي موضع رفع الذين آمنوا، أم في موضع نصب؟ قيل: في موضع رفع، وإنما كان كذلك، وإن كان من نعت الأولياء لمجيئه بعد خبر الأولياء، والعرب كذلك تفعل خاصة في إن. إذا جاء نعت الاسم الذى عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه. فقالوا: إن أخاك قائم الظريف، كما قال الله (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) وكما قال (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ).

وقد اختلف أهل العربية في العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك، مع أن إجماع جميعهم على أن ماقلناه هو الصحيح من كلام العرب، وليس هذا من مواضع الإبانة عن العلل التى من أجلها قيل ذلك كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

يقول تعالى ذكره: البشرى من الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون.

ثم اختلف أهل التأويل في البشرى التى بشّر الله بها هؤلاء القوم ما هى، وما صفتها؟ فقال بعضهم: هى الرؤية الصالحة يراها الرجل المسلم، أو ترى له، وفى الآخرة الجنة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدىّ، عن شعبة، عن سليمان، عن ذكوان، عن شيخ، عن أبي الدرداء، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ».

حدثنا العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: أخبرنا الأوزاعى، قال: أخبرنى يحيى بن أبي كثير، قال: ثنى أبوسلمة بن عبد الرحمن، قال: سأل عبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، أو قال: غَيْرَكَ، قال: هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوْ تُرَى لَهُ».

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو داود عمن ذكره ، عن يحيي بن أبي كثير ، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ البُشْرَى فى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفى الآخِرَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا أبو قلابة ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا أبان ، عن يحيي بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبادة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى وأبو عثمان بن عمر ، قالا : ثنا عليّ بن يحيي ، عن أبي سلمة ، قال : نبئت أن عبادة ابن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقال : « سأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سأَلَنِي عَنْهُ أحَدٌ قَبْلَكَ هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها الرَّجُلُ ، أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن أبي الدرداء (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) قال : سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية ، فقال : لقد سألتني عن شيء ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها الرَّجُلُ المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ ، بُشْرَاهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا ، وبُشْرَاهُ فِي الآخِرَةِ الجَنَّةُ » .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن المنكدر ، عن عطاء ابن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، قال : «سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقال : ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك ، إلا رجلا واحدا ؛ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : «ما سأَلَنِي عَنْها أحَدٌ مُنْذُ أنْزَلَهَا اللهُ غيرَكَ إلاَّ رَجُلاً وَاحِداً ، هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ ، أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن المنكدر ، سمع عطاء بن يسار ، يخبر عن رجل من أهل مصر ، أنه سأل أبا الدرداء عن (لَهُم البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السكوني ، عن عثمان بن سعيد .

حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة ، قال : ثني يحيي بن سعيد ، قال : ثنا عمر بن عمرو بن عبد الأحموشي ، عن حميد بن عبد الله المزني ، قال : أتى رجل عبادة بن الصامت ، فقال : آية فى كتاب الله أسألك عنها ، قول الله تعالى (لَهُم البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقال عبادة : ما سألني عنها أحد قبلك ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مثل ذلك : « ماسأَلَنِي عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ . يَرَاها العَبْدُ المُؤْمِنُ فِي المَنَامِ أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرُّؤيا الحَسَنَةُ هِيَ البُشْرَى يَرَاها المُسْلِمُ ، أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، قال : قال أبو هريرة : الرؤيا الحسنة بشرى من الله ، وهى المبشرات .

حدثنا محمد بن حاتم المؤدب ، قال : ثنا عمار بن محمد ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم « لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ الصَّالِحُ أوْ تُرَى لَهُ ، وَهِيَ فِي الآخِرَةِ الجَنَّةُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، قال : ثنا رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحرث ، عن أبي الشيخ ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يُبَشَّرُ بِها العَبْدُ جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وأرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان ، عن عبادة بن الصامت ، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقد عرفنا بشرى الآخرة ، فما بشرى الدنيا ؟ قال : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ ، أوْ تُرَى لَهُ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أرْبَعَةٍ وأرْبَعِينَ جُزْءاً ، أوْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ » .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدنْيا) فقال : « لَقَدْ سألْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ماسألَنِي عَنْهُ أحَدٌ مِنْ أُمَّتِي قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ ، وفِي الآخِرَةِ الجَنَّةُ » .

حدثنا أحمد بن حماد الدولابي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن سباع بن ثابت ، عن أم كرز الكعبية ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ المُبَشِّرَاتُ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن ذكوان ، عن رجل ، عن أبي الدرداء ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدنْيا) قال : « الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ ، وفِي الآخِرَةِ الجَنَّةُ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل كان بمصر ، قال : سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ) فقال أبو الدرداء : ماسألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ ، وفى الآخِرَةِ الجَنَّةُ » .

قال : ثنا أبوبكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي الدرداء ، قال : «سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عن قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) قال : ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ غيرُكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء في قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) قال : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ ،وفِي الآخِرَةِ الجَنَّةُ »

قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي صالح ، قال ابن عيينة : ثم سمعته من عبد العزيز ، عن أبي صالح السمان ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، قال : سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : ما سألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ مُنْذُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ إلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها الرَّجُلُ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا عبد الله بكر السهمي ، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن عمرو بن دينار أنه سأل رجلا من أهل مصر فقيها قدم عليهم في بعض تلك المواسم ، قال : قلت : ألا تخبرني عن قول الله تعالى (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : سألت عنها أبا الدرداء ، فأخبرني أنه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هِيَ الرُّؤْيا الحَسَنَةُ يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا أبي ، عن عليّ بن مبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة ابن الصامت ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : « هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم وأبوالوليد الطيالسي ، قالا : ثنا أبان ، قال : ثنا يحيى ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قلت : يا رسول الله ، قال الله تعالى (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقال : لَقَدْ سألْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ قَبْلَكَ أوْ أحَدٌ مِنْ أُمَّتِي قالَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها الرَّجُلُ الصَّالِحُ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، قال : سمعت أبا الدرداء ، وسئل عن (الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : ما سألني عنها أحد قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : « ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن نافع بن جبير ، عن رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، في قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : « هِيَ الرُّؤْيا الحَسَنَةُ يَرَاها الإنْسانُ أوْ تُرَى لَهُ » .

وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار ، عن أبي الدرداء ، أو ابن جريج عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء ، قال : سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : «هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ»

وقال ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : هى الرؤيا يراها الرجل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيي بن أبي كثير ، قال : هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هى الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح .

قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له .

قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن طلحة القناد ، عن جعفر بن أبي المُغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هى الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه أو لبعض إخوانه .

قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : كانوا يقولون : الرؤيا من المبشرات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة قال : ثنا شبل ، عن قيس بن سعد «أن رجلا سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ مِنْ أُمَّتِي مُنْذُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ قَبْلَكَ ، قال : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوّام ، عن إبراهيم التيمى ، أن ابن مسعود قال : ذهبت النبوّة ، وبقيت المبشرات ، قيل : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له .

قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) فهو قوله لنبيه (وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ بِأنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً) قال : هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن عطاء ، فى قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هى رؤيا الرجل المسلم يبشر بها فى حياته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، أن درّاجا أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قال (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يُبَشَّرُ بِها المُؤْمِنُ جُزْءاً مِنْ سِتَّةٍ وأرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا أنس بن عياض ، عن هشام ، عن أبيه فى هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) قال : هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبوالمغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا حميد بن عبد الله أن رجلا

سأل عبادة بن الصامت ، عن قول الله تعالى (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقال عبادة : لقد سألتني عن أمر ما سألني عنه أحد قبلك ، ولقد سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني فقال لى : ياعُبادَةُ لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أمْرٍ ما سأَلَنِي عَنْهُ أحَدٌ مِنْ أُمَّتِي ، تِلْكَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها المُؤْمِنُ لِنَفْسِهِ أوْ تُرَى لَهُ » .

وقال آخرون : هي بشارة يبشر بها المؤمن فى الدنيا عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، وقتادة (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هي البشارة عند الموت فى الحياة الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى ، عن أبي بسطام ، عن الضحاك (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : يعلم أين هو قبل الموت .

☆ وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى فى الحياة الدنيا ، ومن البشارة فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو ترى له . منها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله ، كما روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم « إنَّ المَلائِكَةَ الَّتِي تَحْضُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ ، تَقُولُ لِنَفْسِهِ : اخْرُجِي إلى رَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ » ، وَمنها : بشرى الله إياه ما وعده فى كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل ، كما قال جلّ ثناؤه (وبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ) . . . الآية ، وكلّ هذه المعانى من بشرى الله إياه فى الحياة الدنيا بشره بها ، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى ، فذلك مما عمه جلّ ثناؤه أن (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) وأما فى الآخرة فالجنة .

وأما قوله (لاتَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ) فإن معناه : إن الله لاخلف لوعده ، ولا تغيير لقوله عما قال ولكنه يمضى لخلقه مواعيده ، وينجزها لهم .

وقد حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية عن أيوب ، عن نافع ، قال : أطال الحجاج الخطبة ، فوضع ابن عمر رأسه فى حجرى ، فقال الحجاج : إن ابن الزبير بدّل كتاب الله ، فقعد ابن عمر فقال : لاتستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير (لاتَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ) فقال الحجاج : لقد أوتيت علما أن تفعل[1] ، قال أيوب : فلما أقبل عليه فى خاصة نفسه سكت .

وقوله (ذلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول تعالى ذكره : هذه البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة هى الفوز العظيم ، يعنى الظفر بالحاجة والطلبة والنجاة من النار .

---

(١) قوله « أن تفعل » كذا المخطوطة رقم ١٠٠ بدار الكتب ؛ ولكن الكلمة عارية عن النقط .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لايحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين فى ربهم ما يقولون، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام، فإن العزّة لله جميعا، يقول تعالى ذكره: فإن الله هو المنفرد بعزّة الدنيا والآخرة لاشريك له فيها، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد، لأنه لايعازه شيء (وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) يقول: وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه، وذو علم بما يضمرونه فى أنفسهم ويعلنونه، محصىٌ ذلك عليهم كله، وهو لهم بالمرصاد، وكسرت «إن» من قوله (إنَّ العِزَّةَ لِلهِ جَمِيعا) لأن ذلك خبر من الله مبتدأ، ولم يعمل فيها القول، لأن القول عنى به قول المشركين، وقوله (إنَّ العِزَّةَ لِلهِ جَمِيعا) لم يكن من قيل المشركين، ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره (ألا إنَّ لِلهِ) يا محمد كلّ (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) ملكا وعبيدا لامالك لشيء من ذلك سواه، يقول: فكيف يكون إلها معبودا من يعبده هؤلاء المشركون من الأوثان والأصنام، وهى لله ملك، وإنما العبادة للمالك دون المملوك، وللربّ دون المربوب) وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ) يقول جلّ ثناؤه: وأىّ شيء يتبع من يدعو من دون الله، يعنى غير الله وسواه شركاء. ومعنى الكلام: أىّ شيء يتبع من يقول: لله شركاء فى سلطانه وملكه كاذبا، والله المنفرد بملك كلّ شيء فى سماء كان أو أرض (إنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ) يقول: ما يتبعون فى قيلهم ذلك ودعواهم إلا الظنّ، يقول: إلا الشكّ لااليقين (وَإنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ) يقول: وإن هم إلا يتقوّلون الباطل تظننا وتخرّصا للإفك عن غير علم منهم بما يقولون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره: إن ربكم أيها الناس الذى استوجب عليكم العبادة (هُوَ) الربّ (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ) وفصله من النهار (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) مما كنتم فيه فى نهاركم من التعب والنصب، وتهدءوا

فيه من التصرّف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتم فيه بالنهار (والنَّهارَ مُبْصِرًا) يقول : وجعل النهار مبصرا ، فأضاف الإبصار إلى النهار ، وإنما يبصر فيه ، وليس النهار مما يبصر ، ولكن كان مفهوما فى كلام العرب معناه ، خاطبهم بما فى لغتهم وكلامهم ، وذلك كما قال جرير :

لَقَدْ لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ فِي السُّرَى ونِمْتِ وَمَا لَيْــلُ المَطِيِّ بِنائِمِ (١)

فأضاف النوم إلى الليل ووصفه به ، ومعناه نفسه أنه لم يكن نائما فيه هو ولا بعيره ، يقول تعالى ذكره : فهذا الذى يفعل ذلك هو ربكم الذى خلقكم وما تعبدون ، لاما لاينفع ولا يضرّ ، ولا يفعل شيئا .

وقوله (إنَّ فِي ذلكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى اختلاف حال الليل والنهار ، وحال أهلهما فيهما دلالة وحججا على أن الذى له العبادة خالصا بغير شريك ، هو الذى خلق اللّيل والنهار ، وخالف بينهما ، بأن جعل هذا للخلق سكنا ، وهذا لهم معاشا دون من لايخلق ولا يفعل شيئا ، ولا يضرّ ولا ينفع وقال (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) لأن المراد منه : الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها ، فيعتبرون بها ويتعظون ، ولم يرد به الذين يسمعون بآذانهم ، ثم يعرضون عن عبره وعظاته .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد اتخذ الله ولدا ، وذلك قولهم : الملائكة بنات الله ، يقول الله منزّها نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك : سبحان الله ، تنزيها لله عما قالوا وادّعوا على ربهم . (هُوَ الغَنِيُّ) يقول : الله غنيّ عن خلقه جميعا ، فلا حاجة به إلى ولد ، لأن الولد إنما يطلبه من يطلبه ليكون عونا له فى حياته ، وذكرا له بعد وفاته ، والله عن كلّ ذلك غنيّ ، فلا حاجة به إلى معين يعينه على تدبيره ولا يبيد ، فيكون به حاجة إلى خلف بعده (لَهُ ما فِي السَّمَوَاتِ وَما فِي الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : لله ما فى السماوات وما فى الأرض ملكا والملائكة عباده وملكه ، فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدا ، يقول : أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون (إنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذَا) يقول : ما عندكم أيها القوم بما تقولون وتدّعون من أن الملائكة بنات الله من حجة تحتجون بها وهى السلطان (أتَقُولُونَ على الله) قولا لاتعلمون حقيقته وصحته ، وتضيفون إليه مالايجوز إضافته إليه جهلا منكم بغير حجة ولا برهان .

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوى ص ٥٥٤) ... وأم غيلان ابنة جرير . والسرى : سيرهم بالليل ، وقوله : « ما ليل المطى بنائم » أسند النوم إلى الليل إسنادا مجازيا عقليا ، وأراد أنه نفسه لا ينام فى ليل السرى ، والإسناد هنا إلى ظرف الزمان وهو الليل ، النوم يقع فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهم (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ على الله الكَذِبَ) فيقولون عليه الباطل ، ويدّعون له ولدا (لايُفْلِحُونَ) يقول : لايبقون فى الدنيا ، ولكن لهم (مَتاعٌ فِي الدُّنيا) يمتّعون به ، وبلاغ يتبلغون به إلى الأجل الذى كتب فناؤهم فيه (ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ) يقول : ثم إذا انقضى أجلهم الذى كتب لهم إلينا مصيرهم ومنقلبهم (ثُمَّ نُذِيقُهُمُ العَذَابَ الشَّدِيدِ) وذلك إصلاؤهم جهنم (بِمَا كانُوا يَكْفُرُونَ) بالله فى الدنيا ، فيكذّبون رسله ، ويجحدون آياته ، ورفع قوله (متاعٌ) بمضمر قبله إما ذلك ، وإما هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ۝ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واتل على هؤلاء المشركين الذين قالوا : اتخذ الله ولدا من قومك (نَبَأَ نُوحٍ) يقول : خبر نوح (إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَقامى) يقول : إن كان عظم عليكم مقامى بين أظهركم ، وشقّ عليكم (وَتَذْكِيرِى بآياتِ اللهِ) يقول : ووعظى إياكم بحجج الله ، وتنبيهى إياكم على ذلك (فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إن كان شقّ عليكم مقامى بين أظهركم ، وتذكيرى بآيات الله ، فعزمتم على قتلى أو طردى من بين أظهركم ، فعلى الله اتكالى وبه ثقتى ، وهو سندى وظهرى (فأجْمِعُوا أمْرَكُمْ) يقول : فأعدّوا أمركم ، واعزموا على ما تقدمون عليه فى أمرى ، يقال منه : أجمعت على كذا ، بمعنى : عزمت عليه ، ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم « مَنْ لَمْ يُجْمِعْ على الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلا صَوْمَ لَهُ » بمعنى : من لم يعزم ، ومنه قول الشاعر :

يا لَيْتَ شِعْرِى والمُنَى لاتَنْفَعُ ... هَلْ أغْدُوَنْ يَوْما وأمْرِى مُجْمَعُ [1]

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (١٣١ مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) وأورده صاحب اللسان فى (جمع) . قال : وجمع أمره وأجمعه ، وأجمع عليه : عزم عليه ، كأنه جمع نفسه له . والأمر مجمع . ويقال أيضا : أجمع أمرك ولا تدعه منتشرا : وقوله تعالى « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » أى وادعوا شركاءكم ، كذلك هى فى قراءة عبد الله يريد « عبد الله بن عامر مقرئ » =

وروى عن الأعرج فى ذلك ما حدثنى بعض أصحابنا عن عبد الوهاب عن هارون ، عن أسيد ، عن الأعرج : (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) يقول : أحكموا أمركم وادعوا شركاوكم ، ونصب قوله : وشركاءكم بفعل مضمر له ، وذلك : وادعوا شركاءكم ، وعطف بالشركاء على قوله (أَمْرَكُمْ) على نحو قول الشاعر :

ورأيْتُ زَوْجَكِ فِي الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا[1]

فالرمح لايتقلد ، ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليل على ما حذف ، فاكتفى بذكر ما ذكر منه مما حذف ، فكذلك ذلك فى قوله (وَشُرَكَاءَكُمْ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قراء الأمصار (وشُرَكَاءَكُمْ) نصبا . وقوله (فَأَجْمِعُوا) بهمز الألف وفتحها ، من أجمعت أمرى فأنا أجمعه إجماعا ؛ وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه (فأجمعوا أَمْرَكُمْ) بفتح الألف وهمزها (وَشُرَكاؤُكُمْ) بالرفع على معنى : وأجمعوا أمركم ، وليجمع أمرهم أيضا معكم شركاؤكم .

والصواب من القول فى ذلك : قراءة من قرأ (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) بفتح الألف من أجمعوا ، ونصب الشركاء ، لأنها فى المصحف بغير واو ، ولإجماع الحجة على القراءة بها ، ورفض ما خالفها ، ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو ، وعنى بالشركاء آلهتهم وأوثانهم .

وقوله (ثُمَّ لايَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) يقول : ثم لايكن أمركم عليكم ملتبسا مشكلا مبهما من قولهم : غمّ على الناس الهلال ، وذلك إذا أشكل عليهم فلم يتبينّوه ، ومنه قول رؤبة :

= أهل الشام (لأنه لا يقال : أجمعت شركائى إنما يقال : جمعت قال الشاعر :

يا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا ورُمْحا

أراد : وحاملا رمحا . وقال الفراء : الإجماع الإعداد والعزيمة على الأمر . قال : ونصبت الشركاء بفعل مضمر ، كأنك قلت : فأجمعوا أمركم وادعوا شهداءكم . قال أبو إسحاق (يعنى إبراهيم بن السرى الزجاج من نحاة البصريين توفى سنة ٣١١ هـ) : الذى قاله الفراء غلط ، فى إضماره : « وادعوا شركاءكم » لأن الكلام لا فائدة له ، لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم . قال : والمعنى : فأجمعوا أمركم مع شركائكم . قال : وإذا كان الدعاء لغير شىء (أى لأن الأصنام لا تعقل الدعاء) فلا فائدة فيه . قال : والواو بمعنى مع ، كقولك (لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها) . المعنى : لو تركت الناقة مع فصيلها . قال : ومن قرأ : (فاجمعوا أمركم وشركاءكم) بألف موصولة ، فإنه يعطف شركاءكم على أمركم . قال ويجوز : فاجمعوا أمركم مع شركائكم . وقال الفراء فى معانى القرآن : وقد قرأها الحسن (يعنى ابن أبى الحسن البصرى) : وشركاؤكم ، بالرفع ، وإنما الشركاء هاهنا آلهتهم . كأنه أراد أجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم . قال : ولست أشتهيه ، لخلافه للكتاب . ولأن المعنى فيه ضعيف ، لأن الآلهة لا تعمل ولا تجمع .

(١) هذا البيت تكرر الاستشهاد به فى هذا التفسير (انظره فى ٣ : ٢٧٥ ، ٧ : ٢٩٤) والرمح لا يتقلد ، وإنما يتقلد السيف ، فلا يكون الرمح معطوفا على سيفا ، ولا مفعولا معه . وقد رووا أنه منصوب بمضمر ، أى وحاملا رمحا . وقال محمد بن زيد المبرد (كما فى تفسير القرطبى ٨ : ٣٦٣) : هو معطوف على المعنى ، والرمح لا يتقلد إلا أنه محمول كالسيف . فمذهب المبرد إذن هو تأويل لفظ متقلدا بلفظ يصلح تسليطه على كل من المعطوف والمعطوف عليه ، مثل لفظة « حاملا » ، وتكون الواو إذن عاطفة .

بَلْ لَوْ شَهِدْتَ النَّاسَ إذْ تُكُمُّوا ... بِغُمَّةٍ لَوْ لَمْ تُفَرَّجْ غُمُّوا[1]

وقيل : إن ذلك من الغمّ ، لأن الصدر يضيق به ، ولا يتبين صاحبه لأمره مصدرا يصدره يتفرج عنه ما بقلبه ، ومنه قول خنساء :

وذِى كُرْبَةٍ رَاخَى ابنُ عَمْرٍو خِناقَهُ ... وغُمَّتَــهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتِ[2]

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) قال : لايكبر عليكم أمركم .

وأما قوله (ثُمَّ اقْضُوا إلَىَّ) فإن معناه : ثم امضوا إلىّ ما فى أنفسكم وافرغوا منه .

كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ اقْضُوا إلَىَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) قال : اقضوا إلىّ ما كنتم قاضين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ثُمَّ اقْضُوا إلَىَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) قال : اقضوا إلىّ ما فى أنفسكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله (ثُمَّ اقْضُوا إلَىَّ) فقال بعضهم : معناه : امضوا إلىّ ، كما يقال : قد قضى فلان : يراد : قد مات ومضى .

وقال آخرون منهم : بل معناه : ثم افرغوا إلىّ ، وقالوا : القضاء : الفراغ ، والقضاء من ذلك ، قالوا : وكأن قضى دينه من ذلك إنما هو فرغ منه . وقد حُكى عن بعض القرّاء أنه قرأ ذلك (ثُمَّ أَفْضُوا إلَىَّ) بمعنى : توجهوا إلىّ حتى تصلوا إلىّ ، من قولهم : قد أفضى إلىّ الوجع وشبهه . وقوله (وَلَا تُنْظِرُونِ) يقول : ولا تؤخرون من قول القائل : أنظرت فلانا بما لى عليه من الدين ، وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه : إنه بنصرة الله له عليهم واثق ، ومن كيدهم وتواثقهم غير خائف ، وإعلام منه لهم أن آلهتهم لاتضرّ ولا تنفع ، يقول لهم : امضوا ما تحدّثون أنفسكم به فىّ على عزم منكم صحيح ، واستعينوا من شايعكم على بآلهتكم التى تدعون من دون الله ، ولا تؤخروا ذلك فإنى قد توكلت على الله ، وأنا به واثق أنكم لاتضرّونى إلا أن يشاء ربى ، وهذا وإن كان خبرا من الله تعالى عن نوح ، فانه حثّ من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسى به ، وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلده من الرسالة والبلاغ عنه .

---

(١) البيتان فى ديوان العجاج طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ٦٣ (وهما مطلع أرجوزة له يذكر مسعود بن عمرو العتكى من الأزد) . ونسبه له القرطبى فى تفسيره ، وابن منظور فى اللسان (كم) قال : وكم الفصيل إذا أشفق عليه ، فستر حتى يقوى ، قال العجاج : « بل لو شهدت » . . . البيت . وبين بيتى الشاهد بيت : وهو « بقدر حم لهم حموا » . والغم والغمة : الكرب . وتكموا : أى غطوا بالغم . وحم لهم : قدر .

(٢) الكربة : الغم الذى يأخذ بالنفس . راخى : وسع . وابن عمرو : تريد أخاها صخر بن عمرو بن الشريد السلمى . وخناقه : الحبل الذى يوضع فى الرقبة للخنق . تريد : كم مكروب أخذ الغم بمخنقه ، وكاد يقتله ، نفس أخى عنه كربته وغمه بجوده ، حتى انقشع عنه ما ألم به .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ٧٢

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه : فإن توليتم أيها القوم عنى بعد دعائى إياكم ، وتبليغ رسالة ربى إليكم مدبرين ، فأعرضتم عما دعوتكم إليه من الحق والإقرار بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وترك إشراك الآلهة فى عبادته ، فتضييع منكم وتفريط فى واجب حق الله عليكم ، لابسبب من قِبَلى ، فإنى لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجرا ؛ ولاعوضا اعتاضه منكم باجابتكم إياى إلى ما دعوتكم إليه من الحق والهُدى ، ولاطلبت منكم عليه ثوابا ولا جزاء (إنْ أجْرِيَ إلاَّ على اللهِ) يقول جل ثناؤه : إن جزائى وأجر عملى وثوابه إلا على ربى لاعليكم أيها القوم ، ولا على غيركم (وأُمِرْتُ أن أكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ) وأمرنى ربى أن أكون من المذعنين له بالطاعة ، المنقادين لأمره ونهيه ، المذللين له ؛ ومن أجل ذلك أدعوكم إليه ؛ وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ ٧٣

يقول تعالى ذكره : فكذّب نوحا قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحى ، فنجيناه ومن معه ممن حمل معه فى الفلك ، يعنى فى السفينة ، وجعلناهم خلائف ، يقول : وجعلنا الذين نجينا مع نوح فى السفينة خلائف فى الأرض من قومه الذين كذّبوه بعد أن أغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا ، يعنى حججنا وأدلتنا على توحيدنا ، ورسالة رسولنا نوح ؛ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين ، وهم الذين أنذرهم نوح عقاب الله على تكذيبهم إياه وعبادتهم الأصنام ، يقول له جل ثناؤه : انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولهم ، فان عاقبة من كذّبك من قومك أن تمادوا فى كفرهم وطغيانهم على ربهم نحو الذى كان من عاقبة قوم نوح حين كذّبوه ، يقول جل ثناؤه : فليحذروا أن يحل بهم مثل الذى حل بهم إن لم يتوبوا .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ٧٤

يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم ، فأتوهم ببينات من الحجج والأدلة على صدقهم ، وأنهم لله رسل ، وأن مايدعونهم إليه حق ، فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، يقول : فما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الأمم الخالية من قبلهم ، (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يقول تعالى ذكره : كما طبعنا على قلوب أولئك فختمنا عليها فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ولايستجيبون لدعائهم إياهم إلى ربهم بما اجترموا من الذنوب ، واكتسبوا من الآثام ، كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربه ، فتجاوز ما أمره به من توحيده ، وخالف مادعاهم إليه رسلهم من طاعته ، عقوبة لهم على معصيتهم ربهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ٧٥

يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم موسى وهارون ابني عمران إلى فرعون مصر (وملئه) ، يعني : وأشراف قومه وسادتهم (بآياتنا) ، يقول : بأدلتنا على حقيقة مادعوهم إليه من الإذعان لله بالعبودة ، والإقرار لهما بالرسالة ، (فاستكبروا) ، يقول : فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون ، (وكانوا قوماً مجرمين) ، يعني : آثمين بربهم بكفرهم بالله تعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ٧٦ ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ ٧٧

يقول تعالى ذكره (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني : فلما جاءهم بيان ما دعاهم إليه موسى وهارون ، وذلك الحجج التي جاءهم بها ، وهي الحق الذى جاءهم من عند الله (قالوا إن هذا لسحر مبين) يعنون : أنه يبين لمن رآه وعاينه أنه سحر لاحقيقة له (قال موسى) لهم : (أتقولون للحق لما جاءكم) من عند الله : (أسحر هذا) ؟ .

واختلف أهل العربية فى سبب دخول ألف الاستفهام فى قوله (أسحر هذا) ، فقال بعض نحويي البصرة : أدخلت فيه على الحكاية لقولهم لأنهم قالوا : أسحر هذا ؟ فقال : أتقولون : أسحر هذا ؟ وقال بعض نحويي الكوفة : إنهم قالوا هذا سحر ، ولم يقولوه بالألف ، لأن أكثر ما جاء بغير ألف ، قال : فيقال : فلم أدخلت الألف ؟ فيقال : قد يجوز أن تكون من قيلهم : وهم يعلمون أنه سحر ، كما يقول الرجل للجائزة إذا أتته : أحق هذا ؟ وقد علم أنه حق . قال : قد يجوز أن تكون على التعجب منهم : أسحر هذا ، ما أعظمه !

وأولى ذلك فى هذا بالصواب عندى : أن يكون المقول محذوفا ، ويكون قوله (أسحر هذا) من

قيل موسى منكرا على فرعون وملئه ، قولهم للحقّ لما جاءهم سحر ، فيكون تأويل الكلام حينئذ ، قال موسى لهم (أتَقُولُونَ للحَقِّ لما جاءَكُمْ) وهى الآيات التى أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه ، سحر ، أسحر هذا الحقّ الذى ترونه ؟ فيكون السحر الأوّل محذوفا اكتفاء بدلالة قول موسى (أسِحْرٌ هَذَا) على أنه مراد فى الكلام كما قال ذو الرمّة :

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أوْ حِينَ نَصَّبَتْ لَهُ مِن خَذَا آذَانِها وَهْوَ جانِحُ[1]

يريد : أو حين أقبل ، ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، وكما قال جلّ ثناؤه (فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ) والمعنى : بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ، فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، فى أشباه لما ذكرنا كثيرة ، يُتعب إحصاؤها . وقوله (ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) يقول: ولا ينجح الساحرون ولا يبقون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال فرعون وملؤه لموسى : (أجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا) يقول : لتصرفنا وتلوينا (عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا) من قبل مجيئك من الدين يقال منه : لفت فلان عنق فلان إذا لواها ، كما قال ذو الرمّة :

لَفْتًا وَتَهْزِيعا سَوَاءَ اللَّفْتِ[2]

التَّهْزِيع : الدّقّ ، واللَّفْتُ : اللَّيّ .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِتَلْفِتَنَا) قال : لتلوينا (عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا) .

وقوله (وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِى الأرْضِ) يعنى : العظمة ، وهى الفعلياء من الكبر . ومنه قول ابن الرقاع :

سُؤْدُدًا غيرَ فاحِشٍ لا يُدَانِيهِ تَجَبَّارُهُ وَلا كِبْرِياءُ[3]

(١) البيت فى ديوان ذى الرمة . وقوله لبسن الليل أدلجن فيه . وخذا آذانها : استرخاؤها . والأخذى : المسترخى الأذن ، وجانح : يعنى الليل .

(٢) البيت لرؤبة بن العجاج : من أرجوزة له . قالها فى نفسه مطلعها : « يابنت عمرو لا تسبى بنتى » (ديوانه طبعة ليبسك سنة ١٩٠٣) وهو البيت الحادى والعشرون فيها . قال شارحه (لعله ابن حبيب) فى شرح ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية ، رقم ٥١٦ أدب ص ١١٢ : اللفت : اللى ، لفته يلفته لفتا : إذا لواه وصرفه . والتهزيع : التكسير . وقوله « سواء اللفت » يقول : التهزيع غير اللفت ، ومهزع : مكسر اهـ .

(٣) السؤدد : السيادة والرياسة والشرف . وغير فاحش : أى لابغى معه ولا تجبر ، ولا يخالطه كبرياء . والتجبار : مصدر بمعنى الجبر والقهر . والكبرياء بوزن فعلياء العظمة إذا كانت وصفا لله وإذا وصف بها المخلوقون ، فهى التكبر والاستعلاء ، على الناس مع التجبر والقهر والإذلال والظلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأَرْضِ) قال : الملك

قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأَرْضِ) قال : السلطان فى الأرض .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى ، عن مجاهد ، قال : الملك فى الأرض .

قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأَرْضِ) قال : الطاعة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأَرْضِ) قال : الملك .

قال : ثنا إسحاق : قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : السلطان فى الأرض .

وهذه الأقوال كلها متقاربات المعانى ، وذلك أن الملك سلطان ، والطاعة ملك ، غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت فى كلام العرب ، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك . وقوله (وَمَا نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ) يقول : وما نحن لكما ياموسى وهارون بمؤمنين ، يعنى بمقرّين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لقومه : ائتونى بكلّ من يسحر من السحرة ، عليم بالسحر ؛ فلما جاء السحرة فرعون ، قال موسى : ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم ، وفى الكلام محذوف قد ترك ، وهو : فأتوه بالسحرة . فلما جاء السحرة ؛ ولكن اكتفى بدلالة قوله (فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ) على ذلك ، فترك ذكره ، وكذلك بعد قوله (أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ) محذوف أيضا قد ترك ذكره ، وهو فألقوا حبالهم وعصيهم . فلما ألقوا قال موسى ؛ ولكن اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه ، فترك ذكره.

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾

يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا أَلْقَوْا) ما هم ملقوه (قالَ) لهم (مُوسَى ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق (ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ) على وجه الخبر من موسى عن الذى جاءت به سحرة فرعون أنه سحر كأن معنى الكلام على تأويلهم ، قال موسى : الذى جئتم به أيها السحرة هو السحر ، وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين البصريين (ماجِئْتُمْ بِهِ آلسِّحْرُ) على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاءوا به ، أسحر هو ، أم غيره ؟

۞ وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لاعلى الاستفهام ، لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكّا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لاحقيقة له ، فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه ، أىّ شىء هو ؛ وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة ، إنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ماكان جاءهم به من الحقّ الذى كان الله آتاه ، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدّقونه فى الخبر عما جاءوا به من الباطل ؛ فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه ، ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءوا به من ذلك بالحقّ الذى أتاه ومبطل كيدهم بجدّه ، وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخرى .

۞ فإن قال قائل : فما وجه دخول الألف واللام فى السحر إن كان الأمر على ماوصفت وأنت تعلم أن كلام العرب فى نظير هذا أن يقولوا : ما جاءنى به عمرو درهم ، والذى أعطانى أخوك دينار ، ولا يكادون أن يقولوا الذى أعطانى أخوك الدرهم ، وما جاءنى به عمرو الدينار ؟ قيل له : بلى كلام العرب إدخال الألف واللام فى خبر ما والذى إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب ، بل لايجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام ، لأن الخبر حينئذ خبر عن شىء بعينه معروف عند الفريقين ، وإنما يأتى ذلك بغير الألف إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شىء بعينه ، فحينئذ لا تدخل الألف واللام فى الخبر ، وخبر موسى كان خبرا عن معروف عنده وعند السحرة ، وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التى جعلها الله علما له على صدقه ، ونبوته إلى أنه سحر فقال لهم موسى : السحر الذى وصفتم به ماجئتكم به من الآيات أيها السحرة ، هو الذى جئتم به أنتم ، لاماجئتكم به أنا ، ثم أخبرهم أن الله سيبطله . فقال (إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ) يقول : سيذهب به . فذهب به تعالى ذكره بأن سلط عليه عصا موسى قد حوّلها ثعبانا يتلقفه حتى لم يبق منه شىء (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) يعنى : إنه لايصلح عمل من سعى فى أرض الله بما يكرهه . وعمل فيها بمعاصيه ؛ وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبىّ بن كعب : ما أتيتم به سحر . وفى قراءة ابن مسعود : ما جئتم به سحر ، وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذى اخترنا من القراءة فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

۞ يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى أنه قال للسحرة (وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ) يقول : ويثبت الله الحق

الذى جئتكم به من عنده ، فيعليه على باطلكم ، ويصححه بكلماته ، يعنى بأمره (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) يعنى الذين اكتسبوا الإثم بربهم بمعصيتهم إياه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : فلم يؤمن لموسى مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة إلا ذرية من قومه خائفين من فرعون وملئهم .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الذرّية فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : الذرية فى هذا الموضع : القليل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) قال : كان ابن عباس يقول : الذرية : القليل .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) الذرّيّة : القليل . كما قال الله تعالى (كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرية من أرسل إليه موسى من بنى إسرائيل لطول الزمان لأن الآباء ماتوا وبقى الأبناء ، فقيل لهم ذرّية ، لأنهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل إليهم موسى عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) قال : أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان ومات آباؤهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) قال : أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) قال : أبناء أولئك الذين أرسل إليهم فطال عليهم الزمان وماتت آباؤهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرّية من قوم فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) قال : كانت الذرّية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير ، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه .

وقد رُوِي عن ابن عباس خبر يدلّ على خلاف هذا القول ، وذلك ما حدثني به المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) يقول: بني إسرائيل فهذا الخبر ينبئ عنه أنه كان يرى أن الذرّية في هذا الموضع هم بنو إسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون .

وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية ، القول الذي ذكرته عن مجاهد ، وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل ، فهلكوا قبل أن يقرّوا بنبوّته لطول الزمان ، فأدركت ذرّيتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى .

وإنما قلت : هذا القول أولى بالصواب في ذلك لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى ، فلأن تكون الهاء في قوله من قومه من ذكر موسى لقربها من ذكره ، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبُعد ذكره منها ، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر .

وبعد : فإن في قوله (عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) الدليل الواضح على أن الهاء في قوله (إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) من ذكر موسى لا من ذكر فرعون ، لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام على خوف منه ، ولم يكن على خوف من فرعون .

وأما قوله (عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ) فإنه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرّية قوم موسى بموسى .

فتأويل الكلام : فما آمن لموسى إلا ذرّية من قومه من بني إسرائيل وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوهم . وقد زعم بعض أهل العربية أنه إنما قيل : فما آمن لموسى إلا ذرّية من قومه ، لأن الذين آمنوا به إنما كانت أمهاتهم من بني إسرائيل ، وآباؤهم من القبط ، فقيل لهم الذرّية من أجل ذلك ، كما قيل لأبناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم أبناء . والمعروف من معنى الذرّية في كلام العرب: أنها أعقاب من نسبت إليه من قِبَل الرجال والنساء ، كما قال جلّ ثناؤه (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) وكما قال (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ) ثم قال بعد (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ) فجعل من كان من قِبَل الرجال والنساء من ذرّية إبراهيم .

وأما قوله (وَمَلَئِهِمْ) فإن الملأ : الأشراف . وتأويل الكلام : على خوف من فرعون ومن أشرافهم .

واختلف أهل العربية فيمن عني بالهاء والميم اللتين في قوله (وَمَلَئِهِمْ) فقال بعض نحويي البصرة : عني بها الذرّية ، وكأنه وجه الكلام إلى : فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ، على خوف من فرعون، وملأ الذرية من بني إسرائيل . وقال بعض نحويي الكوفة : عني بهما فرعون ، قال : وإنما جاز ذلك وفرعون واحد ، لأن الملك إذا ذكر لخوف أوسفر وقدوم من سفر ذهب الوهم إليه وإلى من معه ، وقال : ألا

ترى أنك تقول : قدم الخليفة فكثر الناس ، تريد بمن معه ، وقدم فغلت الأسعار ،لأنا ننوى بقدومه قدوم من معه . قال : وقد يكون يريد أن بفرعون آل فرعون ، ويحذف آل فرعون فيجوز ، كما قال (وَاسْئَلِ القَرْيَةَ) يريد أهل القرية ، والله أعلم.

قال : ومثله قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : الهاء والميم عائدتان على الذرية ، ووجه معنى الكلام إلى أنه على خوف من فرعون ، وملأ الذرّية ، لأنه كان فى ذرّية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطيا وأمه إسرائيلية ، فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى . وقوله (أنْ يَفْتِنَهُمْ) يقول : كان إيمان من آمن من ذرّية قوم موسى على خوف من فرعون أن يفتنهم بالعذاب ، فيصدّهم عن دينهم ، ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله ، وقال : (أنْ يَفْتِنَهُمْ) فوحد ولم يقل : أن يفتنوهم ، لدليل الخبر عن فرعون بذلك ، أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه لما قد تقدّم من قوله (عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ)،وقوله (وَإنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأرْضِ) يقول تعالى ذكره : وإن فرعون لجبار مستكبر على الله فى أرضه ، (وإنَّهُ لَمِنَ المُسْرِفِينَ) وإنه لمن المتجاوزين الحقّ إلى الباطل ، وذلك كفره بالله ، وتركه الإيمان به ، وجحوده وحدانية الله ، وادّعاؤه لنفسه الألوهة ، وسفكه الدماء بغير حلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ ﴿٨٤﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى نبيه لقومه : ياقوم إن كنتم أقررتم بوحدانية الله ، وصدّقتم بربوبيته (فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا) يقول: فبه فثقوا ، ولأمره فسلموا ، فإنه لن يخذل وليه ويسلم من توكل عليه (إنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) يقول : إن كنتم مذعنين لله بالطاعة ، فعليه توكلوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾

يقول تعالى ذكره : فقال قوم موسى لموسى (عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا) أى به وثقنا ، وإليه فوّضنا أمرنا. وقوله (رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قوم موسى أنهم دعوا ربهم فقالوا : يا ربنا،لاتختبر هؤلاء القوم الكافرين ، ولا تمتحنهم بنا ، يعنون قوم فرعون .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى سألوه ربهم من إعاذته ابتلاء قوم فرعون بهم ، فقال بعضهم : سألوه أن لايظهرهم عليهم ، فيظنوا أنهم خير منهم وأنهم إنما سلطوا عليهم لكرامتهم عليه وهوان الآخرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ، فى قوله (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لايظهروا علينا فيروا أنهم خير منا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ، فى قوله (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : قالوا : لاتظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى الضحى (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لاتسلطهم علينا فيزدادوا فتنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتسلطهم علينا فيفتنونا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لاتسلطهم علينا فيفتنونا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لاتسلطهم علينا فيضلونا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله ، وقال أيضا : فيفتنونا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لاتعذّبنا بأيدى قوم فرعون ، ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : لو كانوا على حقّ ما سلطنا عليهم ولا عذّبوا ، فيفتتنوا بنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لاتعذّبنا بأيدى قوم فرعون ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : لو كانوا على حقّ ماسلطنا عليهم ، ولا عذّبوا ، فيفتتنوا بنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، قوله (لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لاتصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم ، فيفتتنوا ويقولوا : لو كانوا على حقّ ماسلطنا عليهم ، وما عذّبوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله تعالى (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لاتبتلنا ربنا فتجهدنا وتجعله فتنة لهم هذه الفتنة ، وقرأ : فتنة للظالمين ، قال المشركون حين كانوا يؤذون النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، ويرمونهم ، أليس ذلك فتنة لهم ، وسوءا لهم ، وهى بلية للمؤمنين .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن القوم رغبوا إلى الله في أن يجيرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء ، وكل ما كان من أمر كان لهم مَصَدّة عن اتباع موسى والإقرار به ، وبما جاءهم به ، فإنه لاشكّ أنه كان لهم فتنة ، وكان من أعظم الأمور لهم إبعادا من الإيمان بالله ورسوله ، وكذلك من المَصَدّة كان لهم عن الإيمان ، أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنة في أنفسهم : من بلية تنزل بهم : فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادّا لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

يقول تعالى ذكره : ونجنا يا ربنا برحمتك ، فخلصنا من أيدى القوم الكافرين : قوم فرعون ، لأنهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الأشياء القذرة من خدمتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بمصر بيوتا ، يقال منه : تبوأ فلان لنفسه بيتا : إذا اتخذه ، وكذلك تبوأ مصحفا : إذا اتخذه ، وبوأته أنا بيتا : إذا اتخذته له (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : واجعلو بيوتكم مساجد تصلون فيها .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) فقال بعضهم في ذلك نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان عن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : مساجد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : أمروا أن يتخذوها مساجد .

قال : ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا زهير ، قال : ثنا خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله تعالى (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا يفرقون من فرعون وقومه أن يصلوا ، فقال لهم : اجعلوا بيوتكم قبلة ، يقول : اجعلوها مسجدا حتى تصلوا فيها .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : خافوا فأمروا أن يصلوا في بيوتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شبل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا لايصلون إلا فى البيع ، وكانوا لايصلون إلا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانت بنو إسرائيل تخاف فرعون ، فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس فى قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : مساجد .

قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا يصلون فى بيوتهم يخافون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبى سنان ، عن الضحاك (أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) قال : مساجد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قال أبى زيد : اجعلوا فى بيوتكم مساجدكم تصلون فيها تلك القبلة .

وقال آخرون : معنى ذلك : واجعلوا مساجدكم قبل الكعبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يعنى الكعبة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : لانستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة ، فأذن الله لهم أن يصلوا فى بيوتهم ، وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس

في قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة ، ألا ترى أنه يقول (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قبل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة ، فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرًّا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) ثم ذكر مثله سواء .

قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) مساجد .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) قال : مصر : الإسكندرية .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : وذلك حين منعهم فرعون الصلاة ، فأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم ، وأن يوجهوا نحو القبلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : نحو القبلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق ، عن أبي سنان ، عن الضحاك (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) قال : مساجد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قبل القبلة .

وقال آخرون : معنى ذلك : واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : يقابل بعضها بعضا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، القول الذي قدمنا بيانه ، وذلك أن الأغلب من معاني البيوت ، وإن كانت المساجد بيوتا ، البيوت المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق ، دون المساجد ، لأن المساجد لها اسم هي به معروفة خاص لها ، وذلك المساجد ، فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشيء ولا إضافتها إلى شيء ، فالبيوت المسكونة ، وكذلك القبلة الأغلب من استعمال الناس إياها في قِبَل المساجد وللصلوات ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها ، المستعمل بين أهل اللسان الذي

تزل به دون الخفيّ المجهول ما لم تأت دلالة تدلّ على غير ذلك ، ولم يكن على قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) دلالة تقطع العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل فى كلام العرب ، لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذى وصفنا ، وكذلك القول فى قوله : (قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) يقول تعالى ذكره : وأدّوا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها . وقوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام : وبشر مقيمى الصلاة ، المطيعى الله يا محمد المؤمنين بالثواب الجزيل منه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

☆ يقول تعالى ذكره : وقال موسى يا ربنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم ، وهم الملأ ، زينة من متاع الدنيا وأثاثها ، وأموالا من أعيان الذهب والفضة فى الحياة الدنيا (رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) يقول موسى لربه : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلوا عن سبيلك .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) بمعنى : ليضلوا الناس عن سبيلك ، ويصدّوهم عن دينك .

وقرأ ذلك آخرون (لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) بمعنى : ليضلوا هم عن سبيلك ، فيجوروا عن طريق الهدى .

☆ فإن قال قائل : أفكان الله جلّ ثناؤه أعطى فرعون وقومه ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ليُضلوا الناس عن دينه ، أو ليَضلوا هم عنه ، فإن كان لذلك أعطاهم ذلك ، فقد كان منهم ما أعطاهم لأجله ، فلا عتب عليهم فى ذلك ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت .

وقد اختلف أهل العلم بالعربية فى معنى هذه اللام التى فى قوله (لِيُضِلُّوا) فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : ربنا فضلوا عن سبيلك ، كما قال (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) أى فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوّ وحزنا ، وإنما التقطوه فكان لهم ؛ قال : فهذه اللام تجىء فى هذا المعنى . وقال بعض نحويى الكوفة : هذه اللام لام كى[1] . ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كى يضلوا ، ثم دعا عليهم . وقال آخر : هذه اللامات فى قوله ليضلوا ، وليكون لهم عدوّا ، وما أشبهها بتأويل الخفض : آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم ، والتقطوه لكونه ، لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك ، والعرب تجعل لام كى فى معنى

(١) قائل هذا : هو الفراء فى معانى القرآن (انظر مصورة جامعة القاهرة ٢٤٠٥٩ ص ١٣٩) .

لام الخفض ، ولام الخفض فى معنى لام كى لتقارب المعنى ، قال الله تعالى (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ) أى لإعراضكم ، ولم يحلفوا لإعراضهم ؛ وقال الشاعر :

سَمَوْتَ ولَمْ تَكُنْ أهْلاً لِتَسْمُو ... ولكِنَّ المُضَيَّعَ قَدْ يُصَابُ [1]

قال : وإنما يقال : وما كنت أهلا للفعل ، ولا يقال لتفعل إلا قليلا ، قال : وهذا منه .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنها لام كى ، ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه ، ويُضلوا عن سبيلك عبادك ، عقوبة منك ، وهذا كما قال جل ثناؤه (لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) ، وقوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) هذا دعاء من موسى ؛ دعا الله على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيئتها ، ويبدلها إلى غير الحال التى هى بها ؛ وذلك نحو قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) يعنى به : من قبل أن نغيرها عن هيئتها التى هى بها ، يقال منه : طمست عينه أطمسها ، وأطمُسها طمسا وطموسا ، وقد تستعمل العرب الطمس فى العفُوّ والدثور وفى الاندقاق والدروس ، كما قال كعب بن زهير :

مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ ... عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهُولُ [2]

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فى هذا الموضع ؛ فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنى ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قال : بلغنا عن القرظى ، فى قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : اجعل سكرهم حجارة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، قال : اجعل سكرهم حجارة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : اجعلها حجارة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس ، فى قوله (اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : صارت حجارة .

---

(١) هذا البيت شاهد لنحاة البصرة على أن اللام فى « لتسمو » للجحد ، وأن الفعل منصوب بأن مضمرة بعدها وجوبا ، وأن المصدر المؤول مجرور باللام ، والجار والمجرور متعلق بخبر تكن المنفية بلم ، وهو كلمة « أهلا » وقد صرح القائل بهذا الخبر ، والأكثر فى كلام العرب ألا يصرح به نحو « ما كان الله ليعذبهم » التقدير : لم يكن مريدا لتعذيبهم . وخالفهم الكوفيون فى ذلك ، وجعلوا اللام ناصبة بنفسها ، لا بأن مضمرة بعدها .

(٢) البيت لكعب بن زهير (انظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبى ٤ : ١٤٩) . والنضاخة : كثيرة رشح العرق . والذفرى : النقرة خلف أذن الناقة ، وهى بقرب غدة العرق . وعرضتها : همتها . وطامس الأعلام : الدارس المتغير من علامات الطريق ، وهى ما يهتدى به المسافرون من أحجار وآبار ونحوها . يريد أن هذه الناقة كثيرة العرق ، لنشاطها فى سيرها ، وجهدها نفسها فيه ، وأنها عارفة الطريق وإن درست أعلامه وتغيرت مسالكه لكثرة ما سافرت فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : بلغنا أن زروعهم تحوّلت حجارة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوالِهِمْ) قال : بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أمْوَالِهِمْ) قال : يقولون : صارت حجارة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيي الحماني ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إسماعيل عن أبي صالح ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوالِهِمْ) قال : صارت حجارة .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوالِهِمْ) قال : بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : قد فعل ذلك ، وقد أصابهم ذلك طمس على أموالهم ، فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكلّ شيء .

وقال آخرون : معنى ذلك : أهلكها .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيي بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : أهلكها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) يقول : دمر عليهم وأهلك أموالهم .

وأما قوله (وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ) فإنه يعني : واطبع عليها حتى لاتلين ولا تنشرح بالإيمان .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، وقال موسى قبل أن يأتي فرعون ربنا (واشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الألِيمَ) فاستجاب الله له ، وحال بين فرعون وبين الإيمان حتى أدركه الغرق ، فلم ينفعه الإيمان .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ) يقول : واطبع على قلوبهم (حتى يَرَوُا العَذَابَ الألِيمَ) وهو الغرق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ) بالضلالة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ) قال : بالضلالة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ) يقول : أهلكهم كفارا .

وأما قوله (فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ) فإن معناه : فلا يصدّقوا بتوحيد الله ويقرروا بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجع .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلا يُؤْمِنُوا) بالله فيما يرون من الآيات (حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : سمعت المنقرى يقول (فَلا يُؤْمِنُوا) يقول : دعا عليهم .

واختلف أهل العربية في موضع (يُؤْمِنُوا) فقال بعض نحويي البصرة : هو نصب ، لأن جواب الأمر بالفاء أو يكون دعاء عليهم إذ عصوا . وقد حكى عن قائل هذا القول أنه كان يقول : هو نصب عطفا على قوله (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) وقال آخر منهم : وهو قول نحويّ الكوفة ، موضعه جزم على الدعاء من موسى عليهم ، بمعنى : فلا آمنوا ، كما قال الشاعر :

فَلا يَنْبَسِطْ مِنْ بينِ عَيْنَيْكَ ما انْزَوَى ... وَلا تَلْقَنِي إلاَّ وأنْفُكَ رَاغِمُ [١]

بمعنى : فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى ، ولا لقيتني على الدعاء . وكان بعض نحويّ الكوفة يقول : هو دعاء ، كأنه قال : اللهمّ فلا يؤمنوا ، قال : وإن شئت جعلتها جوابا لمسئلته إياه ، لأن المسئلة خرجت على لفظ الأمر ، فتجعل (فَلا يُؤْمِنُوا) في موضع نصب على الجواب . وليس بسهل ، قال : ويكون كقول الشاعر :

---

(١) البيت للأعشى ، أنشده (اللسان : زوى) . قال : وزوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع وقبضه ، قال الأعشى :

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ عَنِّي كَأَنَّمَا ... زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ المَحَاجِمُ

ثم أورد بعده بيت الشاهد كما رواه المؤلف . وهو يهجو يزيد بن مسهر الشيباني ، كما في ديوانه طبعة القاهرة ص ٧٩ يقول : إنه ينفر منى حين يلقاني ، ويتجهم لى مقطبا وجهه كأنما وضعت بين عينيه المحاجم ، وما أبالي أن يديم الله غصه بى ، وأن أكون شجا في حلقه .

يا ناقَ سِيرِي عَنَقاً فَسِيحا إلى سُلَيْمانَ فَنَسْتَرِيحا[1]

قال : وليس الجواب بسهل فى الدعاء لأنه ليس بشرط .

والصواب من القول فى ذلك، أنه فى موضع جزم على الدعاء ، بمعنى : فلا آمنوا ، وإنما اخترت ذلك لأن ما قبله دعاء، وذلك قوله (رَبَّنا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ) ، فإلحاق قوله (فَلا يُؤْمِنُوا) إذ كان فى سياق ذلك بمعناه أشبهُ وأولى .

وأما قوله (حتى يَرَوُا العَذَابَ الأليمَ) فإن ابن عباس كان يقول : معناه : حتى يروا الغرق . وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال ابن عباس (فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الأليمَ) قال : الغرق .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهارون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم . يقول جلّ ثناؤه (قالَ) الله لهما (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) فى فرعون وملئه وأموالهم .

فإن قال قائل : وكيف نسبت الإجابة إلى اثنين والدعاء إنما كان من واحد . قيل : إن الداعى وإن كان واحدا . فان الثانى كان مؤمنا وهو هارون ، فلذلك نسبت الإجابة إليهما ، لأن المؤمِّن داع ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن رجل ، عن عكرمة فى قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) قال : كان موسى يدعو وهارون يؤمِّن ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) وقد زعم بعض أهل العربية أن العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين ، وأنشد فى ذلك :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لا تُعْجِلانا بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحا[2]

(١) هذان البيتان من شواهد النحويين على نصب المضارع بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالطلب ، وهو قوله سيرى . وهما لأبى النجم العجلى الراجز يقصد سليمان بن عبد الملك الأموى . والعنق بفتحتين ضرب من السير ، والفسيح الواسع انظر شرح التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (طبعة الأميرية ٢ : ٣٠٢) . وانظره أيضا فى معانى القرآن للفراء (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ص : ٣٩) .

(٢) هذا البيت لمضرس بن ربعى الفقعسى الأسدى (انظره فى اللسان : جزز . وفى شرح شواهد شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين الأستراباذى طبعة حجازى بالقاهرة ، وهو الشاهد رقم ٢٣٣ ص ٤٨١ وما بعدها) والبيت من مقطوعة ذكرها الرضى ، وذكر منها صاحب اللسان ثلاثة أبيات آخرها بيت الشاهد . والرواية فيه « لا تحبسانا » فى موضع « لا تعجلانا » عن الخالديين . قال : إن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين . وكذلك رواه الكسائى أيضا ، كما فى الصحاح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زكريا بن عدىّ ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح قال (قَدْ أجيبَتْ دَعْوَتُكُما) قال : دعا موسى ، وأمّن هارُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي وزيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، قال : دعا موسى ، وأمّن هارون .

قال : ثنا أبومعاوية ، عن شيخ له ، عن محمد بن كعب ، قال : دعا موسى ، وأمّن هارون .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال (قَدْ أُجيبَتْ دَعْوَتُكُما) قال : دعا موسى ، وأمّن هارون .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، وعبد الله بن أبي جعفر ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، قال : دعا موسى وأمّن هارون ، فذلك قوله (قَدْ أُجيبَتْ دَعْوَتُكُما) .

حدثنا الحسنَ بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى، عن رجل ، عن عكرمة فى قوله (قالَ قَدْ أُجيبَتْ دَعْوَتُكُما) قال : كان موسى يدعو وهارون يؤمّن ، فذلك قوله (قَدْ أُجيبَتْ دَعْوَتُكُما) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (قَدْ أُجيبَتْ دَعْوَتُكُما) لموسى وهارون .

قال ابن جريج : قال عكرمة : أمّن هارون على دعاء موسى ، فقال الله (قَدْ أُجيبَتْ دَعْوَتُكُما فاسْتَقيما) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان هارون يقول : آمين ، فقال الله (قَدْ أُجيبَتْ دَعْوَتُكُما) فصار التأمين دعوة صار شريكه فيها .

وأما قوله (فاسْتَقيما) فإنه أمر من الله تعالى لموسى وهارون بالاستقامة والثبات على أمرهما من دعاء فرعون وقومه إلى الإجابة إلى توحيد الله وطاعته ، إلى أن يأتيهم عقاب الله الذى أخبرهما أنه أجابهما فيه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس (فاسْتَقيما) : فامضيا لأمرى ، وهى الاستقامة .

قال ابن جريج يقولون : إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة .

وقوله (وَلا تَتَّبِعانِ سَبيلَ الَّذينَ لايَعْلَمُونَ) يقول : ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة

كما قال سويد بن كراع العكلى يهجو عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان فأراد ضربه :

فإنْ تَزْجُرانى يابْنَ عَفّانَ أنْزَجِرْ وإنْ تَدَعانى أحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعا

ويروى : « لحاطبى » فى مكان « لصاحبى » وذكر ياقوت أنه قرأها بخط اليزيدى . ويروى « أجدز » بالدال ، أبدل تاء الافتعال دالا ، لمكان الزاى بعدها . وهذا موضع الشاهد فى البيت عند الرضى . وأخطأ الكسائى فى نسبة البيت ليزيد بن الطثرية . ورواية اللسان : « ولا تحبسنا » بخطاب الواحد ، وعليها فلا شاهد فى البيت : أى لا تحبسنا عن شى اللحم بأن تقلع أصول الشجر ، بل خذ ما تيسر من قضبانه وعيدانه ، وأسرع لنا فى الشى .

وعدى ، فتستعجلان قضائى . فإن وعدى لاخلف له ، وإن وعيدى نازل بفرعون ، وعذابى واقع به وبقومه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقطعنا ببنى إسرائيل البحر حتى جاوزوه (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ) يقول : فتبعهم فرعون (وَجُنُودُهُ) يقال منه : أتبعته وتبعته بمعنى واحد ، وقد كان الكسائى فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول : إذا أريد أنه أتبعهم خيرا أو شرا فالكلام أتبعهم بهمز الألف وإذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم ، فإنه من اتبعت مشدّدة التاء غير مهموزة الألف (بَغْيًا) على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بنى إسرائيل (وَعَدْوًا) يقول : واعتداء عليهم ، وهو مصدر من قولهم : عدا فلان على فلان فى الظلم ، يعدو عليه عدوًا . مثل غزا يغزو غزْوا . وقد رُوى عن بعضهم أنه كان يقرأ (بَغْيًا وَعُدُوًا) وهو أيضا مصدر من قولهم : عدا يعدو عُدُوًّا ، مثل علا يعلو علوًّا (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) يقول : حتى إذا أحاط به الغرق ، وفى الكلام متروك قد ترك ذكره بدلالة ماظهر من الكلام عليه وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه ، فغرّقناه حتى إذا أدْرَكَهُ الغرق .

وقوله (قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاإِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ وَأَنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة (آمَنْتُ) يقول : أقررت (أَنَّهُ لاإِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأ بعضهم ، وهو قراءة عامة المدينة والبصرة أنه بفتح الألف من أنه على إعمال آمنت فيها ونصبها به . وقرأ آخرون : آمنت إنه بكسر الألف من أنه على ابتداء الخبر ، وهى قراءة عامة الكوفيين .

والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبدالله بن شدّاد ، قال : اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف ، وهم اثنان وسبعون ، وخرجوا مع موسى من مصر ، حين خرجوا وهم ستمائة ألف ، فلما أدركهم فرعون فرأوه ، قالوا : ياموسى أين المخرج ؟ فقد أدركنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء ، فأوحى الله إلى موسى (أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) ويبس لهم البحر ، وكشف الله عن وجه الأرض ، وخرج فرعون على فرس حصان أدهم ، على لونه من الدهم ثمان مئة ألف سوى ألوانها من الدوابّ ، وكانت تحت جبريل

عليه السلام فرس وديق[١] ليس فيها أنثى غيرها ، وميكائيل يسوقهم ، لايشذّ رجل منهم إلا ضمه إلى الناس ، فلما خرج آخر بنى إسرائيل دنا منه جبريل ولصق به ، فوجد الحصان ريح الأنثى ، فلم يملك فرعون من أمره شيئا ، وقال : أقدموا فليس القوم أحقّ بالبحر منكم ، ثم أتبعهم فرعون حتى إذا هم أوّلهم أن يخرجوا ارتطم ونادى فيها (آمَنْتُ أنَّه لاإلهَ إلاَّ الَّذى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائيلَ وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ) ونودى (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ؛ وعن عدىّ بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : يرفعه أحدهما إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « إنَّ جِبْرَائِيلَ كانَ يَدُسُّ فى فَمِ فِرْعَوْنَ الطِّينَ مَخافَةَ أنْ يَقُولَ لاإلهَ إلاَّ اللهُ » .

حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن عدىّ بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « جَعَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَدُسُّ أوْ يَحْشُو فى فَمِ فِرْعَوْنَ الطِّينَ مَخافَةَ أنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن كثير بن زاذان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « قالَ لى جِبْرَائِيلُ : يا مُحَمَّدُ لَوْ رأيْتَنِى وأنا أغُطُّهُ وأدُسُّ مِنْ حَمْئِهِ فى فِيهِ مَخافَةَ أنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللهِ فَيَغْفِرُ لَهُ » يعنى فرعون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا أغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ قالَ : آمَنْتُ أنَّهُ لاإلهَ إلاَّ الَّذى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائيلَ . فقالَ جِبْرائيلُ : يا مُحَمَّدُ لَوْ رأيْتَنِى وأنا آخِذٌ مِنْ حَمْأةِ البَحْرِ وأدُسُّهُ فى فِيهِ مَخافَةَ أنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنى عمرو ، عن حكام ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا قالَ فِرْعَوْنُ لاإلهَ إلاَّ اللهُ ، جَعَلَ جِبْرَائِيلُ يَحْشُو فى فِيهِ الطِّينَ وَالتُّرَابَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرنى من سمع ميمون بن مهران يقول فى قوله (آمَنْتُ أنَّه لاإلهَ إلاَّ الَّذى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائيلَ) قال : أخذ جبرائيل من حمأة البحر فضرب بها فاه ؛ أو قال : ملأ بها فاه مخافة أن تدركه رحمة الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحسين بن علىّ ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، قال : خطب الضحاك بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لذكر الله ، فلما أدركه الغرق (قالَ آمَنْتُ أنَّه لاإلهَ إلاَّ الَّذى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائيلَ وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ) قال الله (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ) .

(١) يقال فرس وديق ، وبغلة وديق : إذا أرادت الفحل وحرصت عليه .

قال : ثني أبي ، عن شعبة ، عن عديّ بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن فرعون لما أدركه الغرق جعل جبرائيل يحثو في فيه التراب خشية أن يغفر له .

قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن عيسى بن المغيرة ، عن إبراهيم التيمى ، أن جبرائيل عليه السلام قال : ما خشيت على أحد من بنى آدم الرحمة إلا فرعون ، فإنه حين قال ما قال خشيت أن تصل إلى الربّ فيرحمه ، فأخذت من حمأة البحر وزبده ، فضربت به عينيه ووجهه .

قال أخبرنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن يعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال جبرائيل عليه السلام : لقد حشوت فاه الحمأة مخافة أن تدركه الرحمة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره معرّفا فرعون قبح صنيعه أيام حياته ، وإساءته إلى نفسه أيام صحته ، بتماديه في طغيانه ومعصيته ربه حين فزع إليه في حال حلول سخطه به ، ونزول عقابه ، مستجيرا به من عذابه الواقع به لما ناداه وقد علته أمواج البحر ، وغشيته كرب الموت (آمَنْتُ أنَّهُ لاإلهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنوإسْرائِيل وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ) له ، المنقادين بالذلة له ، المعترفين بالعبودية : الآن تقرّ لله بالعبودية ، وتستسلم له بالذلة ، وتخلص له الألوهة ، وقد عصيته قبل نزول نقمته بك ، فأسخطته على نفسك ، وكنت من المفسدين في الأرض ، الصادّين عن سبيله ، فهلا وأنت في مهل ، وباب التوبة لك منفتح ، أقررت بما أنت به الآن مقرّ ؟ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لفرعون : فاليوم نجعلك على نجوة من الأرض ببدنك ، ينظر إليك هالكا من كذّب بهلاكك (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) يقول : لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك ، فينزجرون عن معصية الله والكفر به ، والسعى في أرضه بالفساد ، والنجوة : الموضع المرتفع على ماحوله من الأرض ، ومنه قول أوس بن حجر :

فَمَنْ بِعَقْوَتِهِ كَمَنْ بِنَجْوَتِهِ ... والمُسْتَكِنّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ[1]

---

(١) في (اللسان عقا) العقوة : الساحة وما حول الدار والمحلة ، جمعها عقاء . يقال : نزل بعقوته ، وما بعقوة هذه الدار مثل فلان أى بساحتها . وفى اللسان : نجا ، النجوة : ما ارتفع من الأرض ، ونسب بيت الشاهد إلى عبيد بن الأبرص . والمستكن : المستتر فى الكن ، والكن والكنة والكنان (بكسر الكاف فيهن) : وقاء كل شيء وستره . و لكن : البيت أيضا والجمع : أكنان وأكنة . والقرواح : الأرض البارزة للشمس قال عبيد : « فن بعقوته » (كذا فى اللسان : قرح) وأنشد البيت ونسبه لعبيد أيضا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبى السليل ، عن قيس بن عباد وغيره قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : إنه لم يمت فرعون ، قال : فأخرجه الله إليهم ينظرون إليه مثل الثور الأحمر .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد الجريرى ، عن أبى السليل ، عن قيس بن عباد ، قال : وكان من أكثر الناس ، أو أحدث الناس عن بنى إسرائيل ، قال : فحدثنا أن أول جنود فرعون لما انتهى إلى البحر هابت الخيل اللهب ، قال : ومثل لحصان منها فرس وديق[1] ، فوجد ريحها ، أحسبه أنا ، قال : فانسل فاتبعته ، قال : فلما تتامّ آخر جنود فرعون فى البحر ، وخرج آخر بنى إسرائيل أمر البحر فانطبق عليهم ، فقالت بنو إسرائيل : ما مات فرعون ، وما كان ليموت أبدا ، فسمع الله تكذيبهم نبيه ، قال : فرمى به على الساحل ، كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شداد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بدنه : جسده رمى به البحر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بجسدك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما جاوز موسى البحر بجميع من معه ، التقى البحر عليهم ، يعنى على فرعون وقومه فأغرقهم ، فقال أصحاب موسى : إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ، ولا نؤمن بهلاكه . فدعا ربه فأخرجه ، فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) يقول : أنكر ذلك طوائف من بنى إسرائيل ، فقذفه الله على ساحل البحر ينظرون إليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) قال : لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك ، فأخرجه الله آية وعظة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمى ، عن أبيه ، عن أبى السليل عن قيس بن عباد أو غيره ، بنحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن معمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بجسدك .

---

(١) الوديق من الخيل والبغال والأتن : التى تريد الفحل .

قال : ثنا محمد بن بكير ، عن ابن جريج ، قال : بلغني ، عن مجاهد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بجسدك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كذب بعض بني إسرائيل بموت فرعون ، فرمى به على ساحل البحر ليراه بنو إسرائيل ، قال : كأنه ثور أحمر .

وقال آخرون : تنجو بجسدك من البحر فتخرج منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) يقول : أنجى الله فرعون لبني إسرائيل من البحر ، فنظروا إليه بعد ما غرق .

فإن قال قائل : وما وجه قوله : ببدنك ، وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه ، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه ببدنك ؟ قيل : كان جائزا أن ينجيه بهيئته حيا كما دخل البحر ، فلما كان جائزاً ذلك . قيل : فاليوم ننجيك ببدنك ، ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ، ولكن ميتا .

وقوله (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) يقول تعالى ذكره : وإن كثيرا من الناس عن آياتنا ، يعني : عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والألوهة لنا خالصة لغافلون ، يقول : لساهون ، لايتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد أنزلنا بني إسرائيل منازل صدق ، قيل : عنى بذلك الشأم وبيت المقدس ، وقيل : عنى به الشام ومصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي وأبوخالد ، عن جويبر ، عن الضحاك (مُبَوَّأَ صِدْقٍ) قال : منازل صدق : مصر والشام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُبَوَّأَ صِدْقٍ) قال : بوأهم الله الشام وبيت المقدس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) الشام ، وقرأ (إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) ، وقوله (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقنا بني إسرائيل من حلال الرزق وهو الطيب .

وقوله (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ العِلْمُ) يقول جلّ ثناؤه : فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى إسرائيل ، حتى جاءهم ما كانوا به عالمين ، وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبىّ صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوّة محمد ، والإقرار به وبمبعثه ، غير مختلفين فيه بالنعت الذى كانوا يجدونه مكتوبا عندهم ، فلما جاءهم ماعرفوا كفر به بعضهم ، وآمن به بعضهم ، والمؤمنون به منهم كانوا عددا قليلا ، فذلك قوله : فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذى كانوا يعلمونه نبيا لله ، فوضع العلم مكان المعلوم .

وكان بعضهم يتأوّل العلم ههنا : كتاب الله ووحيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيا بَيْنَهُمْ)[1] قال : العلم : كتاب الله الذى أنزله ، وأمره الذى أمرهم به ، وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم أهلَ هذه الأهواء ، هل اقتتلوا إلا على البغى ؟ قال : والبغى وجهان : وجه النفاسة فى الدنيا ، ومن اقتتل عليها من أهلها ، وبغى فى العلم يرى هذا جاهلا مخطئا ، ويرى نفسه مصيبا عالما ، فيبغى باصابته وعلمه على هذا المخطئ .

وقوله (إنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يا محمد يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل فيك يوم القيامة ، فيما كانوا فيه من أمرى فى الدنيا يختلفون ، بأن يدخل المكذّبين بك منهم النار ، والمؤمنين بك منهم الجنة ، فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن كنت يا محمد فى شكّ من حقيقة ما أخبرناك وأنزلنا إليك من أن بنى إسرائيل لم يختلفوا فى نبوّتك قبل أن تبعث رسولا إلى خلقه ، لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ويعرفونك بالصفة التى أنت بها موصوف فى كتابهم فى التوراة والإنجيل ، فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) نظم هذه الآية (حتى جاءهم العلم إن ربك ...) الخ . وأما آية الجاثية (إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا ...) الخ فتنبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : التوراة والإنجيل الذين (١) أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فآمنوا به ، يقول : فاسئلهم إن كنت فى شكّ بأنك مكتوب عندهم.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله تعالى (فانْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أنزَلْنا إلَيْكَ ، فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : هو عبد الله بن سلام كان من أهل الكتاب ، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : هم أهل الكتاب .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) يعنى أهل التقوى وأهل الإيمان من أهل الكتاب ، ممن أدرك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قال قائل : أوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شكّ من خبر الله أنه حقّ يقين حتى قيل له (فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قيل : لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أنْزَلْنا إلَيْكَ) فقال : لم يشكّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يسأل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : ما شكّ وما سأل .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ومنصور ، عن الحسن فى هذه الآية ، قال : لم يشكّ صلى الله عليه وسلم ولم يسأل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أشُكُّ ولا أسْألُ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أشُكُّ ولا أسْألُ » .

فإن قال : فما وجه مخرج هذا الكلام إذن إن كان الأمر على ما وصفت ؟ قيل : قد بينا فى غير موضع

(١) فى العبارة اختصار كثير ، ولعل الأصل : قال : الكتاب : التوراة والإنجيل . والذين يقرءون الكتاب : الذين أدركوا . . . الخ

من كتابنا هذا استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه : إن كنت مملوكي فانته إلى أمرى ، والعبد المأمور بذلك لايشكّ سيده القائل له ذلك أنه عبده كذلك قول الرجل منهم لابنه إن كنت ابنى فبرّنى ، وهو لايشك فى ابنه أنه ابنه ، وإن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم ، وذكرنا ذلك بشواهد ، وأن منه قول الله تعالى (وَإِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) وقد علم جلّ ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك ، وهذا من ذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا فى حقيقة خبر الله وصحته ، والله تعالى بذلك من أمره كان عالما ، ولكنه جلّ ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا ، إذ كان القرآن بلسانهم نزل .

وأما قوله (لَقَدْ جاءَكَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) . . . الآية ، فهو خبر من الله مبتدأ ، يقول تعالى ذكره : أقسم لقد جاءك الحقّ اليقين من الخبر بأنك لله رسول ، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك،ويجدون نعتك عندهم فى كتبهم (فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ) يقول : فلا تكوننّ مِنَ الشَّاكِين فى صحة ذلك وحقيقته ، ولو قال قائل : إن هذه الآية خوطب بها النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوّته صلى الله عليه وسلم ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه ، تنبيها له على موضع تعرّف حقيقة أمره ، الذى يزيل اللبس عن قلبه ، كما قال جلّ ثناؤه (يا أَيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ إنَّ اللهَ كانَ عَلِيما حَكِيما) كان قولا غير مدفوعة صحته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿

﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ولا تكوننّ يا محمد من الذين كذّبوا بحجج الله وأدلته ، فتكون ممن غبن حظه ، وباع رحمة الله ورضاه بسخطه وعقابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿

﴾ يقول تعالى ذكره : إن الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك وهى لعنته إياهم ، بقوله (أَلا لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ) فثبتت عليهم ، يقال منه : حقّ على فلان كذا يحقّ عليه : إذا ثبت ذلك عليه ووجب .

وقوله (لايُؤْمِنُونَ وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ) يقول : لايصدّقون بحجج الله ، ولا يقرّون بوحدانية ربهم ، ولا بأنك لله رسول ، ولو جاءتهم كل آية وموعظة وعبرة فعاينوها حتى يعاينوا العذاب الأليم ، كما لم يؤمن فرعون وملؤه ، إذ حقّت عليهم كلمة ربك ، حتى عاينوا العذاب الأليم ، فحينئذ قال (آمَنْتُ أَنَّه لاإِلَهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرائِيلَ) حين لم ينفعه قيله ، فكذلك هؤلاء الذين حقت

عليهم كلمة ربك من قومك ، من عبدة الأوثان وغيرهم ، لايؤمنون بك فيتبعونك إلا فى الحين الذى لاينفعهم إيمانهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ) قال : حقَّ عليهم سخط الله بما عصوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ) حقَّ عليهم سخط الله بما عصوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

☆ يقول تعالى ذكره : فهلا كانت قرية آمنت ، وهى كذلك فيما ذكر فى قراءة أبىّ .

ومعنى الكلام : فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ، ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه ، فنفعها إيمانها ذلك فى ذلك الوقت ، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه فى غيِّه ، واستحقاقه سخط الله بمعصيته (إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ) فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم ، وأخرجهم منهم ، وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم .

☆ فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ماوصفت من أن قوله (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إيمانُها) بمعنى : فما كانت قرية آمنت بمعنى الجحود ، فكيف نصب قوم ، وقد علمت أن ماقبل الاستثناء إذا كان جحدا كان ما بعده مرفوعا ، وأن الصحيح من كلام العرب : ما قام أحد إلا أخوك ، وما خرج أحد إلا أبوك . قيل : إن ذلك إنما يكون كذلك إذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ماقبله ، وذلك أن الأخ من جنس أحد ، وكذلك الأب . ولكن لو اختلف الجنسان حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ماقبله كان الفصيح من كلامهم النصب ، وذلك لوقلت : ما بقى فى الدار أحد إلا الوتد ، وما عندنا أحد إلا كلبا أو حمارا ، لأن الكلب والوتد والحمار من غير جنس أحد ، ومنه قول النابغة الذبيانى :

... ... أعْيَتْ جوَابا وَما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

ثم قال :

إلاَّ أوَارِىَّ لأْيا ما أُبَيِّنُها والنُّؤْىُ كالحَوْضِ بالمظلومة الجَلَدِ[1]

(١) هذا الشاهد من كلام النابغة الذبيانى : زياد بن معاوية . وقد سبق الاستشهاد به فى الجزء الخامس من التفسير ص ٢٧٧ .

فنصب الأوارى إذ كان مستثنى من غير جنسه فكذلك نصب قوم يونس لأنهم أمة غير الأمم الذين استثنوا منهم من غير جنسهم وشكلهم ، وإن كانوا من بنى آدم ، وهذا الاستثناء الذى يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع ، ولو كان قوم يونس بعض الأمة الذين استثنوا منهم كان الكلام رفعا ؛ ولكنهم كما وصفت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها) يقول : لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله ، إلا قرية يونس .

قال ابن جريج : قال مجاهد : فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها كما نفع قوم يونس إيمانهم إلا قوم يونس

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الخِزْيِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا ، وَمَتَّعْناهُمْ إلى حِينٍ) يقول : لم يكن هذا فى الأمم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم ، وظنوا أن العذاب قد دنا منهم . قذف الله فى قلوبهم التوبة . ولبسوا المسوح ، وألهوا [1] بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجوا إلى الله أربعين ليلة ؛ فلما عرف الله الصدق من قلوبهم ، والتوبة والندامة على مامضى منهم ، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم . قال : وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنينوى أرض الموصل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ) قال : بلغنا أنهم خرجوا فنزلوا على تل ، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، يدعون الله أربعين ليلة ، حتى تاب عليهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الحميد الحمانى ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، قال : غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن صالح المرى ، عن قتادة ، عن ابن عباس إن العذاب كان هبط على قوم يونس ، حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثى ميل ، فلما دعوا كشف الله عنهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وإسحاق .

قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) قال : كما نفع قوم يونس ، زاد أبو حذيفة فى حديثه قال : لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها إيمانها ، إلا قوم يونس متعناهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ثنا رجل قد قرأ القرآن فى صدره فى إمارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحدث عن قوم يونس

(١) ألهوا : فرقوا ، والهمزة فيه بدل من الواو ، وفى حديث نقادة الأسدى : « غير أن لاتوله ذات ولد عن ولدها » . اللسان .

حين أنذر قومه فكذّبوه . فأخبرهم أن العذاب يصيبهم ففارقهم ،فلما رأوا ذلك وغشيهم العذاب ، لكنّهم[١] خرجوا من مساكنهم ، وصعدوا فى مكان رفيع ، وأنهم جأروا إلى ربهم ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب ، وأن يُرجع إليهم رسولهم ، قال : فى ذلك أنزل (فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها ، إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الخِزْىِ فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إلى حِينٍ) فلم تكن قرية غشيها العذاب ، ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصة ؛ فلما رأى ذلك يونس . لكنه ذهب عاتبا على ربه ، وانطلق مغاضبا . وظنّ أن لن نقدر عليه حتى ركب فى سفينة فأصاب أهلها عاصف الريح ، فذكر قصة يونس وخبره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، قال : لما رأوا العذاب ينزل فرّقوا بين كل أنثى وولدها من الناس والأنعام ، ثم قاموا جميعا فدعوا الله وأخلصوا إيمانهم ، فرأوا العذاب يكشف عنهم ، قال يونس حين كشف عنهم العذاب : أرجع إليهم وقد كذّبتهم ، وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثة ، فعند ذلك خرج مغضبا وساء ظنه .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما أرسل يونس إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام وترك ماهم عليه ، قال : فدعاهم فأبوا ، فقيل له : أخبرهم أن العذاب مصبّحهم ، فقالوا : إنا لم نجرّب عليه كذبا فانظروا ، فان بات فيكم فليس بشىء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم ، فلما كان فى جوف الليل أخذ مخلاته ، فتزوّد فيها شيئا ، ثم خرج ، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب كما يتغشى الإنسان الثوب فى القبر ، ففرّقوا بين الإنسان وولده وبين البهيمة وولدها ، ثم عجوا إلى الله ، فقالوا : آمنا بما جاء به يونس ، وصدّقنا ، فكشف الله عنهم العذاب ، فخرج يونس ينظر العذاب فلم يرشيئا ، قال : جرّبوا علىّ كذبا ، فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : ثنا ابن مسعود فى بيت المال ، قال : إن يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرّقوا بين كلّ والدة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه ، فكفّ الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينظر العذاب ، فلم ير شيئا ، وكان من كذّب ولم تكن له بينة قتل ، فانطلق مغاضبا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا صالح المرى ، عن أبى عمران الجونى ، عن أبى الجلد جيلان[٢] ، قال : لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم ، فقالوا له : إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى ؟ فقال : قولوا يا حىّ حين لاحىّ ، وياحىّ محيى الموتى ، وياحىّ لاإله إلا أنت ، فكشف عنهم العذاب ومتّعوا إلى حين .

---

(١) لكنهم : اللام حرف جر والكن : البيت والمأوى ، أى غشيهم العذاب وهم فى بيوتهم .

(٢) أبو الجلد : جيلان بن فروة الأسدى بصرى ، روى عنه أبو عمران الجونى وغيره (تاج العروس) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : بلغني في حرف ابن مسعود فلولا يقول فهلا .

وقوله (لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول : لما صدقوا رسولهم وأقرّوا بما جاءهم به بعد ما أظلهم العذاب ، وغشيهم أمر الله ، ونزل بهم البلاء ، كشفنا عنهم عذاب الهوان والذلّ في حياتهم الدنيا (وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) يقول : وأخرنا في آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة ، وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مماتهم ووقت فناء أعمارهم التي قضيت فناءها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه (وَلَوْ شَاءَ) يا محمد (رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعا) بك فصدّقوك أنك لي رسول ، وأن ماجئتهم به ، وماتدعوهم إليه من توحيد الله ، وإخلاص العبودة له ، حقّ ، ولكن لايشاء ذلك ، لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا ، أنه لايؤمن بك ولا يتبعك فيصدّقك بما بعثك الله به من الهدى والنور إلا من سبقت له السعادة في الكتاب الأوّل ، قبل أن يخلق السماوات والأرض وما فيهنّ ، وهؤلاء الذين عجبوا من صدق إيحائنا إليك هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بانذاره ممن قد سبق له عندي أنهم لايؤمنون بك في الكتاب السابق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعا ـ وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بإِذْنِ اللهِ) ونحو هذا في القرآن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبره الله أنه لايؤمن من قومه إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأوّل ، ولا يضلّ إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأوّل .

فإن قال قائل : فما وجه قوله (لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعا) فالكلّ يدل على الجميع ، والجميع على الكلّ ، فما وجه تكرار ذلك ، وكلّ واحدة منهما تغني عن الأخرى ؟ قيل : قد اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحويي أهل البصرة : جاء بقوله جميعا في هذا الموضع توكيدا كما قال : (لاتَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ) ففي قوله : إلهين دليل على الاثنين ، وقال غيره : جاء بقوله : جميعا ، بعد كلهم ، لأن جميعا لاتقع إلا توكيدا ، وكلهم يقع توكيدا واسما ، فلذلك جاء بجميعا بعد كلهم . قال :

ولو قيل : إنه جمع بينهما ليعلم أن معناهما واحد لجاز ههنا ، قال : وكذلك (إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ) العدد كله يفسر به ، فيقال : رأيت قوما أربعة ، فلما جاء باثنين ، وقد اكتفى بالعدد منه لأنهم يقولون : عندى درهم ودرهمان ، فيكفى من قولهم : عندى درهم واحد ودرهمان اثنان ، فإذا قالوا دراهم ، قالوا ثلاثة ، لأن الجمع يلتبس ، والواحد والاثنان لايلتبسان ، لم يثن الواحد والتثنية على ثنافى الجمع ، لأنه ينبغى أن يكون مع كلّ واحد واحد ، لأن درهما يدلّ على الجنس الذى هو منه ، وواحد يدلّ على كلّ الأجناس ، وكذلك اثنان يدلان على كل الأجناس ، ودرهمان يدلان على أنفسهما ، فلذلك جاء بالأعداد لأنه الأصل .

وقوله (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك ، ويقرّ بما جئت به إلا من شاء ربك أن يصدقك ، لاباكراهك إياه . ولا بحرصك على ذلك ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لك ، مصدّقين على ما جئتهم به من عند ربك ، يقول له جلّ ثناؤه (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ - الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَايُؤْمِنُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

☆ يقول تعالى ذكره لنبيه : وما كان لنفس خلقتها من سبيل إلى تصديقك يا محمد إلا بإن أذن لها فى ذلك ، فلا تجهدنّ نفسك فى طلب هداها ، وبلغها وعيد الله وعرفها ما أمرك ربك بتعريفها ، ثم خلّها ، فان هداها بيد خالقها .

وكان الثورى يقول فى تأويل قوله (إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، فى قوله (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) قال : بقضاء الله .

وأما قوله (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَايَعْقِلُونَ) فإنه يقول تعالى ذكره : إن الله يهدى من يشاء من خلقه للإيمان بك يامحمد ، ويأذن له فى تصديقك فيصدّقك ويتبعك ، ويقرّ بما جئت به من عند ربك ، ويجعل الرجس ، وهو العذاب ، وغضب الله على الذين لايعقلون ، يعنى الذين لايعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التى دلّ بها جلّ ثناؤه على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة مادعاهم إليه من توحيد الله ، وخلع الأنداد والأوثان .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ) قال : السخط .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ١٠١

يقول تعالى ذكره (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ، السائليك الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله ، وخلع الأنداد والأوثان (انْظُرُوا) أيها القوم (ماذا في السَّمَوَاتِ) من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله من شمسها وقمرها ، واختلاف ليلها ونهارها ، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها : (و)في (الأرْضِ) من جبالها وتصدّعها بنباتها ،وأقوات أهلها ، وسائر صنوف عجائبها ، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة ومعتبرا ، ودلالة على أن ذلك من فعل من لايجوز أن يكون له في ملكه شريك ، ولاله على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات ، يقول الله جلّ ثناؤه (وَمَا تُغْنِي الآياتُ والنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لايُؤْمِنُونَ) يقول جلّ ثناؤه : وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه ، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء ، وقضى لهم في أمّ الكتاب أنهم من أهل النار لايؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدّقون به (وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ ١٠٢

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم محذّرا مشركي قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم ، نحو الذي حلّ بنظرائهم من قبلهم ، من سائر الأمم الخالية من قبلهم ، السالكة في تكذيب رسل الله، وجحود توحيد ربهم سبيلهم ، فهل ينتظر يا محمد هؤلاء المشركون من قومك المكذّبون بما جئتهم به من عند الله ، إلا يوما يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافهم الذين كانوا على مثل الذي هم عليه من الشرك والتكذيب، الذين مضوا قبلهم ، فخلّوا من قوم نوح وعاد وثمود، قل لهم يا محمد : إن كانوا ذلك ينتظرون ، فانتظروا عقاب الله إياكم ، ونزول سخطه بكم ، إني من المنتظرين هلاككم وبواركم بالعقوبة التي تحل بكم من الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إلاّ مِثْلَ

أيام الذين خلوا من قبلهم) يقول : وقائع الله فى الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ، قل فانتظروا إنى معكم من المنتظرين) قال : خوفهم عذابه ونقمته وعقوبته ، ثم أخبرهم أنه إذا وقع من ذلك أمر أنجى الله رسله والذين آمنوا معه ، فقال الله (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين)

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله ، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم ، ومن كان على مثل الذى هم عليه من تكذيبك ، ثم ننجى هناك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومن آمن به وصدقه واتبعه على دينه ، كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكنا أممهم ، فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حق على أممهم (كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) يقول : كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناها والمؤمنين معها ، وأهلكنا أممها ، كذلك نفعل بك يا محمد وبالمؤمنين ، فننجيك وننجى المؤمنين بك حقا علينا غير شك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت إليك إن كنتم فى شك أيها الناس من دينى الذى أدعوكم إليه ، فلم تعلموا أنه حق من عند الله فإنى لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنى شيئا ، فتشكوا فى صحته ، وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف .

وإنما معنى الكلام : إن كنتم فى شك من دينى ، فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه ، وإنما ينبغى لكم أن تشكوا فى الذى أنتم عليه من عبادة الأصنام التى لا تعقل شيئا ، ولا تضر ولا تنفع ، فأما دينى ، فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه ، لأنى أعبد الله الذى يقبض الخلق فيميتهم إذا شاء وينفعهم ، ويضر من يشاء ، وذلك أن عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة . وأما عبادة الأوثان فينكرها كل ذى لب وعقل صحيح .

وقوله (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يقول : ولكن أعبد الله الذى يقبض أرواحكم

فيميتكم عند آجالكم (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : وهو الذى أمرنى أن أكون من المصدّقين بما جاءنى من عنده .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره : وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم . وأن الثانية عطف على أن الأولى ، ويعنى بقوله (أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) أقم نفسك على دين الإسلام حنيفا مستقيما عليه ، غير معوجّ عنه إلى يهودية ، ولا نصرانية ، ولا عبادة وثن (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : ولا تكوننّ ممن يشرك فى عبادة ربه الآلهة والأنداد فتكون من الهالكين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره : ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئا لاينفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولا يضرّك فى دين ولا دنيا ، يعنى بذلك الآلهة والأصنام ، يقول : لاتعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرّها ، فإنها لاتنفع ولا تضرّ ، فان فعلت ذلك ، فدعوتها من دون الله ، فإنك إذن من الظالمين ، يقول : من المشركين بالله ، الظالم لنفسه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يصبك الله يا محمد بشدّة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا ربك الذى أصابك به دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد (وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ) يقول : وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور (فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) يقول : فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك ولا يردّك عنه ، ولا يحرمكه ، لأنه الذى بيده السرّاء والضرّاء دون الآلهة والأوثان ، ودون ماسواه (يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ) يقول : يصيب ربك يامحمد بالرخاء والبلاء والسرّاء والضرّاء من يشاء ، ويريد من عباده ، وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه ، إلى الإيمان به وطاعته ، الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه أن يعذّبه بعد التوبة والإنابة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد للناس (يا أيُّها النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ) يعنى : كتاب الله ، فيه بيان كلّ ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم (فَمَنِ اهْتَدَى) يقول : فمن استقام فسلك سبيل الحقّ ، وصدّق بما جاء من عند الله من البيان (فإنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) يقول : فإنما يستقيم على الهدى ، ويسلك قصد السبيل لنفسه ، فإياها يبغي الخير بفعله ذلك لا غيرها (وَمَنْ ضَلَّ) يقول : ومن اعوجّ عن الحقّ الذى أتاه من عند الله ، وخالف دينه ، وما بعث به محمدا ، والكتاب الذى أنزله عليه (فإنَّما يَضِلُّ عَلَيْها) يقول : فان ضلاله ذلك إنما يجنى به على نفسه لا على غيرها ، لأنه لا يؤخذ بذلك غيرها ، ولا يورد بضلاله ذلك المهالك سوى نفسه (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) . (وَما أنا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) يقول : وما أنا عليكم بمسلط على تقويمكم ، إنما أمركم إلى الله ، وهو الذى يقوّم من شاء منكم ، وإنما أنا رسول مبلغ أبلغكم ما أرسلت به إليكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى ذكره : واتبع يا محمد وحى الله الذى يوحيه إليك وتنزيله الذى ينزله عليك ، فاعمل به واصبر على ما أصابك فى الله من مشركى قومك من الأذى والمكاره ، وعلى ما نالك منهم حتى يقضى الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل (وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ) يقول : وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين ، فحكم جلّ ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر ، وقتلهم بالسيف ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقى منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم أو يتوبوا وينيبوا إلى طاعته .

كما حدثنى يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ . وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ) قال : هذا منسوخ ، حتى يحكم الله ، حكم الله بجهادهم ، وأمره بالغلظة عليهم .

والله الموفق للصواب ، والحمد لله وحده ، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

---

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّة
وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾

قال أبو جعفر : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله (الر) . والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ) يعنى : هذا الكتاب الذى أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن ، ورفع قوله : كتابٌ بنية : هذا كتاب . فأما على قول من زعم أن قوله (الر) مراد به سائر حروف المعجم التى نزل بها القرآن ، وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها ، وأن معنى الكلام : هذه الحروف كتاب أحكمت آياته ، فإن الكتاب على قوله ، ينبغى أن يكون مرفوعا بقوله (الر) .

وأما قوله (أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم: تأويله : أحكمت آياته بالأمر والنهى ، ثم فصلت بالثواب والعقاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنى أبو محمد الثقفى ، عن الحسن ، فى قوله (كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : أحكمت بالأمر والنهى ، وفصّلت بالثواب والعقاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد الكريم بن محمد الجرجانى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن (الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ) قال : أحكمت فى الأمر والنهى وفصلت بالوعيد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن رجل ، عن الحسن (الر كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ) قال : بالأمر والنهى (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : بالثواب والعقاب .

ورُوى عن الحسن قول خلافَ هذا . وذلك ماحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبى بكر ، عن الحسن ، قال : وحدثنا عباد بن العوّام ، عن رجل ، عن الحسن ، (أُحْكِمَتْ) بالثواب والعقاب (ثُمَّ فُصِّلَتْ) بالأمر والنهى .

وقال آخرون : معنى ذلك : أحكمت آياته من الباطل ، ثم فصلت ، فبين منها الحلال والحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه ، فبين حلاله وحرامه،وطاعته ومعصيته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : أحكمها الله من الباطل ، ثم فصلها : بينها .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : أحكم الله آياته من الدَّخل والخلل والباطل ، ثم فصلها بالأمر والنهى ، وذلك أن إحكام الشيء : إصلاحه وإتقانه ، وإحكام آيات القرآن إحكامها من خلل يكون فيها ، أو باطل يقدر ذوزيغ أن يطعن فيها من قبله . وأما تفصيل آياته فانه تمييز بعضها من بعض بالبيان عما فيها من حلال وحرام وأمر ونهى . وكان بعض المفسرين يفسر قوله(فُصِّلَتْ) بمعنى : فسرت، وذلك نحو الذى قلنا فيه من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : فسرت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فُصِّلَتْ) قال : فسرت .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى ، عن مجاهد (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال: فسرت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال قتادة : معناه : بيِّنت ، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل ، وهو شبيه المعنى بقول مجاهد .

وأما قوله (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) فإن معناه : حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها ، خبير بما يئول إليه عواقبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) يقول : من عند حكيم خبير .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم فصلت بأن لاتعبدوا إلا الله وحده لاشريك له ، وتخلعوا الآلهة والأنداد ، ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للناس : إننى لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام ، وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته ، وإخلاص العبادة والألوهة له .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾

يقول تعالى ذكره : ثم فصلت آياته بأن لاتعبدوا إلا الله ، وبأن استغفروا ربكم ، ويعنى بقوله (وأنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال مايرضى ربكم عنكم ، فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التى ركبتموها بعبادتكم الأوثان والأصنام ، وإشراككم الآلهة والأنداد فى عبادته .

وقوله (ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ) يقول : ثم ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعكم الأنداد ، وبراءتكم من عبادتها ، ولذلك قيل : (وأنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ) ولم يقل : وتوبوا إليه ، لأن التوبة معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله ، والاستغفار : استغفار من الشرك الذى كانوا عليه مقيمين ، والعمل لله لايكون عملا له إلا بعد ترك الشرك به ، فأما الشرك فإن عمله لايكون إلا للشيطان ، فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه بعد الاستغفار من الشرك ، لأن أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم ، وهم على شركهم مقيمون .

وقوله (يُمَتِّعْكُمْ مَتاعا حَسَنا إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات : استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها ، وأنسأ لكم فى آجالكم إلى الوقت الذى قضى فيه عليكم الموت .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُمَتِّعْكُمْ مَتاعا حَسَنا إلى أجَلٍ مُسَمًّى) فأنتم فى ذلك المتاع فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقه ، فإن الله منعم يحبّ الشاكرين ، وأهل الشكر فى مزيد من الله ، وذلك قضاؤه الذى قضى . وقوله (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يعنى الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) قال : الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) وهو الموت .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) قال : الموت .

وأما قوله (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ) فإنه يعنى : يثيب كلّ من تفضل بفضل ماله أو قوّته أو معروفه على غيره محتسبا بذلك ، مريدا به وجه الله ، أجزل ثوابه وفضله فى الآخرة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) قال : ما احتسب به من ماله ، أو عمل بيده أو رجله ، أو كلمه ، أو ما تطوّع به من أمره كله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه . إلا أنه قال : أو عمل بيديه أو رجليه وكلامه ، وما تطوّل به من أمره كله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : وما نطق به من أمره كله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) أى فى الآخرة .

وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقول فى تأويل ذلك ما حُدِّثت به عن المسيب بن شريك ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن مسعود ، فى قوله (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) قال : من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات ، فان عوقب بالسيئة التى كان عملها فى الدنيا ، بقيت له عشر حسنات ، وإن لم يعاقب بها فى الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ، ثم يقول : هلك من غلب آحاده أعشاره .

وقوله (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) يقول تعالى ذكره : وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من إخلاص العبادة لله ، وترك عبادة الآلهة ، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه ، فأدبروا مولين عن ذلك ، فإنى أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه ، عظيم هوله ، وذلك (يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) . وقال جلّ ثناؤه (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) ولكنه مما قد تقدمه قول ، والعرب إذا قدمت قبل الكلام قولا خاطبت ، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب ، ثم رجعت بعد إلى الخطاب ، وقد بينا ذلك فى غير موضع بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : إلى الله أيها القوم مآبكم ومصيركم ، فاحذروا عقابه إن توليتم عما أدعوكم إليه من التوبة إليه من عبادتكم الآلهة والأصنام ، فإنه مخلدكم نار جهنم إن هلكتم على شرككم قبل التوبة إليه (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : وهو على إحيائكم بعد مماتكم ، وعقابكم على إشراككم به الأوثان ، وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

اختلفت القرّاء في قراءة قوله (ألا إنّهم يثنون صدورهم) فقرأته عامة الأمصار (ألا إنّهم يثنون صدورهم) على تقدير يفعلون من ثنيت ، والصدور منصوبة .

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله . فقال بعضهم : ذلك كان من فعل بعض المنافقين كان إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه ، وثنى ظهره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عبدالله بن شدّاد في قوله (ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم) قال[1] : كان أحدهم إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثوبه على وجهه وثنى ظهره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قوله (ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) قال : من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان المنافقون إذا مرّوا به ثنى أحدهم صدره ويطأطئ رأسه . فقال الله (ألا إنّهم يثنون صدورهم) . . . الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، قال : سمعت عبد الله بن شداد يقول ، في قوله (يثنون صدورهم) قال : كان أحدهم إذا مرّ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ثنى صدره ، وتغشى بثوبه كي لا يراه النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله ، وظنا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يثنون صدورهم) قال : شكا وامتراء في الحقّ ، ليستخفوا من الله إن استطاعوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يثنون صدورهم) شكا وامتراء في الحقّ (ليستخفوا منه) قال : من الله إن استطاعوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يثنون صدورهم) قال : تضيق شكّا .

(١) قال بثوبه على وجهه : غطاه به وستر به .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) قال : تضيق شكا وامتراء في الحقّ ، قال : (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قال : من الله إن استطاعوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : من جهالتهم به ، قال الله (ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) في ظلمة الليل في أجواف بيوتهم (يَعْلَمُ) تلك الساعة (ما يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : كان أحدهم يحنى ظهره ، ويستغشى بثوبه .

وقال آخرون : إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنابسر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) . . . الآية قال : كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله ، قال تعالى (ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا حنى صدره ، واستغشى بثوبه ، وأضمر همه في نفسه ، فان الله لايخفى ذلك عليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : أخفى ما يكون الإنسان إذا أسرّ في نفسه شيئا ، وتغطى بثوبه ، فذلك أخفى ما يكون ، والله يطلع على ما في نفوسهم ، والله يعلم ما يسرّون وما يعلنون .

وقال آخرون : إنما هذا إخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ، ويبدون له المحبة والمودّة ، وأنهم معه وعلى دينه ، يقول جلّ ثناؤه : ألا إنهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله ، ثم أخبر جلّ ثناؤه أنه لايخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم .

وقال آخرون : كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قال : هذا حين يناجى بعضهم بعضا . وقرأ (ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) . . . الآية . ورُوِى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (ألا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) على مثال : تحلَوْلِي التمرة : تفعَوعِل ،

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ (ألا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) قال : كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تغشوا بثيابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم إلى السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت محمد بن عباد ابن جعفر يقول : سمعت ابن عباس يقرؤها (ألا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) قال : سألته عنها ، فقال : كان ناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء ، وأن يصيبوا فيفضوا إلى السماء[1] .

ورُوِي عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرت عن عكرمة ، أن ابن عباس ، قرأ (ألا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) وقال ابن عباس : تثنونى صدورهم : الشك فى الله وعمل السيئات (يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ) يستكبر ، أو يستكنّ من الله ، والله يراه (يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (ألا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) قال عكرمة : تثنونى صدورهم ، قال : الشك فى الله وعمل السيئات ، فيستغشى ثيابه ، ويستكنّ من الله ، والله يعلم ما يسرّون وما يعلنون .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار ، وهو (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) على مثال يفعلون ، والصدور نصب بمعنى : يحنون صدورهم ويكبونها .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) يقول : يكبون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) يقول : يكتمون ما فى قلوبهم (ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ) ما عملوا بالليل والنهار .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) يقول : تثنونى صدورهم ، وهذا التأويل الذى تأوّله الضحاك على مذهب قراءة ابن عباس ، إلا أن الذى حدثنا هكذا ذكر القراءة فى الرواية . فإذا كانت القراءة التى ذكرنا أولى القراءتين فى ذلك بالصواب لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

فأولى التأويلات بتأويل ذلك ، تأويل من قال : إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم أو تناجوه بينهم .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن قوله (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) بمعنى : ليستخفوا من الله ، وأن الهاء فى قوله (مِنْهُ) عائدة على اسم الله ، ولم يجر لمحمد ذكر قبل ، فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم وهى فى سياق الخبر عن الله ، فإذ كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر الله أولى ، وإذا صحّ أن

(١) يريد أنهم كانوا يستحيون أن يتبرزوا فى الخلاء ، أو يصيبوا نساءهم . . . الخ .

ذلك كذلك ، كان معلوما أنهم لم يحدّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله إلا بجهلهم به ، فلما أخبرهم جلّ ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرّ أمورهم وعلانيتها على أيّ حال كانوا تغشوا بالثياب ، أو ظهروا بالبراز ، فقال (أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يعني : يتغشون ثيابهم يتغطونها ، ويلبسون ، يقال منه : استغشى ثوبه وتغشاه ، قال الله : واستغشوا ثيابهم ، وقالت الخنساء :

أَرْعَى النُّجُومَ وَمَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَهَا ... وتارَةً أتَغَشَّى فَضْلَ أطْمارِي[1]

(يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ) يقول جلّ ثناؤه : يعلم ما يسرّ هؤلاء الجهلة بربهم ، الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها وثنوه ، وما تناجوه بينهم فأخفوه ، وما يعلنون ، سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم ، إنه عليم بذات الصدور ، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بكلّ ما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر وحقّ وباطل وخير وشرّ ، وما تستجنه مما لم يجنه بعد .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يقول : يغطون رءوسهم .

❊ قال أبو جعفر ، فاحذروا أن يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون في صدوركم الشكّ في شيء من توحيده أو أمره أو نهيه ، أو فيما ألزمكم الإيمان به والتصديق ، فتهلكوا باعتقادكم ذلك .

والله أعلم

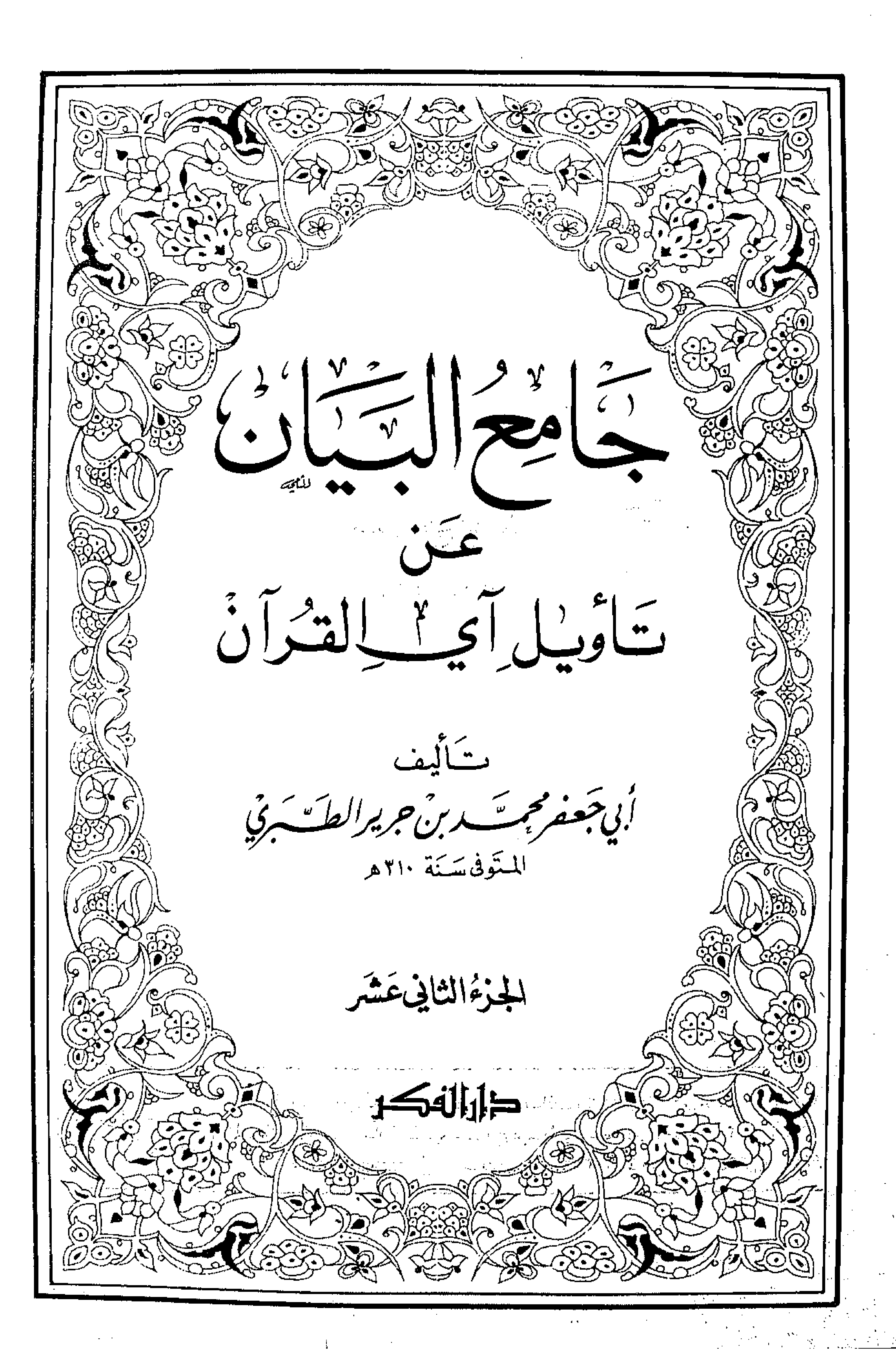
تمّ الجزء الحادي عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الثاني عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا)

---

(١) البيت للخنساء ، أنشده صاحب اللسان في (رعى) قال : ورعى النجوم رعيا وراعاها : راقبها وانتظر مغيبها ، قالت الخنساء : أرعى النجوم . . . البيت . وفي (اللسان : غشى) : استغشى بثوبه ، وتغشى : أي تغطى . وأطماري : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق . ومنه في الحديث : « رب ذي طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » أي رب ذي خلقين أطاع الله ، حتى لو سأل الله أجابه .



جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثاني عشر

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر
بيروت لبنان
المكاتب: البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب: ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل: حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف: ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً: فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الثانى عشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ — فهرس الآيات

٢ — فهرس الموضوعات

الصفحة

٣ — فهرس القوافى

٤ ــ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٦﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرْضِ إلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها) وما تدبّ دابة فى الأرض ، والدابة : الفاعلة من دبّ فهو يدبّ ، وهو دابّ ، وهى دابة (إلا على اللهِ رِزْقُها) يقول : إلا ومن الله رزقها الذى يصل إليها هو به متكفل ، وذلك قُوتُها وغذاؤها وما به عيشها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فى قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرْضِ إلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها) قال : ما جاءها من رزق فمن الله ، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ، ولكن ما كان من رزق فمن الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرْضِ إلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها) قال : كلّ دابة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَا مِنْ دابَّةٍ فِي الأرْضِ إلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها) يعنى : كلّ دابة والناس منهم .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن كل ماش فهو دابة ، وأن معنى الكلام : وما دابة فى الأرض ، وإن « من » زائدة .

وقوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها) حيث تستقرّ فيه ، وذلك مأواها الذى تأوى إليه ليلا أو نهارا ، (وَمُسْتَوْدَعَها) : الموضع الذى يُودِعها ، إما بموتها فيه ، أو دفنها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، قال ، أخبرنا ابن التيمى ، عن ليث، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس ، قال (مُسْتَقَرَّها) ، حيث تأوى (وَمُسْتَوْدَعَها) حيث تموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها) يقول ، حيث تأوى (وَمُسْتَوْدَعَها) يقول ، إذا ماتت .

حدثنا ابن وكيع ، قال ، ثنا المحاربىّ ، عن ليث ، عن الحكم ،عن مِقْسم ، عن ابن عباس (يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال ، المستقرّ : حيث تأوى ، والمستودع ، حيث تموت .

وقال آخرون ، (مُسْتَقَرَّها) فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعَها) : فى الصلب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال ، ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها) : فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعَها) : فى الصلب مثل التى فى الأنعام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ،قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) فالمستقرّ : ماكان فى الرحم ، والمستودع : ماكان فى الصلب .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها) يقول : فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعَها) فى الصلب .

وقال آخرون : المستقرّ : فى الرحم ، والمستودع : حيث تموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ويعلى بن فضيل ، عن إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال : مستقرّها : الأرحام ، ومستودعها : الأرض التى تموت فيها .

قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن مرّة ، عن عبد الله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) المستقرّ : الرحم ، والمستودع ، المكان الذى تموت فيه .

وقال آخرون (مُسْتَقَرَّها) : أيام حياتها (وَمُسْتَوْدَعَها) : حيث تموت فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال : مستقرّها : أيام حياتها ، ومستودعها : حيث تموت ، ومن حيث تبعث .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فيه ، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أن ما رزقت الدوابّ من رزق فمنه ، فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرّها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام .

ويعنى بقوله (كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ) عدد كل دابة ، ومبلغ أرزاقها وقدر قرارها فى مستقرّها ،

ومدة لبثها في مستودعها ، كلّ ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب مبين ، يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدها ، وهذا إخبار من الله جلّ ثناؤه الذين كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا منه أنه قد علم الأشياء كلها ، وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدها ، يقول لهم تعالى ذكره : فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدهم ، فكيف يخفى عليه ما تنطوي عليه نفوسهم إذا ثنَوا به صدورهم ، واستغشوا عليه ثيابهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : الله الذي إليه مرجعكم أيها الناس جميعا ، هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ، أفيعجز من خلق ذلك من غير شيء ، أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم ؟ وقيل : إن الله تعالى ذكره خلق السموات والأرض وما فيهنّ في الأيام الستة ، فاجتزى في هذا الموضع بذكر خلق السموات والأرض من ذكر خلق ما فيهنّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني إسماعيل بن أميَّة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، مولى أمّ سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، فقال « خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ الجِبالَ فِيها يَوْمَ الأحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيها يَوْمَ الاثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأرْبِعاءِ ، وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ يَوْمَ الخَمِيسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلْقِ فِي آخِرِ ساعاتِ الجُمُعَةِ فِيما بَيْنَ العَصْرِ إلى اللَّيْلِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) قال : بدأ خلق الأرض في يومين ، وقدر فيها أقواتها في يومين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، فخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة ، قال : فجعل مكان كلّ يوم ألف سنة .

وحُدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ وَالأرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) قال : من أيام الآخرة ، كلّ يوم مقداره ألف سنة ، ابتدأ في الخلق يوم الأحد ، وختم الخلق يوم الجمعة ، فسميت الجمعة ، وسَبَتَ يومَ السبت فلم يخلق شيئا .

وقوله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) يقول : وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قبل أن يخلق شيئا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قال : هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن عمه أبي رزين العقيلي ، قال : « قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : في عَماء ما فَوْقَهُ هَوَاءٌ وما تَحْتَهُ هَوَاءٌ ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ على المَاءِ » .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان الرازي قالا : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن عمه أبي رزين ، قال : « قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كانَ في عَماء مافَوْقَهُ هَوَاءٌ ، وَما تَحْتَهُ هَوَاءٌ ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ على المَاءِ » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودي ، قال : أخبرنا جامع بن شدّاد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا عليه ، فجعل يبشرهم ويقولون : أعطنا ، حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا من عنده ، وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه ، فقالوا : جئنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتفقه في الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ، قال : فاقْبَلُوا البُشْرَى إذْ لَمْ يَقْبَلْها أُولَئِكَ الَّذِينَ خَرَجُوا ، قالوا : قبلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانَ اللهُ وَلا شَيْءَ غيرُهُ ، وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، ثُمَّ أتاني آتٍ ، فقال : تِلْكَ ناقَتُكَ قَدْ ذَهَبَتْ ، فَخَرَجْتُ يَنْقَطِعُ دُونَها السَّرابُ وَلَوَدِدْتُ أنّي تَرَكْتُها » .

حدثنا محمد بن منصور ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قال : كان عرش الله على الماءُ ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة ، قال : ومن دونهما جنتان ، قال : وهي التي لاتعلم نفس ، أو قال : وهما التي لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين ،

جزاء بما كانوا يعملون ، قال : وهي التي لاتعلم الخلائق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، قال سئل ابن عباس ، عن قول الله (وَكانَ عَرْشُهُ عَلى المَاءِ) قال : على أيّ شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس ، عن قوله تعالى (وَكانَ عَرْشُهُ عَلى المَاءِ) على أيّ شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر الحلبي ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت ضمرة يقول : إن الله كان عرشه على الماء ، وخلق السموات والأرض بالحقّ ، وخلق القلم فكتب به ما هو خالق ، وماهو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئا من الخلق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبدالكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، ثم قبض قبضة من صفاء الماء ، ثم فتح القبضة ، فارتفع دخان ، ثم قضاهنّ سبع سموات في يومين ، ثم أخذ طينة من الماء ، فوضعها مكان البيت ، ثم دحا الأرض منها ، ثم خلق الأقوات في يومين ، والسموات في يومين ، وخلق الأرض في يومين ، ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع .

وقوله (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) يقول تعالى ذكره : وهو الذى خلق السموات والأرض أيها الناس ، وخلقكم في ستة أيام (ليبلوكُمْ) يقول : ليختبركم (أَيُّكم أحسنُ عملاً) يقول : أيكم أحسن له طاعة .

كما حدثنا عن داود بن المحبر ، قال : ثنا عبد الواحد بن زيد ، عن كليب بن وائل ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم « أنه تلا هذه الآية (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) قال : أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلا ، وأَوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ الله ، وأَسْرَعُ في طاعَةِ الله » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا) يعنى الثقلين .

وقوله (وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم ، فتلوت عليهم بذلك تنزيلي ووحيي ، ليقولن إن هذا إلا سحر مبين : أى ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول ، إلا سحر لسامعه ، مبين حقيقته أنه سحر . وهذا على تأويل من قرأ ذلك (إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ) . وأما من قرأ (إِنْ هَذَا إِلاَّ ساحِرٌ مُبِينٌ) فانه يوجه الخبر بذلك عنهم

إلى أنهم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فيما أتاهم به من ذلك ساحر مبين . وقد بيَّنا الصواب من القراءة فى ذلك فى نظائره فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد العذاب فلم نعجله لهم ، وأنسأنا فى آجالهم إلى أمة معدودة ووقت محدود وسنين معلومة ، وأصل الأمة ما قد بيَّنا فيما مضى من كتابنا هذا أنها الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين ، ثم تستعمل فى معان كثيرة ترجع إلى معنى الأصل الذى ذكرت ، وإنما قيل للسنين المعدودة والحين فى هذا الموضع ونحوه أمة ، لأن فيها تكون الأمة . وإنما معنى الكلام : ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها .

وبنحو الذى قلنا من أن معنى الأمة فى هذا الموضع الأجل والحين ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان الثورى ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس . وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثورى ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس (وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) قال : إلى أجل محدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) قال : أجل معدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : إلى أجل معدود .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) قال : إلى حين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) يقول : أمسكنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة . قال ابن جريج : قال مجاهد : إلى حين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ العَذابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) يقول : إلى أجل معلوم .

وقوله (لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ) يقول : ليقولنّ هؤلاء المشركون ما يحبسه؟ أيّ شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذى يتوعدنا به ، تكذيبا منهم به ، وظنا منهم أن ذلك إنما أخر عنهم لكذب المتوعد .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله (لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ) قال : للتكذيب به ، أو أنه ليس بشيء .

وقوله(ألا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفا عَنْهُمْ) يقول تعالى ذكره تحقيقا لوعيده ، وتصحيحا لخبره : ألا يوم يأتيهم العذاب الذى يكذّبون به ليس مصروفا عنهم ، يقول : ليس يصرفه عنهم صارف ، ولا يدفعه عنهم دافع ، ولكنه يحلّ بهم فيهلكهم (وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : ونزل بهم وأصابهم الذى كانوا به يسخرون من عذاب الله ، وكان استهزاؤهم به الذى ذكره الله قيلهم قبل نزوله ما يحبسه نقلا بأنبيائه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، كان بعض أهل التأويل يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) قال : ما جاءت به أنبياؤهم من الحقّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن أذقنا الإنسان منا رخاء وسعة فى الرزق والعيش ، فبسطنا عليه من الدنيا ، وهى الرحمة التى ذكرها تعالى ذكره فى هذا الموضع (ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ) يقول : ثم سلبناه ذلك ، فأصابته مصائب أجاحته ، فذهبت به (إنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ) يقول : يظلّ قنطا من رحمة الله آيسا من الخير .

وقوله : يئوس : فعول ، من قول القائل : يئس فلان من كذا فهو يئوس ، إذا كان ذلك صفة له . وقوله كفور ، يقول : هو كفور لمن أنعم عليه ، قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَئِنْ أَذَقْنا الإنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ) قال : يا ابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية ، فكفور لما بك منها ، وإذا نزعت منك يبتغ لك فراغك ، فيئوس من روح الله ، قنوط من رحمته ، كذلك المرء المنافق والكافر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن نحن بسطنا للإنسان فى دنياه ، ورزقناه رخاء فى عيشه ، ووسعنا عليه فى رزقه وذلك هى النعم التى قال الله جلّ ثناؤه (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ) ، وقوله (بَعْدَ ضَرَّاءَ) يقول: بعد ضيق من العيش كان فيه ، وعسرة كان يعالجها (لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) يقول تعالى ذكره : ليقولنّ عند ذلك : ذهب الضيق والعسرة عنى ، وزالت الشدائد والمكاره (إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) يقول تعالى ذكره : إن الإنسان لفرح بالنعم التى يُعطاها ، مسرور بها فخور ، يقول : ذو فخر بما نال من السعة فى الدنيا وما بسط له فيها من العيش ، وينسى صروفها ، ونكد العوارض فيها ، ويدع طلب النعيم الذى يبقى ، والسرور الذى يدوم فلا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) غرّة بالله وجراءة عليه (إِنَّهُ لَفَرِحٌ) والله لا يحبّ الفرحين (فَخُورٌ) بعد ما أعطى الله ، وهو لا يشكر الله .

ثم استثنى جلّ ثناؤه من الإنسان الذى وصفه بهاتين الصفتين الذين صبروا وعملوا الصالحات ، وإنما جاز استثناؤهم منه ، لأن الإنسان بمعنى الجنس ومعنى الجمع ، وهو كقوله (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فقال تعالى ذكره : إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ، فإنهم إن تأتهم شدّة من الدنيا وعسرة فيها ، لم يثنهم ذلك عن طاعة الله ، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه ، فإن نالوا فيها رخاء وسعة شكروه ، وأدّوا حقوقه بما آتاهم منها ، يقول الله (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يغفرها لهم ، ولا يفضحهم بها فى معادهم (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) يقول : ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم ثواب على أعمالهم الصالحة التى عملوها فى دار الدنيا جزيل ، وجزاء عظيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : إلا الذين صبروا عند البلاء ، وعملوا الصالحات عند النعمة ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجر كبير ، قال : الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك ربك

أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك ، وضائق بما يوحى إليك صدرك ، فلا تبلغه إياهم مخافة (أنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ، أوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) له مصدّق بأنه لله رسول ، يقول تعالى ذكره : فبلغهم ما أوحيته إليك ، فإنك (إنَّمَا أنْتَ نَذِيرٌ) تنذرهم عقابى ، وتحذّرهم بأسى على كفرهم بى ، وإنما الآيات التى يسألونكها عندى ، وفى سلطانى أنزلها إذا شئت ، وليس عليك إلا البلاغ والإنذار (وَاللهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ) يقول : والله القيم بكلّ شىء وبيده تدبيره ، فانفذ لما أمرتك به ، ولا يمنعك مسئلتهم إياك الآيات ، من تبليغهم وحيى ، والنفوذ لأمرى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال الله لنبيه : (فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مايُوحَى إلَيْكَ) أن تفعل فيه ما أمرت وتدعو إليه كما أرسلت ، قالوا (لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ) لانرى معه مالا ، أين المال ؟ (أوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) ينذر معه (إنَّمَا أنْتَ نَذِيرٌ) فبلغ ما أمرت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كفاك حجةً على حقيقة ما أتيتهم به ، ودلالةً على صحة نبوّتك هذا القرآن من سائر الآيات غيره إذا كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه ، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها ، وهذا القرآن جميع الخلق عجزت عن أن يأتوا بمثله ، فإن هم قالوا : افتريته : أى اختلقته وتكذّبته ، ودلّ على أن معنى الكلام ماذكرنا قوله (أمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ) . . . إلى آخر الآية . ويعنى تعالى ذكره بقوله (أمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ) أى أيقولون افتراه . وقد دللنا على سبب إدخال العرب أم فى مثل هذا الموضع ، فقل لهم : يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ، يعنى مفتعلات مختلفات ، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى ، وليس بآية معجزة كسائر ماسئلته من الآيات ، كالكنز الذى قلتم : هلا أنزل عليه ، أو الملك الذى قلتم : هلا جاء معه نذيرا له مصدّقا ، فإنكم قومى وأنتم من أهل لسانى ، وأنا رجل منكم ، ومحال أن أقدر أخلق وحدى مئة سورة وأربع عشرة سورة ، ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها ، ولا سيما إذا استعنتم فى ذلك بمن شئتم من الخلق ، يقول جلّ ثناؤه : قل لهم : وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله ، يعنى سوى الله ، لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة ، فإن أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله ، فقد تبين لكم أنكم كَذَبة فى قولكم

افتراه ، وصحت عندكم حقيقة ما أتيتكم به أنه من عند الله . ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم ، وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ما تكذّبون به أنه من عند الله مثل الذى تسألون من الحجة ، وترغبون أنكم تصدقون بمجيئها .

وقوله (إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) لقوله (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ) وإنما هو : قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد ، وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك من الآلهة والأنداد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) قد قالوه (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ) قال : يشهدون أنها مثله هكذا قال القاسم فى حديثه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك ، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أُنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله وإذنه ، وأن محمدا لم يفتره ، ولا يقدر أن يفتريه . (وأن لاإلهَ إلاَّ هُوَ) يقول : وأيقنوا أيضا أن لامعبود يستحقّ الألوهة على الخلق إلا الله الذى له الخلق والأمر ، فاخلعوا الأنداد والآلهة ، وأفردوا له العبادة .

وقد قيل : إن قوله (فإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) خطاب من الله لنبيه ، كأنه قال : فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار يا محمد . فاعلموا أيها المشركون أنما أنزل بعلم الله ، وذلك تأويل بعيد من المفهوم .

وقوله (فَهَلْ أنْتُمْ مُسْلِمُونَ) يقول : فهل أنتم مذعنون لله بالطاعة ، ومخلصون له العبادة بعد ثبوت الحجة عليكم . وكان مجاهد يقول : عنى بهذا القول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهَلْ أنْتُمْ مُسْلِمُونَ) قال : لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : فى قوله (وأنْ لاإلَهَ إلاَّ هُوَ فَهَلْ أنْتُمْ مُسْلِمُونَ) قال لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقيل (فإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) والخطاب فى أوّل الكلام قد جرى لواحد ، وذلك قوله (قُلْ

(فأتوا) ولم يقل: فإن لم يستجيبوا لك على نحو ما قد بيّنّا قبل فى خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم، أن العرب تخرج خطابه أحيانا مخرج خطاب الجمع. إذا كان خطابه خطاب الأتباع وجنده. وأحيانا مخرج خطاب الواحد. إذا كان فى نفسه واحدا.

القول في تأويل قوله تعالى:

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره (مَنْ كانَ يُرِيدُ) بعمله (الحَيَاةَ الدُّنْيا) وأثاثها (وَزِينَتَها) يطلب به (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ) أجور (أعْمالَهُمْ فِيها) وثوابها (وَهُمْ فِيها) يقول: وهم فى الدنيا (لايُبْخَسُونَ) يقول: لاينقصون أجرها، ولكنهم يُوَفَّونه فيها.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك. قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها)... الآية. وهى مايعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم، وذلك أنهم لايظلمون نقيرا. يقول: من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا يقول الله: أُوَفّيه الذى التمس فى الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذى كان يعمل التماس الدنيا، وهو فى الآخرة من الخاسرين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبير (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) قال: ثواب ما عملوا فى الدنيا من خير أعطوه فى الدنيا (وَلَيْسَ لَهُمْ فى الآخِرةِ إلاَّ النَّارُ، وحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبير، قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) قال: وربما عملوا من خير أعطوه فى الدنيا، و(لَيْسَ لَهُمْ فى الآخِرةِ إلاَّ النَّارُ وحَبِطَ ماصَنَعُوا فِيها) قال: هى مثل الآية التى فى الروم (وما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فى أمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى، عن سفيان، عن منصور، عن سعيد بن جبير (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) قال: من عمل للدنيا وفّيه فى الدنيا.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبوحذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) قال: من عمل عملا مما أمر الله به من صلاة أو صدقة لايريد بها وجه الله أعطاه الله فى الدنيا ثواب ذلك مثل ما أنفق، فذلك قوله (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) فى الدنيا (وَهُمْ فِيها لايُبْخَسُونَ) أجر ماعملوا فيها (أولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها)... الآية.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن عيسى ، يعنى ابن ميمون ، عن مجاهد ، فى قوله (مَنْ كانَ يُريدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا) قال : ممن لا يقبل منه جُوزى به يُعطى ثوابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عيسى الجرشى ، عن مجاهد (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) قال : ممن لا يقبل منه يعجل له فى الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها ، وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ) أى لا يظلمون ، يقول : من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته ، جازاه الله بحسناته فى الدنيا ، ثم يُفْضِي إلى الآخرة ، وليس له حسنة يُعطى بها جزاء . وأما المؤمن فيجازى بحسناته فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة (وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ) : أى فى الآخرة لا يظلمون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعا ، عن معمر ، عن قتادة (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) . . . الآية : قال : من كان إنما همته الدنيا إياها يطلب أعطاه الله مالا ، وأعطاه فيها ما يعيش ، وكان ذلك قصاصا له بعمله (وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ) قال : لا يظلمون .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ليث بن أبى سليم ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ فَقَدْ وَقَعَ أجْرُهُ على اللهِ فِي عاجِلِ الدُّنْيا ، وآجِلِ الآخِرَةِ » .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) . . . الآية ، يقول : من عمل عملا صالحا فى غير تقوى ، يعنى من أهل الشرك ، أعطى على ذلك أجرا فى الدنيا يصل رحما ، يعطى سائلا ، يرحم مضطرًّا فى نحو هذا من أعمال البرّ يعجل الله له ثواب عمله فى الدنيا ، يوسع عليه فى المعيشة والرزق ، ويقرّ عينه فيما خوّله ، ويدفع عنه من مكاره الدنيا فى نحو هذا ، وليس له فى الآخرة من نصيب .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا حفص بن عمر أبو عمر الضرير ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس فى قوله (نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ) قال : هى فى اليهود والنصارى .

قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن أبى رجاء الأزدى ، عن الحسن (نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) قال : طيباتهم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن وهب أنه بلغه أن مجاهدا كان يقول فى هذه الآية : هم أهل الرياء ، هم أهل الرياء .

قال أخبرنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، قال : ثنى الوليد بن أبى الوليد أبوعثمان ، أن عقبة بن مسلم حدثه أن شُفَىّ بن ماتع الأصبحى ، حدثه أنه دخل المدينة ، فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال من هذا ؟ فقالوا أبوهريرة ، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدّث الناس ، فلما سكت وخلى ، قلت : أنشدك بحقّ وبحقّ لما حدثتنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته ، قال : فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نشغ نشغة[١] ، ثم أفاق ، فقال : لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت ما فيه أحد غيرى وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ، ثم مال خارا على وجهه ، واشتدّ به طويلا ، ثم أفاق ، فقال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى أهل القيامة ليقضى بينهم وكل أمة جاثية ، فأوّل من يدعى به : رجل جمع القرآن ، ورجل قتل فى سبيل الله ، ورجل كثير المال ، فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى ؟ قال : بلى يا ربّ ، قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان قارئ فقد قيل ذلك ، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا ربّ ، قال : فماذا عملت فيما آتيتك قال : كنت أصل الرحم ، وأتصدّق ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جواد ، فقد قيل ذلك ، ويؤتى بالذى قُتل فى سبيل الله ، فيقال له : فبماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد فى سبيلك ، فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جرىء ، وقد قيل ذلك : ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى ، فقال : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أوّل خلق الله تسعر لهم النار يوم القيامة » .

قال الوليد أبوعثمان : فأخبرنى عقبة أن شفيا هو الذى دخل على معاوية ، فأخبره بهذا .

قال أبوعثمان : وحدثنى العلاء بن أبى حكيم أنه كان سيافا لمعاوية ، قال : فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبى هريرة ، فقال أبو هريرة وقد فعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقى من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هلك ، وقلنا : هذا الرجل شرّ ؛ ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه فقال : صدق الله ورسوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) وقرأ إلى (وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) . . . الآية ، قال : ممن لايتقبل منه ، يصوم ويصلى ، يريد به الدنيا ، ويدفع عنه وهم الآخرة (وَهُمْ فِيها لايُبْخَسُونَ) لاينقصون .

(١) النشغ : الشهيق ، حتى يكاد يبلغ به الغشى ، إنما يفعل الإنسان ذلك تشوقا إلى شيء فائت ، وأسفا عليه ، ذكر أبو هريرة النبى صلى الله عليه وسلم فنشغ ، أى شهق وغشى عليه (النهاية) .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفيهم أجور أعمالهم فى الدنيا (لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إلاَّ النارُ) يصلونها (وَحَبِطَ ماصَنَعُوا فِيها) يقول : وذهب ما عملوا فى الدنيا (وَبَاطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) لأنهم كانوا يعملون لغير الله . فأبطله الله . وأحبط عامله أجره .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قد بين له دينه فتبينه (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم : يعنى بقوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) محمدا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا حسين بن محمد . قال : ثنا شيبان . عن قتادة ، عن عروة . عن محمد بن الحنفية . قال : قلت لأبى : يا أبت أنت التالى فى (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لا والله يابنى . وددت أنى كنت أنا هو ، ولكنه لسانه .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف . عن الحسن ، فى قوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن المثنى . قال : ثنا الحكم بن عبد الله أبو النعمان العجلى ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدى ، قال : ثنا المعافى بن عمران . عن قرة بن خالد . عن الحسن . مثله .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) وهو محمد كان على بينة من ربه .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . عن الحسن . قوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : ثنا محمد بن ثور : عن معمر . عن قتادة (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لسانه هو الشاهد .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبو أسامة . عن شعبة . عن أبي رجاء . عن الحسن . مثله .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا غندر . عن عوف . عن الحسن . مثله .

وقال آخرون : يعني بقوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار . قال : ثنا ابن أبي عديّ . عن عوف . عن سليمان العلاف . عن الحسين بن عليّ في قوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا غندر . عن عوف . قال : ثني سليمان العلاف . قال : بلغني أن الحسين ابن عليّ قال (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا أبو أسامة . عن عوف . عن سليمان العلاف . سمع الحسين بن عليّ (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) يقول : محمد هو الشاهد من الله .

حدثني يونس بن عبد الأعلى . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد . في قوله (أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على بينة من ربه . والقرآن يتلوه شاهد منه أيضا من الله . بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا جرير . عن ليث . عن مجاهد (أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قال : النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبي : عن نضر بن عربي . عن عكرمة . مثله .

قال : ثنا أبي . عن سفيان . عن منصور . عن إبراهيم . مثله .

حدثنا الحرث . قال : ثنا أبو خالد . سمعت سفيان يقول (أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال آخرون : هو عليّ بن أبي طالب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمارة الأسدي . قال : ثنا رزيق بن مرزوق . قال : ثنا صباح الفراء . عن جابر . عن عبد الله بن يحيي . قال : قال عليّ رضي الله عنه : ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان . فقال له رجل : فأنت فأيّ شيء نزل فيك . فقال عليّ : أما تقرأ الآية التي نزلت في هود (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) .

وقال آخرون : هو جبرئيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) إنه كان يقول : جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم (وَيَتْلوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

وحدثنا به أبو كريب مرّة أخرى باسناده عن إبراهيم ، فقال : قال يقولون عليّ إنما هو جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هو جبرئيل ، تلا التوراة والإنجيل والقرآن ، وهو الشاهد من الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا محمد بن عبد الله المخرمى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : جبرئيل .

قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبي صالح (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

قال : ثنا أبومعاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) يعنى محمدا هو على بينة من الله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) جبرئيل شاهد من الله يتلو على محمد مابعث به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبى ، عن نضر بن عربى ، عن عكرمة ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جبرئيل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) يعنى محمدا على بينة من ربه (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) فهو

جبرئيل شاهد من الله بالذى يتلو من كتاب الله الذى أنزل على محمد ، قال : ويقال (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) يقول : يحفظه الملك الذى معه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : كان مجاهد يقول فى قوله (أَفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قال : يعنى محمدا (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

وقال آخرون : هو ملك يحفظه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : معه حافظ من الله ملك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، وسُوَيد بن عمرو ، عن حماد بن سَلَمة ، عن أيوب ، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : ملك يحفظه .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عمن سمع مجاهدا (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : الملك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) يتبعه حافظ من الله مَلَك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : الملك يحفظه يتلونه حقّ تلاوته ، قال : يتبعونه حقّ اتباعه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : حافظ من الله ملك .

وأولى هذه الأقوال التى ذكرناها بالصواب فى تأويل قوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْه) : قول من قال : هو جبرئيل ؛ لدلالة قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى إماما وَرَحْمَةً) على صحة ذلك ، وذلك أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لم يتلُ قبل القرآن كتاب موسى ، فيكون ذلك دليلا على صحة قول من قال : عُنِى به لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، أو محمد نفسه ، أو علىّ على قول من قال : عُنِى به علىّ ، ولا يعلم أن أحدا كان تلا ذلك قبل القرآن ، أو جاء به ممن ذكر أهل التأويل أنه عُنِى بقوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) غير جبرئيل عليه السلام .

فإن قال قائل : فإن كان ذلك دليلك على أن المَعْنِىّ به جبرئيل ، فقد يجب أن تكون القراءة فى قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى) بالنصب ، لأن معنى الكلام على ما تأوّلت يجب أن يكون : ويتلو القرآن شاهد من الله ، ومن قَبْل القرآن كتاب موسى ؟ قيل : إن القراء فى الأمصار قد أجمعت على قراءة ذلك بالرفع فلم يكن لأحد خلافُها ، ولو كانت القراءة جاءت فى ذلك بالنصب كانت قراءة صحيحة ومعنى صحيحا .

فإن قال : فما وجه رفعهم إذا الكتاب على ما ادّعيت من التأويل ؟ قيل : وجه رفعهم هذا أنهم ابتدءوا

الخبر عن مجيء كتاب موسى قبل كتابنا المنزل على محمد ، فرفعوه بمن قبله ، والقراءة كذلك ، والمعنى الذي ذكرت من معنى تلاوة جبرئيل ذلك قبل القرآن ، وأن المراد من معناه ذلك وإن كان الخبر مستأنفا على ما وصفت اكتفاء بدلالة الكلام على معناه .

وأما قوله (إماما) فإنه نصب على القطع من كتاب موسى ، وقوله (وَرَحْمَةً) عطف على الإمام ، كأنه قيل : ومن قبله كتاب موسى إماما لبني إسرائيل يأتمّون به ، ورحمة من الله تلاه على موسى .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) قال : من قبله جاء بالكتاب إلى موسى ، وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ذكر عليه منه ، وهو (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً) كمن هو في الضلالة متردد ، لا يهتدي لرشد ، ولا يعرف حقا من باطل ، ولا يطلب بعمله إلا الحياة الدنيا وزينتها ، وذلك نظير قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ، يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) والدليل على حقيقة ما قلنا في ذلك أن ذلك عقيب قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) ... الآية ، ثم قيل : أهذا خير أمّن كان على بينة من ربه ؟ والعرب تفعل ذلك كثيرا إذا كان فيما ذكرت دلالة على مرادها على ما حذفت ، وذلك كقول الشاعر :

فأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُ سِوَاكِ ، ولكنْ لَمْ نَجِدْ لكِ مَدْفَعا[1]

وقوله (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول : هؤلاء الذين ذكرت يصدّقون ويقرّون به إن كفر به هؤلاء المشركون الذين يقولون : إن محمدا افتراه .

● القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ومن يكفر بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الأحزاب وهم المتحزبة على مللهم فالنار موعده ، إنه يصير إليها في الآخرة بتكذيبه يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلَا تَكُ

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ، وهو من شواهد النحويين (خزانة البغدادي ٤ : ٢٢٧) على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب القسم لا جواب « لو » ، عملا بمقتضى الضابط في اجتماع قسم وشرط . قال : وتقدير الجواب كما ذكره الفراء وغيره : لو أتانا رسول سواك ، لدفعناه ، بدليل قوله « مدفعا » . والصواب أن الجواب مذكور في البيت الذي بعده ، وهو قول امرئ القيس :

إذَنْ لَرَدَدْناهُ وَلَوْ طالَ مُكْثُهُ لَدَيْنا ، وَلَكِنَّا بِحُبِّكِ وُلَّعا

وإنما تبع الطبري الفراء في قوله في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٤١) : « وربما تركت العرب جواب الشيء المعروف معناه وإن ترك الجواب . قال الشاعر : « فأقسم . . . البيت » وقال تعالى ، وهو أصدق من قول الشاعر : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض » . فلم يؤت له بجواب . والله أعلم . قال البغدادي : وعلى هذا يكون قوله « ولكن لم نجد لك مدفعا » جملة اعتراضية . وعذرهم في تقدير الجواب ، أن البيت الثاني ساقط في أكثر الروايات . وقد ذكره الزجاجي في أماليه الصغرى والكبرى ، في جملة أبيات ثمانية ، رواها المبرد ، من قصيدة لامرئ القيس . اهـ . والرواية فيها : « وجدك الوشيء » .

في مرية منه) يقول : فلا تك فى شك منه ، من أن موعد من كفر بالقرآن من الأحزاب النار ، وأن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك من عند الله ، ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن القرآن ، فقال : إن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك يا محمد الحق من ربك لاشك فيه ، ولكن أكثر الناس لايصدقون بأن ذلك كذلك .

فإن قال قائل : أوكان النبي صلى الله عليه وسلم فى شك من أن القرآن من عند الله ، وأنه حق ، حتى قيل له : فلا تك فى مرية منه ؟ قيل : هذا نظير قوله (فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) وقد بينا ذلك هنالك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، قال : نبئت أن سعيد بن جبير قال : ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه فى كتاب الله تعالى حتى قال « لايَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَلا يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لايُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ » قال سعيد : فقلت أين هذا فى كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاما وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ . وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : من أهل الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الله المُخَرِّمىّ وابن وكيع ، قالا : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان ، عن أيوب عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ) قال : من الملل كلها .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : كنت لاأسمع بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ، إلا وجدت مصداقه ، أو قال تصديقه فى القرآن ، فبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَلا يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ لايُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ » فجعلت أقول : أين مصداقها حتى أتيت على هذا (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) . . . إلى قوله (فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : فالأحزاب : الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : ثنى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ بِي مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَلا يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ فَلا يُؤْمِنُ بِي إِلاَّ دَخَلَ النَّار » ؟فجعلت أقول : أين مصداقها فى كتاب الله ، قال : وقلما سمعت حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وجدت له تصديقا فى القرآن حتى وجدت هذه الآيات (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) : الملل كلها .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : الكفار أحزاب كلهم على الكفر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) أي يكفر ببعضه ، وهم اليهود والنصارى ، قال : بلغنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لايَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَلا يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنَ بِي ، إلاَّ دَخَلَ النَّارَ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا يوسف بن عديّ النصْريّ ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ سَمِعَ بِي مِنْ أُمَّتِي أَوْ يَهُودِيّ أَوْ نَصْرانِيّ ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِي لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : وأيّ الناس أشدّ تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه ، أولئك يُعرَضون على ربهم ، ويقول الأشهاد : هؤلاء الذين يكذبون على ربهم يعرَضون يوم القيامة على ربهم ، فيسألهم عما كانوا فى دار الدنيا يعملون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على الله كَذِباً) قال : الكافر والمنافق (أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ على رَبِّهِمْ) فيسألهم عن أعمالهم ، وقوله (وَيَقُولُ الأَشْهادُ) يعنى الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم ، وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون ، وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذى هو جمع صاحب (هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ) يقول : شهد هؤلاء الأشهاد فى الآخرة على هؤلاء المفترين على الله فى الدنيا ، فيقولون : هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على ربهم ، يقول الله (أَلا لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ) : يقول : ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربهم .

وبنحو ما قلنا فى قوله (وَيَقُولُ الأَشْهادُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا نمير ، بن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَقُولُ الأَشْهادُ) قال : الملائكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُ الأَشْهادُ) والأشهاد : الملائكة يشهدون على بنى آدم بأعمالهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الأشهاد) قال : الخلائق ، أو قال : الملائكة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَيَقُولُ الأشْهادُ) الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا (هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ) حفظوه وشهدوا به عليهم يوم القيامة .

قال ابن جريج : قال مجاهد : الأشهاد : الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (وَيَقُولُ الأشْهادُ) قال : الملائكة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَيَقُولُ الأشْهادُ) يعني الأنبياء والرسل ، وهو قوله (وَيَوْمَ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أنْفُسِهِمْ ، وَجِئْنا بِكَ شَهِيدًا على هَؤُلاءِ) قال : وقوله (وَيَقُولُ الأشْهادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ) يقولون : يا ربنا أتيناهم بالحق فكذبوا ، فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن سعيد وهشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز المازني ، قال : بينا نحن بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف ، إذ عرض له رجل فقال : يا ابن عمر ماسمعتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى ؟ فقال : سمعت نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَدْنُو المُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حتى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ كَذَا ، فَيَقُولُ رَبِّ أعْرِفُ ، مَرَّتَيْنِ ، حتى إذَا بَلَغَ بِهِ ما شاءَ اللهُ أنْ يَبْلُغَ ، قال : فإنِّي قَدْ سَتَرْتُها عَلَيْكَ في الدُّنْيا وأنا أغْفِرُها لكَ اليَوْمَ ، قالَ : فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَناتِهِ أوْ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ . وأمَّا الكُفَّارُ والمُنافِقُونَ ، فَيُنادَى بِهِمْ على رُءُوسِ الأشْهادِ : ألا هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ ألا لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا هشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : كنَّا نحدّث أنه لايخزى يومئذ أحد فيخفى خزيه على أحد ممن خلق الله أو الخلائق .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٩)

يقول تعالى ذكره : ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدّون الناس عن الإيمان به ، والإقرار له بالعبودة

وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد من مشركي قريش، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام من دخل فيه (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يقول : ويلتمسون سبيل الله وهو الإسلام الذى دعا الناس إليه محمد، يقول : زيغا وميلا عن الاستقامة (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يقول: وهم بالبعث بعد الممات مع صدهم عن سبيل الله ، وبغيهم إياها عوجا كافرون ، يقول : هم جاحدون ذلك منكرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾

يعنى جل ذكره بقوله (أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله، يقول جل ثناؤه : إنهم لم يكونوا بالذين يُعْجِزون ربهم بهربهم منه فى الأرض إذا أراد عقابهم، والانتقام منهم ، ولكنهم فى قبضته وملكه، لا يمتنعون منه إذا أرادهم ، ولا يفوتونه هربا إذا طلبهم (وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ) يقول : ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم من دون الله أنصار ينصرونهم من الله ، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم ، وقد كانت لهم فى الدنيا منعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء .

وقوله (يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ) يقول تعالى ذكره : يزاد فى عذابهم ، فيجعل لهم مكان الواحد اثنان . وقوله (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) فإنه اختلف فى تأويله ، فقال بعضهم : ذلك وصف الله به هؤلاء المشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم ، وأنهم لا يسمعون الحق ، ولا يبصرون حُجَج الله سماع منتفع ، ولا إبصار مهتد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) صم عن الحق فما يسمعونه ، بكم فما ينطقون به، عُمْى فلا يبصرونه ، ولا ينتفعون به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) قال : ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرا فينتفعوا به ، ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس، قال: أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة . أما فى الدنيا فإنه قال (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ) وهى طاعته (وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) . وأما فى الآخرة فإنه قال (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خاشعة) .

وقال آخرون : إنما عنى بقوله (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ) آلهة الذين يصدّون عن سبيل الله ، وقالوا : معنى الكلام : أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين فى الأرض(يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَاكَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) يعنى الآلهة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر ، هذا قول رُوى عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره لضعف سنده .

وقال آخرون : معنى ذلك : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه ، وبما كانوا يبصرون ولا يتأملون حجج الله بأعينهم فيعتبروا بها ، قالوا : والباء كان ينبغى لها أن تدخل ، لأنه قد قال (فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) بكذبهم فى غير موضع من التنزيل أدخلت فيه الباء ، وسقوطها جائز فى الكلام كقولك فى الكلام : لاحن[1] بما فيك ما علمت وبما علمت ، وهذا قول قاله بعض أهل العربية .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله ابن عباس وقتادة ، من أن الله وصفهم تعالى ذكره بأنهم لايستطيعون أن يسمعوا الحقّ سماع منتفع ، ولايبصرونه إبصار مهتد ، لاشتغالهم بالكفر الذى كانوا عليه مقيمين ، عن استعمال جوارحهم فى طاعة الله ، وقد كانت لهم أسماع وأبصار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم الذين غَبَنُوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله(وَضَلَّ عَنْهُمْ ماكانُوا يَفْتَرُونَ) وبطل كذبهم وإفكهم وفريتهم على الله بإدّعائهم له شركاء ، فسلك ما كانوا يدعونه إلها من دون الله غير مسلكهم ، وأخذ طريقا غير طريقهم ، فضلّ عنهم ، لأنه سلك بهم إلى جهنم ، وصارت آلهتهم عدما لاشىء ، لأنها كانت فى الدنيا حجارة أو خشبا أو نحاسا ، أو كان لله وليا ، فسلك به إلى الجنة ، وذلك أيضا غير مسلكهم ، وذلك أيضا ضلال عنهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : حقا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم فى الدنيا فى الآخرة هم الأخسرون ، الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار ، وذلك هو الخسران المبين ، وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم : جَرَمْتُ : كسبت الذنب وأجرمته ، إن العرب كثر استعمالها إياه فى مواضع الأيمان ، وفى مواضع « لابدّ » كقولهم : لاجرم أنك ذاهب ، بمعنى : لابد ، حتى استعملوا ذلك فى مواضع التحقيق فقالوا : لاجرم ليقومنّ ، بمعنى : حقا ليقومنّ ، فمعنى الكلام : لامنع عن أنهم ، ولا صدّ عن أنهم .

(١) كذا وردت الكلمة فى الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية فى هذا الموضع من المجلد الثانى عشر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين صَدّقوا الله ورسوله ، وعملوا فى الدنيا بطاعة الله وأخبتوا إلى ربهم .

واختلف أهل التأويل فى معنى الإخبات ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأنابوا إلى ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وأَخْبَتُوا إلى رَبِّهِمْ) قال : الإخبات : الإنابة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَخْبَتُوا إلى رَبِّهِمْ) يقول : وأنابوا إلى ربهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : وخافوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وأَخْبَتُوا إلى رَبِّهِمْ) يقول : خافوا .

وقال آخرون : معناه : اطمأنوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأَخْبَتُوا إلى رَبِّهِمْ) قال : اطمأنوا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : خشعوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأَخْبَتُوا إلى رَبِّهِمْ) الإخبات : التخشع والتواضع .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة المعانى ، وإن اختلفت ألفاظها ، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله ، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة ، والطمأنينة إليه من الخشوع له ، غير أن نفس الإخبات عند العرب الخشوع والتواضع ، وقال (إلى رَبِّهِمْ) ومعناه : أخبتوا لربهم ، وذلك أن العرب تضع اللام

موضع إلى،وإلى موضع اللام كثيرا ، كما قال تعالى : (بأنَّ رَبَّكَ أوْحَى لَهَا) بمعنى : أوحى إليها ، وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك ، لأنهم وصفوا بأنهم عمدوا بإخباتهم إلى الله .

وقوله (أُولَئِكَ أصحابُ الجنَّةِ هُمْ فيها خالِدُونَ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان الجنة الذين لايخرجون عنها ، ولا يموتون فيها ، ولكنهم فيها لابثون إلى غير نهاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

*** مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾**

يقول تعالى ذكره : مثل فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذى لايرى بعينه شيئا ، والأصمّ الذى لايسمع شيئا،فكذلك فريق الكفر لايبصر الحقّ فيتبعه ، ويعمل به لشغله بكفره بالله ، وغلبة خذلان الله عليه ، لايسمع داعى الله إلى الرشاد ، فيجيبه إلى الهدى فيهتدى به ، فهو مقيم فى ضلالته ، يتردّد فى حيرته ، والسميع والبصير ، فكذلك فريق الإيمان أبصر حُجج الله ، وأقرّ بما دلت عليه من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد ونبوّة الأنبياء عليهم السلام ، وسمع داعى الله فأجابه وعمل بطاعة الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأعْمَى والأصَمّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ) قال : الأعمى والأصمّ : الكافر ، والبصير والسميع : المؤمن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأعْمَى والأصَمّ ، والبَصِيرِ والسَّمِيعِ) : الفريقان الكافران ، المؤمنان ، فأما الأعمى والأصمّ فالكافران ، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأعْمَى والأصَمّ ، والبَصِيرِ والسَّمِيعِ) . . . الآية : هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأما الكافر فصمّ عن الحقّ فلا يسمعه ، وعمى عنه فلا يبصره . وأما المؤمن فسمع الحقّ فانتفع به وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به ، يقول تعالى (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً) يقول : هل يستوى هذان الفريقان على اختلاف حالتيهما فى أنفسهما عندكم أيها الناس فإنهما لايستويان عندكم ، فكذلك حال الكافر والمؤمن لايستويان عند الله (أفَلا تَذَكَّرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : أفلا تعتبرون أيها الناس وتتفكرون ، فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما ، فتنزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى،ومن الكفر إلى الإيمان،فالأعمى والأصم والبصير والسميع فى اللفظ أربعة ، وفى المعنى اثنان ، ولذلك قيل (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً) وقيل : كالأعمى والأصمّ ، والمعنى : كالأعمى الأصمّ ، وكذلك قيل : والبصير والسميع ، والمعنى : البصير السميع ، كقول القائل : قام الظريف والعاقل ، وهو ينعت بذلك شخصا واحدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحا إلى قَوْمِه : إِنِّي لَكُمْ) أيها القوم (نَذِيرٌ) من الله أنذركم بأسه على كفركم به ، فآمنوا به وأطيعوا أمره . ويعني بقوله (مُبِينٌ) : يبين لكم عما أرسل به إليكم من أمر الله ونهيه .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (إنّي) فقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض المدنيين بكسر « إن » على وجه الابتداء ، إذ كان في الإرسال معنى القول ، وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة والكوفة والبصرة بفتح « أنّ » على إعمال الإرسال فيها ، كأن معنى الكلام عندهم : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأني لكم نذير مبين .

والصواب من القول في ذلك عندي ، أن يقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ كان مصيبا للصواب في ذلك .

وقوله (أنْ لاتَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) فمن كسر الألف في قوله (إني) جعل قوله (أرْسَلْنا) عاملا في « أنْ » التي في قوله (أنْ لاتَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) ويصير المعنى حينئذ : ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، أن لاتعبدوا إلا الله ، وقل لهم (إنّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) ، ومن فتحها ، ردّ أنْ في قوله (أنْ لاتَعْبُدُوا) عليها ، فيكون المعنى حينئذ : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأني لكم نذير مبين ، بأن لاتعبدوا إلا الله . ويعني بقوله : بأن لاتعبدوا إلا الله أيها الناسُ عبادة الآلهة والأوثان ، وإشراكها في عبادته ، وأفردوا الله بالتوحيد ، وأخلصوا له العبادة ، فإنه لاشريك له في خلقه . وقوله (إنّي أخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أليمٍ) يقول : إني أيها القوْم إن لم تَخُصُّوا الله بالعبادة ، وتفردوه بالتوحيد ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان ، أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابُه وعذابه لمن عذّب فيه ، وجعل الأليم من صفة اليوم وهو من صفة العذاب ، إذ كان العذاب فيه كما قيل (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) وإنما السَّكن من صفة ما سكن فيه دون الليل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم ، وهم الملأ الذين كفروا بالله وجحدوا نبوّة

نبيهم نوح عليه السلام (ما نَرَاكَ) يا نوح (إلاَّ بَشَرًا مِثْلَنا) يعنون بذلك أنه آدميّ مثلُهم فى الخلق والصورة والجنس ، كأنهم كانوا منكرين أن يكون الله يرسل من البشر رسولا إلى خلقه . وقوله (وَما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أرَاذِلُنا بادِيَ الرَّأيِ) يقول : وما نراك اتبعك إلا الذين هم سَفِلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف فيما يُرَى ويظهر لنا . وقوله (بادِيَ الرَّأيِ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق (بادِيَ الرَّأيِ) بغير همز البادى ، وبهمز الرأى ، بمعنى : ظاهر الرأى من قولهم : بدا الشيء يبدو : إذا ظهر ، كما قال الراجز :

أضْحَى لِخالى شَبَهِى بادِيَ بَدِيْ وصَارَ لِلفَحْلِ لِسانِي وَيَدِي[1]

بادى بدى بغير همز . وقال آخر :

وَقَدْ عَلَتْنِي ذُرْأةٌ بادِيَ بَدِيْ[2]

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة[3] (بادِئَ الرَّأيِ) مهموز أيضا ، بمعنى : مبتدأ الرأى ، من قولهم : بدأت بهذا الأمر : إذا ابتدأت به قبل غيره .

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا قراءة من قرأ (بادِيَ) بغير همز البادى ، وبهمز الرأى ، لأن معنى ذلك الكلام : إلا الذين هم أراذلنا فى ظاهر الرأى ، وفيما يظهر لنا .

وقوله (وَما نَرَى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ) يقول : وما نتبين لكم علينا من فضل نلتمسوه بمخالفتكم إيانا فى عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، وإخلاص العبودة له ، فنتبعكم طلب ذلك الفضل ، وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا (بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ) وهذا خطاب منهم لنوح عليه السلام ، وذلك أنهم إنما كذّبوا نوحا دون أتباعه ، لأن أتباعه لم يكونوا رسلا ، وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع ، كما

---

(١) البيت فى (اللسان : بدا) قال : أراد به : ظاهرى فى الشبه لخالى . ومعناه : خرجت عن شرخ الشباب إلى حد الكهولة التى معها الرأى والحجا ، فصرت كالفحولة التى بها يقع الاختيار ، ولها بالفضل تكثر الأوصاف . والشاهد فى « بادى » أنه غير مهموز ، كما فى قوله تعالى : « بادى الرأى » ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو ، والبيت من شواهد أبى عبيدة تفسيره : مجاز القرآن .

(٢) هذا بيت من مشطور الرجز ، أنشده صاحب اللسان (بدا) مع بيتين آخرين ، وهما :

وَرَثْيَةٌ تَنْهَضُ بِالتَّشَدُّدِ وَصَارَ لِلفَحْلِ لِسانِى وَيَدِى

وقال : قال الجوهرى : فعل ذلك بادى بد ، وبادى بدى (بتشديد الياء) أى أولا . قال وأصله الهمز ، وإنما ترك لكثرة الاستعمال قال : وربما جعلوه اسما للداهية ، كما قال أبو نخيلة السعدى (: « وقد علتنى . . . الخ» . قال : وهما اسمان جعلا اسما واحدا ، مثل معد يكرب ، وقالى قلا والبيت من شواهد أبى عبيدة فى تفسيره : مجاز القرآن .

وأنشد البيتين أيضا (اللسان : ذرأ) وقال : بادى بدى : أول كل شىء ، من بدأ ، فترك الهمز بكثرة الاستعمال ، وطلب التخفيف . وقد يجوز أن يكون من بدا يبدو إذا ظهر . والذرأة من ذرىء رأس فلان يذرأ إذا ابيض . وعلته ذرأة أى شيب . والذرأة بالضم : الشمط ؛ قال أبو نخلة السعدى : (وقد علتنى . . . الخ البيتين) والرثية : انحلال الركب والمفاصل ، وقيل : هو أول بياض الشيب .

(٣) فى اللسان : قرأ أبو عمرو وحده بادئ الرأى ، بالهمز ، وسائر القراء قرءوا : بادئ الرأى بغير همز ، وقال الفراء : لا يهمز : بادى الرأى ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو ، ولو أراد : ابتداء الرأى ، لخالى فهمز ، كان صوابا ، وأنشد : — أضحى لخالى . . . الخ أراد به : ظاهرى فى الشبه لخالى .

قيل (يا أيُّها النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ) وتأويل الكلام : بل نظنك يانوح فى دعواك أن الله ابتعثك إلينا رسولا كاذبا .

وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله (بادِيَ الرأيِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجا ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرأيِ) قال : فيما ظهر لنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

☼ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه إذكذبوه وردّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة (يا قَوْمِ أرأيْتُمْ إنْ كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّى) على علم ومعرفة وبيان من الله لى ما يلزمنى له ، ويجب علىّ من إخلاص العبادة له ، وترك إشراك الأوثان معه فيها (وآتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ) يقول : ورزقنى منه التوفيق والنبوّة والحكمة ، فآمنت به وأطعته فيما أمرنى ونهانى (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة(فَعَمِيَتْ) بفتح العين وتخفيف الميم ، بمعنى : فعميت الرحمة عليكم فلم تهتدوا لها فتقروا بها وتصدقوا رسولكم عليها . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضمّ العين وتشديد الميم اعتبارا منهم ذلك بقراءة عبد الله ، وذلك أنهما فيما ذكر فى قراءة عبد الله « فعماها عليكم » .

☼ وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضمّ العين وتشديد الميم للذى ذكروا من العلة لمن قرأ به ، ولقربه من قوله (أرأيْتُمْ إنْ كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّيّ وآتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ)فأضاف الرحمة إلى الله ، فكذلك تعميته على الآخرين بالإضافة إليه أولى. وهذه الكلمة مما حوّلت العرب الفعل عن موضعه ، وذلك أن الإنسان هو الذى يعمى عن إبصار الحقّ ، إذ يعمى عن إبصاره ، والحقّ لا يوصف بالعمى إلا على الاستعمال الذى قد جرى به الكلام ، وهو فى جوازه لاستعمال العرب إياه ، نظير قولهم : دخل الخاتم فى يدى ، والخفّ فى رجلى ، ومعلوم أن الرجل هى التى تدخل فى الخفّ ، والأصبع فى الخاتم ، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك ، لما كان معلوما المراد فيه .

وقوله (أنُلْزِمُكُمُوها وأنْتُمْ لَها كارِهُونَ) يقول : أنأخذكم بالدخول فى الإسلام وقد عماه الله عليكم ، لها كارهون ، يقول : وأنتم لإلزامناكموها كارهون ، يقول : لانفعل ذلك ، ولكن نكل أمركم إلى الله حتى يكون هو الذى يقضى فى أمركم مايرى ويشاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال نوح . (يا قَوْمِ إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى) قال : قد عرفتُها وعرفتُ بها أمره ، وأنه لاإله إلا هو ، (وآتانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ) : الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أرأيْتُم إنْ كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى) . . . الآية ، أما والله لواستطاع نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لألزمها قومه ، ولكن لم يستطع ذلك ، ولم يملكه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن أبى العالية ، قال فى قراءة أبىّ « أنلزمُكموها من شطر أنفسنا وأنتم لها كارهون » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : أخبرنا عمرو ابن دينار قال : قرأ ابن عباس : (أنلزمكموها من شطر أنفسنا) قال عبد الله : مِنْ شَطْرِ أنفسنا : من تلقاء أنفسنا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى العالية ، عن أبىّ بن كعب : أنلزمكموها من شطر قلوبنا وأنتم لها كارهون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾

وهذا أيضا خبر من الله عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم : (يا قَوْمِ لاأسْألُكُمْ) على نصيحتى لكم ودعايتكم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له مالا : أجرا على ذلك ، فتتهمونى فى نصيحتى ، وتظنون أن فعلى ذلك طلب عرَض من أعراض الدنيا (إنْ أجْرِىَ إلاّ على اللهِ) يقول : ماثواب نصيحتى لكم ودعايتكم إلى ما أدعوكم إليه ، إلا على الله ، فإنه هو الذى يجازينى ويثيبنى عليه (وَما أنا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا) وما أنا بمقص من آمن بالله ، وأقرّ بوحدانيته ، وخلع الأوثان ، وتبرأ منها بأن لم يكونوا من عليتكم وأشرافكم (إنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) يقول : إن هؤلاء الذين تسألونى طردهم صائرون إلى الله ، والله سائلهم عما كانوا فى الدنيا يعملون ، لا عن شرفهم وحسبهم .

وكان قيل نوح ذلك لقومه ، لأن قومه قالوا له ، كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَما أنا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) قال : قالوا له :

يانوح إن أحببت أن نتبعك فاطردهم ، وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم فى الأمر سواء ، فقال (ما أنا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) فيسألهم عن أعمالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح جميعا ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ على الله) قال : جزائى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ) يقول : ولكنى أيها القوم أراكم قوما تجهلون الواجب عليكم من حق الله ، واللازم لكم من فرائضه ، ولذلك من جهلكم سألتمونى أن أطرد الذين آمنوا بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾

يقول : (وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي) فيمنعنى (مِنَ اللهِ) إن هو عاقبنى على طردى المؤمنين الموحدين الله إن طردتهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يقول : أفلا تتفكرون فيما تقولون ، فتعلمون خطأه فتنتهوا عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾

وقوله (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ) عطف على قوله (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) ومعنى الكلام : وياقوم لاأسألكم عليه أجرا ، ولا أقول لكم عندى خزائن الله التى لايفنيها شىء ، فأدعوكم إلى اتباعى عليها (وَلَا أَعْلَمُ) أيضا (الْغَيْبَ) يعنى ما خفى من سرائر العباد ، فإن ذلك لايعلمه إلا الله ، فأدعى الربوبية ، وأدعوكم إلى عبادتى ، (وَلَا أَقُولُ) أيضا (إِنِّي مَلَكٌ) من الملائكة أرسلت إليكم ، فأكون كاذبا فى دعواى ذلك ، بل أنا بشر مثلكم كما تقولون ، أمرت بدعائكم إلى الله ، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا) يقول : ولا أقول للذين اتبعونى وآمنوا بالله ووحدوه الذين تستحقرهم أعينكم ، وقلتم إنهم أراذلكم : لن يؤتيكم الله خيرا ، وذلك الإيمان بالله (اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) يقول : الله أعلم بضمائر صدورهم ، واعتقاد قلوبهم ، وهو ولى أمرهم فى ذلك ، وإنما لى منهم ما ظهر وبدا ، وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعونى ، فلا

أطردهم ، ولا أستحلّ ذلك (إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) يقول : إنى إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديق : لن يؤتيهم الله خيرا ، وقضيت على سرائرهم ، بخلاف ما أبدته ألسنتهم لى ، على غير علم منى بما فى نفوسهم ، وطردتهم بفعلى ذلك ، لَمِنَ الفاعلين ماليس لهم فعله ، المعتدين ما أمرهم الله به وذلك هو الظلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ) التى لا يفنيها شىء ، فأكون إنما أدعوكم لتتبعونى عليها لأعطيكم منها (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) نزلت من السماء برسالة ، ما أنا إلا بشر مثلكم (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) ولا أقول اتبعونى على علم الغيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح لنوح عليه السلام : قد خاصمتنا ، فأكثرت خصومتنا ، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فى عداتك ودعواك ، أنك لله رسول ، يعنى بذلك أنه لن يقدر على شىء من ذلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جادَلْتَنا) قال : ماريتنا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال ، ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (قالوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا) قال : ماريتنا (فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا ، فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنا) قال ابن جريج : تكذيبا بالعذاب ، وأنه باطل .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب : يا قوم ليس الذى تستعجلون من العذاب إلىّ ، إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره ، هو الذى يأتيكم به إن شاء (وما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) يقول : ولستم إذا

أراد تعذيبكم بمعجزيه : أي بفائتيه هربا منه ، لأنكم حيث كنتم في مُلكه وسلطانه وقدرته ، حكمه عليكم جار (وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي) يقول : ولا ينفعكم تحذيرى عقوبته ، ونزول سطوته بكم على كفركم به (إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ) فى تحذيرى إياكم ذلك ، لأن نصحى لاينفعكم لأنكم لاتقبلونه ، (إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) ، يقول : إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه (هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردّون بعد الهلاك . حُكى عن طيْ أنها تقول : أصبح فلان غاويا : أى مريضا . وحُكى عن غيرهم سماعا منهم : أغويت فلانا ، بمعنى أهلكته ، وغَوِي الفصيل : إذا فقد اللبن فمات ، وذكر أن قول الله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) أى هلاكا .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك : افترى محمد هذا القرآن وهذا الخبر عن نوح ، قل لهم : إن افتريته فتخرّصته واختلقته (فَعَلَيَّ إِجْرَامِي) يقول : فعليّ إثمى فى افترائى ما افتريت على ربى دونكم ، لاتؤاخَذُون بذنبى ولا إثمى ، ولا أؤاخذ بذنبكم (وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) يقول : وأنا برىء مما تذنبون وتأثمون بربكم من افترائكم عليه ، ويقال منه : أجرمت إجراما وجَرَمْتُ أَجْرِم جَرْما ، كما قال الشاعر :

طَرِيدُ عَشِيرَةٍ وَرَهِينُ ذَنْبٍ ... بِمَا جَرَمَتْ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي[1]

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره : (وأُوحِيَ) الله (إلى نوح) لما حقّ على قومه القول ، وأظلهم أمر الله ، (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ) : يانوح بالله فيوحده ويتبعك على ما تدعوه إليه (مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ) فصدّق بذلك واتبعك (فَلا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تستكِنْ ولا تحزن بما كانوا يفعلون ، فإنى مهلكهم ومنقذك منهم ومَن اتبعك ، وأوحى الله ذلك إليه بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك ، فقال (رَبِّ لاتَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا) وهو تفتعل من البؤس ، يقال : ابتأس فلان بالأمر يبتئس ابتئاسا ، كما قال لبيدُ بنُ ربيعة :

---

(١) البيت للهيردان السعدى أحد لصوص بنى سعد (اللسان : جرم) قال : وجرم يجرم (كضرب) واجترم : كسب ، وأنشد أبو عبيدة للهيردان . . . . الخ . والرواية فيه : ورهين جرم ، بضم الجيم .

فِي مَأْتَمٍ كَنِعَاجِ صَا رَةَ يَبْتَئِسْنَ بِمَا لَقِينا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَبْتَئِسْ) قال : لاتحزن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) يقول : فلا تحزن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) قال : لاتأس ولا تحزن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأُوحِيَ إلى نُوحٍ أنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ) وذلك حين دعا عليهم (قالَ رَبِّ لاتَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّاراً) قوله (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تأس ولا تحزن .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ) فحينئذ دعا على قومه لما بين الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : وأُوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وأنِ اصْنَعِ الفُلْكَ ، وهو السفينة . كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : الفلك : السفينة .

وقوله (بأعْيُنِنَا) يقول : بعين الله ووحيه كما يأمرك .

(1) البيت أورده صاحب (اللسان : بأس) ونسبه للبيد ، وفى روايته « ربرب » فى مكان « مأتم » . والمأتم : كل مجتمع من رجال أو نساء ، فى حزن أو فرح (اللسان) . والربرب : القطيع من بقر الوحش . والنعاج : جمع نعجة ، وهى الأنثى من الضأن ، والظباء ، والبقر الوحشى ، والشاء الجبلى . والعرب تكنى بها عن المرأة . وصارة : قال يعقوب : هى ماء بين فيد وضرية . ولعله خص هذه النعاج لحسنها بما توافر لديها من كلأ وماء . وابتأس الرجل : إذا بلغه شىء يكرهه ، والنون فى يبتئسن عائدة إلى المأتم ، وهوهنا جماعة النساء ، المشبهات فى حسنهن ببقر الوحش .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا) وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك ، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ الطائر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَوَحْيِنَا) قال : كما نأمرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا) : كما نأمرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا) قال : بعين الله . قال ابن جريج ، قال مجاهد : (وَوَحْيِنا) قال : كما نأمرك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا) قال : بعين الله ووحيه .

وقوله (وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) يقول تعالى ذكره : ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك ، فأكسبوها تعدّيا منهم عليها بكفرهم بالله الهلاك بالغرق ، إنهم مغرقون بالطوفان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلا تخاطِبْنِي) قال : يقول : ولا تراجعني ، قال : تقدم أن لا يشفع لهم عنده .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٩ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠ ﴾

يقول تعالى ذكره : ويصنع نوح السفينة ، وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه ، يقول : هزئوا من نوح ، ويقولون له : أتحولت نجارا بعد النبوة وتعمل السفينة في البر ؟ فيقول لهم نوح : (إِنْ تَسْخَروا مِنَّا) : إن تهزءوا منا اليوم ، فإنا نهزأ منكم في الآخرة كما تهزءون منا في الدنيا ، (فَسَوْفَ تَعْلَمونَ) إذا عاينتم عذاب الله ، من الذي كان إلى نفسه مسيئا منا .

وكانت صنعة نوح السفينة كما حدثني المثنى وصالح بن مسمار ، قالا : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا موسى بن يعقوب ، قال : ثني فائد[1] مولى عبيد الله بن على بن أبي رافع : أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ رَحِمَ اللهُ أحَدًا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِيِّ » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَانَ نُوحٌ مَكَثَ في قَوْمِهِ ألْفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمْسِينَ عاما يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ حتى كانَ آخِرَ زَمانِهِ غَرَسَ شَجَرَةً ، فَعَظُمَتْ وَذَهَبَتْ كُلَّ مَذْهَبٍ ، ثُمَّ قَطَعَها ، ثُمَّ جَعَلَ يَعْمَلُ سَفِينَةً ، وَيَمُرُّونَ فَيَسْأَلُونَهُ ، فَيَقُولُ أعْمَلُها سَفِينَةً ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ : تَعْمَلُ سَفِينَةً في البَرِّ فَكَيْفَ تَجْرِي ؟ فَيَقُولُ : سَوْفَ تَعْلَمُونَ ؛ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْها وَفارَ التَّنُّورُ ، وكَثُرَ الماءُ في السِّكَكِ خَشِيَتْ أُمُّ صَبِيٍّ عَلَيْهِ ، وكانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا ، فَخَرَجَتْ إلى الجَبَلِ حتى بَلَغَتْ ثُلُثَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَها الماءُ خَرَجَتْ حتى بَلَغَتْ ثُلُثَيِ الجَبَلِ ، فَلَمَّا بَلَغَها الماءُ خَرَجَتْ حتى اسْتَوَتْ على الجَبَلِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الماءُ رَقَبَتَها رَفَعَتْهُ بينَ يَدَيْها حتى ذَهَبَ بِها الماءُ ، فَلَوْ رَحِمَ اللهُ مِنْهُمْ أحَدًا لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِيِّ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن طول السفينة ثلاث مئة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعا ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعا ، وبابها في عرضها .

حدثني الحارث ، قال ثنا عبد العزيز ، قال ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومئتي ذراع ، وعرضها ستّ مئة ذراع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن مفضل بن فضالة ، عن على بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قال الحواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة ، فحدثنا عنها ، قال : فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كثيب من تراب ، فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه ، قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا كعب حام بن نوح ، قال : فضرب الكثيب بعصاه ، قال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب ، قال له عيسى : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكن متّ وأنا شاب ، ولكني ظننت أنها الساعة ، فمن ثم شبت ، قال : حدّثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع ، وعرضها ستّ مئة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ، فطبقة فيها الدوابّ والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدوابّ ، أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة ، فأقبلا على الفأر ، فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ، قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت ، قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت ، قال : فطوّقها

(١) فائد ، بالفاء الموحدة ، مولى عبادل ، وهو عبيد الله بن على بن أبي رافع ؛ وثقه ابن معين .

الخضرة التي في عنقها ، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت ، قال : فقلنا يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلينا ، فيجاس معنا ، ويحدثنا ، قال كيف يتبعكم من لارزق له ؟ قال : فقال له : عد بإذن الله ، قال : فعاد ترابا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق عمن لايتهم عن عبيد بن عمير الليثي أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به ، يعني قوم نوح ، فيخنقونه حتى يغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهمّ اغفر لقومي فإنهم لايعلمون ، حتى إذا تمادوا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة ، وتطاول عليه وعليهم الشأن ، واشتدّ عليه منهم البلاء ، وانتظر النجل بعد النجل ، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من القرن الذي قبله ، حتى إن كان الآخرُ منهم ليقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنونا لايقبلون منه شيئا ، حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله تعالى ، كما قصّ الله علينا في كتابه (رَبِّ إني دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً ونَهَارًا فلَم يَزِدْهُمْ دُعائي إلاّ فِرَارًا) إلى آخر القصة ، حتى (قالَ رَبِّ لاتَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا ، إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ ، ولا يَلِدُوا إلاَّ فاجِرًا كَفَّارًا) إلى آخر القصة ؛ فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله واستنصره عليهم ، أوحى الله إليه (أنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُنِنا وَوَحْيِنا ، ولاَ تُخاطِبْنِي في الّذِينَ ظَلَمُوا) أي بعد اليوم (إنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولهي [1] عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ، ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره ، مما لايصلحه إلا هو ، وجعل قومه يمرّون به ، وهو في ذلك من عمله ، فيسخرون منه ويستهزئون به ، فيقول (إنْ تَسْخَرُوا مِنّا فإنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) قال : ويقولون له فيما بلغني : يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوّة ، قال : وأعقم الله أرحام النساء ، فلا يولد لهم ولد ؛ قال : ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور ، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا ، وأن يجعله ثلاثة أطباق ، سفلا ووسطا وعلوا ، وأن يجعل فيه كوى ، ففعل نوح كما أمره الله حتى إذا فرغ منه ، وقد عهد الله إليه إذا جاء أمرنا وفار التنور ، فاحمل فيها من كلّ زوجين اثنين ، وأهلك إلا من سبق عليه القول ، ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل ، وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه (ف) قال (إذَا جاءَ أمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ فاسْلُكْ فيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَينِ) واركب ؛ فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله ، وكانوا قليلا كما قال الله ، وحمل فيها من كلّ زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ذكر وأنثى ، فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافث ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به ، فكانوا عشرة نفر ، نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره به من الدوابّ وتخلّف عنه ابنه يام ، وكان كافرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : سمعته يقول : كان أوّل ما حمل نوح في الفلك من الدوابّ

(١) لهى عن قومه : تشاغل عنهم وانصرف .

الذرّة ، وآخر ما حمل الحمار ؛ فلما دخل الحمار وأدخل صدره متسك إبليس بذنبه،فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ادخل ، فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح : ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك ؛ قال : كلمة زلّت عن لسانه ، فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله ، فدخل و دخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك عليّ يا عدوّ الله ، فقال : ألم تقل : ادخل وإن كان الشيطان معك ؟ قال : اخرج عني يا عدوّ الله ، فقال : مالك بدّ من أن تحملني ، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك : فلما اطمأنّ نوح في الفلك ، وأدخل فيه مَنْ آمن به ، وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها نوح بعد ستّ مئة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ؛ فلما دخل وحمل معه من حمل ، تحرّك ينابيع الغوط الأكبر[١] ، وفتح أبواب السماء ، كما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَفَتَحْنا أبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ. وفَجَّرْنا الأرْضَ عُيُونا ، فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ) فدخل نوح ومن معه الفلك وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء ، وبين أن احتمل الماء الفلك أربعون يوما وأربعون ليلة ثم احتمل الماء كما تزعم أهل التوراة ، وكثر الماء واشتدّ وارتفع ، يقول الله لمحمد (وحَمَلْناهُ على ذاتِ ألْواحٍ ودُسُرٍ) والدسر : المسامير ، مسامير الحديد ، فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه في موج كالجبال ونادى نوح ابنه الذى هلك فيمن هلك ، وكان في معزل حين رأى نوح من صدق موعد ربه ما رأى فقال (يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا ولا تَكُنْ مَعَ الكافرِينَ) وكان شقيا قد أضمر كفرا (قالَ سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ) وكان عهد الجبال وهى حرز من الأمطار إذا كانت ، فظن أن ذلك كما كان يعهد ، قال نوح (لاعاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ ، وحالَ بَيْنَهُما المَوْجُ فَكانَ مِنَ المُغْرَقِينَ) وكثر الماء حتى طغى وارتفع فوق الجبال كما تزعم أهل التوراة بخمسة عشر ذراعا ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، من كل شيء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوح ومن معه في الفلك ، وإلا عوج بن عنق فيما يزعم أهل الكتاب ، فكان بين أن أرسل الله الطوفان ، وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، قال ابن حميد ، قال سلمة ، وحدثني حسن بن عليّ بن زيد عن يوسف بن مهران ، قال : سمعته يقول : لما آذى نوحا في الفلك عذرة الناس ، أمر أن يمسح ذنب الفيل ، فمسحه فخرج منه خنزيران . وكفى ذلك عنه ، وإن الفأر توالدت في الفلك ، فلما آذته ، أمر أن يأمر الأسد يعطس ، فعطس فخرج من منخريه هران يأكلان عنه الفأر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : لما كان نوح في السفينة ، قرض الفأر حبال السفينة ، فشكا نوح ، فأوحى الله إليه فمسح ذنب الأسد فخرج سنوران ، وكان في السفينة عذرة ، فشكا ذلك إلى ربه ، فأوحى الله إليه ، فمسح ذنب الفيل ، فخرج خنزيران .

(١) الغوط الأكبر : يريد الأراضي المطمئنة الواسعة .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ، قال : ثنا الأسود بن عامر ، قال : أخبرنا سفيان بن سعيد ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حُدثت عن المسيب بن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، قال : قال سليمان القَرَاسِى : عمل نوح السفينة فى أربع مئة سنة ، وأنبت الساج أربعين سنة حتى كان طوله أربع مئة ذراع ، والذراع إلى المنكب .

● **القول فى تأويل قوله تعالى** : ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ، حتى إذَا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ قُلْنا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وأَهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ ، وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ﴾ .

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) أيها القوم إذا جاء أمر الله ، من الهالك (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) يقول : الذى يأتيه عذاب الله منا ومنكم يهينه ويذله ، (ويحلّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) يقول : وينزل به فى الآخرة مع ذلك عذاب دائم لاانقطاع له ، مقيم عليه أبدا .

وقوله (حتى إذَا جاءَ أَمْرُنا) يقول : ويصنع نوح الفلك حتى إذا جاء أمرنا الذى وعدناه أن يجىء قومه من الطوفان الذى يغرقهم ، وقوله (وَفارَ التَّنُّورُ) .

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : انبجس الماء من وجه الأرض ، وفار التنور ، وهو وجه الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال فى قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : التنور : وجه الأرض ، قال : قيل له : إذا رأيت الماء على وجه الأرض ، فاركب أنت ومن معك ، قال : والعرب تسمى وجه الأرض : تنور الأرض .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوّام ، عن الضحاك ، بنحوه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا الشيبانى ، عن عكرمة ، فى قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : وجه الأرض .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيبانى ، عن عكرمة (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : وجه الأرض .

وقال آخرون : هو تنوير الصبح من قولهم : نوّر الصبح تنويرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا محمد بن فُضَيل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن عباس مولى أبى جحيفة ، عن أبى جحيفة ، عن علىّ رضى الله عنه ، قوله (حتى إذَا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ) قال : هو تنوير الصبح .

حدثنا ابن وكيع وإسحاق بن إسرائيل ، قالا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن زياد مولى أبي جُحيفة ، عن أبي جُحيفة ، عن عليّ في قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : تنوير الصبح .

حدثنا حماد بن يعقوب ، قال : أخبرنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن مولى أبي جُحيفة ، أراه قد سماه عن أبي جحيفة ، عن عليّ (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : تنوير الصبح .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا هشيم ، عن ابن إسحاق ، عن رجل من قريش ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : طلع الفجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن رجل قد سماه ، عن عليّ بن أبي طالب ، قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : إذا طلع الفجر .

وقال آخرون : معنى ذلك : وفار على الأرض ، وأشرفِ مكان فيها بالماء ، وقال : التنور : أشرف الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ) كنا نُحَدَّث أنه أعلى الأرض وأشرفها ، وكان علمًا بين نوح وبين ربه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت قتادة ، قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : أشرف الأرض وأرفعها فار الماء منه .

وقال آخرون : هو التنور الذي يختبز فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنورا من حجارة كان لحواء حتى صار إلى نوح ، قال : فقيل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : حين انبجس الماء وأمر نوح أن يركب هو ومن معه في الفلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال انبجس الماء منه آية أن يركب بأهله ، ومن معه في السفينة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه ، إلا أنه قال : آية أن يركب أهله ومن معه في السفينة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : آية بأن يركب بأهله ومن معهم فى السفينة .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبع الماء فى التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته ، قال : وكان ذلك فى ناحية الكوفة .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا على بن ثابت ، عن السرى بن إسماعيل ، عن الشعبى أنه كان يحلف بالله ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الحميد الحِمَّانى ، عن النضر أبى عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : فار التنور بالهند .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) كان آية لنوح إذا خرج منه الماء ، فقد أتى الناس الهلاك والغرق ، وكان ابن عباس يقول فى معنى فار : نبع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : نبع .

☆ قال أبو جعفر : وفوران الماء سَوْرة دفعته ، يقال منه : فار الماء يفور فوَرَانا وفورا ، وذاك إذا سارت دفعته .

☆ وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله (التَّنُّور) قول من قال : هو التنور الذى يخبز فيه ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لايوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجة على شىء منه بخلاف ذلك ، فيسلم لها ، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به ، لإفهامهم معنى ماخاطبهم به ، قلنا لنوح حين جاء عذابنا قومه الذى وعدنا نوحا أن نعذّبهم به ، وفار التنور الذى جعلنا فورانه بالماء آية مجىء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه (احْمِلْ فِيهَا) يعنى فى الفلك (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول : من كلّ ذكر وأنثى .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : ذكر وأنثى من كلّ صنف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) فالواحد زوج ، والزوجين ذكر وأنثى من كلّ صنف .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : ذكر وأنثى من كل صنف .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول : من كل صنف اثنين .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يعنى بالزوجين اثنين : ذكرا وأنثى .

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين : الزوجان فى كلام العرب : الاثنان ، قال : ويقال عليه زوجا نعال : إذا كانت عليه نعلان ، ولا يقال عليه زوج نعال ، وكذلك عنده زوجا حمام ، وعليه زوجا قيود . وقال : ألا تسمع إلى قوله (وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى) فإنما هما اثنان . وقال بعض البصريين من أهل العربية فى قوله (قلنا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : فجعل الزوجين : الضربين ، الذكور والإناث ، قال : وزعم يونس أن قول الشاعر :

وأَنْتَ امْرُؤٌ تَغْدُو عَلَى كُلِّ غِرَّةٍ ... فَتُخْطِئُ فِيهَا مَرَّةً وَتُصِيبُ [١]

يعنى به الذئب ، قال : فهذا أشذّ من ذلك . وقال آخر منهم : الزوج : اللون ، قال : وكل ضرب يدعى لونا ، واستشهد ببيت الأعشى فى ذلك :

وكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الديباجِ يَلْبَسُهُ ... أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوًّا بِذَاكَ مَعًا [٢]

وبقول لبيد :

وبِذِي بَهْجَةٍ كَنَّ المَقَانِبَ صَوْبُهُ ... وَزَيَّنَهُ أَزْوَاجُ نَوْرٍ مُشَرَّبِ [٣]

وذكر أن الحسن قال فى قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد الذى لايشبهه شىء .

وقوله (وأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ) يقول : واحمل أهلك أيضا فى الفلك ، يعنى بالأهل : ولده ونساءه وأزواجه إلا من سبق عليه القول ، يقول : إلا من قلت فيهم إنى مهلكه مع من أهلك من قومك .

---

(١) هذا البيت من شواهد يونس النحوى على أن العرب قد تطلق لفظ المرء على الذئب ، وأصله للرجل . أورده صاحب اللسان فى (مرأ) شاهدا على ذلك . ونقله المؤلف حاكيا لما يقوله بعض البصريين فى تفسير قوله تعالى : « من كل زوجين اثنين » أن المراد إثنان من ضربين مختلفين : ذكر وأنثى ، وهذا بخلاف قول الكوفيين إن المراد من الزوجين : الاثنان مطلقا ، قال البصريون : وليس إطلاق الزوجين على الذكر والأنثى من أى صنف بأبعد من إطلاق الشاعر العربى كلمة (المرء) على الذئب ، كما فى البيت الذى استشهد به يونس على ذلك .

(٢) هذا البيت أورده (اللسان : زوج) منسوبا للأعشى ، شاهدا على أن معنى الزوج : اللون كما فى التهذيب للأزهرى . والبيت فى ديوان الأعشى طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ، وهو التاسع والأربعون فى قصيدة له ، يمدح بها هوذة بن على الحنفى . صاحب اليمامة (انظر أخباره ص ١٠٠ وما بعدها من الديوان) . وقوله : « وكل زوج » : معطوف على قوله قبله « له أكاليل بالياقوت زينها » . . . الخ وهو مما حباه به ملك فارس حين قدم عليه .

(٣) البيت فى ديوان لبيد (طبعة فينا ص ٣٨) وفيه « أطراف نبت » ، ويروى « ألوان نور » . يصف غيثا بأنه ذو بهجة ونبات حسن فى أزهار ملونة ريانة من الماء ، وقد طال حتى ستر مقانب الخيل .

ثم اختلفوا فى الذى استثناه الله من أهله ، فقال بعضهم : هو بعض نساء نوح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (وأَهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ) قال : العذاب ، هى امرأته كانت من الغابرين فى العذاب .

وقال آخرون : بل هو ابنه الذى غرق .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، فى قوله (وأَهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ) قال : ابنه غرق فيمن غرق .

وقوله (وَمَنْ آمَنَ) يقول : واحمل معهم من صدّقك واتبعك من قومك ، يقول الله (وما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) يقول : وما أقرّ بوحدانية الله مع نوح من قومه إلا قليل .

واختلفوا فى عدد الذين كانوا آمنوا معه ، فحملهم معه فى الفلك ، فقال بعضهم فى ذلك : كانوا ثمانية أنفس.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) قال : ذكر لنا أنه لم يتمّ فى السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ، عن أبيه ، عن الحكم (وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كنائنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : حُدثت أن نوحا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم ، وأسماء بنيه : يافث ، وسام ، وحام ، وأصاب حام زوجته فى السفينة ، فدعا نوح أن يغير نطفته فجاء بالسودان .

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنائن له ، وثلاثة بنين .

وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نسائهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فار التنور ، حمل نوح فى الفلك من أمره الله به ، وكانوا قليلا كما قال الله ، فحمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ونساءهم ، وستة أناسى ممن كان آمن ، فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم .

وقال آخرون : بل كانوا ثمانين نفسا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : حمل نوح معه فى السفينة ثمانين إنسانا .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين ، يعنى القليل الذى قال الله (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ) .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنى حسين بن واقد الخراسانى ، قال : ثنى أبو نهيك ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كان فى سفينة نوح ثمانون رجلا ، أحدهم جرهم .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ) يصفهم بأنهم كانوا قليلا ، ولم يحد د عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح ، فلا ينبغى أن يتجاوز فى ذلك حد الله ، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله ، أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

* وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : وقال نوح : اركبوا فى الفلك بسم الله مجراها ومرساها ، وفى الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه ، وهو قوله (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ) فحملهم نوح فيها وقال لهم : اركبوا فيها ، فاستغنى بدلالة قوله (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا) عن حمله إياهم فيها ، فترك ذكره .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) بضم الميم فى الحرفين كليهما . وإذا قرئ كذلك كان من أجرى وأرسى ، وكان فيه وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع بمعنى : بسم الله إجراؤها وإرساؤها ، فيكون المجرى والمرسى مرفوعين ، حينئذ بالباء التى فى قوله (بِسْمِ اللهِ) والآخر بالنصب ، بمعنى : بسم الله عند إجرائها وإرسائها ، أو وقت إجرائها وإرسائها ، فيكون قوله : بسم الله كلاما مكتفيا بنفسه ، كقول القائل عند ابتدائه فى عمل يعمله : بسم الله ، ثم يكون المجرى والمرسى منصوبين على ما نصبت العرب قولهم الحمد لله سرارك وإهلالك ، يعنون الهلال أوله وآخره ، كأنهم قالوا : الحمد لله أول الهلال وآخره ، ومسموع منهم أيضا : الحمد لله ما إهلالك إلى سرارك . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا) بفتح الميم من مجراها ، وضمها من مرساها ، فجعلوا مجراها مصدرا من جرى يجرى مجرى ،

ومُرساها من أرسَى يُرْسِي إرساء. وإذا قرئ ذلك كذلك كان فى إعرابهما من الوجهين نحو الذى فيهما إذا قرئا : مُجراها ومُرساها بضم الميم فيهما على ما بيّنت .

ورُوى عن أبى رجاء العُطاردى أنه كان يقرأ ذلك (بِسمِ اللهِ مُجْرِيها وَمُرْسِيها) بضمّ الميم فيهما، ويصيرهما نعتا لله، وإذا قرئا كذلك ، كان فيهما أيضا وجهان من الإعراب : غير أن أحدهما الخفض ، وهو الأغلب عليهما من وجهى الإعراب .

لأن معنى الكلام على هذه القراءة : بسم الله مُجْرِى الفلك ومُرسِيها ، فالمُجْرَى نعت لاسم الله ، وقد يحتمل أن يكون نصبا ، وهو الوجه الثانى ، لأنه يحسن دخول الألف واللام فى المُجرى والمُرْسِى ، كقولك بسم الله المُجْرِيها والمُرْسِيها ، وإذا حذفتا نصبتا على الحال . إذ كان فيهما معنى النكرة ، وإن كانا مضافين إلى المعرفة . وقد ذُكر عن بعض الكوفيين أنه قرأ ذلك مَجْراها ومَرْساها ، بفتح الميم فيهما جميعا : من جرى ورسا : كأنه وجهه إلى أنه فى حال جريها وحال رسوها . وجعل كلتا الصفتين للفُلْك كما قال عنترة :

فَصَبَرْتُ نَفْسا عِنْدَ ذلكَ حُرَّةً   تَرْسُو إذَا نَفْسُ الجَبانِ تَطَلَّعُ [1]

والقراءة التى نختارها فى ذلك : قراءة من قرأ (بِسْمِ اللهِ مَجْرَاها) بفتح الميم (وَمُرْساها) بضم الميم ، بمعنى : بسم الله حين تجرى وحين تُرْسِى . وإنما اخترت الفتح فى ميم مَجْراها لقرب ذلك من قوله (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالجِبالِ) ولم يقل : تُجْرَى بهم ، ومن قرأ (بِسْمِ اللهِ مُجْراها) كان الصواب على قراءته أن يقرأ : وهى تُجرى بهم . وفى إجماعهم على قراءة تجرى بفتح التاء دليل واضح على أن الوجه فى مَجراها فتح الميم . وإنما اخترنا الضم فى مُرساها لإجماع الحجة من القرّاء على ضمها ، ومعنى قوله (مَجْراها) مسيرها (وَمُرْساها) وقفها ، من وقفها الله وأرساها . وكان مجاهد يقرأ ذلك بضم الميم فى الحرفين جميعا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِسْمِ اللهِ مُجْرَاها وَمُرْساها) قال : حين يركبون ويُجْرُون ويُرْسُون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِسْمِ اللهِ مُجْرَاها وَمُرْساها) قال : بسم الله حين يُجْرُون وحين يُرْسُون .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، فى قوله (ارْكَبُوا

(١) البيت أورده (اللسان : صبر) . قال : ولو حبس رجل نفسه على شىء يريده قال : صبرت نفسى ، قال عنترة يذكر حربا كان فيها : « فصبرت عارفة لذلك حرة » . . . الخ قال أبو عبيد : يقول إنه حبس نفسه . وبهذه الرواية جاء البيت فى شعر عنترة (مختار الشعر الجاهلى طبعة مطبعة الحلبى ص ٣٩٢) ومعنى صبرت عارفة : حبست نفسا عارفة أى صابرة ، تصبر للشدائد ، ولا تنكرها . وترسو : تثبت وتستقر ، ولا تتطلع إلى الحلق جبنا وفزعا ، كما تتطلع نفس الجبان . ومحل الشاهد فيه : أن بعض الكوفيين قرأ قوله تعالى « باسم الله مجريها ومرساها » بفتح الميم فيهما ، من جرى يجرى ورسا يرسو .

فيها بِسْمِ اللهِ مُجْرَاها وَمُرْسَاها) قال : إذا أراد أن ترسى قال : بسم الله فأرست . وإذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت .

وقوله (إنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن ربى لساتر ذنوب من تاب وأناب إليه رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ) والفلك تجرى بنوح ومن معه فيها (فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) يام (وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ) عنه لم يركب معه الفلك (يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا) الفلك (وَلَا تَكُنْ مَعَ الكافِرِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة خوفا عليه من الغرق (سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء) يقول : سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء ، فيمنعنى منه أن يغرقنى ، ويعنى بقوله (يَعْصِمُنِى) يمنعنى ، مثل عصام القربة الذى يشد به رأسها ، فيمنع الماء أن يسيل منها ، وقوله (لاعاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ) يقول : لامانع اليوم من أمر الله الذى قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمنا ، فأنقذنا منه، فإنه الذى يمنع من شاء من خلقه ويعصم ، فمن فى موضع رفع ، لأن معنى الكلام : لاعاصم يعصم اليوم من أمر الله ، إلا الله.

وقد اختلف أهل العربية فى موضع « مَنْ » فى هذا الموضع ، فقال بعض نحويى الكوفة : هو فى موضع نصب . لأن المعصوم بخلاف العاصم ، والمرحوم معصوم ، قال : كأن نصبه بمنزلة قوله (ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ) قال : ومن استجاز اتباعُ الظن والرفعَ فى قوله :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِها أَنِيسُ ... إلاَّ اليَعافِيرُ وَإلاَّ العِيسُ [1]

(١) البيت لجران العود النميرى : وهو من شواهد النحويين (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ١٩٧) على أن الاستثناء فى البيت منقطع لأن اليعافير والعيس ، ليس من نوع المستثنى منه وهو الأنيس . وللعرب فى مثل هذا مذهبان : فالحجازيون ينصبون المنقطع على الاستثناء ، وبنو تميم يرفعونه على البدلية مما قبله . والبلدة : القطعة من الأرض . والأنيس : المؤنس من الناس . واليعافير : جمع يعفور : وهو ولد الظبية ، وولد البقرة الوحشية أيضا . وقيل : هو تيس الظباء . والعيس : إبل بيض ، يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء .

لم يجز له الرفع في «مَنْ» ، لأن الذي قال : إلا اليعافيرُ ، جعل أنيس البر اليعافير وما أشبهها ، وكذلك قوله : (إلاَّ اتِّبَاعَ الظن) ، يقول علمهم ظَنٌّ . قال : وأنت لايجوز لك في وجه أن تقول : المعصوم هو عاصم في حال ، ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم ، لامعصوم اليوم من أمر الله ، لجاز رفع «مَنْ» . قال : ولا ينكر أن يخرج المفعول على فاعل ألا ترى قوله (مِنْ ماءٍ دَافِقٍ) معناه ، والله أعلم مدفوق ، وقوله (فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) معناها : مرضية . قال الشاعر :

دَعِ المَكَارِمَ لاتَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكاسِي [1]

ومعناه : المكسوّ . وقال بعض نحويي البصرة (لاعاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ) على لكِنْ مَنْ رحم ، ويجوز أن يكون على : لاذا عصمة : أي معصوم ، ويكون إلا من رحم رفعا بدلا من العاصم ، ولا وجه لهذه الأقوال التي حكيناها عن هؤلاء ، لأن كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفصح الأشهر من كلام مَن نزل بلسانه ، ما وجد إلى ذلك سبيل ، ولم يضطرنا شيء إلى أن نجعل عاصما في معنى معصوم ، ولا أن نجعل «إلاَّ» بمعنى لكن ، إذ كنا نجد لذلك في معناه الذي هو معناه في المشهور من كلام العرب مَخْرجا صحيحا ، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك : قال نوح : لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه ، كما يقال : لامُنْجِيَ اليوم من عذاب الله إلا الله ، ولا مُطعِم اليوم من طعام زيد إلا زيد ، فهذا هو الكلام المعروف ، والمعنى المفهوم .

وقوله (وَحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ) يقول : وحال بين نوح وابنه موج الماء ، فغرق ، فكان ممن أهلكه الله بالغرق من قوم نوح صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿٤٤﴾ يقول الله تعالى ذكره : وقال الله للأرض بعد ماتناهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق (يا أرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ) : أي تَشَرَّبي ، من قول القائل : بَلَعَ فلان كذا يَبْلَعه ، أو بَلِعَه يَبْلَعُه [2] إذا ازدرده (وَيَاسَمَاءُ أقْلِعِي) يقول : أقلعي عن المطر أمسكي (وَغِيضَ الماءُ) ذهبت به الأرض ونشفته (وَقُضِيَ الأمْرُ) يقول : قُضِيَ أمر الله ، فمضى بهلاك قوم نوح (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ) يعني الفُلْك استوت : أرست على الجوديّ ، وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة (وَقِيلَ بُعْدًا لِلقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول : قال الله : أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بالله من قوم نوح .

---

(١) البيت للحطيئة (اللسان : كسا) . واختلف العلماء في قوله : «الطاعم الكاسي» فقال سيبويه هو محمول على النسب ، أي ذو كسوة . وقال ابن سيده : وقد ذكرنا في غير موضع ، أن الشيء إنما يحمل على النسب إذا عدم الفعل . وقول الحطيئة : «الطاعم الكاي» أي المكتسي ، لأنه يقال : كسي العريان ، ولا يقال : كسا . وقال الفراء : الكاسي يعني المكسو ، كقولك «ماء دافق» ، و «عيشة راضية» .

(٢) الفعل من بابي تعب ونفع ، ومصدر الأول بفتح اللام وإسكانها ، ومصدر الثاني بالإسكان فقط . (انظر المصباح المنير) .

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن عثمان بن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فِي أولِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ رَكِبَ نُوحٌ السَّفِينَةَ فَصَامَ هُوَ وَجَمِيعُ مَنْ مَعَهُ ، وَجَرَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ سِتَّةَ أشْهُرٍ ، فانْتَهَى ذلكَ إلى المُحَرَّمِ ، فأرْسَتِ السَّفِينَةُ على الجُودِيّ يَوْمَ عاشُوراءَ ، فَصَامَ نُوحٌ ، وأمَرَ جَمِيعَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الوَحْشِ والدَّوَابّ فَصَامُوا شُكْرًا لِلهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : « كانت السفينة أعلاها للطير ، ووسطها للناس ، وفى أسفلها السباع ، وكان طولها فى السماء ثلاثين ذراعا ، دفعت من عين وردة[1] يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب ، وأرست على الجوديّ يوم عاشوراء ، ومرّت بالبيت فطافت به سبعا ، وقد رفعه الله من الغرق ، ثم جاءت اليمن ، ثم رجعت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازى ، عن قتادة ، قال : « هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرّم ، فقال لمن معه : من كان منكم اليوم صائما فليتمّ صومه ، ومن كان مفطرا فليصم » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال : كان فى زمن نوح شبر من الأرض لا إنسان يدّعيه [2] .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنها ، يعنى الفلك استقلت بهم فى عشر خلون من رجب ، وكانت فى الماء خمسين ومئة يوم ، واستقرّت على الجوديّ شهرا ، وأهبط بهم فى عشر من المحرّم يوم عاشوراء .

وبنحو ماقلنا فى تأويل قوله (وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأمْرُ وَاسْتَوَتْ على الجُودِيّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَغِيضَ المَاءُ) قال : نقص (وَقُضِيَ الأمْرُ) قال : هلاك قوم نوح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : قال ابن جريج (وَغِيضَ المَاءُ) نشفته الأرض .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا سَماءُ أقْلِعِي) يقول : أمسكي (وَغِيضَ المَاءُ) يقول : ذهب الماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَغِيضَ المَاءُ) الغيوض : ذهاب الماء (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيّ) .

(١) فى معجم البلدان لياقوت (٦ : ٢٥٨) طبع القاهرة : عين الوردة ، وهو رأس عين المشهورة بالجزيرة .

(٢) لعله : ماكان فى زمن نوح شبر من الأرض لإنسان يدعيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ) قال : جبل بالجزيرة ، تشامخت الجبا من الغرق ، وتواضع هو لله فلم يغرق ، فأرسيت عليه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ) قال : الجودىّ : جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق ، وتطاولت ، وتواضع هو لله فلم يغرق ، وأُرسيت سفينة نوح عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ) يقول : على الجبل ، واسمه الجُودىّ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ) قال : جبل بالجزيرة شمخت الجبال وتواضع حين أرادت أن ترفأ عليه سفينة نوح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ) أبقاها الله لنا بوادى أرض الجزيرة عبرة وآية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ) هو جبل بالموصل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نوحا بعث الغراب لينظر إلى الماء ، فوجد جيفة ، فوقع عليها ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ، فأعطيت الطوق الذى فى عنقها وخضاب رجليها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أراد الله أن يكفّ ذلك ، يعنى الطوفان ، أرسل ريحا على وجه الأرض ، فسكن الماء ، واستدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر ، وأبواب السماء ، يقول الله تعالى (وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي) ... إلى (بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فجعل ينقص ويغيض ويدبر ، وكان استواء الفلك على الجودى فيما يزعم أهل التوراة فى الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، فى أول يوم من الشهر العاشر ، رُئى رءوس الجبال ، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التى صنع فيها ، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء ، فلم يرجع إليه ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه ، ولم يجد لرجليها موضعا ، فبسط يده للحمامة ، فأخذها ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها لتنظر له ، فرجعت حين أمست وفى فيها ورق زيتونة ، فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ، ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها فلم ترجع ، فعلم نوح أن الأرض قد برزت ، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنتين برز وجه الأرض ، فظهر اليبس ، وكشف نوح غطاء الفلك ، ورأى وجه الأرض . وفى الشهر الثانى من سنة اثنتين

فى سبع وعشرين ليلة منه، قيل لنوح (اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : تزعم أناس أن من غرق من الولدان مع آبائهم ، وليس كذلك ، إنما الولدان بمنزلة الطير ، وسائر من أغرق الله بغير ذنب ، ولكن حضرت آجالهم ، فماتوا لآجالهم ، والمدركون من الرجال والنساء كان الغرق عقوبة من الله لهم فى الدنيا ، ثم مصيرهم إلى النار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : ونادى نوح ربه ، فقال : ربّ إنك وعدتنى أن تنجيني من الغرق والهلاك وأهلى ، وقد هلك ابنى ، وابنى من أهلى (وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ) الذى لاخلف له (وأَنْتَ أحكَمُ الحاكِمِينَ) بالحق ، فاحكم لى بأن تفِيَ بما وعدتنى من أن تنجيَ لى أهلى ، وترجعَ إلىّ ابنى .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وأَنْتَ أحْكَمُ الحاكِمِينَ) قال : أحكم الحاكمين بالحق .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾

﴿ يقول الله تعالى ذكره : قال الله يانوح إن الذى غرّقته فأهلكته الذى تذكر أنه من أهلك ليس من أهلك

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) فقال بعضهم : معناه : ليس من ولدك ، هو من غيرك ، وقالوا : كان ذلك من حِنْث .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : لم يكن ابنه .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبى جعفر (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : ابن امرأته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أصحاب ابن أبي عَروبة فيهم الحسن: قال : لا والله ما هو بابنه .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : هذه بلغة طيّ لم يكن ابنه ، كان ابن امرأته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، ومنصور ، عن الحسن في قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : لم يكن ابنه ، وكان يقرؤها (إِنَّهُ عَمِلَ غيرَ صَالِح) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كنت عند الحسن فقال : نادى نوح ابنه : لعمر الله ما هو ابنه . قال : قلت يا أبا سعيد يقول (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وتقول : ليس بابنه ؟ قال : أفرأيتَ قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : قلت إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه ، قال : إن أهل الكتاب يَكْذِبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سمعت الحسن يقرأ هذه الآية (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِح) فقال عند ذلك : والله ما كان ابنه ، ثم قرأ هذه الآية : (فخانَتَاهُما) قال سعيد : فذكرت ذلك لقتادة ، قال : ما كان ينبغي له أن يحلف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَسْأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : تبين لنوح أنه ليس بابنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَسْأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : بين الله لنوح أنه ليس بابنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال ابن جريج في قوله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : ناداه وهو يحسبه أنه ابنه وكان وُلِد على فراشه .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن أبي جعفر ، (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : لو كان من أهله لنجا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، وسمع عبيد بن عمير يقول : نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوَلَدُ للفِرَاشِ » : من أجل ابن نوح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن ابن عون ، عن الحسن ، قال : لا والله ما هو بابنه .

وقال آخرون : معنى ذلك : (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) الذين وعدتك أن أنجيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي عامر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : هو ابنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، قال : ثنا أبو عامر ، عن الضحاك ، قال : قال ابن عباس : هو ابنه ، ما بغت امرأة نبيّ قطٌّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن أبي عامر الهمدانيّ ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، قال : ما بغت امرأة نبيّ قطّ ، قال : وقوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) الذين وعدتك أن أنجيهم معك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : هو ابنه ، غيرَ أنه خالفه فى العمل والنية ، قال عكرمة فى بعض الحروف : إنه عمل عملا غير صالح ، والخيانة تكون على غير باب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : كان ابنه ، ولكن كان مخالفا له فى النية والعمل : فمن ثم قيل له (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري وابن عيينة ، عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قَتَّة[1] ، قال : سمعت ابن عباس يُسئل وهو إلى جنب الكعبة ، عن قول الله تعالى (فَخَانَتَاهُمَا) قال : أَمَا إنه لم يكن بالزنا ، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدلّ على الأضياف ، ثم قرأ (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) .

قال ابن عيينة وأخبرنى عمار الدُّهْنِيّ[2] أنه سأل سعيد بن جبير ، عن ذلك فقال : كان ابن نوح ، إن الله لا يكذب ، قال (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : وقال بعض العلماء : مافجرت امرأة نبيٍّ قط .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمار الدهنى ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال الله وهو الصادق ، وهو ابنه ، (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سعيد ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس ، قال : ما بغت امرأة نبيّ قطٌّ .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : سألت أبا بشر ، عن قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : ليس من أهل دينك ، وليس ممن وعدتك أن أنجيهم .

قال يعقوب : قال هشيم : كان عامة ما كان يحدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يعقوب بن قيس ، قال : أتى سعيدَ بن جبير رجل فقال : يا أبا عبد الله ، الذى ذكر الله فى كتابه ابن نوح أبنه هو ؟ قال : نعم ، والله إن نبيّ الله أمره أن يركب معه فى السفينة فعصى ، فقال (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ — قالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) لمعصية نبيّ الله .

(١) فى تاج العروس : قتة كضبة : أم سليمان بن حبيب المحاربى التابعى ، المشهور ، يعرف بابن قتة . وفى الخلاصة للخزرجى : سليمان بن حبيب المحاربى ، أبو أيوب الدارانى قاضى دمشق من سنة إحدى إلى أن مات سنة ٢٦١ وثقه ابن معين والنسائى .

(٢) راو كوفى ، وثقه أحمد وأبو حاتم . مات سنة ١٣٣ هـ .

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنى أبو صخر، عن أبى معاوية البجلى، عن سعيد ابن جبير أنه جاء إليه رجل فسأله فقال: أرأيتك ابن نوح: أبنه؟ فسبح طويلا ثم قال: لا إله إلا الله، يحدث الله محمدا (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وتقول ليس منه، ولكن خالفه فى العمل، فليس منه من لم يؤمن.

حدثنى يعقوب وابن وكيع، قالا: ثنا ابن علية، عن أبى هارون الغنوى، عن عكرمة، فى قوله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال: أشهد أنه ابنه، قال الله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة قالا: هو ابنه.

حدثنى فضالة بن الفضل الكوفى، قال: قال بزيع: سأل رجل الضحاك، عن ابن نوح فقال: ألا تعجبون إلى هذا الأحمق يسألنى عن ابن نوح، وهو ابن نوح، كما قال الله: قال نوح لابنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد، عن الضحاك أنه قرأ (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ). وقوله (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال: يقول: ليس هو من أهلك، قال: يقول: ليس هو من أهل ولايتك، ولا ممن وعدتك أن أنجى من أهلك (إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) قال: يقول: كان عمله فى شرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبومعاوية، عن جويبر، عن الضحاك، قال: هو والله ابنه لصلبه.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، فى قوله (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال: ليس من أهل دينك، ولا ممن وعدتك أن أنجيه، وكان ابنه لصلبه.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس، قوله (قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) يقول: ليس ممن وعدناه النجاة.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) يقول: ليس من أهل ولايتك، ولا ممن وعدتك أن أنجى من أهلك (إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) يقول: كان عمله فى شرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا خالد بن حيان، عن جعفر بن برقان، عن ميمون، وثابت بن الحجاج قالا: هو ابنه وُلد على فراشه.

۞ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفا، وبى كافرا، وكان ابنه لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه ابنه، فقال (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر، وليس فى قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) دلالة على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) محتملا من المعنى ماذكرنا، ومحتملا أنه ليس من أهل دينك، ثم يحذف الدين فيقال: إنه ليس من أهلك كما قيل (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)

وأما قوله (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) فإن القراء اختلفت فى قراءته، فقرأته عامة قراء الأمصار (إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) بتنوين عمل ورفع غير.

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك فى تأويله، فقال بعضهم: معناه: إن مسألتك إياى هذه عمل غير صالح

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) قال : إن مسألتك إياى هذه عمل غير صالح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) أى سوء (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) يقول : سؤالك عما ليس لك به علم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) قال : سؤالك إياى عمل غير صالح (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) .

وقال آخرون : بل معناه : إن الذى ذكرت أنه ابنك ، فسألتنى أن أنجيه عمل غير صالح : أى أنه لغير رِشْدة ، وقالوا : الهاء فى قوله (إِنَّهُ) عائدة على الابن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ابن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، عن الحسن أنه قرأ (عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) قال : ما هو والله بابنه .

ورُوِى عن جماعة من السلف أنهم قرءوا ذلك (إِنَّهُ عَمِلَ غيرَ صَالِحٍ) على وجه الخبر عن الفعل الماضى ، وغيرَ منصوبة . وممن روى عنه أنه قرأ ذلك كذلك ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قَتَّة ، عن ابن عباس أنه قرأ (عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) ووجهوا تأويل ذلك إلى ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا غُنْدر ، عن ابن أبى عَروبة عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) قال : كان مخالفا له فى النية والعمل ، ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قرّاء الأمصار إلا بعض المتأخرين . واعتل فى ذلك بخبر رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ ذلك كذلك غير صحيح السند ، وذلك حديث رُوِى عن شَهْر بن حَوْشَب ، فمرة يقول عن أمّ سلمة ، ومرّة يقول عن أسماء بنت يزيد ، ولا نعلم لبنت يزيد ، ولا نعلم لشَهْرٍ سماعا يصحّ عن أمّ سلمة .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار : وذلك رفع عمل بالتنوين ، ورفع غير ، يعنى أن سؤالك إياى ما تسألنيه فى ابنك المخالف دينك الموالى أهل الشرك بى من النجاة من الهلاك ، وقد مضت إجابتى إياك فى دعائك (لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم ، عمل غير صالح ، لأنه مسألة منك إلىّ أن لا أفعل ما قد تقدم منى القول بأنى أفعله فى إجابتى مسألتك إياى فعله ؛ فذلك هو العمل غير الصالح . وقوله (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)

نهى من الله تعالى ذكره نبيه نوحا أن يسأله عن أسباب أفعاله التى قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر. يقول له تعالى ذكره : إنى يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكى ابنك الذى أهلكته ، فلا تسألن بعدها عما قد طويت علمه عنك من أسباب أفعالى ، وليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين فى مسألتك إياى عن ذلك .

وكان ابن زيد يقول فى قوله (إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ) ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ) أن تبلغ الجهالة بك أن لا أَفِىَ لك بوعد وعدتك حتى تسألنى ماليس لك به علم (وَإِلاَّ تَغْفِرْ لى وَتَرْحَمْنِى أَكُنْ مِنَ الخاسِرِينَ) .

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَلا تَسألَنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (فَلا تَسألْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) بكسر النون وتخفيفها ، وَنَحَوْا بكسرها إلى الدلالة على الياء التى هى كناية اسم الله (فَلا تَسألْنِ) . وقرأ ذلك بعض المكيين ، وبعض أهل الشام (فَلا تَسألَنَّ) بتشديد النون وفتحها ؛ بمعنى : فلا تسألنّ يا نوح ما ليس لك به علم .

⁂ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا تخفيف النون وكسرها ؛ لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب المستعمل بينهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلته فى مسألته التى سألها ربه فى ابنه (قَالَ رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ) أى أستجير بك أن أتكلف مسألتك (ما لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ) مما قد استأثرت بعلمه ، وطويت علمه عن خلقك ، فاغفر لى زلتى فى مسألتى إياك ماسألتك فى ابنى وإن أنت لم تغفرها لى وترحمنى ، فتنقذنى من غضبك (أَكُنْ مِنَ الخاسِرِينَ) يقول : من الذين غَبَنُوا أنفسهم حظوظها وهلكوا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

⁂ يقول تعالى ذكره (يانُوحُ اهْبِطْ) من الفلك إلى الأرض (بِسَلامٍ مِنَّا) يقول : بأمن منا أنت ومن

معك من إهلاكنا (وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ) يقول : وبركات عليك [١] (وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) يقول : وعلى قرون تجىء من ذرّية من معك من ولدك. فهؤلاء المؤمنون من ذرّية نوح الذين سبقت لهم من الله السعادة ، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم فى بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم ، ثم أخبر تعالى ذكره نوحا عما هو فاعل بأهل الشّقاءمن ذريته، فقال له(وَأُمَمٌ) يقول: وقرون، وجماعة(سَنُمَتِّعُهُمْ) فى الحياة فى الدنيا. يقول : نرزقهم فيها مايتمتعون به إلى أن يبلغوا آجالهم (ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذابا مؤلما موجعا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ،قال : ثنا أبى عن موسى بن عبيدة ،عن محمد بن كعب القرظى (قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ودخل فى ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحَفَرى [٢] ، عن سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى (قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) قال : دخل فى السلام كل مؤمن ومؤمنة ، وفى الشرك كل كافر وكافرة .

حدثنى المثنى . قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج (وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) يعنى ممن لم يولد ، قد قضى البركات لمن سبق له فى علم الله وقضائه السعادة (وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) من سبق له فى علم الله وقضائه الشقاوة .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج . عن ابن جريج بنحوه ، إلا أنه قال : (وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) متاعَ الحياة الدنيا ، ممنْ قد سبق له فى علم الله وقضائه الشقاوة . قال : ولم يهلك الولدان يوم غرق قوم نوح بذنب آبائهم كالطير والسباع ، ولكن جاء أجلهم مع الغرق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله(اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم) قال : هبطوا والله عنهم راض ، هبطوا بسلام من الله ، كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر ، ثم أخرج منهم نسلا بعد ذلك أمما ، منهم من رحم ، ومنهم من عذّب ، وقرأ (وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) وذلك إنما افترقت الأمم من تلك العصابة التى خرجت من ذلك الماء وسلمت .

حُدثت عن الحسين بن الفرج : قال : سمعت أبا معاذ . قال : ثنا عبيد بن سليمان : قال : سمعت الضحاك يقولُ فى قوله (يانُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) . . .

(١) لعله : وببركات عليك .

(٢) هو عمر بن سعد الحفرى ، بالتحريك ، كوفى ، وثقه ابن معين (مات سنة ٢٠٣) .

الآية ، يقول : بركات عليك وعلى أمم ممن معك لم يولدوا ، أوجب الله لهم البركات ، لما سبق لهم فى علم الله من السعادة (وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) يعنى : متاع الحياة الدنيا (ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) لما سبق لهم فى علم الله من الشقاوة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ، أنه كان إذا قرأ سورة هود ، فأتى على (يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ) حتى ختم الآية ، قال الحسن : فأنجى الله نوحا والذين آمنوا ، وهلك المتمتعون حتى ذكر الأنبياء ، كل ذلك يقول : أنجاه الله وهلك المتمتعون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : بعد الرحمة .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : أخبرنا عبد الله بن شَوْذَب ، قال : سمعت داود ابن أبى هند يحدّث عن الحسن أنه أتى على هذه الآية (اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : فكان ذلك حين بعث الله عادا ، فأرسل إليهم هودا ، فصدّقه مصدقون ، وكذّبه مكذبون حتى جاء أمر الله ؛ فلما جاء أمر الله نجّى الله هودا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم بعث الله ثمود ، فبعث إليهم صالحا ، فصدّقه مصدّقون ، وكذّبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله ؛ فلما جاء أمر الله نجّى الله صالحا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم استقرأ الأنبياء نبيا نبيا على نحوٍ من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذه القصة التى أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) يقول : هى من أخبار الغيب التى لم تشهدها فتعلمها (نُوحِيها إِلَيْكَ) يقول : نوحيها إليك نحن فنعرفكها (ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا)الوحى الذى نوحيه إليك ، فاصبر على القيام بأمر الله ، وتبليغ رسالته ، وما تلقى من مشركى قومك ، كما صبر نوح (إِنَّ العاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) يقول : إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله فأدّى فرائضه واجتنب معاصيه فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم فى الآخرة ، والظفر فى الدنيا بالطّلبة، كما كانت عاقبة نوح ، إذ صبر لأمر الله أن نجاه من الهلكة مع من آمن به وأعطاه فى الآخرة ما أعطاه من الكرامة ، وغرق المكذّبين به فأهلكهم جميعهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا) القرآن ، وما كان علم محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ماصنع نوح وقومه ، لولا ما بين الله فى كتابه ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودا ، فقال لهم : ياقوم اعبدوا الله وحده لاشريك له دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان (مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غيرُهُ) يقول : ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره ، فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالألوهة (إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ) يقول : ما أنتم فى إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون ، تختلقون الباطل ، لأنه لاإله سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه : يا قوم لاأسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وخلع الأوثان والبراءة منها جزاء وثوابا (إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ على الَّذِي فَطَرَنِي) يقول : إن ثوابى وجزائى على نصيحتى لكم ، ودعائكم إلى الله ، إلا على الذى خلقنى (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلا تعقلون أنى لو كنت أبتغى بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم ، وطلب الحظ لكم فى الدنيا والآخرة لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا ، وطلبت منكم الأجر والثواب .

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ على الَّذِي فَطَرَنِي) أى خلقنى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) يقول : آمنوا به حتى

يغفر لكم ذنوبكم ، والاستغفار : هو الإيمان بالله فى هذا الموضع ، لأن هودا صلى الله عليه وسلم إنما دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم ، كما قال نوح لقومه (اعْبُدُوا اللهَ واتَّقُوهُ وأطِيعُونِ . يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُؤَخِّرْكُمْ إلى أجَلٍ مُسَمًّى) ، وقوله (ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ) يقول : ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به (يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) يقول : فإنكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به ، أرسل قَطْرَ السماءِ عليكم يُدِرّ لكم الغيث فى وقت حاجتكم إليه ، وتحيا بلادكم من الجدب والقحط .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِدْرَارًا) يقول : يتبع بعضها بعضا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) قال : يدرّ ذلك عليهم قطرا ومطرا .

وأما قوله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ) فإن مجاهدا كان يقول فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ) قال : شدة إلى شدّتكم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وإسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين : قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فذكر مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ) قال : جعل لهم قوّة ، فلو أنهم أطاعوه ، زادهم قوّة إلى قوّتهم ، وذكر لنا أنه إنما قيل لهم (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ) قال : إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين ، فقال هود لهم : إن آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ، ورزقكم المال والولد ، لأن ذلك من القوّة . وقوله (وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) يقول : ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله ، والبراءة من الأوثان والأصنام مجرمين ، يعنى كافرين بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم هود لهود : يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول ، فنسلم لك ، ونقرّ بأنك صادق فيما تدعونا إليه من توحيد الله ، والإقرار بنبوّتك (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا) يقول :

وما نحن بتاركي آلهتنا يعني لقولك : أو من أجل قولك (وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) يقول : قالوا : وما نحن لك بما تدّعي من النبوّة والرسالة من الله إلينا بمصدّقين .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾

وهذا خبر من الله تعالى ذكره ،عن قول قوم هود أنهم قالوا له،إذ نصح لهم ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه ، وخلع الأوثان والبراءة منها ، لانترك عبادة آلهتنا ، وما نقول إلا أن الذى حملك على ذمها والنهى عن عبادتها ، أنه أصابك منها خبل من جنون. فقال هود لهم : إنى أشهد الله على نفسى وأشهدكم أيضا أيها القوم أنى برىء مما تشركون فى عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم من دونه (فَكِيدُونِي جَمِيعاً) يقول : فاحتالوا أنتم جميعا وآلهتكم فى ضرّى ومكروهى (ثُمَّ لاتُنْظِرُونِ) يقول : ثم لاتؤخرون ذلك ، فانظروا هل تنالوننى أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتنى به من السوء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) قال : أصابتك الأوثان بجنون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) قال : أصابك الأوثان بجنون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا ابن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى ، عن مجاهد (إلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) قال : سببْتَ آلهتها وعبتها فأجنّتك .

قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) أصابك بعض آلهتنا بسوء : يعنون الأوثان .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إنْ نَقُولُ إلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) قال : أصابك الأوثان بجنون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (إنْ نَقُولُ إلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) قال : تصيبك آلهتنا بالجنون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) قال : ما يحملك على ذمّ آلهتنا ، إلا أنه أصابك منها سوء .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) قال : إنما تصنع هذا بآلهتنا أنها أصابتك بسوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : أصابتك آلهتنا بشرّ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) يقولون : نخشى أن يصيبك من آلهتنا سوء ، ولا نحب أن تعتريك ، يقولون : يصيبك منها سوء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) يقولون: اختلط عقلك فأصابك هذا مما صنعت بك آلهتنا . وقوله (اعْتَرَاكَ) افتعل ، من عراني الشيء يعروني : إذا أصابك ، كما قال الشاعر :

مِنَ القَوْمِ يَعْرُوهُ اجْتِرَاءٌ وَمَأْثَمُ [1]

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

يقول : إني على الله الذي هو مالكي ومالككم ، والقيّم على جميع خلقه توكلت ، من أن تصيبوني أنتم وغيركم من الخلق بسوء ، فإنه ليس من شيء يدبّ على الأرض إلا والله مالكه وهو في قبضته وسلطانه ذليل له خاضع .

فإن قال قائل : وكيف قيل : هو آخذ بناصيتها ، فخصّ بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد ؟ قيل : لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع ، فتقول ماناصية فلان إلا بيد فلان ، أي أنه له مطيع يصرفه كيف شاء ، وكانوا إذا أسروا الأسير ، فأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة ، فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم ، والمعنى ما ذكرت .

وقوله (إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول: إن ربي على طريق الحق ، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه ، والمسيء بإساءته لايظلم أحدا منهم شيئا ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به .

---

(١) هذا شطر بيت لأبي خراش الهذلي ، وصدره :

تَذَكَّرَ ذَحْلاً عِنْدَنَا وَهْوَ فَاتِكٌ

(مجاز القرآن لأبي عبيدة الجزء الأول ص ٢٩٠) وفيه اجتراء في موضع اجترام . قال أبوعبيدة : اعتراك : وهو افتعلك من عروته ، أي أصابك . وفي ديوان الهذليين (٢ : ١٤٧) : يعروه : يعتريه ، أي يلم به . وفاتك مقدم على الأمر . ويقال للرجل إذا كان جريئا على الأمر : فاتك .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إنّ رَبِّي على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) الحق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه (فإنْ تَوَلَّوْا) يقول : فإن أدبروا معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله ، وترك عبادة الأوثان (فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ) أيها القوم (ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ) وما على الرسول إلا البلاغ (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ) يهلككم ربي ، ثم يستبدل ربي منكم قوما غيركم يوحدونه ، ويخلصون له العبادة (وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً) يقول : ولا تقدرون له على ضر إذا أراد إهلاككم أو أهلككم . وقد قيل : لا يضرّه هلاككم إذا أهلككم لا تنقصونه شيئا ، لأنه سواء عنده كنتم أو لم تكونوا (إنَّ رَبِّي على كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) يقول : إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم ، يقول : هو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاء قومَ هود عذابُنا (نَجَّيْنا) منه (هُوداً والَّذِينَ آمَنُوا) بالله (مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) يعني بفضل منه عليهم ونعمة (وَنَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) يقول : نجيناهم أيضا من عذاب غليظ يوم القيامة ، كما نجيناهم في الدنيا من السَّخْطة التي أنزلتها بعاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين أحللنا بهم نقمتنا وعذابنا عاد ، جحدوا بأدلة الله وحججه ، وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم للدعاء إلى توحيده واتباع أمره (واتَّبَعُوا أمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يعني كلّ مستكبر على الله ، حائد عن الحقّ لا يذعن له ولا يقبله ، يقال منه : عند عن الحقّ ، فهو يعند عُنُودا ، والرجل عاند وعنود . ومن ذلك قيل للعرق الذي ينفجر فلا يرقأ : عرق عاند : أي ضارّ [1] ، ومنه

(١) العاند : العرق الذي يسيل دمه ولا يرقأ . وقوله ضار : تفسير بالأبعد ؛ ولعل اللفظ محرف عن صار ، بالصاد ، أي يسمع له صوت ، أو عن دار ، أي غزير الدم .

قول الراجز : إنّى كَبِيرٌ لا أُطِيقُ العُنَّدَا[1]

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) : المشرك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره : وأتبع عاد قوم هود فى هذه الدنيا غضبا من الله وسخطة يوم القيامة ، مثلها لعنة إلى اللعنة التى سلفت لهم من الله فى الدنيا (أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) يقول: أبعدهم الله من الخير ، يقال : كفر فلان ربه ، وكفر بربه ، وشكرت لك وشكرتك . وقيل : إن معنى كفروا ربهم : كفروا نعمة ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ، فقال لهم يا قوم : اعبدوا الله وحده لاشريك له ، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة ، فما لكم من إله غيره ، يستوجب عليكم العبادة ، ولا تجوز الألوهة إلا له و(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) يقول : هو ابتدأ خلقكم من الأرض ، وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض ، فخرج الخطاب لهم ، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) يقول : وجعلكم عُمَّارا فيها ، فكان المعنى فيه : أسكنكم فيها أيام حياتكم من قولهم : أعمر فلان فلانا داره ، وهى له عُمْرَى[2] .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) البيت فى (اللسان : عند) ، ولم ينسبه . قال : عند عن الشيء والطريق يعند (ليضرب ويقتل) عنودا ، فهو عنود وعند عندا (من باب فرح) : تباعد وعدل . وناقة عنود : لا تخالط الإبل ، تباعد عن الإبل ، فترعى ناحيته أبدا والجمع عند وعاند وعاندة ، وجمعها جميعا : عواند وعند . قال :

إذا رَحَلْتُ فاجْعَلُونِى وَسَطا إنى كَبِيرٌ لا أُطِيقُ العُنَّدَا

يعنى من الإبل . وهو مع أشطار أخرى فى الاقتضاب ص ٤١٥ بدون عزو ، وفى الجمهرة لابن دريد (٢١ : ٢٢٨) وهذان البيتان من مشطور الرجز ، وفيهما من عيوب القافية : الإكفاء : لأنه جمع بين الطاء والدال ، نبه عليه صاحب اللسان .

(٢) عمرى بوزن بشرى : أى ينتفع بها طول عمره ، ثم ترد بعده إلى مالكها الأول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيها) قال : أعمركم فيها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيها) يقول : أعمركم .

وقوله (فاسْتَغْفِرُوهُ) يقول : اعملوا عملا يكون سببا لستر الله عليكم ذنوبكم وذلك الإيمان به ، وإخلاص العبادة له دون ماسواه ، واتباع رسوله صالح (ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ) يقول : ثم اتركوا من الأعمال مايكرهه ربكم إلى مايرضاه ويحبه (إنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ) يقول : إن ربى قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه فى التوبة ، مجيب له إذا دعاه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لصالح نبيهم (ياصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فينا مَرْجُوًّا) : أى كنا نرجو أن تكون فينا سيدا (قَبْلَ هَذَا) القول الذى قلته لنا من أنه مالنا من إله غير الله (أَتَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا) يقول : أتنهانا أن نعبد الآلهة التى كانت آباؤنا تعبد (وَإِنَّنا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إلَيْهِ مُرِيبٍ) يعنون أنهم لايعلمون صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله، وأن الألوهة لاتكون إلا له خالصا وقوله(مُرِيبٍ) أى يوجب التهمة من أربته فأنا أُرِيبه إرابة ، إذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة ، ومنه قول الهُذَلِىّ :

كُنْتُ إذا أتَوْتُهُ مِنْ غَيْبِ يَشُمُّ عِطْفِى وَيَبُزُّ ثَوْبِى
كأنما أرَبْتُهُ بِرَيْبِ(١)

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه من ثمود (يا قَوْمِ أرأيْتُمْ إنْ كُنْتُ على) برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته (وآتانى مِنْهُ رَحْمَةً) يقول : وآتانى منه النبوّة والحكمة والإسلام (فَمَنْ يَنْصُرُنِى

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز ، أوردها (اللسان : أتى) ونسبها إلى خالد بن زهير ، وأورد قبلها بيتا رابعا ، وهو قوله : « يا قوم مالى وأبا ذؤيب : » قال : ويقال : أتوته أتوا : لغة فى أتيته . والعطف : المنكب ، وعطفا الرجل والدابة : جانباه عن يمين وشمال ، وشقاه من لدن رأسه إلى وركه ، والجمع : أعطاف ، وعطاف وعطوف . ويبز ثوبى : يجذبه إليه .

مِنَ اللهِ إنْ عَصَيْتُهُ) يقول : فمن الذى يدفع عنى عقابه إذا عاقبنى إن أنا عصيته ، فيخلِّصنى منه ، فما تزيدوننى بعذركم الذى تعتذرون به من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم غير تخسير لكمْ يخسّركم حظوظكم من رحمة الله .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَمَا تَزِيدُونَنِى غيرَ تَخْسِيرٍ) يقول : ما تزدادون أنتم إلا خسارا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : إذ قالوا له (وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) وسألوه الآية على ما دعاهم إليه (يا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً) يقول : حجة وعلامة ، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه ، (فَذَرُوها تَأْكُلْ فِى أرْضِ اللهِ) فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها (وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ) يقول : لاتقتلوها ولا تنالوها بعقر (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) يقول : فإنكم إن تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى ذكره : فعقرت ثمود ناقة الله ، وفى الكلام محذوف قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه ، وهو : فكذّبوه فعقروها ، فقال لهم صالح (تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ) يقول : استمتعوا فى دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام (ذلكَ وَعْدٌ غيرُ مَكْذُوبٍ) يقول : هذا الأجل الذى أجّلتكم وعد من الله ، وعدكم بانقضائه الهلاك ، ونزول العذاب بكم غير مكذوب ، يقول : لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِى دارِكُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ ذلكَ وَعْدٌ غيرُ مَكْذُوبٍ) وذُكر لنا أن صالحا حينَ أخبرهم أن العذاب أتاهم لبسوا الأنطاع والأكسية ، وقيل لهم : إن آية ذلك أن تصفرّ ألوانكم أوّل يوم ، ثم تحمرّ فى اليوم الثانى ، ثم تسودّ فى اليوم الثالث . وذُكر لنا أنهم لما عقروا الناقة ندموا وقالوا : عليكم الفصيلَ ، فصعد الفصيل القارة ، والقارة الجبل ، حتى إذا كان اليوم الثالث ، استقبل القبلة وقال : يا ربِّ أمى ، يا ربِّ أمى ثلاثا ، قال : فأرسلت الصيحة عند ذلك .

وكان ابن عباس يقول : لو صعدتم القارة لرأيتم عظام الفصيل ، وكانت منازل ثمود بحِجْر بين الشام والمدينة

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) قال : بقية آجالهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة أن ابن عباس قال : لو صعدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاء ثمود عذابنا (نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا) به (مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) يقول : بنعمة وفضل من الله (وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) يقول : ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذُله بذلك العذاب (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ) فى بطشه إذا بطش بشيء أهلكه ، كما أهلك ثمود حين بطش بها العزيز ، فلا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، بل يغلب كل شيء ويقهره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) قال : نجاه الله برحمة منا ، ونجاه من خزى يومئذ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة قال : قلنا له : حدّثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود : « كانت ثمود قوم صالح ، أعمرهم الله فى الدنيا فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المدر ، فينهدم والرجل منهم حىّ ؛ فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فرهين ، فنحتوها وجوّفوها ، وكانوا فى سعة من معايشهم ، فقالوا : يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله ، فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة ، فكان شِرْبها يوما وشِرْبهم يوما معلوما ، فإذا كان يوم شربها خلوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنا ، ملئوا كلّ إناء ووعاء وسقاء ، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء ، فلم تشرب منه شيئا ، فملئوا كلّ إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله إلى صالح : إن قومك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم : فقالوا ما كنا لنفعل ، فقال : إلا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود ، قالوا : ما علامة ذلك المولود ؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه ، قال : فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر ، قال : وكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح ، وللآخر ابنة لا يجد لها كفوًا ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك أن تزوّج ابنك ؟ قال : لا أجد له كفوًا ، قال : فإن ابنتى كفوًا له ، وأنا أزوّجك ، فزوّجه ، فولد بينهما ذلك المولود ، وكان فى المدينة ثمانية رهط يفسدون فى الأرض ، ولا

يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولود فيكم ، اختاروا ثمانى نسوة قوابل من القرية ، وجعلوا معهن شرطا كانوا يطوفون فى القرية ، فإذا وجدوا المرأة تمخض ، نظروا ما ولدها إن كان غلاما قلبنه ، فنظرن ماهو ، وإن كانت جارية أعرضن عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة ، وقلن هذا الذى يريد رسول الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذوه ، فحال جداه بينهم وبينه وقالا : لو أن صالحا أراد هذا قتلناه ، فكان شر مولود ، وكان يشب فى اليوم شباب غيره فى الجمعة ، ويشب فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ، ويشب فى الشهر شباب غيره فى السنة ؛ فاجتمع الثمانية الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون وفيهم الشيخان ، فقالوا نستعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جديه ؛ فكانوا تسعة ، وكان صالح لاينام معهم فى القرية : كان فى مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه يبيت بالليل ، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم ، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه ، قال حجاج ، وقال ابن جريج : لما قال لهم صالح : إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه ، قالوا فكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحدا ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنا لم نقتل أولادنا ، لكان لكل رجل منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ، فأتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا فنرصده عند مصلاه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن ، فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأرسل الله عليهم الصخرة فرضختهم ، فأصبحوا رضخا ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ، فإذا هم رضخ ، فرجعوا يصيحون فى القرية : أى عباد الله ، أما رضى صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم ، فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون ، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر ، ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأرادوا أن يمكروا بصالح ، فمشوا حتى أتوا على سَرَب على طريق صالح ، فاختبأ فيه ثمانية ، وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيتناهم ، فأمر الله الأرض فاستوت عليهم ؛ قال : فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة وهى على حوضها قائمة ، فقال الشقى لأحدهم : ائتها فاعقرها ، فأتاها فتعاظمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لايبعث رجلا إلا تعاظمه أمرها حتى مشوا إليها ، وتطاول فضرب عرقوبيها ، فوقعت تركض ، وأتى رجل منهم صالحا ، فقال أدرك الناقة فقد عقرت ، فأقبل ، وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه : يا نبى الله إنما عقرها فلان ، إنه لاذنب لنا ، قال : فانظروا هل تُدْرِكون فصيلها ، فإن أدركتموه ، فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا يطلبونه ، ولما رأى الفصيلُ أمه تضطرب أتى جبلا يقال له القارة قصيرا ، فصعد وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله إلى الجبل ، فطال فى السماء حتى ما يناله الطير ؛ قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحا فرغا رغوة ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى ، فقال صالح لقومه : لكل رغوة أجل يوم (تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلكَ وَعْدٌ غيرُ مَكْذُوب) ألا إن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة ، واليوم الثانى محمرة ، واليوم الثالث مسودة ؛ فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طُلِيَت بالخَلوق ، صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فلما أمسَوْا صاحوا بأجمعهم :

ألا قد مضى يوم من الأجل وحضركم العذاب ؛ فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم محمرة كأنها خُضِبت بالدماء ، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا آية العذاب ؛ فلما أمسوْا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودّة كأنها طُليت بالقار ، فصاحوا جميعا : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفنوا وتحنَّطوا ، وكان حَنوطهم الصبر والمَغِر ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقَوْا أنفسهم بالأرض ، فجعلوا يقلبون أبصارهم ، فينظرون إلى السماء مرّة ، وإلى الأرض مرّة ، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض خسفا وغرقا ؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كلّ صاعقة ، وصوت كل شيء له صوت فى الأرض ، فتقطعت قلوبهم فى صدورهم ، فأصبحوا فى دارهم جاثمين » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حُدِّثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله مَن بين المشارق والمغارب منهم إلا رجلا واحدا كان فى حَرَم الله ؛ منعه حَرَم الله من عذاب الله ، قيل : ومن هو يا رسول الله ، قال أبو رغال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه « لا يَدْخُلَنَّ أحَدٌ مِنْكُمُ القَرْيَةَ وَلا تَشْرَبُوا مِنْ مائِهِمْ » . وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى فى القارّة » .

قال ابن جريج ، وأخبرنى موسى بن عُقْبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال : لاتَدْخُلُوا على هؤلاء المُعَذَّبِينَ إلاَّ أنْ تَكُونُوا باكِينَ ، فإنْ لَمْ تَكُونُوا باكِينَ فَلا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أنْ يُصِيبَكُمْ ما أصابَهُمْ » .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله « إن النبىّ صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحِجْر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمَّا بَعْدُ ، فَلا تَسألُوا رَسُولَكُمُ الآياتِ ، هَؤُلاءِ قَوْمُ صالِحٍ سألُوا رَسولَهُمُ الآيَةَ ، فَبَعَثَ اللهُ لَهُمُ النّاقَةَ ، فَكانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الفَجّ ، وتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الفَجّ ، فَتَشْرَبُ ماءَهُمْ يَوْمَ وُرُودِها » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا « أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بوادى ثمود ، وهو عامد إلى تَبُوك قال : فأمر أصحابه أن يسرعوا السير ، وأن لاينزلوا به ، ولا يشربوا من مائه ، وأخبرهم أنه وادٍ ملعون ، قال : وذُكر لنا أن الرجل الموسر من قوم صالح كان يعطِى المعسر منهم ما يتكفَّنون به ، وكان الرجل منهم يَلْحَد لنفسه ولأهل بيته ، لميعاد نبىّ الله صالح الذى وعدهم ، وحدّث من رآهم بالطرق والأفنية والبيوت ، فيهم شبان وشيوخ ، أبقاهم الله عبرة وآية » .

حدثنا إسماعيل بن المتوكل الأشجعى من أهل حمص ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : ثنا أبوالطفيل ، قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تَبُوك ، نزل الحجر فقال « : يا أيُّها النَّاسُ لاتَسألُوا نَبِيَّكُمُ الآياتِ ، هَؤُلاءِ قَوْمُ صالِحٍ سألُوا نَبِيَّهُمْ أنْ يَبْعَثَ لَهُمْ آيَةً ، فَبَعَثَ اللهُ لَهُمُ النَّاقَةَ آيَةً ، فَكانَتْ تَلِجُ عَلَيْهِمْ

يَوْمَ وُرُودِهِمُ الَّذِي كانُوا يَتَرَوَّوْنَ مِنْهُ ، ثُمَّ يَحْلُبُونَهَا مِثْلَ ماكانُوا يَتَرَوَّوْنَ مِنْ مائِهِمْ قَبْلَ ذلكَ لَبَنًا ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِن ذلكَ الفَجِّ ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَعَقَرُوها ، فَوَعَدَهُمُ اللهُ العَذابَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، وكانَ وَعْدًا مِنَ اللهِ غيرَ مَكْذُوبٍ ، فأهْلَكَ اللهُ مَنْ كانَ مِنْهُمْ فِي مَشارِقِ الأرْضِ ومَغارِبِها إلاَّ رَجُلاً واحِدًا كانَ فِي حَرَمِ اللهِ ، فَمَنَعَهُ حَرَمُ اللهِ مِنْ عَذابِ اللهِ ، قالُوا : وَمَنْ ذلكَ الرَّجُلُ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ : أَبُو رُغالٍ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله ، من عقر ناقة الله وكفرهم به الصيحةُ ، (فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) قد جثمتهم المنايا ، وتركتهم خمودا بأفنيتهم .

كما حد ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فأصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) يقول : أصبحوا قد هلكوا (كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فيها) يقول : كأن لم يعيشوا فيها ، ولم يعمروا بها .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فيها) كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله . وقد بيَّنا ذلك فيا مضى بشواهده فأغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (ألا إنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ) يقول : ألا إن ثمود كفروا بآيات ربهم فجحدوها (ألا بُعْدًا لِثَمُودَ) يقول : ألا أبعد الله ثمود لنزول العذاب بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا) من الملائكة ، وهم فيا ذُكر كانوا جبرئيل وملكين آخرين . وقيل إن الملكين الآخرين كانا ميكائيل وإسرافيل معه (إبْراهِيمُ) يعني لإبراهيم خليل الله (بالبُشْرَى) يعني : بالبشارة .

واختلفوا في تلك البشارة التي أتوه بها ، فقال بعضهم : هي البشارة بإسحاق ، وقال بعضهم : هي البشارة بهلاك قوم لوط (قالُوا سَلامًا) يقول : فسلموا عليه سلاما ، ونصب سلاما بإعمال قالوا فيه ، كأنه

قيل : قالوا قولا وسلّموا تسليما (قال سَلامٌ) يقول : قال إبراهيم لهم : سلام : فرفع سلام ، بمعنى عليكم السلام ، أو بمعنى سلام منكم . وقد ذُكر عن العرب أنها تقول : سِلْم ، بمعنى السلام ؛ كما قالوا : حَلّ وحلال ، وحِرْم وحرام . وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده :

مَرَرْنا فَقُلْنا إِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ ... كَمَا اكْتَلَّ بِالبَرْقِ الغَمامُ اللَّوائِحُ[1]

بمعنى سلام . وقد روى « كما انكل » . وقد زعم بعضهم أن معناه إذا قرئ كذلك : نحن سِلْم لكم ، من المسالمة التي هي خلاف المحاربة ، وهذه قراءة عامة قرّاء الكوفيين ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والبصرة قالوا : سلاما ، قال سلام ، على أن الجواب من إبراهيم صلى الله عليه وسلم لهم ، بنحو تسليمهم عليكم السلام.

❁ والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، لأن السِّلم قد يكون بمعنى السلام على ماوصفت ، والسلام بمعنى السلم ، لأن التسليم لايكاد يكون إلا بين أهل السِّلم دون الأعداء ، فإذا ذكر تسليم من قوم على قوم ، وردّ الآخرين عليهم ، دلّ ذلك على مسالمة بعضهم بعضا ، وهما مع ذلك قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة في القراءة ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب .

وقوله (فَمَا لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) وأصله محنوذ ، صرف من مفعول إلى فعيل .

وقد اختلف أهل العربية في معناه ، فقال بعض أهل البصرة منهم : معنى المحنوذ : المشويّ ، قال : ويقال منه : حنذت فرسي ، بمعنى سخّنته وعرّقته ، واستشهد لقوله ذلك ببيت الراجز :

وَرَهِبا مِنْ حَنْذِهِ أَنْ يَهْرَجا[2]

وقال آخر منهم : حَنَذَ فرسه : أي أضمره ، وقال : قالوا حَنَذَهُ يَحْنِذُهُ حنذا : أي عرّقه . وقال بعض أهل الكوفة : كل ما انشوى في الأرض إذا خددت له فيه فدفنته وغممته فهو الحنيذ والمحنوذ ، قال : والخيل تحنذ إذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق ، قال : ويقال : إذا سقيت فاحنذ ، يعني اخفس ، يريد : أقلّ الماء وأكثر النبيذ .

وأما التأويل ، فإنهم قالوا في معناه ما أنا ذاكره ، وذلك ما حدثني به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) يقول : نضيج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : بعجل حسيل البقر ، والحنيذ : المشويّ النضيج .

---

(١) البيت أورده صاحب (اللسان : سلم) غير منسوب ، وهو مما أنشده الفراء عن بعض الأعراب ، وفي روايته اختلاف عن رواية المؤلف ، قال الجوهري : وسلم بالكسر السلام ، وقال :

وَقَفْنا فقُلْنا إِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ ... فَمَا كانَ إلاَّ وَمْؤُها بالحَوَاجِبِ

قال ابن بري : والذي رواه القناني : فقلنا السلام فاتقت من أسيرها ... وما كان إلا ومؤها بالحواجب

على هذه الرواية لا يكون هذا البيت هو الذي استشهد به الطبري ، إذ لا شاهد فيه . وأنشده اللسان أيضا في : (كلل) قال : واكتل : تبسم عن ابن الأعرابي ، وأنشد : عرضنا فقلنا إيه سلم . . . . الخ .

(٢) البيت للعجاج يصف حمارا وأتانا (اللسان : حنذ) وقبله : « حتى إذا ما الصيف كان أمجا » . والأمج ، حر وعطش شديد والأخذ بالنفس . والحنذ : شدة الحر ، حنذته الشمس ، أحرقته . وهرج البعير من باب فرج : سدد من شدة الحر ، وثقل الحمل ،

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إبْراهِيمَ بالبُشْرَى) . . . إلى (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : نضيج سخن أنضج بالحجارة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فَمَا لَبِثَ أنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) والحنيذ : النضيج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى : قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال: نضيج . قال : وقال الكلبي : والحنيذ : الذى يُحْنَذ فى الأرض[1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر ، فى قوله (فجاءَ بعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : الحنيذ : الذى يقطر ماء وقد شُوِيَ ، وقال حفص : الحنيذ : مثل حناذ الخيل .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذبحه ثم شواه فى الرَّضْف[2] فهو الحنيذ حين شواه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية (فجاءَ بعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : المشوىّ الذى يقطُر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : الحنيذ : الذى يقطر ماؤه وقد شَوِى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (بعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : نضيج .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) الذى أنضج بالحجارة .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان (فَمَا لَبِثَ أنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : مشوىّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : حنيذ ، يعنى شُوِى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : الحناذ : الإنضاج .

❊ قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير متقاربات المعانى بعضها من بعض ، وموضع « أن » فى قوله (أنْ جاءَ بعِجْلٍ حَنِيذٍ) نصب بقوله : فما لبث أن جاء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝

❊ يقول تعالى ذكره : فلما رأى إبراهيم أيديَهم لاتصل إلى العجل الذى أتاهم به ، والطعام الذى قدّم إليهم

(١) فى اللسان : ماحفرت له فى الأرض ، ثم غممته ، قال : وهو من فعل أهل البادية معروف .
(٢) فى اللسان : الرضف : الحجارة التى حميت بالنار أو الشمس . واحدتها : رضفة ، بسكون الضاد .

نكرهم ، وذلك أنه لما قدّم طعامه صلى الله عليه وسلم إليهم فيما ذُكر ، كفُّوا عن أكله ، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله ، وكان إمساكهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضيفانه مستنكَرا ، ولم تكن بينهم معرفة ، وراعه أمرهم ، وأوجس فى نفسه منهم خيفة .

وكان قتادة يقول : كان إنكاره ذلك من أمرهم كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رأى أَيْدِيَهُمْ لاتَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يَطعَم من طعامهم ، ظنوا أنه لم يجىء بخير ، وأنه يحدّث نفسه بشرّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَمَّا رأى أَيْدِيَهُمْ لاتَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) قال : كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ، ظنوا أنه لم يأت بخير ، وأنه يحدّث نفسه بشرّ ، ثم حدّثوه عند ذلك بما جاءوا .

وقال غيره فى ذلك ما حدثنى الحرث ، قال ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن الأسود بن قيس ، عن جندب بن سفيان ، قال : لما دخل ضيف إبراهيم عليه السلام قرّب إليهم العجل ، فجعلوا ينكتون بقداح فى أيديهم من نَبْل ، ولا تصل أيديهم إليه ، نكرهم عند ذلك ، يقال منه : نَكِرْتُ الشىء أَنكره ، وأَنكرته أُنكره بمعنى واحد ، ومن نكرت وأنكرت قول الأعشى :

وأنكَرَتْنى وَما كانَ الذى نَكِرَتْ　　　مِنَ الحَوَادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعا[1]

فجمع اللغتين جميعا فى البيت ، وقال أبوذُؤيب :

فَنَكِرْنَهُ فَنَفَرْنَ وَامْتَرَسَتْ بِهِ　　　هَوْجاءُ هادِيَةٌ وَهادٍ جُرْشُعُ[2]

وقوله (وأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) يقول : أحسّ فى نفسه منهم خيفة وأضمرها (قَالُوا لاتَخَفْ) يقول قالت الملائكة لما رأت مابإبراهيم من الخوف منهم لاتخف منا وكن آمنا ، فإنا ملائكةُ ربك أرسلنا إلى قوم لوط .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

يقول تعالى ذكره (وَامْرأَتُهُ) سارّة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ ، وهى ابنة عم إبراهيم (قائِمَةٌ) قيل : كانت قائمة من وراء الستر تستمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام . وقيل : كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس مع الرسل .

(١) البيت أورده صاحب اللسان : نكر شاهدا على أن العرب تقول : أنكرت الشىء ، وأنا أنكره إنكارا ، ونكرته مثله ، قال الأعشى . . . البيت ، والبيت منسوب للأعشى ، وهو فى ديوانه (طبعة القاهرة ص ١٠١) ولكن بعض العلماء صرح بأنه موضوع فى شعر الأعشى ولم يقله . قيل وضعه أبوعمرو بن العلا . وقيل : حماد ، (انظر الديوان ص ١٠٠) . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٢٩٣) : قال أبو عبيدة : قال يونس : قال أبو عمرو : أنا الذى زدت هذا البيت فى شعر الأعشى إلى آخره ، فأتوب إلى الله منه .

(٢) البيت فى ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية (١ : ٨) وفيه : سطعاء ، فى موضع هوجاء ، وهى رواية أخرى . قال شارحه : يعنى : الحمير نكرن الصائد ، فامترست هوجاء ، يعنى : الأتان امترست بالفحل : جعلت تكاده وتسير معه . والهوجاء : التى ترفع رأسها لتتقدمه . وهاد : يعنى الفحل . وجرشع : منتفخ الجنبين ، وأراد : أنه امترس هو بها أيضا .

وقوله (فَضَحِكَتْ) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فَضَحِكَتْ) وفى السبب الذى من أجله ضحكت ، فقال بعضهم : ضحكت الضحك المعروف تعجبا من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم ، وهم عن طعامهم ممسكون لايأكلون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط أقبلت تمشى فى صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه ؛ فلما رآهم إبراهيم أجلّهم فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين ، فذبحه ، ثم شواه فى الرَّضْف ، فهو الحنيذ حين شواه ، وأتاهم فقعد معهم ، وقامت سارّة تخدمهم ، فذلك حين يقول (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ) وهو جالس . فى قراءة ابن مسعود « فلما قرّبه إليهم قال : ألا تأكلون ؟» قالوا ياإبراهيم إنا لانأكل طعاما إلا بثمن ، قال : فإن لهذا ثمنا ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوّله ، وتحمدونه على آخره ، فنظر جبرئيل إلى ميكائيل فقال : حقّ لهذا أن يتخذه ربه خليلا (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاتَصِلُ إِلَيْهِ) يقول : لايأكلون ، فزع منهم وأوجس منهم خيفة ؛ فلما نظرت إليه سارّة أنه قد أكرمهم وقامت هى تخدمهم ، ضحكت وقالت : عجبا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لايأكلون طعامنا .

وقال آخرون : بل ضحكت من أن قوم لوط فى غفلة ، وقد جاءت رسل الله لهلاكهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما أوجس إبراهيم خيفة فى نفسه حدّثوه عند ذلك بما جاءوا فيه ، فضحكت امرأته وعجبت من أن قوما أتاهم العذاب وهم فى غفلة ، فضحكت من ذلك وعجبت ، فبشرناها باسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه قال : ضحكت تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ، ومما أتاهم من العذاب .

وقال آخرون : بل ضحكت ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبومعشر ، عن محمد بن قيس ، فى قوله (وامرأتهُ قائمةٌ فَضَحِكَتْ) قال : لما جاءت الملائكة ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط .

وقال آخرون : بل ضحكت لمّا رأت بزوجها إبراهيم من الرّوع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبى (فَضَحِكَتْ) قال : ضحكت حينَ راعُوا إبراهيم مما رأت من الرّوع بابراهيم .

وقال آخرون : بل ضحكت حين بشرت بإسحاق تعجبا من أن يكون لها ولد على كِبَرِ سنها وسنّ زوجها

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما أتى الملائكة إبراهيم عليه السلام فرآهم ، راعه هيئتهم وجمالهم ، فسلموا عليه ، وجلسوا إليه ، فقام فأمر بعجل سمين ، فحنذ له ، فقرّب إليهم الطعام ، فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، وسارّة وراء البيت تسمع ، قالوا : لاتخف إنا نبشرك بغلام حليم مبارك ، وبشّر به امرأته سارة ، فضحكت وعجبت كيف يكون لى ولد وأنا عجوز وهو شيخ كبير ، فقالوا : أتعجبين من أمر الله ، فإنه قادر على ما يشاء ، فقد وهبه الله لكم ، فأبشروا به . وقد قال بعض من كان يتأوّل هذا التأويل : إن هذا من المقدّم الذى معناه التأخير ، وكأنّ معنى الكلام عنده : وامرأته قائمة ، فبشّرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضحكت وقالت : يا ويلتا أألد وأنا عجوز .

وقال آخرون : بل معنى قوله : فضحكت فى هذا الموضع : فحاضت .

ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن علىّ بن هارون ، عن عمرو بن الأزهر ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فَضَحِكَتْ) قال : حاضت ، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة ، قال : وكان إبراهيم ابن مئة سنة .

وقال آخرون : بل ضحكت سرورا بالأمن منهم لما قالوا لإبراهيم : لاتخف ، وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضا ، كما خافهم إبراهيم ، فلما أمنت ضحكت ، فأتبعوها البشارة بإسحاق . وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع ضحكت بمعنى حاضت من ثقة . وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أن العرب تقول ضحكت المرأة : حاضت ، قال : وقد قال : الضحك : الحيض ، وقد قال بعضهم : الضحك : العجب ، وذكر بيت أبى ذؤيب :

فجاءَ بِمَزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... هُوَ الضَّحْكُ إلاَّ أنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ[1]

وذكر أن بعض أصحابه أنشده فى الضحك بمعنى الحيض :

وَضِحْكُ الأرَانِبِ فَوْقَ الصَّفا ... كَمِثْلِ دَمِ الجَوْفِ يَوْمَ اللِّقا[2]

قال : وذكر له بعض أصحابه أنه سمع للكُمَيْت :

---

(١) البيت لأبى ذؤيب ، نسبه إليه صاحب اللسان (مزج) شاهدا على أن المزج هو العسل . وفى التهذيب : الشهد ، وقال أبو حنيفة سمى مزجا لأن مزاج كل شراب حلو طيب به . والضحك : الثغر الأبيض ، والضحك العسل ، شبه بالثغر ، لشدة بياضه ، قال أبو ذؤيب : فجاء بمزج . . . الخ . وقيل الضحك هنا : الشهد ، وقيل الزبد ، وقيل : الثلج . والضحك : العجب ، وعليه استشهد المؤلف بالبيت .

(٢) البيت فى اللسان (ضحك) غير منسوب ، وهو شاهد على قول العرب : ضحكت الأرنب ضحكا : إذا حاضت . قال : وضحك الأرانب . . . الخ . قال : يعنى الحيض فيما زعم بعضهم . قال ابن الأعرابى فى قول تأبط شرا : « تضحك الضبع لقتلى هذيل » أى أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمثت .

فأضحكتِ الضِّباعَ سيوفُ سَعْدٍ بقتْلى ما دُفِنَّ ولا وُدِينا[1]

وقال : يريد الحيض . قال : وبلحرث بن كعب يقولون : ضحكت النخلة : إذا أخرجت الطلع أو البسر. وقالوا : الضحك : الطلع ، قال : وسمعنا من يحكي : أضحكت حوضا : أي ملأته حتى فاض ، قال : وكأنّ المعنى قريب بعضه من بعض كله ، لأنه كأنه شيء يمتلئ فيفيض .

وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قول من قال : معنى قوله : فضحكت : فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلته عنه .

وإنما قُلْنا هذا القول أولى بالصواب لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم : لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان لاوجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم : لاتخف ، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَبَشَّرْناها بإسْحاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : فبشّرنا سارة امرأة إبراهيم ثوابا منا لها على نكيرها وعجبها من فعل قوم لوط باسحاق ولدا لها ، ومن وراء إسحاق يعقوب : يقول : ومن خلف إسحاق يعقوب من ابنها إسحاق ، والوراء في كلام العرب : ولد الولد ، وكذلك تأوّله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : (وَمِنْ وَرَاءِ إسْحاقَ يَعْقُوبَ) قال : الوراء : ولد الولد .

حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن المثنى ، قال : كل واحد منهما : حدثني أبواليسع إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى الأشعرى ، قال : كنت إلى جنب جدى أبي المغيرة بن مهران في مسجد عليّ بن زيد ، فمرّ بنا الحسن بن أبي الحسن ، فقال : يا أبا المغيرة من هذا الفتى ؟ قال : ابني من ورائي ، فقال الحسن (فَبَشَّرْناها باسْحاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحاقَ يَعْقُوبَ) .

حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن أبي عديّ ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، في قوله (فَبَشَّرْناها بإسْحاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحاقَ يَعْقُوبَ) قال : ولد الولد : هوالوراء

(١) البيت للكميت كما في (اللسان : ضحك) والرواية فيه بالواو في أوله . وهو شاهد على أن الضباع تحيض ، وقد أنكره ابن دريد وقال : من شاهد الضباع عند حيضتها ، فيعلم أنها تحيض . وقال الفراء : وأما قولهم فضحكت : حاضت ، فلم أسمعه من ثقة . قال أبو عمرو (لعله الشيباني) وسمعت أبا موسى الحامض يسأل أبا العباس ثعلبا أو المبرد ، عن قوله « فضحكت » أي حاضت وقال : إنه قد جاء في التفسير . فقال : ليس في كلام العرب ، والتفسير مسلم لأهل التفسير . فقال له : فأنت أنشدتنا (لتأبط شرا) :

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لقَتْلى هُذَيْلٍ وتَرَى الذِّئْبَ بِها يَسْتَهِلُّ

فقال أبو العباس : تضحك هاهنا : تكشر ، وذلك أن الذئب ينازعها على القتيل ، فتكشر في وجهه وعيدا ، فيتركها مع لحم القتيل ويمر (اللسان) .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، في قوله (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) قال : الوراء : ولد الولد .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبيّ ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوعمرو الأزدى ، قال : سمعت الشعبيّ يقول : ولد الولد : هم الولد من الوراء .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه . فقال : من هذا معك ؟ قال : هذا ابن ابني ، قال : هذا ولدك من الوراء ، قال : فكأنه شقّ على ذلك الرجل . فقال ابن عباس : إن الله يقول (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) فولد الولد : هم الوراء .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما ضحكت سارّة وقالت : عجبا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا ، قال لها جبريل : أبشرى بولد اسمه إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت وجهها عجبا ، فذلك قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) وقالت (ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) قالت سارّة : ما آية ذلك ؟ قال : فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه ، فاهتزّ أخضر ، فقال إبراهيم : هو لله إذا ذبيحا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فضحكت ، يعني سارّة لما عرفت من أمر الله جل ثناؤه ولما تعلم من قوم لوط . فبشروها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، بابن وبابن ابن . فقالت وصكّت وجهها ، يقال : ضربت على جبينها (يَاوَيْلَتَا ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) . . . إلى قوله (إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء العراق والحجاز : ومن وراء إسحاق يعقوب ، برفع يعقوب ، ويعيد ابتداء الكلام بقوله (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) وذلك وإن كان خبرا مبتدأ ، ففيه دلالة على معنى التبشير وقرأه بعض قراء أهل الكوفة والشأم (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) نصبا ، فأما الشأمي منهما فذكر أنه كان ينحو بيعقوب نحو النصب بإضمار فعل آخر مشاكل للبشارة ، كأنه قال : ووهبنا له من وراء إسحاق يعقوب ، فلما لم يظهر وهبنا عمل فيه التبشير ، وعطف به على موضع إسحاق ، إذ كان إسحاق وإن كان مخفوضا فإنه بمعنى المنصوب بعمل بشرنا فيه ، كما قال الشاعر :

جِئْنِي بِمِثْلِ بَنِي بَدْرٍ لِقَوْمِهِمِ ... أَوْ مِثْلِ أُسْرَةِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّارِ
أَوْ عَامِرِ بْنِ طُفَيْلٍ فِي مُرَكَّبِهِ ... أَوْ حَارِثًا يَوْمَ نَادَى الْقَوْمُ يَا حَارِ[1]

(١) البيتان واضحا المعنى . وقد استشهد بهما المؤلف على أن حارثا منصوب بالعطف على المجرور قبله ، وهو عامر وما قبله ، لأنه فى معنى المنصوب ، كأنه قال : اذكر عامر بن طفيل أو حارثا ، « واذكر » فى معنى : « جئنى بمثل » وإن لم يكن فى لفظه ، ولذلك جاز عطف المنصوب على المجرور على هذا التأويل .

وأما الكوفىّ منهما فإنه قرأه بتأويل الخفض فيما ذُكر عنه، غير أنه نصبه لأنه لا يُجْرَى ، وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية من أجل دخول الصفة[1] بين حرف العطف والاسم ، وقالوا : خطأ أن يقال : مررت بعمرو فى الدار ، وفى الدار زيد ، وأنت عاطف بزيد على عمرو إلا بتكرير الباء وإعادتها ؛ فإن لم تعد كان وجه الكلام عندهم الرفع ، وجاز النصب ، فإن قدم الاسم على الصفة جاز حينئذ الخفض ، وذلك إذا قلت : مررت بعمرو فى الدار ، وزيد فى البيت ، وقد أجاز الخفض والصفة معترضة بين حرف العطف والاسم بعض نحويى البصرة .

⁂ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه رفعا ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، والذى لا يتناكره أهل العلم بالعربية ، وما عليه قراءة الأمصار ، فأما النصب فيه فإن له وجها ، غير أنى لا أحبّ القراءة به ، لأن كتاب الله نزل بأفصح ألسن العرب ، والذى هو أولى بالعلم بالذى نزل به من الفصاحة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝٧٣ ﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : قالت سارّة لما بُشِّرت بإسحاق أنها تلد تعجبا مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السنّ التى لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء . وقيل : إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مئة سنة ، وقد ذُكِرَت الرواية فيما رُوِى فى ذلك عن مجاهد قبلُ .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانت سارّة يوم بشرت بإسحاق فيما ذَكَر لى بعض أهل العلم ابنة تسعين سنة ، وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة ، (يا وَيْلَتا) وهى كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشىء ، والاستنكار للشىء ، فيقولون عند التعجب ويل امه رجلا ما أرجله .

وقد اختلف أهل العربية فى هذه الألف التى فى : يا ويلتا ، فقال بعض نحويى البصرة : هذه ألف حقيقة ، إذا وقفت قلت : ياويلتاه ، وهى مثل ألف النُّدبة ، فلطفت من أن تكون فى السكت ، وجعلت بعدها الهاء لتكون أبين لها وأبعد فى الصوت ؛ وذلك لأن الألف إذا كانت بين حرفين كان لها صدى كنحو الصوت يكون فى جوف الشىء فيتردّد فيه ، فتكون أكثر وأبين ، وقال غيره : هذه ألف الندبة ، فإذا وقفت عليها فجائز ، وإن وقفت على الهاء فجائز ، وقال : ألا ترى أنهم قد وقفوا على قوله (وَيَدْعُ الإِنْسانُ) فحذفوا الواو وأثبتوها ، وكذلك (ما كُنَّا نَبْغِى) بالياء ، وغير الياء . قال : وهذا أقوى من ألف النُّدبة وهائها .

---

(١) الصفة : يريد الجار والمجرور فى قوله : « وفى الدار زيد » .

﴿ والصواب من القول فى ذلك عندى أن هذه الألف ألف الندبة ، والوقف عليها بالهاء وغير الهاء جائز فى الكلام لاستعمال العرب ذلك فى كلامهم .

وقوله (ءَأَلِدُ وأنا عَجُوزٌ) تقول : أنى يكون لى ولد وأنا عجوز (وَهَذَا بَعْلِى شَيْخًا) والبعل فى هذا الموضع : الزوج . وسمى بذلك لأنه قيِّم أمرها . كما سموا مالك الشىء بعله . وكما قالوا للنخل التى تستغنى بماء السماء عن سقى ماء الأنهار والعيون البعل . لأن مالك الشىء القيم به ، والنخل البعل بماء السماء حياته . وقوله (إنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ) يقول : إن كون الولد من مثلى ومثل بعلى على السنّ التى بها نحن لشىء عجيب (قالُوا أتَعْجَبِينَ مِنْ أمْرِ اللهِ) يقولُ الله تعالى ذكره : قالت الرسل لها : أتعجبين مِن أمر أمَرَ الله به أن يكون . وقضاء قضاه الله فيك وفى بعلك ؟ وقوله (رَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أهْلَ البَيْتِ) يقول : رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم . وجعلت الألف واللام خلفا من الإضافة . وقوله (إنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) يقول : إن الله محمود فى تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه مجيد : يقول : ذو مجد ومدح وثناء كريم يقال فى فعل منه : مجد الرجل يمجد مجادةً إذا صار كذلك . وإذا أردت أنك مدحته قلت : مجّدته تمجيدا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذى أوجسه فى نفسه من رسلنا حين رأى أيديهم لاتصل إلى طعامه ، وأمن أن يكون قصد فى نفسه وأهله بسوء ، وجاءته البشرى باسحاق ، ظلّ يجادلنا فى قوم لوط .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) يقول : ذهب عنه الخوف (وَجاءَتْهُ البُشْرَى) باسْحاقَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ البُشْرَى) باسحاق ، ويعقوب ولد من صلب إسحاق ، وأمن مما كان يخاف ، قال : (الحَمْدُ للهِ الَّذِى وَهَبَ لى على الكِبَرِ إسْماعِيلَ وإسْحاقَ إنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعاءِ) وقد قيل معنى ذلك : وجاءته البشرى أنهم ليسوا إياه يريدون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجاءَتْهُ البُشْرَى) قال : حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط ، وأنهم ليسوا إياه يريدون .

قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، وقال آخرون : بشر باسحاق .

وأما الرَّوع : فهو الخوف ، يقال منه : راعني كذا يَرُوعني رَوْعا : إذا خافه ، ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم «كيف لك بروْعة المؤمن» ومنه قول عَنْتَرة :

ما رَاعَنِي إلاَّ حَمُولَةُ أهْلِها وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ[1]

بمعنى : ما أفزعني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الروع : الفرق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة . قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : الفرق .

حدثنا الحسن بن يحيي . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : الفرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : ذهب عنه الخوف .

وقوله (يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ) يقول : يخاصمنا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يُجادِلُنا) : يخاصمنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله (يُجادِلُنا) يكلمنا ، وقال لأن إبراهيم لايجادل الله إنما يسأله ويطلب منه ، وهذا من الكلام جهل ، لأن الله تعالى ذكره أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم لوط ، فقول القائل : إبراهيم لايجادل ، موهما بذلك أن قول من قال في تأويل قوله (يُجادِلُنا) يخاصمنا ، أن إبراهيم كان يخاصم ربه جهل من الكلام ، وإنما كان جداله الرسل على وجه المحاجة لهم . ومعنى ذلك : وجاءته البشرى يجادل رسلنا ، ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف الرسل .

(١) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسى ، من معلقته المشهورة (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا) طبعة شركة مصطفى البابي الحلبى وأولاده بالقاهرة (الطبعة الثانية ص ٣٧١) . وراعنى : أفزعنى ، من الروع بالفتح ، وهو الفزع . والحمولة ، بفتح الحاء الإبل التى تعليق الحمل عليها . والخمخم ، بكسر الخاءين : نبت تعلفه الإبل . يقول : ما أنذرنى. بارتحالها إلا انقضاء مدة الانتجاع والكلأ . وعلامة ذلك سف الإبل حب الخمخم ، لأنها لم تجد الكلأ ، ووقوفها وسط الديار ، ولم تخرج إلى المرعى كعادتها فى الربيع - جعل ذلك كناية عن قرب العودة إلى الوطن .

وكان جداله إياهم كما حدثنا ابن حميد، قال : ثنا يعقوب القمى، قال : ثنا جعفر، عن سعيد(يُجادِلُنا فى قَوْمِ لُوط) قال : لما جاء جبرئيل ومن معه قالوا لإبراهيم : (إنَّا مُهْلِكُو أهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ إنَّ أهْلَهَا كانُوا ظالمينَ) قال لهم إبراهيم : أتهلكون قرية فيها أربع مئة مؤمن ؟ قالوا لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها ثلاث مئة مؤمن ؟ قالوا لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها مئتا مؤمن ؟ قالوا لا . قال : أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا ؟ قالوا لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا ؟ قالوا لا ، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم واطمأنت نفسه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحمانى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال الملك لإبراهيم : إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُجادِلُنا فى قَوْمِ لُوطٍ) ذكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم : أرأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أمعذّبوها أنتم ؟ قالوا لا ، حتى صار ذلك إلى عشرة ، قال : أرأيتم إن كان فيها عشرة أمعذّبوهم أنتم ؟ قالوا لا ، وهى ثلاث قرى فيها ماشاء الله من الكثرة والعدد .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُجادِلُنا فى قَوْمِ لُوطٍ) قال : بلغنا أنه قال لهم يومئذ : أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن كان فيها خمسون لم نعذّبهم قال : أربعون ، قالوا : وأربعون ، قال : ثلاثون ، قالوا : ثلاثون ، حتى بلغ عشرة ، قالوا : وإن كان فيهم عشرة ، قال : ما قوم لايكون فيهم عشرة فيهم خير .

قال ابن عبد الأعلى ، قال محمد بن ثور : قال معمر : بلغنا أنه كان فى قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان ، أو ما شاء الله من ذلك .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ البُشْرَى - قالَ ماخَطْبُكُمْ أيها المرسلونَ) قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم لوط فجادلهم فى قوم لوط ، قال : أرأيتم إن كان فيها مئة من المسلمين أتهلكونهم ؟ قالوا : فلم يزل يحطّ حتى بلغ عشرة من المسلمين ، فقالوا : لانعذّبهم إن كان فيهم عشرة من المسلمين ، ثم قالوا (يا إبراهيمُ أعرِضْ عَنْ هذا) إنه ليس فيها إلا أهل بيت من المؤمنين هو لوط وأهل بيته ، وهو قول الله تعالى ذكره (يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ) فقالت الملائكة (يا إبْرَاهِيمُ أعْرِضْ عَنْ هَذَا إنَّهُ قَدْ جاءَ أمْرُ رَبِّكَ وإنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غيرُ مَرْدُودٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ البُشْرَى) يعني : إبراهيم جادل عن قوم لوط ليردّ عنهم العذاب ، قال : فيزعم أهل التوراة أن مجادلة إبراهيم إياهم حين جادلهم فى قوم لوط ليردّ عنهم العذاب ، إنما قال للرسل فيما يكلمهم به : أرأيتم إن كان فيهم مئة مؤمن أتهلكونهم ؟ قالوا لا ، قال : أفرأيتم إن كانوا تسعين؟ قالوا لا ، قال : أفرأيتم إن كانوا ثمانين؟

قالوا لا ، قال : أفرأيتم إن كانوا سبعين ؟ قالوا لا ، قال : أفرأيتم إن كانوا ستين ؟ قالوا لا ، قال : أفرأيتم إن كانوا خمسين ؟ قالوا لا ، قال : كأفرأيتم إن كان رجلا واحدا مسلما ؟ قالوا لا ، قال : فلما لم يذكروا لإبراهيم أن فيها مؤمنا واحدا (قالَ : إنَّ فيهَا لُوطاً) يدفع به عنهم العذاب (قالُوا نَحْنُ أعْلَمُ بِمَنْ فيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وأهْلَهُ إلاَّ امْرَأتَهُ كانَتْ مِنَ الغَابرِينَ) قالوا : يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج . قال : قال ابن جريج : قال إبراهيم : أتهلكونهم إن وجدتم فيها مئة مؤمن ثم تسعين . حتى هبط إلى خمسة . قال : وكان فى قرية لوط أربعة آلاف ألف .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة . قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحبيل الأشجعى قالا (لَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهيمَ الرَّوْعُ) . . . إلى آخر الآية ، قال إبراهيم : أتعذّب عالما من عالمك كثيرا فيهم مئة رجل ؟ قال : لا وعزّتى ولا خمسين ، قال : فأربعين فثلاثين حتى انتهى إلى خمسة ؟ قال : لا وعزتى لا أعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدوننى ، قال الله عزّ وجلّ (فَمَا وَجَدْنَا فيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمينَ) أى لوطا وابنتيه ، قال : فحلّ بهم من العذاب قال الله عزّ وجلّ (وتَرَكْنَا فيهَا آيَةً للَّذينَ يَخافُونَ العَذَابَ الألِيمَ) وقال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ البُشْرَى يُجادِلُنَا فى قَوْمِ لُوطٍ) والعرب لا تكاد تتلقى « لمَّا » إذا وليها فعل ماض إلا بماض يقولون : لما قام قمت ، ولا يكادون يقولون : لما قام أقوم . وقد يجوز فيما كان من الفعل له تطاول مثل الجدال والخصومة والقتال ، فيقولون فى ذلك : لما لقيته أقاتله ، بمعنى : جعلت أقاتله .

وقوله (إنَّ إبْرَاهيمَ لَحَلِيمٌ أوَّاهٌ مُنِيبٌ) يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم لبطىء الغضب متذلل لربه خاشع له ، منقاد لأمره ، منيب رجاع إلى طاعته .

كما حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (أوَّاهٌ مُنِيبٌ) قال : القانت : الرجاع . وقد بيّنّا معنى الأوّاه فيما مضى باختلاف المختلفين ، والشواهد على الصحيح منه عندنا من القول بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا إبْرَاهِيمُ أعْرِضْ عَنْ هَذَا إنَّهُ قَدْ جَاءَ أمْرُ رَبِّكَ وَإنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول رسله لإبراهيم : (يا إبْرَاهيمُ أعْرِضْ عَنْ هَذَا) ، وذلك قيلهم له حين جادلهم فى قوم لوط ، فقالوا : دع عنك الجدال فى أمرهم ، والخصومة فيه ، (فإنَّهُ قَدْ جاءَ أمْرُ رَبِّكَ) بعذابهم ، وحقّ عليهم كلمة العذاب ، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء ، (وإنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) يقول : وإن قوم لوط نازل بهم عذاب من الله غير مدفوع . وقد ذكر الرواية بما ذكرنا فيه ، عمن ذكر ذلك عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاءت ملائكتنا لوطا، ساءه مجيئهم ، وهو فعل من السوء، وضاق بهم بمجيئهم ذرعا يقول : وضاقت نفسه غمًّا بمجيئهم، وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله في حال ما ساءه مجيئهم ، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة ، وخاف عليهم ، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعا ، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه ، ولذلك قال (هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) يقول : ساء ظنا بقومه وضاق ذرعا بأضيافه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة أنه قال : لما جاءت الرسل لوطا أتوه وهو فى أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم والله أعلم : لا تهلكوهم حتى يشهد لوط ، قال : فأتوه فقالوا : إنا متضيفوك الليلة ، فانطلق بهم ، فلما مضى ساعة التفت فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسا أخبث منهم ، قال : فمضى معهم ، ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته ، انطلقت فأنذرتهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائى ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : أتت الملائكة لوطا وهو فى مزرعة له ، وقال الله للملائكة : إن شهد لوط عليهم أربع شهادات فقد أذنت لكم فى هلكتهم، فقالوا : يا لوط إنا نريد أن نضيفك الليلة ، فقال: وما بلغكم من أمرهم ، قالوا : وما أمرهم ؟ قال : أشهد بالله إنها لشرّ قرية فى الأرض عملا ، يقول ذلك أربع مرّات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقى من الماء لأهلها ، وكانت له ابنتان ، اسم الكبرى ريثا ، والصغرى زغرتا[1] ، فقالوا لها ياجارية، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فمكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ، فرقت عليهم من قومها ، فأتت أباها فقالت : يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة ، ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم ، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا ، فقالوا : خلّ عنا فلنضيف الرجال ، فجاء بهم ، فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط ،

(١) فى عرائس المجالس للثعلبى (قصص الأنبياء) طبعة الحلبى ص ١٠٤ « غيثا » .

فخرجت امرأته فأخبرت قومها ، قالت : إن فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قَطُّ فجاءه قومه يُهْرَعون إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة ، فلما جاءت الرسل لوطا سىء بهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) وذلك من تخوّف قومه عليهم أن يفضحوه فى ضيفه ، فقال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) .

وأما قوله (وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) فإنه يقول : وقال لوط : هذا اليوم يوم شديد شره ، عظيم بلاؤه . يقال منه : عَصَبَ يومُنا هذا يَعْصِب عَصْبا : ومنه قول عدىّ بن زيد :

وكنتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لم أُعَرِّدْ وَقَدْ سَلَكُوكَ فِى يَوْمٍ عَصِيبِ[1]

وقول الراجز :

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الأبْطالا عَصْبَ القَوِىِّ السَّلَمَ الطِّوَالا[2]

وقول الآخر :

وإنَّكَ إلاَّ تُرْضِ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ يكُنْ لكَ يَوْمٌ بالعِرَاقِ عَصِيبُ[3]

وقال كعب بن جُعيل :

ويُلْبَثُونَ بالحَضِيضِ فِئَامٌ عارِفاتٌ مِنْهُ بِيَوْمٍ عَصِيبِ[4]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : عصيب : شديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) يقول شديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) أى يوم بلاء وشدة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَوْمٌ عَصِيبٌ) شديد .

---

(١) فى اللسان : يقال : فلان لزاز : خصم ، وجعلت فلانا لزازا لفلان : أى لا يدعه يخالف ولا يعاند . وأصل اللزاز : ما يترس به الباب . وعرد الرجل عن قرنه : إذا أحجم ونكل . والتعريد : الفرار ، وقيل سرعة الذهاب فى الهزيمة . ويقال : عرد فلان بحاجتنا : إذ لم يقضها . وسلكوك : أدخلوك . يقال : سلكت الشىء فى الشى فانسلك ، أى أدخلته فيه فدخل . وقال عدى ابن زيد : وكنت لزاز . . . الخ . والعصيب : الشديد ، وهو من عصب كضرب . قال الراغب : يصح أن يكون بمعنى فاعل ، وأن يكون بمعنى مفعول ، أى يوم مجموع الأطراف ، كقولهم يوم ككفة حابل ، وحلقة خاتم .

(٢) العصيب الذى اشتد فيه جهد الناس . يقال عصبه الجهد يعصبه إذا اشتد عليه . والقوى الرجل الشديد . والسلم : جمع سلمة وهى شجرة من العضاه ذات شوك ، وورقها القرظ الذى يدبغ به الأديم ، ويعسر خرط ورقها لكثرة شوكها فتعصب أغصانها بأن تجمع ، ويشد بعضها إلى بعض بحبل شدا شديدا ، ثم يهصرها الخابط إليه ، ويخبطها بعصاه فيتناثر ورقها للماشية ، ولمن أراد جمعه . شبه الشاعر الجهد الذى يصيب الأبطال يوم النزال ، بعصب الرجل القوى السلم الطوال .

(٣) هذا الشاهد كالشاهدين قبله فى أن معنى اليوم العصيب الشديد شره . يقول : إذا لم تفعل ما ترضاه قبيلة بكر بن وائل ، فلا بد أن تلقى منهم يوما شديد الشر ، وكانت بكر بن وائل تسكن العراق أو قريبا منه .

(٤) الفئام : الجماعات . قال الجوهرى : لا واحد له من لفظه ، يقال : عند فلان فئام من الناس ، وهى الجماعة الكثيرة . والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل . والشاهد فى قوله : عصيب : أى شديد شره .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) : أى يوم شديد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : وجاء لوطا قومه يستحثون إليه يَرْعَدون مع سرعة المشى مما بهم من طلب الفاحشة ، يقال : أُهْرِع الرجل من برد أو غضب أو حُمَّى : إذا أُرعد وهو مُهْرَع ، إذا كان مُعْجَلا حريصا ، كما قال الراجز :

بِمُعْجَلاتٍ نَحْوَهُ مَهارِعِ [١]

ومنه قول مهلهل :

فجاءُوا يُهْرَعُونَ وَهُمْ أُسارَى ... نَقُودُهُمُ على رَغْمِ الأُنُوفِ [٢]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يُهَرْوِلون ، وهو الإسراع فى المشى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد والمحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يسعون إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : فأتوه يُهرعون إليه ، يقول : سراعا إليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يسرعون إليه .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يقول : يسرعون المشى إليه .

---

(١) فى اللسان : يقال : أهرع الرجل : خف وأرعد من سرعة أو خوف أو حرص أو غضب أو حمى . وفى التنزيل : « وجاءه قومه يهرعون إليه » أى يستحثون إليه ، كأنه يحث بعضهم بعضا . قال الكسائى : الإهراع : إسراع فى رعدة ، يقال : هرعوا وأهرعو . وقال أبو عبيد : أهرع الرجل إهراعا : إذا أتاك وهو يرعد من البرد . وقد يكون مهرعان الحمى والغضب وهو حين يرعد . والمهرع أيضا كالحريص . ومهارع : جمع مهرع .

(٢) البيت لمهلهل بن ربيعة ، أنشده صاحب اللسان (هرع) قال : قال الليث : يهرعون وهم أسارى : يساقون ويعجلون . يقال هرعوا وأهرعوا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يهرولون فى المشى .

قال سفيان : (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يسرعون إليه .

حدثنا سوّار بن عبد الله ، قال : قال سفيان بن عيينة فى قوله (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : كأنهم يُدْفَعون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : أقبلوا يُسْرعون مشيا بين الهَرْوَلة والجَمَز .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يقول : مسرعين .

وقوله (وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ) يقول : من قبل مجيئهم إلى لوط ، كانوا يأتون الرجال فى أدبارهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ) قال : يأتون الرجال .

وقوله (قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِى) يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه لما جاءوا يراودونه عن ضيفه : هؤلاء ياقوم بناتى ، يعنى نساء أمته ، فانكحوهن فـ(هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم لوط بتزويج النساء ، وقال : هن أطهر لكم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : وبلغنى هذا أيضا ، عن مجاهد ، حدثنا ابن وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : لم يكن بناته ، ولكن كن من أمته ، وكل نبىّ أبو أمته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم أن يتزوّجوا النساء ، لم يعرض عليهم سفاحا [1] .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا أبو بشر ، سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : ماعرض عليهم نكاحا ولا سفاحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم أن يتزوّجوا النساء ، وأراد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أن يقىَ أضيافه ببناته .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر عن الربيع ، فى قوله (هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) يعنى التزويج .

حدثنى أبو جعفر ، عن الربيع ، فى قوله (هؤلاء بناتى هن أطهر لكم) يعنى التزويج .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا محمد بن شبيب الزهرانى

(١) المراد ببناته : نساء أمته ، لأنه كالأب لهن ، ولم يرد بناته لصلبه ، فكأنه قال : أمامكم بنات أمتى فتزوجوهن .

عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قول لوط (هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) يعني : نساؤهم هن بناته هو نبيهم ، وقال في بعض القراءة (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) وهو أب لهم .

حدثني موسى بن هارون . قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قالوا : أو لم ننهك أن تضيّف العالمين ، قال (هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) إن كنتم فاعلين (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءت الرسل لوطا أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم يهرعون إليه ، فيزعمون والله أعلم أن امرأة لوط هي التي أخبرتهم بمكانهم ، وقالت : إن عند لوط لضيفانا ما رأيت أحسن ولا أجمل قطُّ منهم ، وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء ، فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين . فلما جاءوه قالوا (أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) أي ألم نقل لك : لا يقربنك أحد ، فإنا لن نجد عندك أحدا إلا فعلنا به الفاحشة (قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فأنا أفدى ضيفي منكم بهن ، ولم يدعهم إلا إلى الحلال من النكاح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي) قال : النساء .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فقرأته عامة القرّاء برفع أطهر ، على أن جعلوا هنّ اسما ، وأطهر خبره ، كأنه قيل : بناتي أطهر لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال . وذُكر عن عيسى بن عمر البصري أنه كان يقرأ ذلك : هنّ أطهرَ لكم بنصب أطهر . وكان بعض نحويي البصرة يقول : هذا لا يكون ، إنما ينصب خبر الفعل الذي لا يستغنى عن الخبر إذا كان بين الاسم والخبر هذه الأسماء المضمرة . وكان بعض نحويي الكوفة يقول : من نصبه جعله نكرة خارجة من المعرفة ، ويكون قوله : هنّ . عمادا للفعل فلا يعمله . وقال آخر منهم : مسموع من العرب : هذا زيد إياه بعينه ، قال : فقد جعله خبرا لهذا مثل قولك : كان عبد الله إياه بعينه ، قال : وإنما لم يجز أن يقع الفعل ههنا لأن التقريب ردّ كلام فلم يجتمعا ، لأنه يتناقض . لأن ذلك إخبار عن معهود ، وهذا إخبار عن ابتداء ما هو فيه ، ها أنا ذا حاضر وزيد هو العالم ، فتناقض أن يدخل المعهود على الحاضر ، فلذلك لم يجز .

والقراءة التي لا أستجيز خلافها في ذلك : الرفع (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه مع صحته في العربية ، وبعد النصب فيه من الصحة .

وقوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي) يقول : فاخشوا الله أيها الناس ، واحذروا عقابه في إتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها (وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي) يقول : ولا تذلّوني بأن تركبوا مني في ضيفي ما يكرهون أن تركبوه منهم ، والضيف في لفظ واحد في هذا الموضع بمعنى جمع ، والعرب تسمي الواحد والجمع ضيفا بلفظ واحد كما قالوا : رجل عدل ، وقوم عدل .

وقوله (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) يقول: أليس منكم رجل ذو رشد يَنْهَى من أراد ركوب الفاحشة من ضيفى ، فيحول بينهم وبين ذلك ؟

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) أى رجل يعرف الحق وينهى عن المنكر .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم لوط للوط (لَقَدْ عَلِمْتَ) يالوط (مالَنا فى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) لأنهنّ لسْن لنا أزواجا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (قالُوا: لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) : أى من أزواج (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ) .

وقوله (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مانُرِيدُ) يقول : قالوا : وإنك يا لوط لتعلم أن حاجتنا فى غير بناتك ، وأن الذى نريد هو ما تنهانا عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ) إنا نريد الرجال .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ) : أى إن بُغْيتنا لغير ذلك ، فلما لم يتناهوا ، ولم يردّهم قوله ، ولم يقبلوا منه شيئا مما عرض عليهم من أمور بناته (قالَ لَوْ أَنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضىّ لما قد جاءوا له من طلب الفاحشة ، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شىء مما عرض عليهم (لَوْ أَنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً) بأنصار تنصرنى عليكم وأعوان تعيننى (أَوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يقول : أو أنضمّ إلى عشيرة مانعة تمنعنى منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه منى فى أضيافى ، وحذف جواب لو لدلالة الكلام عليه ، وأن معناه مفهوم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال لوط (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يقول : إلى جند شديد لقاتلتكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : العشيرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : العشيرة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : إلى ركن من الناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال قوله (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : بلغنا أنه لم يبعث نبىّ بعد لوط إلا فى ثروة من قومه حتى النبىّ صلى الله عليه وسلم [١] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) أى عشيرة تمنعنى ، أو شيعة تنصرنى لحلت بينكم وبين هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : يعنى به العشيرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن أن هذه الآية لما نزلت (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ [٢] » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ أَخِي لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، فَلأَيِّ شَيْءٍ اسْتَكَانَ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحْمَةُ اللهِ عَلَى لُوطٍ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، ما بَعَثَ اللهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ) قال محمد : والثروة : الكثرة والمنعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

(١) يؤيد ذلك مافعله عماه عبد المطلب وحمزة ، من المحاماة عنه ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) يريد صلى الله عليه وسلم أن الله كان ناصره ومؤيده ، فهو ركنه الشديد ، وسنده القوى .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصرى ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثني بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهرى ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِمَ اللهُ لُوطا ، لَقَدْ كانَ يأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فذكر مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن محمد ، بن عمرو عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله (أَوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) « قَدْ كانَ يَأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » ، يعنى الله تبارك وتعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَمَا بَعَثَ اللهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِىّ إلاَّ فِى ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن أبى يونس ، سمع أبا هريرة يحدث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِمَ اللهُ لُوطا فإنَّهُ كانَ يأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

قال : ثنا ابن أبى مريم سعيد بن عبد الحكم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان كان إذا قرأ هذه الآية ، أو أتى على هذه الآية قال : «رَحِمَ اللهُ لُوطا إنْ كانَ لَيَأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » وذُكر لنا أن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط عليه السلام إلا فى ثروة من قومه ، حتى بعث الله نبيكم فى ثروة من قومه . يقال : من أوى إلى ركن شديد : أويت إليك ، فأنا آوى إليك ، أويا بمعنى صرت إليك وانضممت ، كما قال الراجز :

يأْوِى إلى رُكْنٍ مِنَ الأرْكانْ فِى عَـدَدٍ طَيْسٍ وَمَجْدٍ بانِ[1]

وقيل : إن لوطا لما قال هذه المقالة وجدت الرسل عليه لذلك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثني عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : قال لوط (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) فوجد عليه الرسل وقالوا : إن ركنك لشديد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ

(١) البيت فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٢٩٤) وقال : الطيس : الكثير ، يقال : أتانا بلبن طيس ، وشراب طيس : أى كثير . وفى (اللسان طيس) : الطيس : الكثير من الطعام والشراب والماء والعدد الكثير . وقيل هو الكثير من كل شىء . والمجد البانى : المجد الضخم العالى .

أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

❊ يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة للوط لما قال لوط لقومه (لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) ورأوا مالَقِى من الكرب بسببهم منهم (يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) أرسلنا لإهلاكهم، وإنهم لن يصلوا إليك، وإلى ضيفك بمكروه، فهوّن عليك الأمر (فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) يقول فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل، يقال منه: أسرى وسَرَى، وذلك إذا سار بليل (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ).

واختلفت القراءة فى قراءة قوله (فأسْرِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المكيين والمدنيين (فاسْرِ) وصل بغير همز الألف من سَرَى. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة (فَأَسْرِ) بهمز الألف من أسرى، والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكلٍّ واحدة منهما أهل قُدْوة فى القراءة، وهما لغتان مشهورتان فى العرب، معناهما واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك.

وأما قوله (إِلَّا امْرَأَتَكَ) فإن عامة القرّاء من الحجاز والكوفة، وبعض أهل البصرة، قرءوا بالنصب (إِلَّا امْرَأَتَكَ) بتأويل: فأسر بأهلك إلا امرأتك، وعلى أن لوطا أمر أن يسرى بأهله سوى زوجته، فإنه نُهِى أن يُسْرى بها، وأمر بتخليفها مع قومها. وقرأ ذلك بعض البصريين (إِلَّا امْرَأَتُكَ) رفعا، بمعنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتُك، فإن لوطا قد أخرجها معه، وإنه نُهِى لوط ومن معه ممن أسرى معه، أن يلتفتَ سوى زوجته، وإنها التفتت فهلكت لذلك.

وقوله (إِنَّهُ مُصِيبُهَا ما أَصَابَهُمْ) يقول: إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) يقول: إن موعد قومك الهلاك الصبح، فاستبطأ ذلك منهم لوط، وقال لهم: بل عجلوا لهم الهلاك، فقالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ): أى عند الصبح نزول العذاب بهم.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ): أى إنما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه، فامض لما تؤمر.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: فمضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط، فلما أتوا لوطا، وكان من أمرهم ماذكر الله، قال جبرئيل للوط: يا لُوطُ (إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) فقال لهم لوط: أهلكوهم الساعة، فقال له جبرئيل عليه السلام: (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) فأنزلت على لوط (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) قال: فأمره أن يَسْرِىَ بأهله بِقِطْعٍ من الليل، ولا يلتفتَ منهم أحد، إلا امرأته، قال: فسار، فلما كانت الساعة التى

أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونُباح الكلاب، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل. قال: وسمعت امرأة لوط الهدة[١]، فقالت: واقوماه، فأدركها حجر فقتلها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، قال: كان لوط أخذ على امرأته أن لاتذيع شيئا من سر أضيافه، قال: فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه، رأتهم في صورة لم تر مثلها قط، فانطلقت تسعى إلى قومها، فأتت النادي فقالت بيدها[٢] هكذا، وأقبلوا يُهرَعون مشيا بين الهرولة والجمز[٣]؛ فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط: ماقال الله في كتابه، قال جبرئيل (يالُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ) قال: فقال بيده، فطمس أعينهم. فجعلوا يطلبونهم، يلمسون[٤] الحيطان وهم لايبصرون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن حذيفة، قال: لما بصرت بهم: يعني بالرسل: عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم فقالت: إنه تضيَّفَ لوطا قوم مارأيت قوما أحسن وجوها[٥] قال: ولا أعلمه إلا قالت: ولا أشد بياضا، وأطيب ريحا، قال: فأتوه يهرعون إليه، كما قال الله، فأصفق[٦] لوط الباب، قال: فجعلوا يعالجونه، قال: فاستأذن جبرئيل ربه في عقوبتهم، فأذن له، فصفقهم بجناحه، فتركهم عميانا يترددون في أخبث ليلة ما أتت عليهم قط، فأخبروه (إنَّا رسُلُ رَبِّكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال: ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته، ثم سمعت الصوت، فالتفتت وأرسل الله عليها حجرا فأهلكها.

وقوله (إنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) فأراد نبي الله ماهو أعجل من ذلك، فقالوا أليس الصبح بقريب؟

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي[٧]، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، قال: انطلقت امرأته، يعني امرأة لوط حين رأتهم، يعني حين رأت الرسل إلى قومها، فقالت: إنه قد ضافه الليلة قوم مارأيت مثلهم قط أحسن وجوها، ولا أطيب ريحا، فجاءوا يُهرَعون إليه، فبادرهم لوط إلى أن يزجهم على الباب، فقال (هَؤُلاءِ بَنَاتِي إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ) فقالوا (أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العالَمِينَ) فدخلوا على الملائكة، فتناولتهم الملائكة وطمست أعينهم، فقالوا: يا لوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كما أنت حتى تصبح، قال: واحتمل جبرئيل قُرَيات لوط الأربع، في كل قرية مئة ألف، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض، حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديكتهم، ثم قلبهم، فجعل الله عاليها سافلها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور عن معمر، عن قتادة، قال: قال حذيفة: لما دخلوا عليه، ذهبت عجوزه، وعجوز السوء، فأتت قومها، فقالت: لقد تضيف لوطا الليلة قوم ما رأيت قوما قط أحسن وجوها منهم، قال: فجاءوا يسرعون، فعاجلهم لوط، فقام ملك فلز الباب، يقول: فسده، واستأذن جبرئيل في عقوبتهم، فأذن له، فضربهم جبرئيل بجناحه، فتركهم عميانا، فباتوا

(١) الهدة: صوت القضاض أبنيتهم. (٢) قالت بيدها: حركتها وأشارت بها.
(٣) الهرولة: مشي سريع يقرب من الجري. والجمز: عدو ليس بالشديد جدا. (٤) لمس: من بابي قتل وضرب.
(٥) أي أحسن وجوها منهم. (٦) أصفق الباب: أغلقه أو رده. (٧) الملائي: كذا كتبه الخزرجي في الخلاصة.

بشر ليلة ، ثم (قالُوا إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، فَأَسْرِ بأهْلِكَ بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ،وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحَدٌ إلاَّ امْرأتَكَ)قال : فبلغنا أنها سمعت صوتا ، فالتفتت فأصابها حجر ، وهى شاذة من القوم ، معلوم مكانها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة بنحوه ، إلا أنه قال : فعاجلهم[1] لوط .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما قال لوط (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) بسط حينئذ جبريل عليه السلام جناحيه ، ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم بعضا عميانا يقولون النجاء النجاء فإن فى بيت لوط أسحر قوم فى الأرض فذلك قوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ) وقالوا للوط (إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ ، فأسْرِ بأهْلِكَ بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحَدٌ إلاَّ امْرأتَكَ إنَّهُ مُصِيبُها) واتبع أدبار أهلك ، يقول : سر بهم ، (وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) فأخرجهم الله إلى الشأم ، وقال لوط : أهلكوهم الساعة ، فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ، فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه امرأته ، فذلك قوله (إلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد أنه سمع وهب ابن منبه يقول : كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوما قد استغنوا عن النساء بالرجال ؛ فلما رأى الله ذلك بعث الملائكة ليعذبوهم ، فأتوا إبراهيم ، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله فى كتابه ؛ فلما بشروا سارة بالولد ، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشى ، قال : أخبرونى لم بعثتم وما خطبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لندمرها ، وإنهم قوم سوء قد استغنوا بالرجال عن النساء ، قال إبراهيم : إن كان فيهم خمسون رجلا صالحا ، قالوا : إذن لانعذبهم ، فجعل ينقص حتى قال أهل البيت ، قال : فإن كان فيها بيت صالح ؟ قال : فلوط وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما يئس إبراهيم انصرف ومضوا إلى أهل سدوم ، فدخلوا على لوط ؛ فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية إنه قد نزل بنا قوم لم ير قوم قط أحسن منهم ولا أجمل ، فتسامعوا بذلك ، فغشوا دار لوط من كل ناحية وتسوروا عليهم الجدران ، فلقيهم لوط ، فقال : ياقوم لاتفضحون فى ضيفى ، وأنا أزوجكم بناتى ، فهن أطهر لكم ، فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن ، فقال (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) فوجد عليه الرسل ، قالوا : إن ركنك لشديد ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ، فمسح أحدهم أعينهم بجناحيه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قص الله تعالى فى كتابه ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض ، فقلبها ، ونزلت حجارة من السماء ، فتتبعت من لم يكن منهم فى القرية حيث كانوا ، فأهلكهم الله ، ونجى لوطا وأهله ، إلا امرأته .

---

(١) عاجلهم : أى تعجل بطلب العذاب لقومه لإهلاكهم ، كما هو واضح من حديث السدى بعده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، وعن أبي بكر بن عبد الله وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة دخل حديث بعضهم في بعض ، قال : كان إبراهيم عليه السلام يأتيهم فيقول : ويحكم أنهاكم عن الله أن تعرضوا لعقوبته، حتى إذا بلغ الكتاب أجله لمحل عذابهم ، وسطوات الرب بهم ، قال : فانتهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل في أرض له، فدعاهم إلى الضيافة ، فقالوا إنا مضيفوك الليلة ، وكان الله تعالى عهد إلى جبريل عليه السلام أن لاتعذبهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات ؛ فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ، ذكر ما يعمل قومه من الشر والدواهي العظام ، فمشى معهم ساعة ، ثم التفت إليهم ، فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، ما أعلم على وجه الأرض شرا منهم ، أين أذهب بكم إلى قومي ، وهم شر خلق الله ، فالتفت جبرئيل إلى الملائكة فقال : احفظوا هذه واحدة ، ثم مشى ساعة ؛ فلما توسط القرية وأشفق عليهم ، واستحيا منهم ، قال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، وما أعلم على وجه الأرض شرا منهم ، إن قومي شر خلق الله ، فالتفت جبرئيل إلى الملائكة ، فقال : احفظوا هاتان ثنتان ، فلما انتهى إلى باب الدار بكى حياء منهم ، وشفقة عليهم وقال : إن قومي شر خلق الله ، أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شرا منهم ، فقال جبريل للملائكة : احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب ؛ فلما دخلوا ذهبت عجوزه ، عجوز السوء ، فصعدت فلوحت بثوبها ، فأتاها الفساق يهرعون سراعا، قالوا : ماعندك ؟ قالت : ضيف لوط الليلة قوما مارأيت أحسن وجوها منهم ، ولا أطيب ريحا منهم ، فهرعوا مسارعين إلى الباب ، فعاجلهم لوط على الباب ، فدافعوه طويلا ، هو داخل، وهم خارج ، يناشدهم الله ويقول: (هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فقام الملك فلز الباب ، يقول : فسده ، واستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن الله له، فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء ، فنشر جناحه ، ولجبرئيل جناحان ، وعليه وشاح من در منظوم ، وهو براق الثنايا أجلى الجبين ، ورأسه حبك حبك، مثل المرجان وهو اللؤلؤ ، كأنه الثلج، وقدماه إلى الخضرة فقال : (يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) امض يا لوط من الباب ودعني وإياهم فتنحى لوط عن الباب، فخرج عليهم فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم فصاروا عميا لايعرفون الطريق ، ولا يهتدون إلى بيوتهم ؛ ثم أمر لوطا فاحتمل بأهله من ليلته ، قال (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لوط لقومه (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) والرسل تسمع ما يقول وما يقال له ، ويرون ماهو فيه من كرب ذلك ، فلما رأوا ما بلغه (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) أي بشيء تكرهه (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ، إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) أي إنما ينزل بهم العذاب من صبح ليلتك هذه ، فامض لما تؤمر .

قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث ، أن الرسل عند ذلك

سَفَعُوا في وجوه الذين جاءوا لوطا من قومه ، يراودونه عن ضيفه، فرجعوا عميانا ، قال : يقول الله : (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : بطائفة من الليل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) بطائفة من الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : جوف الليل .

وقوله (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) يقول : واتبع أدبار أهلك ، ولا يلتفت منكم أحد .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) قال : لاينظر وراءه أحد (إِلَّا امْرَأَتَكَ) ورُوى عن عبد الله ابن مسعود أنه كان يقرأ (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ) .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال في حرف ابن مسعود (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ) وهذا يدل على صحة القراءة بالنصب .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاء أمرنا بالعذاب ، وقضاؤنا فيهم بالهلاك (جَعَلْنَا عَالِيَهَا) يعنى عالى قريتهم (سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا) يقول : وأرسلنا عليها (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) .

واختلف أهل التأويل في معنى سجيل ، فقال بعضهم : هو بالفارسية سِنْك وكل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مِنْ سِجِّيلٍ) بالفارسية ، أولها حجر ، وآخرها طين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) قال : فارسية أعربت سنك وكل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : السجيل : الطين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مِنْ سِجِّيلٍ) قالا : من طين .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، عن وهب قال : سجيل بالفارسية : سنك وكل .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) أما السجيل فقال ابن عباس : هو بالفارسية : سنك وجل ، سنك : هو الحجر ، وجل هو الطين ، يقول : أرسلنا عليهم حجارة من طين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) قال : طين فى حجارة .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) قال : السماء الدنيا . قال : والسماء الدنيا اسمها سجيل ، وهى التى أنزل الله على قوم لوط . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول : السجيل : هو من الحجارة الصلب الشديد ومن الضرب ، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر :

ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّيلاً (١)

وقال بعضهم : تحوّل اللام نونا ، وقال آخر منهم : هو فعيل من قول القائل : أسجلته : أرسلته ، فكأنه من ذلك : أى مرسلة عليهم . وقال آخر منهم : بل هو من سجلت له سجلا من العطاء ، فكأنه قيل : منحوا ذلك البلاء فأعطوه ، وقالوا أسجله : أهمله . وقال بعضهم : هو من السِّجِلِّ ، لأنه كان فيها علم كالكتاب . وقال آخر منهم : بل هو طين يطبخ كما يطبخ الآجرّ ، وينشد بيت الفضل بن عباس :

مَنْ يُسَاجِلْنِى يُسَاجِلْ مَاجِدًا يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبِ (١)

فهذا من سَجَلْتُ له سَجْلا : أعطيته .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله المفسرون ، وهو أنها من طين ، وبذلك وصفها الله فى كتابه فى موضع ، وذلك قوله (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ) وقد رُوى عن سعيد بن جبير أنه كان يقول : هى فارسية ونبطية .

---

(١) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب (اللسان : سجل) وأنشد البيت قال ابن برى : أصل المساجلة أن يستق ساقيان فيخرج كل واحد منهما فى سجله مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب فضربته العرب مثلا المفاخرة ، فإذا قيل فلان يساجل فلانا ، فمعناه أنه يخرج من الشرف مثل مايخرجه الآخر فأيهما نكل فقد غلب ، وتساجلوا : أى تفاخروا ؛ ومنه قولهم : الحرب سجال . اهـ . والكرب : هو الحبل الذى يشد على الدلو بعد المنين ، وهو الحبل الأول ، فإذا انقطع المنين بقى الكرب . والجمع : أكراب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : فارسية ونبطية سج ايل ، فذهب سعيد بن جبير فى ذلك إلى أن اسم الطين بالفارسية جل لا ابل ، وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان سجيل لا سجيل ، لأن الحجر بالفارسية يدعى سج والطين جل ، فلا وجه لكون الياء فيها وهى فارسية . وقد بينا الصواب من القول عندنا فى أول الكتاب بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه قال : كان أصل الحجارة طينا فشددت .

وأما قوله (مَنْضُودٍ) فإن قتادة وعكرمة يقولان فيه ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مَنْضُودٍ) يقول : مصفوفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْضُودٍ) يقول : مصفوفة .

وقال الربيع بن أنس فيه ، ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (مَنْضُودٍ) قال : نضد بعضه على بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر الهذلى بن عبد الله : أما قوله (مَنْضُودٍ) فإنها فى السماء منضودة : معدة ، وهى من عدة الله التى أعد للظلمة .

وقال بعضهم : منضود : يتبع بعضه بعضا عليهم ، قال : فذلك نضده .

والصواب من القول فى ذلك ما قاله الربيع بن أنس ، وذلك أن قوله (مَنْضُودٍ) من نعت سجيل ، لا من نعت الحجارة ، وإنما أمطر القوم حجارة من طين ، صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه إلى بعض ، فيصير حجارة ، ولم يمطروا الطين فيكون موصوفا بأنه تتابع على القوم بمجيئه ، وإنما كان جائزا أن يكون على ما تأوله هذا المتأول لو كان التنزيل بالنصب منضودة فيكون من نعت الحجارة حينئذ .

وأما قوله (مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ) فإنه يقول : معلمة عند الله ، أعلمها الله ، والمسومة من نعت الحجارة ، ولذلك نصبت ونعت بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُسَوَّمَةً) قال : معلمة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : مسومة لا تشاكل حجارة الأرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مُسَوَّمَةً) قالا : مطوقة بها نضح من حمرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ،قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُسَوَّمَةً) عليها سيا معلومة حدث بعض من رآها أنها حجارة مطوّقة عليها ، أو بها نضح من حمرة ليست كحجارتكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (مُسَوَّمَةً) قال : عليها سيا خطوط .

حدثني موسى بن هارون . قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مُسَوَّمَةً) قال : المسوّمة : المختمة .

وأما قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) فإنه يقول تعالى ذكره متهدّدا مشركي قريش : وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يمطروها إن لم يتوبوا من شركهم .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبوعتاب الدلال سهل بن حماد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبان بن تغلب عن مجاهد ، في قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) قال : أن يصيبهم ما أصاب القوم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) قال : يرهب بها من يشاء .

حدثني المثنى ، قال ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة(وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) يقول : ما أجار الله منها ظالما بعد قوم لوط .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (وَمَاهِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) يقول : لم يبرأ منها ظالم بعدهم .

حدثنا علىّ بن سهل،قال : ثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن شَوْذَب،عن قتادة ، في قوله (وَمَاهِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) قال : يعني ظالمي هذه الأمة ، قال : والله ما أجار منها ظالما بعد .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) يقول : من ظَلَمة العرب إن لم يتوبوا فيعذّبوا بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر الهذلىّ بن عبد الله ، قال يقول: (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) من ظلمة أمتك ببعيد ، فلا يأمنها منهم ظالم .

وكان قَلْبُ الملائكةِ عالى أرض سدوم سافلها، كما حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : أخذ جبرئيل عليه السلام قوم لوط من سَرْحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم حتى سمع أهل السماء نُباح كلابهم ثم أكفأهم .

حدثنا به أبو كريب مرّة أخرى عن مجاهد ، قال : أدخل جبرئيل جناحه تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، فأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، كان يقول (فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَهَا سافِلَها) قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ، ففتقها من أركانها ، ثم أدخل جناحه ، ثم حملها على خوافى جناحه .

قال : ثنا شبل ، قال : فحدثنى هذا ابنُ أبى نجيح ، عن إبراهيم بن أبى بكر ، قال : ولم يسمعه ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : فحملها على خوافى جناحه بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم قلبها ، فكان أوّل ماسقط منها شرفها ، فذلك قول الله (جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها ، وأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) قال مجاهد : فلم يصب قوما ما أصابهم ؛ إن الله طمس على أعينهم ، ثم قلب قريتهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجّيل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعُروة القرية الوسطى ، ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء ضَواغى[١] كلابهم ، ثم دمّر بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها ثم أتبعهم الحجارة . قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جوّ السماء حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ثم أتبع شُذّان القوم[٢] صخرا ، قال : وهى ثلاث قرى يقال لها سَدُوم ، وهى بين المدينة والشام . قال : وذُكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف . وذُكر لنا أن إبراهيم عليه السلام كان يُشْرِف[٣] يقول : سدوم يوم مَّا لك .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أصبحوا ، يعنى قوم لوط ، نزل جبرئيل ، فاقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا ، فذلك حين يقول (والمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل الأرض فاقتلعها بجناحه ، فمن لم يمت حين أسقط الأرض أمطر الله عليه ، وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذّا فى الأرض وهو قول الله (فجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها ، وأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) ثم تتبعهم فى القرى ، فكان الرجل يأتيه الحجر فيقتله ، وذلك قول الله تعالى (وأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) .

---

(١) ضواغى : جمع ضاغ ، يقال : ضغا الذئب والسنور والثعلب يضغو ضغوا وضغاء : صوت وصاح .
(٢) شذان القوم : من تفرق منهم .
(٣) يشرف : يرتفع على شىء عال ، وينظر إلى سدوم مرتقبا لها شرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر وأبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه ، فانتسف به أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع مافيها ، فضمها فى جناحه ، فحواها وطواها فى جوف جناحه ، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا ،حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ، وكانوا أربعة آلاف ألف ، ثم قلبها فأرسلها إلى الأرض منكوسة ، دمدم بعضها على بعض ،فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعها حجارة من سجيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن كعب القُرَظى ، قال : حُدثت أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : بعث الله جبرئيل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التى كان لوط فيها ، فاحتملها بجناحه ، ثم صعد بها حتى أن أهل السماء الدنيا ليسمعون نباح كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ، ثم أتبعها الله بالحجارة ، يقول الله (جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها ، وأمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات ، وكن خمس قريات صنعة ، وصعوة ، وعثرة ، ودوما ، وسدوم ؛ وسدوم هى القرية العظمى ، ونجّى الله لوطا ومن معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره (وَ) أرسلنا (إلى) ولد (مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيْبا) فلما أتاهم (قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غيرُهُ) يقول : أطيعوه ، وتذلّلوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه ، ما لكم من إله غيره ، يقول : ما لكم من معبود سواه يستحق عليكم العبادة غيره (وَلا تَنْقُصُوا المِكْيالَ والميزانَ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى مكيالكم وميزانكم ، (إنى أراكُمْ بِخَيْرٍ) .

واختلف أهل التأويل فى الخير الذى أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين إنه يراهم به ، فقال بعضهم : كان ذلك رُخْص السعر وحذّرهم غلاءه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطى ، قال : ثنا محمد بن موسى ، عن الذيال بن عمرو ، عن ابن عباس (إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : رُخْص السعر (وإِنِّى أخافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) قال : غلاء سعر .

حدثنى أحمد بن علىّ النصرى[1] ، قال : ثنى عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا صالح بن رستم ، عن الحسن ، وذكر قوم شعيب قال (إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : رُخْص السعر .

(١) كذا فى الأصل . ولعله أحمد بن عبد الله بن على بن سويد بن منجوف السدوسى البصرى ، وقد ينسب إلى جده توفى سنة ٢٥٢ (من خلاصة الخزرجى)

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبي عامر الخراز ، عن الحسن ، في قوله (إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : الغنى ورُخص السعر .

وقال آخرون : عنى بذلك : إنى أرى لكم مالا وزينة من زين الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : يعني خير الدنيا وزينتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) أبصر عليهم قِشْرا[1] من قِشْر الدنيا وزينتها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : في دنياكم ، كما قال الله تعالى (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) سماه خيرا لأن الناس يسمون المال خيرا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه ، وذلك قوله (إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) يعني بخير الدنيا ، وقد يدخل في خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا ، ورخص السعر ، ولا دلالة على أنه عنى بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض ، فذلك على كلّ معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها ، وإنما قال ذلك شعيب ، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ، ورخص من أسعارهم ، كثيرة أموالهم ، فقال لهم : لاتنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم ، فقد وسَّع الله عليكم رزقكم (وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ) بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم عذابَ يومٍ مُحِيطٍ) يقول : أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه ، فجعل المحيط نعتا لليوم ، وهو من نعت العذاب ، إذ كان مفهوما معناه ، وكان العذاب في اليوم ، فصار كقولهم جبتك محرّقة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه : أوفُوا الناس الكيل والميزان بالقسط ، يقول : بالعدل ، وذلك بأن توفُّوا أهل الحقوق التي هي مما يكال أو يوزن حقوقهم على ما وجب لهم من التمام بغير بخس ، ولا نقص .

وقوله (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم كيلا أو وزنا أو غير ذلك .

(١) القشر : الثياب التي تلبس (اللسان) .

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا على بن صالح ، بن حيّ ، قال : بلغني فى قوله (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ) قال : لاتنقصوهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ) يقول : لاتظلموا الناس أشياءهم .

وقوله (وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : ولا تسيروا فى الأرض تعملون فيها بمعاصى الله.

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ) قال : لاتسيروا فى الأرض .

وحدثت عن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك (وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : لاتسعوا فى الأرض مفسدين ، يعنى : نقصان الكيل والميزان .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾

❊ يعنى تعالى ذكره بقوله (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ) ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط ، فأحله لكم ، خير لكم من الذى يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان (إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم مصدّقين بوعد الله ووعيده، وحلاله وحرامه . وهذا قول رُوى عن ابن عباس بإسناد غير مرتضىً عند أهل النقل .

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : طاعة الله خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : طاعة الله خير لكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، بن أبى بزّة ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللهِ) قال : طاعة الله (خَيْرٌ لَكُمْ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللهِ) قال : طاعة الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن ليث ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : طاعة الله خير لكم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : طاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : حظُّكم من ربكم خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) : حظكم من ربكم خير لكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : حظكم من الله خير لكم .

وقال آخرون : معناه : رزق الله خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عمن ذكره ، عن ابن عباس (بَقِيَّتُ اللهِ) قال رزق الله .

وقال ابن زيد في ذلك ماحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين) قال : الهلاك في العذاب ، والبقية في الرحمة .

❊ وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته ، لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بخس الناس أشياءهم في المكيال والميزان ، وإلى ترك التطفيف في الكيل ، والبخس في الميزان ، دعاهم شعيب ، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظ في الوفاء في الدنيا والآخرة أولى ، مع أن قوله (بَقِيَّتُ) إنما هي مصدر من قول القائل بَقَّيْتُ بَقِيَّةً من كذا ، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى بقية الله التي أبقاها لكم مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم ، خير لكم من بقيتكم من الحرام ، الذي يبقى لكم من ظلمكم الناس ، ببخسكم إياهم في الكيل والوزن .

وقوله (وَمَا أنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) يقول : وما أنا عليكم أيها الناس برقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم ، وإنما عليّ أن أبلغكم رسالة ربي فقد أبلغتكموها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب (يا شُعَيْبُ أصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أنْ نَتْرُكَ) عبادة (ما يَعْبُدُ آباؤُنا) من الأوثان والأصنام (أوْ أنْ نَفْعَلَ فِي أمْوَالِنا ما نَشاءُ) من كسر الدراهم وقطعها ، وبخس الناس في الكيل والوزن (إنَّكَ لأنْتَ الحَلِيمُ) وهو الذي لايحمله الغضب أن يفعل مالم يكن ليفعله في حال الرضا (الرَّشِيدُ) يعني : رشيد الأمر في أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان .

كما حدثنا محمود بن خداش ، قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، قال : ثنا داود بن قيس ، عن زيد ابن أسلم ، في قول الله (أصلاتُكَ تأمُرُكَ أن نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا ، أو أن نَفْعَلَ في أمْوالِنا

ما نَشاءُ ، إنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ) قال : كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم ، أو قال : قطع الدراهم . الشك من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازى ، قال : ثنا ابن أبى فُدَيك ، عن أبى مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : بلغنى أن قوم شعيب عذّبوا فى قطع الدراهم ، وجدت ذلك فى القرآن (أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أن نَتْرُكَ مايَعْبُدُ آباؤُنا ، أو أن نَفْعَلَ فى أمْوَالِنا ما نَشاءُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال عذّب قوم شعيب فى قطعهم الدراهم ، فقالوا (يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أن نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا ، أو أن نَفْعَلَ فى أمْوَالِنا ما نَشاءُ) .

قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، عن داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، فى قوله (أو أن نَفْعَلَ فى أمْوَالِنا ما نَشاءُ) قال : كان مما نهاهم عنه : حذف الدراهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قالُوا ياشُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أنْ نَتْرُكَ مايَعْبُدُ آباؤُنا ، أوْ أنْ نَفْعَلَ فِي أمْوَالِنا ما نَشاءُ) قال : نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم ، فقالوا : إنما هى أموالنا نفعل فيها ما نشاء ، إن شئنا قطعناها ، وإن شئنا حرقناها[١] ، وإن شئنا طرحناها .

قال : وأخبرنا ابن وهب ، قال : وأخبرنى داود بن قيس المرى أنه سمع زيد بن أسلم يقول فى قول الله (قالُوا يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا ، أوْ أنْ نَفْعَلَ فِي أمْوَالِنا مانَشاءُ) قال زيد : كان من ذلك قطع الدراهم .

وقوله (أَصَلاتُكَ) كان الأعمش يقول فى تأويلها ما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى عن الأعمش ، فى قوله (أَصَلاتُكَ) قال : قراءتك .

❁ فإن قال قائل : وكيف قيل : أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباونا ، أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، وإنما كان شعيب نهاهم أن يفعلوا فى أموالهم ماقد ذكرت أنه نهاهم عنه فيها ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ماتوهمت .

وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، فقال بعض البصريين : معنى ذلك : أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا مانشاء ، وليس معناه : تأمرك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، لأنه ليس بذا أمرهم .

وقال بعض الكوفيين نحو هذا القول ، قال : وفيها وجه آخر يجعل الأمر كالنهى ، كأنه قال : أصلاتك تأمرك بذا ، وتنهانا عن ذا ، فهى حينئذ مردودة ، على أن الأولى منصوبة بقوله تأمرك ، وأن الثانية منصوبة عطفا بها على ما التى فى قوله (ما يَعْبُدُ) . وإذا كان ذلك كذلك ، كان معنى الكلام : أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء . وقد ذكر عن بعض القرّاء أنه قرأه

(١) حرق الحديد ونحوه بالمبرد يحرقه (كنصر وضرب) حرقا ، وحرقه (بالتشديد) : برده ، وحك بعضه ببعض .

(ما نَشاءُ) ، فمن قرأ ذلك كذلك فلامؤنة فيه ، وكانت أن الثانية حينئذ معطوفة على أن الأولى .

وأما قولهم لشعيب : (إنَّكَ لأَنْتَ الحَليمُ الرَّشيدُ) فإنهم أعداء الله ، قالوا ذلك له استهزاء به ، وإنما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام ، وبما قلنا من ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (إنَّكَ لأَنْتَ الحَليمُ الرَّشيدُ) قال : يستهزءون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّكَ لأَنْتَ الحَليمُ الرَّشيدُ) المستهزءون يستهزءون بأنك لأنت الحليم الرشيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربى فيما أدعوكم إليه من عبادة الله ، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال (وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا) يعني حلالا طيبا (وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إلى ما أَنهاكُمْ عَنْهُ) يقول : وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه ، بل لا أفعل إلا بما آمركم به ، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة (وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إلى ما أَنهاكُمْ عَنْهُ) يقول : لم أكن لأنهاكم عن أمر أركبه ، أو آتيه (إنْ أُرِيدُ إلاَّ الإصْلاحَ) يقول : ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه ، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم (ما اسْتَطَعْتُ) يقول : ما قدرت على إصلاحه لئلا ينالكم من الله عقوبة منكلة ، بخلافكم أمره ، ومعصيتكم رسوله (وَما تَوْفِيقِى إلاَّ بِاللهِ) يقول : وما إصابتى الحقّ فى محاولتى إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله ، فإنه هو المعين على ذلك إن لا يعنى عليه . لم أصب الحقّ فيه.

وقوله (عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إلى الله أفوّض آمرى ، فإنه ثقتى وعليه اعتمادى فى أمورى .

وقوله (وَإلَيْهِ أُنِيبُ) وإليه أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وإلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله (وإلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه : (ويا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقى) يقول : لايحملنكم عداوتى وبغضى ، وفراق الدين الذى أنا عليه ، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله ، وعبادة الأوثان ، وبخس الناس فى المكيال والميزان ، وترك الإنابة والتوبة ، فيصيبكم (مثلُ ما أصابَ قومَ نوحٍ) من الغرق (أوْ قومَ هودٍ) من العذاب (أوْ قَوْمَ صَالِحٍ) من الرجفة(وما قَوْمُ لُوطٍ) الذين ائتفكت بهم الأرض (مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) هلاكهم ، أفلا تتعظون به وتعتبرون ؛ يقول : فاعتبروا بهؤلاء ، واحذروا أن يصيبكم بشقاقى مثل الذى أصابهم .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقى) يقول : لايحملنكم فراق (أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أصاب قَوْمَ نُوحٍ) . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقى) يقول : لايحملنكم شقاق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لا يَجْرِمَنَّكُمْ شقاقى) قال عداوتى وبغضائى وفراقى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) قال : إنما كانوا حديثا منهم قريبا ... يعنى [1] قوم نوح وعاد وثمود وصالح .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) قال : إنما كانوا حديثى عهد قريب بعد نوح وثمود .

قال أبو جعفر : وقد يحتمل أن يقال : معناه : وما دار قوم لوط منكم ببعيد .

(١) يظهر أن لفظة « يعنى » محرفة بقلم الناسخ عن لفظه « بعد » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون من عبادة الآلهة والأصنام ، وبخس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) يقول : ثم ارجعوا إلى طاعته ، والانتهاء إلى أمره ونهيه (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ) يقول : هو رحيم بمن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة . (وَدُودٌ) يقول : ذو محبة لمن أناب وتاب إليه يوده ويحبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب لشعيب (يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ) : أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول ، وتخبرنا به (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) ذكر أنه كان ضريرا ، فلذلك قالوا له (إِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا أسد بن زيد الجصّاص ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) قال : كان أعمى .

حدثنا عباس بن أبي طالب ، قال : ثني إبراهيم بن مهدي المصّيصي ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سعيد ، مثله .

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق بن المنذر ، وعبد الملك بن زيد ، قالوا ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ، قالا : سمعنا شريكا يقول ، في قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفا) قال : أعمى .

حدثنا سعدويه ، قال : ثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، قوله (وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) قال : كان ضعيف البصر ، قال سفيان : وكان يقال له خطيب الأنبياء .

قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) قال : كان ضرير البصر .

وقوله (وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ) يقول : يقولون : ولولا أنت فى عشيرتك وقومك لرجمناك ؛ يعنون : لسببناك . وقال بعضهم : معناه لقتلناك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ) قال : قالوا : لولا أن نتقى قومك ورهطك لرجمناك (وَما أنْتَ عَلَيْنا بعَزِيزٍ) يعنون : ما أنت ممن يكرم علينا ، فيعظم علينا إذلاله وهوانُه ، بل ذلك علينا هيّن .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أعَزَزْتم قومكم ، فكانوا أعزّ عليكم من الله ، واستخففتم بربكم ، فجعلتموه خلف ظهوركم ، لاتأتمرون لأمره ، ولا تخافون عقابه ، ولا تعظمونه حقّ عظمته ، يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل : نبذ حاجته وراء ظهره : أى تركها لايلتفت إليها ، وإذا قضاها قيل : جعلها أمامه ونُصْب عينيه . ويقال : ظهرت بحاجتى . وجعلتها ظِهرية : أى خلف ظهرك ، كما قال الشاعر :

وَجَدْنا بنى البَرْصاءِ مِنْ وَلَدِ الظَّهْرِ [١]

بمعنى : أنهم يظهرون بحوائج الناس فلا يلتفتون إليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (قالَ ياقَوْمِ أرَهْطِى أعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُم ظِهْرِيًّا) وذلك أن قوم شعيب ورهطه كانوا أعزّ عليهم من الله ، وصَغُر شأن الله عندهم عزّ ربنا وجلّ ثناؤه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : قفا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا قَوْمِ أرَهْطِى أعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) يقول : عَزَزْتم قومكم ، وأظهرتم بربكم .

---

(١) هذا عجز بيت لأرطاة بن سهية (اللسان : ظهر) . وصدره :

فَمَنْ مُبْلِغٌ أبْناءَ مُرَّةَ أنَّنا

وجاء فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٢٩٨) قال بعد الشاهد : أى من الذين يظهرون بهم ، ولا يلتفتون إلى أرحامهم . وانظره فى (اللسان : ظهر) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : لم تراقبوه فى شىء إنما تراقبون قومى (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) يقول : عزَّزتم قومكم وأظهرتم بربكم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : لم تراقبوه فى شىء ، إنما تراقبون قومى ، واتخذتموه وراءكم ظهريا لاتخافونه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَرَهْطِى أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱللَّهِ) قال : أعززتم قومكم ، واغتررتم بربكم ، سمعت إسحاق بن أبى إسرائيل قال : قال سفيان (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) كما يقول الرجل للرجل : خلفت حاجتى خلف ظهرك ، فاتخذتموه وراءكم ظهريا : استخففتم بأمره ، فإذا أراد الرجل قضاء حاجة صاحبه جعلها أمامه بين يديه ، ولم يستخفّ بها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : الظهرى الفضل ، مثل الجمال يخرج معه بابل ظهارية فضل لايحمل عليها شيئا إلا أن يحتاج إليها ، قال : فيقول : إنما ربكم عندكم مثل هذا إن احتجتم إليه ، وإن لم تحتاجوا إليه فليس بشىء .

وقال آخرون : معنى ذلك : واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهريا ، فالهاء فى قوله (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ) على هذا من ذكر ما جاء به شعيب عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : تركتم ما جاء به شعيب .

قال : ثنا جعفر بن عون ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : نبذوا أمره .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : نبذتم أمره .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : هم رهط شعيب تركهم[1] ما جاء به وراء ظهورهم ظهريا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : استثناؤهم رهط شعيب ، وتركهم ما جاء به شعيب وراء ظهورهم ظهريا .

❊ وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك لقرب قوله (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا) من

(١) لعل كلمة « تركهم » محرفة عن كلمة « تركوا » .

قوله (أَرَهْطِي أعزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ) فكانت الهاء فى قوله (واتخذتموه) بأن تكون من ذكر الله لقرب جوارها منه أشبه وأولى .

وقوله (إنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) يقول : إن ربى محيط علمه بعملكم ، فلا يخفى عليه منه شىء ، وهو مجازيكم على جميعه عاجلا وآجلا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) يقول : على تمكنكم ، يقال منه : الرجل يعمل على مكينته ومكنته : أى على اتئاده ، ومكُن الرجل يمكُن مكنا [١] ومكانة ومكانا .

وكان بعض أهل التأويل يقول فى معنى قوله (على مكانتكم) : على منازلكم . فمعنى الكلام إذن : ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذى تعملونه (إنى عامل) على تؤدة من العمل الذى أعمله (سوف تعلمون) أينا الجانى على نفسه والمخطئ عليها ، والمصيب فى فعله : المحسن إلى نفسه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ :

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه شعيب لقومه الذى يأتيه منا ومنكم أيها القوم (عذاب يخزيه) يقول : يذله ويهينه (ومن هو كاذب) يقول : ويخزى أيضا الذى هو كاذب فى قيله وخبره منا ومنكم . (وارتقبوا) : أى انتظروا وتفقدوا من الرقبة ، يقال منه : رَقَبت فلانا أرقُبه رِقبة . وقوله (إنى معكم رقيب) يقول : إنى أيضا ذو رِقبة لذلك العذاب معكم ، وناظر إليه بمن هو نازل منا ومنكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاء قضاؤنا فى قوم شعيب بعذابنا نجينا شعيبا رسولنا ، والذين آمنوا به ، فصدّقوه على ما جاءهم به من عند ربهم مع شعيب ، من عذابنا الذى بعثنا على قومه ، برحمة منا له ، ولمن آمن به ، واتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم ، وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء أخمدتهم فأهلكتهم بكفرهم بربهم ، وقيل : إن جبريل عليه السلام ، صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) على ركبهم وصَرْعَى بأفنيتهم .

(١) لم أجد هذا المصدر فى اللسان ولا فى التاج .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه ، حين أصبحوا جاثمين فى ديارهم قبل ذلك ، ولم يغنوا من قولهم : غنيت بمكان كذا : إذا أقمت به ، ومنه قول النابغة :

غَنِيَتْ بذلكَ إذْ هُمُ لى جِيرَةٌ مِنْها بِعَطْفِ رِسالَةٍ وتَوَدُّدِ [١]

وكما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فيها) قال : يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة مثله .

وقوله (ألا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) يقول تعالى ذكره : ألا أبعد الله مدين من رحمته باحلال نقمته كما بعدت ثمود ، يقول : كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته بانزال سخطه بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا ، وحجة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح ، أنها تدل على توحيد الله ، وكذب كل من ادّعى الربوبية دونه ، وبطول قول من أشرك معه فى الألوهة غيره (إلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) يعنى إلى أشراف جنده وتبّاعه (فاتَّبَعُوا أمْرَ فِرْعَوْنَ) يقول : فكذّب فرعون وملؤه موسى ، وجحدوا وحدانية الله ، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله ، واتبع ملأ فرعون دون أمر الله ، وأطاعوه فى تكذيب موسى ، وردّ ما جاءهم به من عند الله عليه ، يقول تعالى ذكره (وَما أمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) يعنى : أنه لايرشد أمر فرعون من قبله فى تكذيب موسى إلى خير ، ولا يهديه إلى صلاح ، بل يورده نارجهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (٩٨)

(١) البيت للنابغة الذبيانى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٧٣) وغنيت : أقامت وعاشت . يقول : أقامت على مودتك وهى جارة لك ، فكانت تتودد إليك ، وتعرض لك ، وتعطف رسائلها عليك . والرواية فيه « لك جيرة » بالخطاب ، على طريق التجريد ، وهى رواية فى البيت . وقد تقدم هذا البيت مشروحا فى الجزء (١١ ص ١٠٢) من هذا التفسير .

☆ يقول تعالى ذكره : يقدم فرعون قومه يوم القيامة يقودهم ، فيمضى بهم إلى النار حتى يورد هموها، ويصليهم سعيرها (وَبِئْسَ الوِرْدُ) يقول : وبئس الورد الذى يردونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ) قال : فرعون يقدم قومه يوم القيامة : يمضى بين أيديهم حتى يهجم بهم على النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ) يقول : يقود قومه فأوردهم النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس قوله (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ) يقول : أضلهم فأوردهم النار .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عمن سمع ابن عباس يقول فى قوله (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) قال : الورد : الدخول .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) كان ابن عباس يقول : الورد فى القرآن أربعة أوراد فى هود . قوله (وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُود) ، وفى مريم (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُها) ، وورد فى الأنبياء (حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) ، وورد فى مريم أيضا (وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْدًا) كان ابن عباس يقول : كل هذا الدخول ، والله لَيَرِدَنَّ جهنم كلّ برّ وفاجر (ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأُتْبِعُوا فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾

☆ يقول الله تعالى ذكره : وأتبعهم الله فى هذه ، يعنى فى هذه الدنيا مع العذاب الذى عجله لهم فيها من الغرق فى البحر لعنته (وَيَوْمَ القِيامَةِ) يقول : وفى يوم القيامة أيضا يلعنون لعنة أخرى .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد (وأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) قال : لعنة أخرى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) قال زيدوا بلعنته لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) اللعنة فى أثر اللعنة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : (وأُتْبِعُوا فِى هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) قال : زيدوا لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فِى هَٰذِهِ) قال : فى الدنيا (وَيَوْمَ القِيامَةِ) أردفوا بلعنة أخرى زيدوها ، فتلك لعنتان .

وقوله (بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) يقول : بئس العون المعان اللعنة المزيدة ، فيها أخرى منها . وأصل الرفد : العون ، يقال منه : رفد فلان فلانا عند الأمير يرفده رفدا بكسر الراء ، وإذا فُتحت ، فهو السَّقى فى القدح العظيم ، والرَّفد : القدح الضخم ، ومنه قول الأعشى :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذلكَ اليَوْ مَ وأسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أقْتالِ[1]

ويقال : رفد فلان حائطه ، وذلك إذا أسنده بخشبة لئلا يسقط . والرَّفد بفتح الراء المصدر ، يقال منه : رَفَدَهُ يَرْفِده رفدا . والرِّفد : اسم الشيء الذى يُعطاه الإنسان وهو المَرْفد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) قال : لعنة الدنيا والآخرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) قال : لعنهم الله فى الدنيا ، وزيد لهم فيها اللعنة فى الآخرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) قال : لعنة فى الدنيا ، وزيدوا فيها لعنة فى الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأُتْبِعُوا فِى هَٰذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) يقول : ترادفت عليهم اللعنتان من الله لعنة فى الدنيا ، ولعنة فى الآخرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : أصابتهم لعنتان فى الدنيا ، رفدت إحداهما الأخرى ، وهو قوله (وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القصص الذى ذكرناه لك فى هذه السورة ، والنبأ

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون (وهو الحادى والسبعون فى قصيدته الأولى بديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٣) . والرفد : القدح الضخم الذى يحلب فيه . كنى به عن الموت . وأقتال : أصحاب ترات . جمع قتل . بكسر القاف . وهو العدو ، والقرن . ورواية المؤلف : أقيال : جمع قيل ، وهى الملك الصغير دون الملك الأعظم . ولعلها تحريف من الناسخ . والقصيدة فى مدح الأسود بن المنذر اللخمى . وفى (اللسان : رفد) : الرفد بالكسر الإناء الذى يحتلب فيه . وقال الأصمعى : الرفد ، بالفتح . وقال شمر : رفد (بفتح الراء وكسرها) .

الذى أنبأناكه فيها من أخبار القرى التى أهلكنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله، نقصه عليك فنخبرك به، (مِنْها قائمٌ) يقول١ : منها بنيانه بائد بأهله هالك ١ ومنها قائم بنيانه عامر ، ومنها حصيد بنيانه خراب متداع ، قد تعفى أثره دارس ، من قولهم : زرع حصيد : إذا كان قد استؤصل قطعه ، وإنما هو محصود، ولكنه صرف إلى فعيل كما قد بيّنا فى نظائره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (ذلكَ مِنْ أنْباءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ، مِنْها قائمٌ وحَصِيدٌ) يعنى بالقائم : قرى عامرة والحصيد : قرى خامدة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قائمٌ وحَصِيدٌ) قال: قائم على عروشها ، وحصيد: مستأصلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْها قائمٌ) يرى مكانه (وَحَصِيدٌ) لا يرى له أثر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (مِنْها قائمٌ) قال : خاوٍ على عروشه (وَحَصِيدٌ) : ملزق بالأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن الأعمش (مِنْها قائمٌ وَحَصِيدٌ) قال : خرّ بنيانه .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (مِنْها قائمٌ وَحَصِيدٌ) قال: الحصيد : ما قد خرّ بنيانه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْها قائمٌ وحَصِيدٌ) منها قائم يرى أثره ، وحصيد باد لا يرى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : وما عاقبنا أهل هذه القرى التى اقتصصنا نبأها عليك يا محمد بغير استحقاق منهم عقوبتنا ، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتنا إياهم فى غير موضعها ، (ولَكِنْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ) يقول :

(١ - ١) ظاهر من المقام أن القرى نوعان ، منها عامر ، ومنها دائر ، فلعل العبارة الأولى زائدة من الناسخ .

ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله ، وكفرهم به ، عقوبته وعذابه ، فأحلوا بها مالم يكن لهم أن يحلوه بها ، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : فما دفعت عنهم آلهتهم التى يدعونها من دون الله ، ويدعونها أربابا من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربهم من شىء ، ولا ردّت عنهم شيئا منه (لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) يا محمد ، يقول : لما جاء قضاء ربك بعذابهم ، فحقّ عليهم عقابه ، ونزل بهم سخطه (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) يقول : وما زادتهم آلهتهم عند مجىء أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله غير تخسير وتدمير وإهلاك ، يقال منه : تببته أتببه تتبيبا ، ومنه قولهم للرجل : تبا لك ، قال جرير :

عَرَادَةُ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ ... أَلَا تَبًّا لِمَا فَعَلُوا تَبَابَا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سعيد بن سلام أبو الحسن البصرى ، قال : ثنا سفيان ، عن نسير بن ذعلوق ، عن ابن عمر فى قوله (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) قال : غير تخسير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (غَيْرَ تَتْبِيبٍ) قال : تخسير .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (غَيْرَ تَتْبِيبٍ) يقول : غير تخسير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غَيْرَ تَتْبِيبٍ) قال : غير تخسير . وهذا الخبر من الله تعالى ذكره ، وإن كان خبرا عمن مضى من الأمم قبلنا ، فإنه وعيد من الله جلّ ثناؤه لنا أيتها الأمة ، أنا إن سلكنا سبيل الأمم قبلنا فى الخلاف عليه وعلى رسوله ، سلك بنا سبيلهم فى العقوبة ، وإعلام منه لنا أنه لا يظلم أحدا من خلقه ، وأن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : اعتذر ، يعنى ربنا جلّ ثناؤه إلى خلقه ، فقال (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) مما ذكرنا لك من عذاب من عذّبنا من الأمم (وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ) حتى بلغ (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) قال : ما زادهم الذين كانوا يعبدونهم غير تتبيب .

---

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى (ديوانه طبع القاهرة بشرح الصاوى ، من قصيدته التى يهجو فيها الراعى النميرى : ص ٧٢) . وعرادة النميرى : راوية الراعى ، وجاء محرفا فى رواية المؤلف : « عرابة » . وقوله « لما فعلوا ؟ » : فى الديوان : « لما عملوا » . والتبيت : الخسران والهلاك كما فى لسان العرب ، وأنشد البيت فى التاج . وقال إنه من هجاء جرير فى رجل اسمه عرادة بفتح العين ، سمى باسم البنات ، وفيه : « صنعوا » فى مكان : « فعلوا » .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب ، على خلافهم أمرى ، وتكذيبهم رسلي ، وجحودهم آياتي ، فكذلك أخذى القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم بالله ، وإشراكهم به غيره ، وتكذيبهم رسله (إنَّ أخْذَهُ ألِيمٌ) يقول : إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه أليم ، يقول : موجع (شَدِيدٌ) الإيجاع ، وهذا أمر من الله تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة ، فيحلّ بهم ما حلّ بهم من المثلات .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن يزيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يُمْلِي ، ورُبَّمَا أمْهَلَ ، قال : يُمْهِلُ الظَّالِمَ حتى إذا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ثم قرأ (وكذلك أخْذُ رَبِّكَ إذَا أخَذَ القُرى وهِيَ ظالِمَةٌ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : إن الله حذّر هذه الأمة سطوته بقوله (وكذلك أخْذُ رَبِّكَ إذَا أخَذَ القُرَى وَهِيَ ظالِمَةٌ ، إنَّ أخْذَهُ ألِيمٌ شَدِيدٌ) وكان عاصم الجحدري يقرأ ذلك (وكذلكَ أخْذَ[١] رَبِّكَ إذْ أخَذَ القُرَى وَهِيَ ظالِمَةٌ) وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين ، وما عليه قرأة الأمصار .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : إن في أخذنا من أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرها عليكم أيها الناس الآية ، يقول : لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة من عباده ، وحجة عليه لربه ، وزاجرا يزجره عن أن يعصي الله ويخالفه فيما أمره ونهاه ، وقيل : بل معنى ذلك : إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة بأن الله سيفي له بوعده .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إنَّ فِي ذلكَ لآيَةً لِمَنْ خافَ عَذَابَ الآخِرَةِ) إنا سوف نفي لهم بما وعدناهم في الآخرة ، كما وفينا للأنبياء أنا ننصرهم وقوله (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ) يقول تعالى ذكره : هذا اليوم ، يعني يوم القيامة (يوْمٌ مجموعٌ له الناس) ، يقول : يحشر الله الناس من قبورهم ، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب ، (وَذَلكَ

(١) قراءة الجحدري : أخذ ، بصورة المصدر ، وبصورة الفعل الماضي ، كما في القرطبي .

يَوْمٌ مَشْهُودٌ) يقول : وهو يوم تشهده الخلائق لايتخلف منهم أحد ، فينتقم حينئذ ممن عصى الله ، وخالف أمره ، وكذب رسله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، فى قوله (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) قال : يوم القيامة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف المكىّ عن ابن عباس ، قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة . ثم قرأ (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن علىّ بن زيد ، عن ابن عباس ، قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة ، ثم تلا هذه الآية (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

حُدثت عن المسيب عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) قال : ذلك يوم القيامة ، يجتمع فيه الخلق كلهم ، ويشهده أهل السماء وأهل الأرض .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾

يقول تعالى ذكره : وما نؤخر يوم القيامة عنكم أن نجيئكم به إلا لآن يقضى ، فقضى له أجلا فعدّه وأحصاه ، فلا يأتى إلا لأجله ذلك ، لايتقدم بجيئه ، قبل ذلك ، ولا يتأخر .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالى ذكره : يوم يأتى يوم القيامة أيها الناس ، وتقوم الساعة لاتكلم نفس إلا باذن ربها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَوْمَ يَأْتِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة باثبات الياء فيها (يَوْمَ

يَأْتِى لاتُكَلَّمُ نَفْسٌ) . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة وبعض الكوفيين بإثبات الياء فيها فى الوصل وحذفها فى الوقف ، وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بحذف الياء فى الوصل والوقف (يَوْمَ يَأْتِ لاتُكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بإذْنِهِ) .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى (يَوْمَ يَأْتِ) بحذف الياء فى الوصل والوقف اتباعا لخط المصحف ، وأنها لغة معروفة لهذيل ، تقول : ما أدر ما تقول ، ومنه قول الشاعر :

كَفَّاكَ كَفٌّ ما تُلِيقُ دِرْهَمًا جُودًا وأُخرَى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّما[1]

وقيل (لاتَكَلَّمُ) وإنما هى لاتتكلم ، فحذف إحدى التاءين اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها ، وقوله (فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وسَعِيدٌ) يقول : فمن هذه النفوس التى لاتكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها ، شقى وسعيد ، وعاد على النفس ، وهى فى اللفظ واحدة بذكر الجميع فى قوله (فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ) يقول : تعالى ذكره (فأمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لهُمْ فِيها زَفِيرٌ) لهم ، وهو أول نهاق الحمار وشبهه ، (وَشَهِيقٌ) وهو آخر نهيقه إذا ردده فى الجوف عند فراغه من نهاقه ، كما قال رؤبة بن العجاج :

حَشْرَجَ فى الجَوْفِ سَحِيلاً أَوْ شَهَقْ حَتى يُقالُ ناهِقٌ وَما نَهَقْ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ) يقول : صوت شديد وصوت ضعيف .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن أبى العالية ، فى قوله (لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وشَهِيقٌ) قال : الزفير فى الحلق ، والشهيق فى الصدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية بنحوه .

---

(١) البيت أورده صاحب اللسان فى « ليق » غير منسوب . وقال : يقال : فلان ما يليق شيئا من سخائه : أى ما يمسك . وما يليق بكفه درهم (ثلاثى) : أى ما يحتبس وما يليقه هو : أى ما يحبسه . ، ولا يلصق به ، وقال : كفاك . . . الخ . والشاهد فى البيت حذف الياء من « تعطى » على لغة هذيل .

وقال الفراء (معانى القرآن ، مصورة جامعة القاهرة ، ٢ : ١٤٧) كل ياء أو واو تسكنان وما قبل الواو مضموم وما قبل الياء مكسور ، فإن العرب تحذفها ، وتجتزى بالضمة من الواو ، وبالكسرة من الياء ، أنشدنى بعضهم : « كفاك كف . . . » البيت .

(٢) البيتان من مشطور الرجز ، وهما فى (ديوان رؤبة بن العجاج ، طبعة ليبسك سنة ١٩٠٣ وهما ال ٨٥ ، ٨٦ ص ١٠٦) . وحشرج : من الحشرجة ، وهى تردد صوت النفس ، وهى الغرغرة فى الصدر . وسحل البغل والحمار يسحل بفتح الحاء وكسرها فى المضارع ، سحيلا وسحالا : نهق . وشهق ، بفتح الهاء وكسرها شهيقا وشهاقا : ردد البكاء فى صدره ، وشهيق الحمار : آخر صوته ، وزفيره : أوله . ويقال : الشهيق : رد النفس ، والزفير : إخراجه . وقال الزجاج فى قوله تعالى . . « لهم فيها زفير وشهيق » : الزفير والشهيق : من أصوات المكروبين . قال : والزفير من شديد الأنين وقبيحه . والشهيق : الأنين الشديد المرتفع جدا . قال : وزعم بعض أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار من النهيق . والشهيق بمنزلة آخر صوته فى الشهيق . وروى عن الربيع : الزفير فى الحلق والشهيق : فى الصدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : صوت الكافر فى النار صوت الحمار ، أوله زفير ، وآخره شهيق .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ومحمد بن معمر البحراني ، ومحمد بن المثنى ، ومحمد بن بشار ، قالوا : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سليمان بن سفيان ، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عنهما ، قال : «لما نزلت هذه الآية (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا نبيّ الله ، فعلام عملنا على شيء قد فرغ منه ، أم على شيء لم يفرغ منه ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على شَيْءٍ قَدْ فَرَغَ مِنْهُ يا عُمَرُ ، وَجَرَتْ بِهِ الأَقْلامُ ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » اللفظ لحديث ابن معمر .

وقوله (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ إلاَّ ماشاءَ رَبُّكَ ، إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يريدُ) يعني تعالى يعني ذكره بقوله (خالِدِينَ فِيها) لابثين فيها ، ويعني بقوله (مادامَتِ السَّماوَاتُ والأَرْضُ) أبدا وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدا ، قالت : هذا دائم دوام السموات والأرض . بمعنى أنه دائم أبدا وكذلك يقولون : هو باق ما اختلف الليل والنهار ، وما سمر لنا سمير ، وما لألأت[1] العفر بأذنابها يعنون بذلك كله أبدا ، فخاطبهم جلّ ثناؤه بما يتعارفون به بينهم ، فقال (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السموَاتُ والأَرْضُ) . والمعنى فى ذلك : خالدين فيها أبدا .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بنحو ما قلنا فيه : حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السموَاتُ والأَرْضُ) قال : ما دامت الأرض أرضا ، والسماء سماء ، ثم قال : (إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) .

واختلف أهل العلم والتأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : هذا استثناء استثناه الله فى أهل التوحيد أنه يخرجهم من النار إذا شاء بعد أن أدخلهم النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ . خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماوَاتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) قال : الله أعلم بثنياه . وذُكر لنا أن ناسا يصيبهم سفع[2] من النار بذنوب أصابوها ، ثم يدخلهم الجنة

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السماوَاتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) والله أعلم بثنيته : ذكر لنا أن ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوب أصابتهم ، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم الجهنميون .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا شيبان بن فروخ ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، وتلا هذه الآية (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ) . . . إلى قوله (لِمَا يُرِيدُ) فقال عند

(١) لألأت العفر بأذنابها : حركتها .

(٢) السفع بالتحريك : السواد والشحوب . وقيل نوع من السواد ليس بالكثير . (اللسان) .

ذلك : ثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النار - قال قتادة : ولا نقول مثل ما يقول أهل حروراء » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبي مالك ، يعني ثعلبة ، عن أبي سنان ، في قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا ما دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ ما شَاءَ رَبُّكَ) قال : استثناء في أهل التوحيد .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الضحاك بن مزاحم (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ) . . . إلى قوله (خَالِدِينَ فِيهَا ما دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ ما شَاءَ رَبُّكَ) قال : يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة ، فهم الذين استثنى لهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عامر بن جشيب[1] ، عن خالد بن معدان في قوله (لابِثِينَ فيها أحْقابا) ، وقوله (خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ ما شَاءَ رَبُّكَ) أنهما في أهل التوحيد .

وقال آخرون : الاستثناء في هذه الآية في أهل التوحيد ، إلا أنهم قالوا : معنى قوله (إِلاَّ ما شَاءَ رَبُّكَ) إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم ، فلا يدخلهم النار ، ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ - إِلاَّ ما شَاءَ رَبُّكَ) لا من الخلود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن أبي نضرة ، عن جابر أو أبي سعيد ، يعني الخدري ، أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قوله (إِلاَّ ما شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) قال : هذه الآية تأتي على القرآن كله ، يقول : حيث كان في القرآن (خَالِدِينَ فِيهَا) تأتي عليه .

قال : وسمعت أبا مِجْلَز يقول : هو جزاؤه ، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه .

وقال آخرون : عني بذلك أهل النار وكل من دخلها .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن المسيب عمن ذكره ، عن ابن عباس (خَالِدِينَ فِيهَا ما دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ) لا يموتون ، ولا هم منها يخرجون ما دامت السماوات والأرض (إِلاَّ ما شَاءَ رَبُّكَ) قال : استثناء الله ، قال : يأمر النار أن تأكلهم ، قال : وقال ابن مسعود : ليأتينّ على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن بيان ، عن الشعبي ، قال : جهنم أسرع الدارين عمرانا ، وأسرعهما خرابا .

وقال آخرون : أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة ، فعرفنا معنى ثنياه بقوله (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) أنها

(١) عامر بن جشيب ، بفتح الجيم وكسر المعجمة : أبو خالد الحمصي ، عن خالد بن معدان ، وعنه معاوية بن صالح . قال الدارقطني : ثقة ، لم يسمع من أبي الدرداء (خلاصة الخزرجي) .

فى الزيادة على مقدار مدة السماوات والأرض ، قال : ولم يخبرنا بمشيئته فى أهل النار ، وجائز أن تكون مشيئته فى الزيادة ، وجائز أن تكون فى النقصان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ،قال: قال ابن زيد ، فى قوله (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ) فقرأ حتى بلغ (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ)قال : وأخبرنا بالذى يشاء لأهل الجنة ، فقال : عطاء غير مجذوذ ، ولم يخبرنا بالذى يشاء لأهل النار .

❁ وأولى هذه الأقوال فى تأويل هذه الآية بالصواب ، القول الذى ذكرنا عن قتادة والضحاك ، من أن ذلك استثناء فى أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار ، خالدين فيها أبدا ، إلا ماشاء من تركهم فيها أقل من ذلك ، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة ، كذا قد بيَّنَّا فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال بالصحة فى ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود فى النار ، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغير جائز أن يكون استثناء فى أهل الشرك ، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله يدخل قوما من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار ، ثم يخرجهم منها ، فيدخلهم الجنة ، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء فى أهل التوحيد قبل دخولها مع صحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا ، وأنا إن جعلناه استثناء فى ذلك كنا قد دخلنا فى قول من يقول : لايدخل الجنة فاسق ، ولا النار مؤمن ، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم ، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فسد هذان الوجهان فلا قول ، قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث ، ولأهل العربية فى ذلك مذهب غير ذلك سنذكره بعد ، ونبينه إن شاء الله تعالى .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد لايمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره من الانتقام منه ، ولكنه يفعل مايشاء ، فيمضى فعله فيهم وفيمن شاء من خلقه فعله وقضاءه .

اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز والبصرة وبعض الكوفيين (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا) بفتح السين . وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا) بضم السين ، بمعنى : رُزقوا السعادة .

❁ والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب .

فإن قال قائل : وكيف قيل (سُعِدُوا) فيما لم يسمّ فاعله ، ولم يقل : أسعدوا ، وأنت لاتقول فى الخبر فيما سُمى فاعله سعَده الله ، بل إنما تقول : أسعده الله . قيل : ذلك نظير قولهم : هو مجنون محبوب فيما لم يسم فاعله ، فإذا سموا فاعله ، قيل : أجنه الله وأحبه ، والعرب تفعل ذلك كثيرا . وقد بيَّنَّا بعض ذلك فيما مضى من كتابنا هذا .

وتأويل ذلك : وأما الذين سُعدوا برحمة الله ، فهم فى الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ، يقول : أبدا ، إلا ما شاء ربك .

فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : إلا ماشاء ربك من قدْر ما مكثوا فى النار قبل دخولهم الجنة ، قالوا : وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين ، فأدخل الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الضحاك ، فى قوله (وأمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمواتُ والأرْضُ ، إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) قال : هو أيضا فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة ، يقول : خالدين فى الجنة ما دامت السماوات والأرض ، (إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) يقول : إلا ما مكثوا فى النار حتى أدخلوا الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : إلا ما شاء ربك من الزيادة على قدر مدّة دوام السماوات والأرض ، قالوا : وذلك هو الخلود فيها أبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبى مالك ، يعنى ثعلبة ، عن أبى سنان (وأمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأرْضُ ، إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) قال : ومشيئته خلودهم فيها ، ثم أتبعها فقال (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) .

واختلف أهل العربية فى وجه الاستثناء فى هذا الموضع ؛ فقال بعضهم[1] فى ذلك معنيان : أحدهما أن تجعله استثناء يستثنيه ولا يفعله ، كقولك : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك ، وعزمك على ضربه[2] ، قال : فكذلك قال (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمواتُ والأرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) ولا يشاؤه . قال : والقول الآخر : أن العرب إذا استثنت شيئا كثيرا مع مثله ومع ما هو أكثر منه كان معنى إلا ومعنى الواو « سوى » فمن ذلك قوله (خالِدِينَ فِيها مادامَتِ السَّماواتُ والأرْض) سوى ماشاء الله من زيادة الخلود ، فيجعل « إلا » مكان « سوى » فيصلح ، وكأنه قال : خالدين فيها مادامت[3] السماوات والأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد . ومثله فى الكلام أن تقول : لى عليك ألف إلا الألفين اللذين قبله[4] . قال : وهذا أحبّ الوجهين إلىّ لأن الله لايخلف وعده . وقد وصل الاستثناء بقوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) فدلّ على أن الاستثناء لهم بقوله فى الخلود غير منقطع عنهم .

وقال آخر منهم بنحو هذا القول ، وقالوا : جائز فيه وجه ثالث ، وهو أن يكون استثنى من خلودهم فى الجنة احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة ، ثم هو خلود الأبد ، يقول : فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم فى البرزخ .

---

(١) القائل : هو الفراء فى كتابه معانى القرآن ، فى سورة هود . (٢) فى معانى القرآن : وعزيمتك على ضربه .

(٣) فى معانى القرآن : مقدار ما كانت . (٤) فى معانى القرآن : اللذين من قبل فلان .

وقال آخر منهم : جائز أن يكون دوام السماوات والأرض بمعنى الأبد على ما تعرف العرب وتستعمل وتستثنى المشيئة من دوامها ، لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السماوات والأرض فى الدنيا ، لافى الجنة ، فكأنه قال : خالدين فى الجنة ، وخالدين فى النار ، داوم السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، القول الذى ذكرته عن الضحاك ، وهو(وأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ ، إلاَّ ماشاءَ رَبُّكَ) من قدر مكثهم فى النار ، من لدن دخلوها ، إلى أن أدخلوا الجنة ، وتكون الآية معناها الخصوص ، لأن الأشهر من كلام العرب فى « إلا » توجيهها إلى معنى الاستثناء ، وإخراج معنى مابعدها مما قبلها إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك ولا دلالة فى الكلام ، أعنى فى قوله (إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) تدلّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم فى الكلام فيوجه إليه .

وأما قوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) فإنه يعنى عطاء من الله غير مقطوع عنهم ، من قولهم : جذذت الشيء أجذّه جذًّا : إذا قطعته ، كما قال النابغة :

تَجُذُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... ويُوقِدْنَ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُبَاحِبِ [1]

يعنى بقوله : تجذّ : تقطع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) قال : غير مقطوع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) يقول : غير منقطع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) يقول : عطاء غير مقطوع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مجذوذ ، قال : مقطوع .

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى (انظر مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ١٦١) . والرواية فيه « تقد : فى موضع « تجذ » . قال فى اللسان : الجذ : كسر الشيء الصلب ، جذذته كسرته وقطعته . وجذه يجذه جذا ، فهو مجذوذ وجذيذ » وقال فى (قدد) : القد : القطع المستأصل ، والشق طولا ، والانقداد : الانشقاق . وقال ابن دريد : هو القطع المستطيل . اهـ . والقد قطع الجلد وشق الثوب ونحو ذلك . وضربه بالسيف فقده بنصفين . والسلوق : درع ينسب إلى سلوق ، وهى مدينة باليمن ، وقيل بالشام . والمضاعف : الذى نسج حلقتين حلقتين . والصفاح : حجارة عراض . والمقصود هنا : مايجعل على الرأس من البيض ، وعلى الساعد من الحديد . والحباحب : ذباب له شعاع بالليل . يقول : إذا اصطدمت السيوف بالدروع ، أخرجت نارا كضوء الحباحب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (عَطَاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) قال : غير مقطوع .

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قوله (عَطَاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) قال : أما هذه فقد أمضاها ، يقول : عطاء غير منقطع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَطَاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) غير منزوع منهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا تك فى شكّ يامحمد مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام أنه ضلال وباطل ، وأنه بالله شرك ، ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ، يقول : إلا كعبادة آبائهم من قبل عبادتهم لها ، يخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدوا ماعبدوا من الأوثان إلا اتباعا منهم منهاج آبائهم ، واقتفاء منهم آثارهم فى عبادتهموها ، لاعن أمر الله إياهم بذلك ، ولا بحجة تبينوها توجب عليهم عبادتها ؛ ثم أخبر جلّ ثناؤه نبيه ما هو فاعل بهم لعبادتهم ذلك ، فقال جلّ ثناؤه (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) يعنى : حظهم مما وعدتهم أن أوفيهموه من خير أو شرّ ، غير منقوص ، يقول : لاأنقصهم مما وعدتهم ، بل أتمم ذلك لهم على التمام والكمال .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) قال : ما وعدوا فيه من خير أو شرّ .

حدثنا أبو كريب ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله ، إلا أن أبا كريب قال فى حديثه : من خير وشرّ .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد عن ابن عباس (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) قال : ما قدّر لهم من الخير والشرّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) قال : ما يصيبهم من خير أو شرّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) قال : نصيبهم من العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾

يقول تعالى ذكره مسليا نبيه في تكذيب مشركي قومه إياه ، فيما أتاهم به من عند الله بفعل بني إسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله ، يقول له تعالى ذكره : ولا يحزنك يامحمد تكذيب هؤلاء المشركين لك ، وامض لما أمرك به ربك من تبليغ رسالته ؛ فإن الذى يفعل بك هؤلاء من رد ما جئتهم به عليك من النصيحة من فعل ضربائهم من الأمم قبلهم ، وسنة من سنتهم ؛ ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به ، فقال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ) يعني التوراة ، كما آتيناك الفرقان ، فاختلف في ذلك الكتاب قوم موسى فكذب به بعضهم وصدق به بعضهم ، كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به ، وتكذيب بعض (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك بأنه لايعجل على خلقه بالعذاب ، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول : لقضي بين المكذب منهم به والمصدّق بإهلاك الله المكذّب به منهم ، وإنجائه المصدّق به (وإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) يقول : وإن المكذّبين به منهم لفي شكّ من حقيقته أنه من عند الله مريب ، يقول : يريبهم فلا يدرون أحقّ هو أم باطل ، ولكنهم فيه ممترون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قرّاء أهل المدينة والكوفة (وَإِنَّ) مشددة (كُلًّا لَمَّا) مشدّدة .

واختلف أهل العربية في معنى ذلك ، فقال بعض نحويي الكوفيين : معناه : إذا قرئ كذلك : وإنّ كلا لمما ليوفيهم ربك أعمالهم ، ولكن لما اجتمعت الميمات حذفت واحدة فبقيت ثنتان ، فأدغمت واحدة في الأخرى ، كما قال الشاعر :

وإِنِّي لَمَّا أُصْدِرُ الأمْرَ وَجْهَهُ ... إذَا هُوَ أعْيَا بالنَّبِيلِ مَصَادِرُهُ [1]

(١) أورد البيت القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (طبعة دار الكتب المصرية ٩ : ١٠٥) وروايته فيه (بالسبيل) ، في موضع (بالنبيل) . استشهد به كما استشهد المؤلف على أن « لما » أصلها « لمن ما » فقلبت النون ميما ، واجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى ، فصارت «لما» . وما على هذا القول بمعنى (من) ؛ تقديره : وإن كلا لمن الذين ، كقولهم : «وإني . . .» البيت .

ثم تخفف كما قرأ بعض القرّاء (والبَغْىَ يَعِظُكُم) يخفف الياء مع الياء ، وذكر أن الكسائى أنشده :

وأشْمَتَّ العُــداةَ بنا فأضْحَوْا لَدَىْ يَتَبَاشَرُونَ بمَا لَقِينا[1]

وقال : يريد : لدىّ يتباشرون بما لقينا ، فحذف ياء ، لحركتهن واجتماعهن ؛ قال : ومثله :

كأنَّ مِنْ آخـرِهَا القادِمِ مَخْرِمَ نَجْــدٍ فارعِ المَخارِمِ[2]

وقال : إلى القادم ، فحذف اللام عند اللام .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك (وإنَّ كُلاًّ) شديدا وحقا ليوفينهم ربك أعمالهم ، قال : وإنما يراد إذا قرئ ذلك كذلك (وَإنَّ كُلاًّ لَمًّا) بالتشديد والتنوين ، ولكن قارئ ذلك كذلك حذف منه التنوين ، فأخرجه على لفظ «فَعْلَى» لما كما فعل ذلك فى قوله (ثُمَّ أرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى) فقرأ تترى بعضهم بالتنوين ، كما قرأ من قرأ (لَمًّا) بالتنوين، وقرأ آخرون بغير تنوين ، كما قرأ (لَمًّا) بغير تنوين من قرأه ، وقالوا : أصله من اللمّ من قول الله تعالى (وَتأكُلُونَ التُّراثَ أكْلاً لَمًّا) يعنى : أكلا شديدا .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك : وإن كلا إلا ليوفينهم ، كما يقول القائل : لقد قمت عنا ، وبالله إلا قمت عنا . ووجدت عامة أهل العلم بالعربية ينكرون هذا القول ، ويأبون أن يكون جائزا توجيه «لما » إلى معنى « إلا » فى اليمين خاصة ؛ وقالوا : لو جاز أن يكون ذلك بمعنى إلا جاز أن يقال : قام القوم لما أخاك ، بمعنى : إلا أخاك ، ودخولها فى كل موضع صلح دخول إلا فيه ، وأنا أرى أن ذلك فاسد من وجه هو أبين مما قاله الذين حكينا قولهم من أهل العربية إنّ فى فساده، وهو أنْ إثبات للشيء وتحقيق له ، وإلا أيضا تحقيق أيضا ، وإنما تدخل نقضا لجحد قد تقدمها ، فإذا كان ذلك معناها ، فواجب أن تكون عند متأوّلها التأويل الذى ذكرنا عنه ، أن تكون بمعنى الجحد عنده ، حتى تكون إلا نقضا لها ، وذلك إن قاله قائل ، قول لايخفى جهل قائله ، اللهمّ إلا أن يخفف قارئ « إنّ » فيجعلها بمعنى « إنِ » التى تكون بمعنى الجحد ، وإن فعل ذلك فسدت قراءته ذلك كذلك أيضا من وجه آخر ، وهو أنه يصير حينئذ ناصبا لكلّ بقوله : ليوفينهم ، وليس فى العربية أن ينصب ما بعد « إلا » من الفعل الاسم الذى قبلها، لاتقول

— قال القرطبى : وزيف الزجاج هذا القول ، وقال : « من » : اسم على حرفين فلا يجوز حذفه. وقال الفراء فى معانى القرآن(مصورة جامعة القاهرة ص ١٤٨ ج ٢) : وأما من شدد لما ، فإنه والله أعلم ، أراد : لمن ما ليوفينهم ، فلما اجتمعت ثلاث ميمات ، حذف واحدة ، فبقيت ثنتان ، فأراد غمت فى صاحبتها ، كما قال الشاعر :

وإنِّى لَمَّا أُصْدِرُ الأمْرَ وَجْهَهُ إذَا هُوَ أعْيا بالنَّبِيلِ مَصَادِرُهُ

(١) البيت من شواهد الكسائى ، أنشده الفراء فى معانى القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٩٥ ج ٢ ص ١٤٨) ، وهو شاهد على التخفيف بحذف بعض الحروف المكررة فى الكلمة ، قال : بعد الكلام على تخفيف لما : وبعد الشاهد السابق مباشرة : « ثم يخفف ، كما قرأ بعض القراء : » والبغى يعظكم . بحذف الياء عند الياء . أنشدنى الكسائى : « وأشمت العداة بنا فأضحوا . . . » البيت معناه : لدى يتباشرون ، فحذف لاجتماع الياء .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ : ١٤٨) وهو مثل الشاهد قبله شاهد على التخفيف بحذف بعض الحروف . قال بعد أن أنشد البيت : أراد : إلى القادم ، فحذف اللام .

العرب: مازيدا إلا ضربت ، فيفسد ذلك إذا قرئ كذلك من هذا الوجه إلا أن يرفع رافع الكلّ ، فيخالف بقراءته ذلك كذلك قراءة القرّاء ، وخطّ مصاحف المسلمين ، ولا يخرج بذلك من العيب بخروجه من معروف كلام العرب. وقد قرأ ذلك بعض قراء الكوفيين (وَإِنْ كُلاًّ) بتخفيف إن ونصب كلا (لَمَّا) مشددة. وزعم بعض أهل العربية أن قارئ ذلك كذلك أراد «إن» الثقيلة فخففها. وذُكر عن أبي زيد البصرى أنه سمع: كأن ثدييه حُقّان ، فنصب بكأنْ ، والنون مخففة من كأنّ ؛ ومنه قول الشاعر:

وَوَجْهٌ مُشْرِقُ النَّحْرِ كأنْ ثَدْيَيْهِ حُقَّانِ[١]

وقرأ ذلك بعض المدنيين بتخفيف «إنْ» ونصب «كُلاًّ» وتخفيف «لَمَا». وقد يحتمل أن يكون قارئ ذلك كذلك قصد المعنى الذى حكيناه عن قارئ الكوفة من تخفيفه نون «إن» وهو يريد تشديدها ، ويريد بما التى فى «لَمَا» التى تدخل فى الكلام صلة ، وأن يكون قصد إلى تحميل الكلام معنى: وإن كلا ليوفينهم ؛ ويجوز أن يكون معناه: كان فى قراءته ذلك كذلك: وإنْ كُلاًّ ليوفينهم أىْ ليوفّيَنّ كُلاًّ ، فيكون نيته فى نصب كلّ ، كانت بقوله: لَيوفينهم ، فإن كان ذلك أراد ، ففيه من القبح ما ذكرت من خلافه كلام العرب ، وذلك أنها لاتنصب بفعل بعد لام اليمين اسما قبلها.

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والبصرة «وإنّ» مشددة (كُلاًّ لَمَا) مخففة (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) ، ولهذه القراءة وجهان من المعنى: أحدهما: أن يكون قارئها أراد: وإنّ كُلاًّ لَمَنْ ليوفينهم ربك أعمالهم ، فيوجه «ما» التى فى «لما» إلى معنى «مَنْ» ، كما قال جلّ ثناؤه (فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ) وإن كان أكثر استعمال العرب لها فى غير بنى آدم ، وينوى باللام التى فى «لما» اللام التى يتلقى بها «إن» جوابا لها ، وباللام التى فى قوله (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) لام اليمين دخلت فيما بين ما وصلتها ، كما قال جلّ ثناؤه (وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) وكما يقال هذا ما لغيره أفضل منه. والوجه الآخر: أن يجعل «ما» التى فى «لما» بمعنى «ما» التى تدخل صلة فى الكلام ، واللام التى فيها هى اللام التى يجاب بها ، واللام التى فى (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) هى أيضا اللام التى يجاب بها «إنّ» كرّرت وأعيدت ، إذ كان ذلك موضعها ، وكانت الأولى مما تدخلها العرب فى غير موضعها ، ثم تعيدها بعدُ فى موضعها ، كما قال الشاعر:

فَلَوْ أنَّ قَوْمِى لَمْ يَكُونُوا أعِزَّةً لَبَعْدُ لَقَدْ لاقَيْتُ لابُدَّ مَصْرَعا[٢]

وقرأ ذلك الزهرى فيما ذكر عنه: (وَإِنَّ كُلاًّ) بتشديد إنّ و(لَمًّا) بتنوينها ، بمعنى: شديدا وحقاوجميعا.

---

(١) البيت من أبيات الكتاب لسيبويه (١ : ٢٨١) قال الأعلم فى توجيهه: الشاهد فيه: تخفيف كأن وحذف اسمها. والتقدير كأنه ثدياه حقان. قال: ويجوز كأن ثدييه ، على إعمال كأن مخففة. والهاء فى ثدييه: عائدة على الوجه أو النحر. والمعنى: كأن ثديى صاحبه حقان.

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٩٥ ج ٢ : ص ١٤٨) قال: وإذا عجلت العرب باللام فى غير موضعها ، أعادوها إليه ، كقولك: إن زيدا لإليك لمحسن. كان موقع اللام فى «لمحسن» ، فلما أدخلت فى إليك ، أعيدت فى «لمحسن». ومثله قول الشاعر:

ولو أن قومى لم يكونوا أعزة .... البيت

أدخلها فى بعد وليس بموضعها. ومثله قول أبى الجراح: «إنى لبحمد الله لصالح».

☆ وأصحّ هذه القراءات مخرجا على كلام العرب المستفيض فيهم قراءة من قرأ (وإنّ) بتشديد نونها ، (كُلاًّ لَمَا) بتخفيف ما (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ) بمعنى : وإن كلّ هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد قصصهم فى هذه السورة ، لمن ليوفينهم ربك أعمالهم بالصالح منها ، بالجزيل من الثواب ، وبالطالح منها بالشديد من العقاب ، فتكون « ما » بمعنى « من » واللام التى فيها جوابا لأن ، واللام فى قوله (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) لام قسم .

وقوله (إنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله ، من قومك يا محمد ، خبير ، لا يخفى عليه شيء من عملهم بل يخبرُ ذلك كله ويعلمه ويحيط به حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ١١٢

☆ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاستقم أنت يا محمد على أمر ربك ، والدين الذى ابتعثك به ، والدعاء إليه ، كما أمرك ربك (وَمَنْ تابَ مَعَكَ) يقول : ومن رجع معك إلى طاعة الله ، والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره (وَلا تَطْغَوْا) يقول : ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه (إنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول : إن ربكم أيها الناس بما تعملون من الأعمال كلها ، طاعتها ومعصيتها بصير ذو علم بها ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو لجميعها مبصر ، يقول تعالى ذكره : فاتقوا الله أيها الناس أن يطلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره ، فإنه ذو علم بما تعملون ، وهو لكم بالمرصاد .

وكان ابن عيينة يقول فى معنى قوله (فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، فى قوله (فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) قال : استقم على القرآن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَطْغَوْا) قال : الطغيان : خلاف الله وركوب معصيته ذلك الطغيان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ١١٣

☆ يقول تعالى ذكره : ولا تميلوا أيها الناس إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله ، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم ، فتمسكم النار بفعلكم ذلك ، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم ، وولىّ يليكم (ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) يقول : فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله ، بل يخليكم من نصرته ، ويسلط عليكم عدوّكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) يعني : الركون إلى الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : لاترضوا أعمالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : لاترضوا أعمالهم ، يقول : الركون : الرضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) قال : لاترضوا أعمالهم فتمسكم النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) قال : قال ابن عباس : ولا تميلوا إلى الذين ظلموا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) يقول : لاتلحقوا بالشرك ، وهو الذي خرجتم منه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) قال : الركون : الإدهان ، وقرأ (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال : تركن إليهم ، ولا تنكر عليهم الذي قالوا ، وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسله . قال : وإنما هذا لأهل الكفر وأهل الشرك وليس لأهل الإسلام ، أما أهل الذنوب من أهل الإسلام ، فالله أعلم بذنوبهم وأعمالهم ، ما ينبغي لأحد أن يصالح على شيء من معاصي الله ، ولا يركن إليه فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأقم الصلاة يا محمد ، يعني صلّ طرفي النهار ، يعني الغداة والعشي .

واختلف أهل التأويل في التي عنيت بهذه الآية من صلوات العشي بعد إجماع جميعهم على أن التي عنيت من صلاة الغد : الفجر ، فقال بعضهم : عنيت بذلك صلاة الظهر والعصر ، قالوا : وهما من صلاة العشي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) قال : الفجر ، وصلاتي العشي ، يعني : الظهر ، والعصر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) قال : صلاة الفجر ، وصلاة العشىّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد ، قال : سمعت محمد ابن كعب القرظى يقول (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) قال : فطرفا النهار : الفجر والظهر والعصر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) قال : الفجر ، والظهر ، والعصر .

وقال آخرون : بل عنى بها : صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) يقول : صلاة الغداة وصلاة المغرب .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) قال : صلاة الغداة ، والمغرب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) الصبح ، والمغرب .

وقال آخرون : عنى بها : صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) قال : صلاة الفجر ، والعصر .

قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد القُبائى ، عن محمد بن كعب (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) الفجر ، والعصر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) قال : صلاة الصبح وصلاة العصر .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : قال الله لنبيه (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) قال : طرفى النهار : الغداة ، والعصر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) يعنى صلاة العصر والصبح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) الغداة ، والعصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) الفجر ، والعصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : الغداة ، والعصر .

وقال بعضهم : بل عنى بطرفى النهار : الظهر ، والعصر ؛ وبقوله (زُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) : المغرب ، والعشاء ، والصبح .

⁂ وأولى هذه الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : هى صلاة المغرب كما ذكرنا عن ابن عباس .

وإنما قلنا : هو أولى بالصواب لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر ، وهى تصلى قبل طلوع الشمس ؛ فالواجب إذ كان ذلك من جميعهم إجماعا أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب ، لأنها تصلى بعد غروب الشمس ، ولو كان واجبا أن يكون مرادا بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس وجب أن يكون مرادا بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها ، وذلك مالانعلم قائلا قاله إلا من قال : عنى بذلك صلاة الظهر والعصر ، وذلك قول لانحيل فساده ، لأنهما إلى أن يكونا جميعا من صلاة أحد الطرفين أقرب منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفى النهار ، وذلك أن الظهر لاشكّ أنها تصلى بعد مضىّ نصف النهار فى النصف الثانى منه ، فمحال أن تكون من طرف النهار الأوّل ، وهى فى طرفه الآخر ، فإذا كان لاقائل من أهل العلم يقول : عنى بصلاة طرف النهار الأوّل صلاة بعد طلوع الشمس ، وجب أن يكون غير جائز أن يقال : عنى بصلاة طرف النهار الآخر : صلاة قبل غروبها . وإذا كان ذلك كذلك صحّ ماقلنا فى ذلك من القول ، وفسد ما خالفه .

وأما قوله (وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ)فإنه يعنى : ساعات من الليل ، وهى جمع زُلْفة ، والزلفة : الساعة والمنزلة والقربة . وقيل : إنما سميت المزدلفة وُجمَع من ذلك لأنها منزل بعد عرفة . وقيل : سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة إلى حوّاء وهى بها ؛ ومنه قول العجاج فى صفة بعير :

ناجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مِمَّا وَجَفَا طَيَّ اللَّيالى زُلَفًا فَزُلَفَا[1]

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق (وَزُلَفًا) بضم الزاى وفتح اللام . وقرأه بعض أهل المدينة بضم الزاى واللام ، كأنه وجّهه إلى أنه واحد ، وأنه بمنزلة الحلم . وقرأه بعض المكيين (وزُلْفاً) بضم الزاى وتسكين اللام .

وأعجب القراءات فى ذلك إلىّ ، أن أقرأها (وَزُلَفًا) بضم الزاى وفتح اللام ، على معنى جمع زُلْفة ،

(١) البيتان للعجاج من مشطور الرجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٤) . وهما فى وصف جمل . والناجى : المسرع فى السير . وطواه : هزله وأضمره . والأين : الإعياء والتعب . ووجف : سار مسرعا . والوجيف : ضرب من السير فيه اضطراب . وزلفا بزلفا . قال فى اللسان : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة .

كما تجمع غرفة غُرَف ، وحجرة حُجَر . وإنما اخترت قراءة ذلك كذلك ، لأن صلاة العشاء الآخرة إنما تصلى بعد مضيّ زلف من الليل ، وهى التى عنيت عندى بقوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ).

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : الساعات من الليل صلاة العتمة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) يقول : صلاة العتمة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : العشاء .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبى يزيد ، قال : كان ابن عباس يعجبه التأخير بالعشاء ، ويقرأ (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : ساعة من الليل : صلاة العتمة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : العتمة ، وما سمعت أحدا من فقهائنا ومشايخنا ، يقول : العشاء ما يقولون إلا العتمة .

وقال قوم : الصلاة التى أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم باقامتها زلفا من الليل ، صلاة المغرب والعشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، واللفظ ليعقوب ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء عن الحسن (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : هما زلفتان من الليل : صلاة المغرب ، و صلاة العشاء .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن ، فى قوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنى الحسن بن علىّ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : زلفا من الليل : المغرب ، والعشاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا زُلْفَتَا اللَّيْلِ : المَغْرِبُ والعِشاءُ » .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : قد بين الله مواقيت الصلاة فى القرآن ، قال (أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : دلوكها : إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها فى الأرض فىء ، وقال(أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَي النَّهارِ) الغداة ، والعصر. (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) المغرب ، والعشاء . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هُمَا زُلْفَتا اللَّيْلِ المَغْرِبُ والعِشاءُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : يعنى صلاة المغرب ، وصلاة العشاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد ، قال : سمعت محمد ابن كعب القرظى يقول (زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) المغرب ، والعشاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم بن سليمان ، عن الحسن ، قال : زلفتا الليل : المغرب ، والعشاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عاصم ، عن الحسن (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن الحسن (زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) صلاة المغرب والعشاء .

وقوله(إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات) يقول تعالى ذكره : إن الإنابة إلى طاعة الله ، والعمل بما يرضيه ، يذهب آثام معصية الله ، ويكفر الذنوب .

ثم اختلف أهل التأويل فى الحسنات التى عنى الله فى هذا الموضع اللاتى يذهبن السيئات ، فقال بعضهم : هن الصلوات الخمس المكتوبات .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الجريرى ، عن أبى الورد بن ثمامة ، عن أبى محمد

ابن الحضرمى ، قال : ثنا كعب فى هذا المسجد ، قال : والذى نفس كعب بيده إن الصلوات الخمس لهنّ الحسنات التى يذهبن السيئات ، كما يغسل الماء الدرن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول فى قوله (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : هنّ الصلوات الخمس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد (إنَّ الحَسَنَاتِ) الصلوات .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة جميعا ، عن عوف ، عن الحسن (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنى زريق بن الشّخب[١] ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبدالله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله تعالى (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : الصلوات الخمس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوت الخمس .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سعيد الجريرى ، قال : ثنى أبوعثمان ، عن سلمان ، قال : والذى نفسى بيده ، إن الحسنات التى يمحو الله بهنّ السيئات ، كما يغسل الماء الدرن : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مَزْيدة بن زيد ، عن مسروق : (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ، وعبدالله بن أبى زياد القطونى ، قالا : ثنا عبد الله بن يزيد ، قال : أخبرنا حيوة ، قال : أخبرنا أبوعقيل زهرة بن معبد القرشى من بنى تيم من رهط أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان رحمه الله يقول : جلس عثمان يوما وجلسنا معه ، فجاء المؤذّن فدعا عثمان بماء فى إناء أظنه سيكون فيه قدر مدّ ، فتوضأ ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئى هذا ، ثم قال « مَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئى هَذَا ، ثُم قامَ فَصَلَّى صَلاةَ الظُّهْرِ غُفِرَ لَهُ

(١) لم أجد زريق بن الشخب فيما بين لدى من كتب الرجال .

ما كانَ بَيْنَهُ وَبينَ صَلاةَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ صَلّى العَصْرَ غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبينَ صَلاةِ الظُّهْرِ ، ثم صَلّى المَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبينَ صَلاةِ العَصْرِ ، ثُمَّ صَلّى العِشاءَ غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبينَ صَلاةِ المَغْرِبِ ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يَبِيتُ لَيْلَةً يَتَمَرَّغُ ، ثُمَّ إنْ قامَ فتَوَضَّأَ وَصَلّى الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَها وبينَ صَلاةِ العِشاءِ ، وَهُنَّ الحَسَناتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ)) .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حيوة ، قال : ثنا أبوعقيل ، زُهرة بن معبد ، أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال : جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ، فذكر نحوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال : « وَهُنَّ الحَسَناتُ ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئا ت» .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، ورشد ين بن سعد ، قالا : ثنا زهرة بن معبد ، قال : «سمعت الحرث مولى عثمان بن عفان ، يقول : جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ، ثم ذكر نحو ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال : « وَهُنَّ الحَسَناتُ إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ » .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبى مالك الأشعرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَتْ الصَّلَوَاتُ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهُنَّ ، فإنَّ اللهَ قالَ : (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) » .

حدثنا ابن سيار القزار ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن علىّ بن زيد ، عن أبى عثمان النهدى ، قال : « كنت مع سلمان تحت شجرة ، فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزّه حتى تحاتّ ورقه ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنت معه تحت شجرة ، فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزّه حتى تحات ورقه ، ثم قال : « ألا تَسْأَلُنِى لِمَ أفْعَلُ هَذَا يا سَلْمانُ ؟ فقلت : ولم تفعله ؟ فقال : إنَّ المُسْلِمَ إذَا تَوَضَّأَ فَأحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ صَلّى الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ ، تَحاتَّتْ خَطاياهُ كَمَا تَحاتَّ هَذَا الوَرَقُ ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) . . . إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : هو قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك قول من قال فى ذلك : هنّ الصلوات الخمس ، لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواترها عنه ، أنه قال : « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ مَثَلُ نَهْرٍ جارٍ

على باب أحدكم يَنْغَمِسُ فيه كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فماذا يُبْقِينَ مِنْ دَرَنِه »، وإن ذلك فى سياق أمر الله باقامة الصلوات ، والوعد على إقامتها ، الجزيل من الثواب عقيبها أولى من الوعد ، على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال إذا خصّ بالقصد بذلك بعض دون بعض .

وقوله (ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِين) يقول تعالى : هذا الذى أوعدت عليه من الركون إلى الظلم وتهددت فيه ، والذى وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتى يذهبن السيئات تذكرة ذكّرت بها قوما يذكرون وعد الله ، فيرجون ثوابه ووعيده ، فيخافون عقابه ، لا من قد طبع على قلبه ، فلا يجيب داعيا ، ولا يسمع زاجرا ، وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من غير زوجته ولا ملك يمينه بعض ما يحرم عليه ، فتاب من ذنبه ذلك .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، قالا : قال عبدالله بن مسعود : «جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنى عالجت امرأة فى بعض أقطار المدينة ، فأصبت منها ما دون أن أمسها ، فأنا هذا ، فاقض فىّ ما شئت ، فقال عمر : لقد سترك الله ، لو سترت على نفسك ، قال : ولم يردّ النبىّ صلى الله عليه وسلم شيئا ، فقام الرجل ، فانطلق ، فأتبعه النبىّ صلى الله عليه وسلم رجلا ، فدعاه ، فلما أتاه قرأ عليه (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) فقال رجل من القوم : هذا له يا رسول الله خاصة ؟ قال : بَلْ للنَّاسِ كافَّةً » .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن عبدالله ، قال : « جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنى لقيت امرأة فى البستان ، فضممتها إلىّ وباشرتها وقبلتها ، وفعلت بها كلّ شىء غير أنى لم أجامعها ، فسكت عنه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) ، فدعاه النبىّ صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه ، فقال عمر : يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للناس كافة ؟ قال : لا ، بَلْ للنَّاسِ كافَّةً » ولفظ الحديث لابن وكيع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، أنه سمع إبراهيم بن زيد ، يحدّث عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود ، قال : « جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنى وجدت امرأة فى بستان ، ، ففعلت بها كل شىء غير أنى لم أجامعها ، قبلتها ولزمتها ، ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بى ما شئت ، فلم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، فذهب الرجل ، فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه ، فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره ، فقال : رُدُّوهُ عَلَيَّ ، فردّوه ، فقرأ عليه (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ

الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ ، قالَ : فقال معاذ بن جبل : ألَه وحده يا نبيّ الله ، أم للناس كافة ؟ فقال : بَلْ للنَّاسِ كافَّةً » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود عن عبد الله ، قال : « جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخذت امرأة فى البستان فأصبت منها كل شىء ، غير أنى لم أنكحها ، فاصنع بى ماشئت ، فسكت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلما ذهب دعاه ، فقرأ عليه هذه الآية (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَى النهارِ وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبوالنعمان الحكم بن عبد الله العجلى ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت إبراهيم يحدّث عن خاله الأسود ، عن عبد الله « أن رجلا لقى امرأة فى بعض طرق المدينة ، فأصاب منها ما دون الجماع ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَى النهارِ وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلك ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) فقال معاذ بن جبل : يا رسول الله ، لهذا خاصة ، أو لنا عامَّة : قال : بَلْ لَكُمْ عامَّةً » .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : أنبأنى سماك ، قال : سمعت إبراهيم يحدّث عن خاله ، عن ابن مسعود أن رجلا قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم : « لقيت امرأة فى حش بالمدينة ، فأصبت منها ما دون الجماع » . . . نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبوقطن عمرو بن الهيثم البغدادى ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم عن خاله ، عن ابن مسعود ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : جاء فلان بن معتب رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله دخلت علىّ امرأة ، فنلت منها ما ينال الرجل من أهله ، إلا أنى لم أواقعها ، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجيبه حتى نزلت هذه الآية (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَى النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) . . . الآية ، فدعاه فقرأها عليه » .

حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا : ثنا ابن علية ؛ وحدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ؛ وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان جميعا ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن ابن مسعود « أن رجلا أصاب من امرأة شيئا لاأدرى ما بلغ ، غير أنه مادون الزنا ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَى النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) فقال الرجل : ألى هذه يا رسول الله ؟ قال : لِمَنْ أخَذَ بِها مِنْ أُمَّتِى ، أوْ لِمَنْ عَمِلَ بِها »

حدثنا أبوكريب وابن وكيع ، قالا : ثنا قبيصة ، عن حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد ، قال : كنت مع سلمان ، فأخذ غصن شجرة يابسة فحته وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ تَوَضَّأَ فأحْسَنَ الوُضُوءَ تَحاتَّتْ خَطاياهُ كَما يَتَحاتُّ هَذَا الوَرَقُ ، ثم قال : (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَى النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . إلى آخر الآية » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة وحسين الجعفي عن زائدة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ ، قال : « أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما ترى في رجل لقي امرأة لايعرفها ، فليس يأتي الرجل من امرأته شيئا إلا قد أتاه منها ، غير أنه لم يجامعها ، فأنزل الله هذه الآية (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ ، قال معاذ : قلت يا رسول الله : أله خاصة ؟ أم للمؤمنين عامة ؟ قال : بَلْ للْمُؤْمِنِينَ عامَّةً » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى « أن رجلا أصاب من امرأة ما دون الجماع ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم يسأله عن ذلك ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أنزلت (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية ، فقال معاذ : يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : هِيَ للنَّاسِ عامَّةً » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه ، قال : ثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثني عمرو بن الحرث ، قال : ثني عبد الله بن سالم ، عن الزُّبيدي ، قال : ثنا سليم بن عامر « أنه سمع أبا أمامة يقول : إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : أقم فيّ حدّ الله ، مرّة واثنتين ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقيمت الصلاة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، قال : أَيْنَ هَذَا القائِلُ : أَقِمْ فِيَّ حَدَّ اللهِ ؟ قال : أناذا ، قال : هَلْ أَتْمَمْتَ الوُضُوءَ وَصَلَّيْتَ مَعَنا آنِفًا ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ : فانَّكَ مِنْ خَطِيئَتِكَ كَما وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ، فَلا تَعُدْ ، وأنزل الله حينئذ على رسوله (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني جرير ، عن عبد الملك ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل « أنه كان جالسا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فقال : يا رسول الله ، رجل أصاب من امرأة ما لايحلّ له ، لم يدع شيئا يصيبه الرجل من امرأته إلا أتاه ، إلا أنه لم يجامعها ، قال : يَتَوَضَّأُ وُضُوءًا حَسَنًا ثُمَّ يُصَلِّي ، فأنزل الله هذه الآية (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية ، فقال معاذ : هي له يا رسول الله خاصة ، أم للمسلمين عامّة ؟ قال : بَلْ للمُسْلِمينَ عامَّةً » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة « أن رجلا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ذكر امرأة وهو جالس مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه لحاجة ، فأذن له ، فذهب يطلبها ، فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمطر فوجد المرأة جالسة على غدير ، فدفع في صدرها وجلس بين رجليها ، فصار ذكره مثل الهدبة ، فقام نادما حتى أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما صنع ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم

استَغْفِرْ رَبَّكَ وَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ ، قال : وتلا عليه (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية » .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى ابن طلحة ، عن أبي اليسر بن عمرو الأنصاري « قال : أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرا ، فقلت : إن في البيت تمرا أجود من هذا ، فدخلت فأهويت إليها ، فقبلتها ، فأتيت أبا بكر فسألته ، فقال : استر على نفسك وتب ، واستغفر الله ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَخْلَفْتَ رَجُلاً غازِيا في سَبِيلِ اللهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا ؟ حتى ظننتُ أني من أهل النار ، حتى تمنيت أني أسلمت ساعتئذ ، قال : فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ، فنزل جبرئيل فقال : أَيْنَ أَبُواليُسْرِ ، فجئت فقرأ عليّ (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . إلى (ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) قال إنسان له : يا رسول الله خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : لِلنَّاسِ عامَّةً » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي اليسر قال : « لقيت امرأة فالتزمتها ، غير أني لم أنكحها ، فأتيت عمر بن الخطاب ، فقال : اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرنّ أحدا ، فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر رضى الله عنه ، فسألته ، فقال اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرنّ أحدا ، قال : فلم أصبر حتى أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال له : هل جهزت غازيا ؟ قلت : لا ، قال : فهل خلفت غازيا في أهله ؟ قلت : لا ، فقال لي حتى تمنيت أني كنت دخلت في الإسلام تلك الساعة ؛ قال : فلما وليت دعاني ، فقرأ عليّ (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) فقال له أصحابه : ألهذا خاصة ، أم للناس عامة ، فقال : بَلْ لِلنَّاسِ عامَّةً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثني سعيد ، عن قتادة « أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبيّ الله هلكت ، فأنزل الله (إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سليمان التيمي ، قال : « ضرب رجل على كفل امرأة ، ثم أتى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، فكلما سأل رجلا منهما عن كفارة ذلك ، قال : أمغزية هي ؟ قال : نعم ، قال : لاأدرى ، ثم أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك ، فقال : أَمُغْزِيَةٌ هِيَ ؟ قال : نعم ، قال : لاأَدْرِي ، حتى أنزل الله (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، في قول الله تعالى (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) « أن امرأة دخلت على رجل يبيع الدقيق ، فقبلها فأسقط في يده ، فأتى عمر ، فذكر ذلك له ، فقال : اتق الله ولا تكن امرأة غاز ،

فقال الرجل: هي امرأة غاز ، فذهب إلى أبي بكر فقال مثل ماقال عمر ، فذهبوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم جميعا ، فقال له كذلك ، ثم سكت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبهم ، فأنزل الله (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) الصلوات المفروضات (إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى لِلذّاكِرينَ) » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء بن أبي رباح ، قال : أقبلت امرأة حتى جاءت إنسانا يبيع الدقيق لتبتاع منه ، فدخل بها البيت ، فلما خلا له قبلها ، قال : فسقط في يديه ، فانطلق إلى أبي بكر ، فذكر ذلك له ، فقال : أبصر لاتكونَنّ امرأة رجل غاز ، فبينما هم على ذلك ، نزل في ذلك (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) قيل لعطاء : المكتوبة هي ؟ قال : نعم هي المكتوبة ، فقال ابن جريج ، وقال عبد الله بن كثير : هي المكتوبات .

قال ابن جريج ، عن يزيد بن رومان « أن رجلا من بني غَنْم ، دخلت عليه امرأة فقبلها ، ووضع يده على دبرها ، فجاء إلى أبي بكر رضي الله عنه ، ثم إلى عمر رضي الله عنه ، ثم أتى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية (أَقِمِ الصَّلاةَ) . . . إلى قوله (ذلك ذِكْرَى للذّاكِرينَ) فلم يزل الرجل الذي قبّل المرأة يذكر ، فذلك قوله (ذِكْرَى للذّاكِرينَ) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : و صبر يا محمد على ما تلقى من مشركي قومك من الأذى في الله والمكروه ، رجاء جزيل ثواب الله على ذلك ، فإن الله لايضيع ثواب عمل من عمل فأطاع الله ، واتبع أمره ، فيذهب به ، بل يوفره أحوج ما يكون إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة الذين أهلكتهم بمعصيتهم إياي ، وكفرهم برسلي من قبلكم (أُولُو بَقِيَّةٍ) يقول : ذو بقية من الفهم والعقل ، يعتبرون مواعظ الله ، ويتدبرون حججه ، فيعرفون مالهم في الإيمان بالله ، وعليهم في الكفر به (يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسادِ فِي الأَرْضِ) يقول : ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم ، أهل الكفر بالله عن كفرهم به في أرضه (إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ) يقول : لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا يسيرا ، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض ، فنجاهم الله من عذابه ، حين أخذ من

كان مقيما على الكفر بالله عذابه ، وهم أتباع الأنبياء والرسل ، ونصب قليلا ، لأن قوله (إلاَّ قَلِيلاً) استثناء منقطع مما قبله ، كما قال : (إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) ، وقد بيَّنا ذلك فى غير موضع بما أغنى عن إعادته .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : اعتذر فقال (فَلَوْلا كانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . حتى بلغ (إلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أنجَيْنا مِنْهُمْ) فإذا هم الذين نجوا حين نزل عذاب الله ، وقرأ (واتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فَلَوْلا كانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ) . . . إلى قوله (إلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أنجَيْنا مِنْهُمْ) قال : يستقلهم الله من كل قوم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، قال : سألنى بلال ، عن قول الحسن فى العذر ، قال : فقال : سمعت الحسن يقول (قِيلَ يانُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ ألِيمٌ) قال : بعث الله هودا إلى عاد ، فنجى الله هودا والذين آمنوا معه ، وهلك المتمتعون . وبعث الله صالحا إلى ثمود ، فنجى الله صالحا وهلك المتمتعون ، فجعلت أستقريه الأمم ، فقال : ما أراه إلا كان حسن القول فى العذر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَوْلا كانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسادِ فِى الأرْضِ إلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أنجَيْنا مِنْهُمْ). أى لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد فى الأرض (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) .

وقوله (واتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ) يقول تعالى ذكره : واتبع الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ما أترفوا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ) قال : ما أنظروا فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ) من دنياهم ، وكأن هؤلاء وجهوا تأويل الكلام : واتبعوا الذين ظلموا الشىء الذى أنظرهم فيه ربهم من نعيم الدنيا ولذاتها ، إيثارا له على عمل الآخرة ، وما ينجيهم من عذاب الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : واتبع الذين ظلموا ما تجبروا فيه من الملك ، وعتوا عن أمر الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) قال : فى ملكهم وتجبرهم ، وتركوا الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : وتركهم الحقّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد بن عمرو سواء .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ، فكفروا بالله ، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذّات الدنيا ، فاستكبروا وكفروا بالله ، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذّات الدنيا ، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا ، وصدّوا عن سبيله ، وذلك أن المترف فى كلام العرب : هو المنعم الذى قد غذّى باللذات ، ومنه قول الراجز :

تُهْدِى رُءُوسَ الْمُتْرَفِينَ الصُّدَّادْ إلى أميرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُمْتَادْ (١)

وقوله (وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) يقول : وكانوا مكتسبى الكفر بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى ذكره : وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التى أهلكها ، التى قصّ عليك نبأها ، ظلما وأهلها مصلحون فى أعمالهم ، غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم فى أعمالهم ، وطاعتهم ربهم ظلما ، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله ، وتماديهم فى غيهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وركوبهم السيئات . وقد قيل : معنى ذلك : لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله ، وذلك قوله بظلم ، يعنى : بشرك ، وأهلها مصلحون فيما بينهم لايتظالمون ، ولكنهم يتعاطون الحقّ بينهم وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

---

(١) هذان البيتان تقدم الكلام عليهما فى التفسير (٧ : ١٣١) وهما لرؤبة بن العجاج (ديوانه ص ٤٠ وترتيبهما فى الأرجوزة ال ١٠٢ ، ١٠٤) وجاءا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٣٠١) وقال بعدهما : الممتاد : من ماد يميد . وفى اللسان (ماد) : الممتاد : المطلوب منه العطاء ، مفتعل (اسم مفعول) . وأنشد لرؤبة : تهدى . . . الخ قال : أى المتفضل على الناس ، وهو المستعطى المسئول وماد زيد عمرا إذا أعطاه .

﴿ يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربك يامحمد لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة، ودين واحد.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول : لجعلهم مسلمين كلهم .

وقوله (وَلايَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) يقول تعالى ذكره : ولايزال الناس مختلفين (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ)

ثم اختلف أهل التأويل فى الاختلاف الذى وصف الله الناس أنهم لايزالون به ، فقال بعضهم : هو الاختلاف فى الأديان ، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء ، ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودى ونصرانى ومجوسى ، ونحو ذلك . وقال قائلو هذه المقالة : استثنى الله من ذلك من رحمهم ، وهم أهل الإيمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى والمجوس . والحنيفية هم الذين رحم ربك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (وَلايَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى والمجوس (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : هم الحنيفية .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : قلت للحسن ، قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) . قال : الناس مختلفون على أديان شتى ، إلا من رحم ربك ، فمن رحم غير مختلفين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن منصور بن عبد الرحمن ، قال : سئل الحسن ، عن هذه الآية (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : الناس كلهم مختلفون على أديان شتى (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فمن رحم غير مختلف ، فقلت له : ولذلك خلقهم ، فقال : خلق هؤلاء لجنته ، وهؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ .

قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الحقّ وأهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك (إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ ليس فيهم اختلاف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا بن يمان ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عكرمة (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى (إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : لايزالون مختلفين فى الهوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فأهل رحمة الله أهل جماعة وإن تفرّقت دورهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : من جعله على الإسلام .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الحسن بن واصل ، عن الحسن (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) .

قال : ثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يزالون مختلفين فى الرزق ، فهذا فقير ، وهذا غنىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، أن الحسن قال : مختلفين فى الرزق ، سخر بعضهم لبعض . وقال بعضهم : مختلفين فى المغفرة والرحمة أو كما قال .

☆ وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : ولا يزال الناس مختلفين فى أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى (إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فآمن بالله ، وصدّق رسله ، فإنهم لايختلفون فى توحيد الله ، وتصديق رسله ، وما جاءهم من عند الله .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب فى تأويل ذلك ، لأن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) فى ذلك دليل واضح أن الذى قبله من ذكر

خبره عن اختلاف الناس ، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار ، ولو كان خبرا عن اختلافهم فى الرزق لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم .

وأما قوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه : وللاختلاف خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن (ولذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : للاختلاف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : قلت للحسن : ولذلك خلقهم ، فقال : خلق هؤلاء لجنته ، وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن منصور ، عن الحسن ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا المعلى بن أسد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الحسن ، بنحوه .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الحذاء ، أن الحسن قال فى هذه الآية (ولذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : خلق هؤلاء لهذه ، وخلق هؤلاء لهذه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال (ولذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : أما أهل رحمة الله فإنهم لايختلفون اختلافا يضرّهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : خلقهم فريقين : فريقا يرحم فلا يختلف ، وفريقا لايُرحم يختلف ، وذلك قوله (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، فى قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : يهود ونصارى ومجوس (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : من جعله على الإسلام (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : مؤمن وكافر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا أشهب ، قال : سئل مالك عن قول الله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلذلكَ خَلَقَهُمْ)قال : خلقهم ليكونوا فريقين : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللرحمة خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن حسن بن صالح ، عن لبث ، عن مجاهد (ولذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : للرحمة .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال للرحمة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال: ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبوحفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : للرحمة خلقهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : للرحمة خلقهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عمن ذكره عن ثابت ، عن الضحاك (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : للرحمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : أهل الحق ومن اتبعه لرحمته .

حدثني سعد بن عبد الله ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ) قال : للرحمة (خَلَقَهُمْ) ولم يخلقهم للعذاب .

☆ وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم ، لأن الله جل ذكره ، ذكر صنفين من خلقه : أحدهما أهل اختلاف وباطل . والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) ، فعم بقوله « وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ » صفة الصنفين ، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له .

☆ فإن قال قائل : فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت ، فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم ، إذ كان لذلك خلقهم ربهم ، وأن يكون المتمتعون هم الملومين ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت . وإنما معنى الكلام : ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فهداه للحق ، ولعلمه ، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر ، والشقي والسعيد خلقهم ، فمعنى اللام في قوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) بمعنى « على » كقولك للرجل : أكرمتك على برك بي ، وأكرمتك لبرك بي .

وأما قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله ، وخلافهم أمره . وقوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) قسم كقول القائل : حلفي لأزورنك ، وبدا لي لآتينك ، ولذلك تلقيت بلام اليمين .

وقوله (مِنَ الْجِنَّةِ) وهي ما اجتن عن أبصار بني آدم والناس ، يعني : وبني آدم ، وقيل : إنهم سموا جنة ، لأنهم كانوا على الجنان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السديّ ، عن أبي مالك : وإنما سموا الجنة أنهم كانوا على الجنان ، والملائكة كلهم جِنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السديّ ، عن أبي مالك ، قال : الجِنَّة : الملائكة .

وأما معنى قول أبي مالك : هذا أن إبليس كان من الملائكة ، والجنّ ذرّيته ، وأن الملائكة تسمى عنده الجنّ لما قد بيَّنت فيما مضى من كتابنا هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره (وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ) الذين كانوا قبلك (ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) فلا تجزع من تكذيب من كذّبك من قومك ، وردّ عليك ما جئتهم به ، ولا يضق صدرك ، فتترك بعض ما أنزلت إليك من أجل أن قالوا (لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ، أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) إذا علمت ما لقي مَن قبلك من رسلي من أممها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَكُلاًّ نَقُصُّ عليكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) قال : لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم .

واختلف أهل العربية في وجه نصب كلا ، فقال بعض نحويي البصرة : نُصب على معنى : ونقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك كلا ؛ كأن الكلّ منصوب عنده على المصدر من نقص بتأويل : ونقصّ عليك ذلك كل القصص ، وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية ، وقال : ذلك غير جائز ، وقال : إنما نصب كلا بنقصّ ، لأن كلا بنيت على الإضافة كان معها إضافة أو لم يكن ، وقال : أراد كله نقصّ عليك ، وجعل ما نثبت ردّا على كُلاًّ ، وقد بيَّنت الصواب من القول في ذلك .

وأما قوله (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وجاءك في هذه السورة الحقّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن خليد بن جعفر ، عن أبي إياس ، عن أبي موسى (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن خليد بن جعفر ، عن أبي إياس معاوية بن قرّة ، عن أبي موسى : مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنى سعيد بن عامر ، قال : ثنا عوف ، عن أبي رجاء ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن عمرو العنبري ، عن ابن عباس (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن رجل من بنى العنبر ، قال : خطبنا ابن عباس فقال (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : سمعت ابن عباس قرأ هذه السورة على الناس حتى بلغ (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن مروان الأصغر ، عن ابن عباس أنه قرأ على المنبر (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) فقال : في هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (وَجاءَكَ) في هذه السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبي جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : هذه السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه السورة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن البصرى يقول فى قول الله تعالى (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : يعنى فى هذه السورة .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاءك فى هذه الدنيا الحقّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة : (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه الدنيا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن قتادة (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : كان الحسن يقول : فى الدنيا .

⁂ وأولى التأويلين بالصواب فى تأويل ذلك ، قول من قال : وجاءك فى هذه السورة الحقّ ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله .

فإن قال قائل : أو لم يجئ النبىَّ صلى الله عليه وسلم الحقُّ من سور القرآن إلا فى هذه السورة ؟ فيقال : وجاءك فى هذه السورة الحقّ ، قيل له : بلى قد جاءه فيها كلها .

فإن قال : فما وجه خصوصه إذن فى هذه السورة بقوله (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) ؟ قيل : إن معنى الكلام : وجاءك فى هذه السورة الحقّ مع ما جاءك فى سائر سور القرآن ، أو إلى ما جاءك من الحقّ فى سائر سور القرآن ، لا أن معناه : وجاءك فى هذه السورة الحقّ دون سائر سور القرآن .

وقوله (وَمَوْعِظَةٌ) يقول : وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله ، وتبين لهم عبره ممن كفر به ، وكذّب رسله (وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله كى لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للذين لا يصدّقونك ، ولا يقرّون بوحدانية الله : اعملوا على مكانتكم ، يقول : على هينتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه ، فإنا عاملون ما نحن

عاملوه من الأعمال التي أمرنا الله بها ، وانتظروا ما وعدكم الشيطان ، فإنا منتظرون ماوعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (وَانْتَظِرُوا إنَّا مُنْتَظِرُونَ) قال : يقول : انتظروا مواعيد الشيطان إياكم على ما يزين لكم إنا منتظرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولله يا محمد ملك كلّ ماغاب عنك فى السماوات والأرض ، فلم تطلع عليه ، ولم تعلمه ، كلّ ذلك بيده وبعلمه ، لايخفى عليه منه شيء ، وهو عالم بما يعمله مشركو قومك ، وما إليه مصير أمرهم من إقامة على الشرك،أو إقلاع عنه وتوبة(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأمْرُ كُلُّهُ) يقول : وإلى الله معاد كلّ عامل وعمله ، وهو مجاز جميعهم بأعمالهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأمْرُ كُلُّهُ) قال : فيقضى بينهم بحكمه بالعدل . يقول (فاعْبُدْهُ) يقول : فاعبد ربك يا محمد (وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) يقول : وفوّض أمرك إليه ، وثق به وبكفايته ، فإنه كاف من توكل عليه .

وقوله (وَما رَبُّكَ بغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بساه عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو محيط به لايعزب عنه شيء منه ، وهو لهم بالمرصاد ، فلا يحزنك إعراضهم عنك ، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحقّ ، وامض لأمر ربك فإنك بأعيننا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجونى ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، قال : خاتمة التوراة ، خاتمة هود .

آخر تفسير سورة هود ، والحمد لله المعبود المقصود .

(١٢) سورة يوسف مكية
وآياتها إحدى عشرة ومائة

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين ﴿١﴾

قال أبو جعفر محمد بن جرير : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل ، فى تأويل قوله (الر تلك آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) ، والقول الذى نختاره فى تأويل ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته ههنا .

وأما قوله (تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : تلك آيات الكتاب المبين : بين حلاله وحرامه ، ورشده وهداه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا الوليد بن سلمة الفلسطينى ، قال : أخبرنى عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، فى قول الله تعالى (الر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) قال : بين حلاله وحرامه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الر تِلْكَ آياتِ الكِتابِ المُبِينِ) أى والله لمبين تركيبه هداه ورشده .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) قال : بين الله رشده وهداه .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا الوليد بن سلمة ، قال : ثنا ثور ابن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ أنه قال فى قول الله عزّ وجلّ (الكِتابِ المُبِينِ) قال بين الحروف التى سقطت عن ألسن الأعاجم وهى ستة أحرف .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : معناه : هذه آيات الكتاب المبين ، لمن تلاه وتدبر مافيه ، من حلاله وحرامه ونهيه ، وسائر ماحواه من صنوف معانيه ، لأن الله جلّ ثناوه أخبر أنه مبين ، ولم يخصّ إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه ، فذلك على جميعه ، إذ كان جميعه مبينا عما فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنا عربيا على العرب ، لأن لسانهم وكلامهم عربى ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ، ليعقلوه ، ويفقهوا منه ، وذلك قوله عزّ وجلّ (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : نحن نقصّ عليك يا محمد أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن ، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية ، وأنباء الأمم السالفة ، والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية (وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ) يقول تعالى ذكره : وإن كنت يا محمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك ، لاتعلمه ، ولا شيئا منه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ) من الكتب الماضية ، وأمور الله السالفة في الأمم (وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغافِلِينَ) وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسئلة أصحابه إياه أن يقصّ عليهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثني نصر بن عبدالرحمن الأودي ، قال : ثنا حكام الرازي ، عن أيوب ، عن عمرو الملائي ، عن ابن عباس ، قال : قالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ قال : فنزلت (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يا نبيّ الله ، فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله ، قال : ملّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملّة ، فقالوا : يا رسول الله حدّثنا ، فأنزل الله عزّ وجلّ (أللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ) ، ثم ملوا ملة أخرى فقالوا : يا رسول الله حدّثنا فوق الحديث ودون القرآن ، يعنون القصص ، فأنزل الله (الر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ ، إنَّا أنْزَلْناهُ قُرآنا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنا إلَيْكَ هَذَا القُرآنَ ، وَإنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغافِلِينَ) ، فأرادوا الحديث ، فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص ، فدلهم على أحسن القصص .

حدثنا محمد بن سعيد العطار ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا خلاد الصفار ، عن عمرو بن قيس ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ، قال : أنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآن ، قال : فتلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله (الر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) . . . إلى قوله (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) . . . الآية . قال : ثم تلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله لو حدثتنا ؟ فأنزل الله تعالى (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابا مُتَشابِها) قال خلاد : وزادوا فيه رجلا

آخر ، قالوا : يا رسول الله ، أو قال أبو يحيى : ذهبت من كتابى كلمة ، فأنزل الله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن كنت يامحمد لمن الغافلين عن نبإ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا : يقول : إنى رأيت فى منامى أحد عشر كوكبا . وقيل : إن رؤيا الأنبياء كانت وحيا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ) قال : كانت رؤيا الأنبياء وحيا .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) قال : كانت الرؤيا فيهم وحيا . وذكر أن الأحد العشر الكواكب التى رآها فى منامه ساجدة مع الشمس والقمر ، ما حدثنى علىّ بن سعيد الكندى ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدىّ ، عن عبدالرحمن بن سابط ، عن جابر ، قال : « أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له بستانة اليهودى ، فقال له : يا محمد أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبه بشىء ، ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها ، قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقال : هَلْ أنْتَ مُؤْمِنٌ إنْ أخْبَرْتُكَ بأسْمائها ؟ قال : نعم ، فقال : جَرْبانُ والطَّارِقُ ، والذَّيَّالُ ، وذُو الكَتِفَيْنِ ، وقابِسٌ ، وَوَثَّابٌ وعَمودَانِ ، والفَلِيقُ ، والمُصْبِحُ ، والضَّرُوحُ ، وَذُو الفَرْغِ ، والضِّياءُ ، والنورُ ، فقال اليهودىّ : والله إنها لأسماؤها » .

وقوله (وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ) يقول : والشمس والقمر رأيتهم فى منامى سجودا . وقال (ساجدين) والكواكب والشمس والقمر إنما يخبر عنها بفاعلة وفاعلات ، لابالواو والنون ، إنما هى علامة جمع أسماء ذكور بنى آدم أو الجنّ أو الملائكة . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن السجود من أفعال من يجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون ، أو الواو والنون ، فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك ، كما قيل (يا أَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ) وقال : رأيتهم وقد قيل : إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، فكرّر الفعل ، وذلك على لغة من قال : كلمت أخاك كلمته ، توكيدا للفعل بالتكرير .

وقد قيل : إن الكواكب الأحد عشر كانت إخوته ، والشمس والقمر أبويه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إذْ قالَ يُوسُفُ لأَبيهِ يا أبَتِ إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) إخوته أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر ، يعنى بذلك: أبويه .

حدثنى الحرث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا شريك ، عن السدىّ ، فى قوله (إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا والشَّمْسَ والقَمَرَ) . . . الآية ، قال: رأى أبويه وإخوته سجودا له ، فإذا قيل له عمن قال إن كان حقا ، فإن ابن عباس فسره .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا والشَّمْسَ والقَمَرَ رأيْتُهُمْ لى ساجِدِينَ) قال : الكواكب : إخوته ، والشمس والقمر : أبواه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إنّى رأيْتُ أحَدَ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) إخوته (والشَّمْسَ) أمه (والقَمَرَ) أبوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : قال سفيان : كان أبويه وإخوته .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، قوله (إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) هم إخوة يوسف (والشَّمْسَ والقَمَرَ) هما أبواه.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله(يا أبَتِ إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) . . . الآية ، قال : أبواه وإخوته . قال : فنعاه إخوته وكانوا أنبياء ، فقالوا : مارضى أن يسجد له إخوته حتى سجد له أبواه حين بلغهم .

ورُوى عن ابن عباس أنه قال : الكواكب إخوته ، والشمس والقمر : أبوه وخالته ، من وجه غير محمود ، فكرهت ذكره .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ٥

يقول جلّ ذكره (قالَ) يعقوب لابنه يوسف (يا بُنَيَّ لاتَقْصُصْ رُؤْياكَ)هذه (عَلى إخْوَتِكَ) فيحسدوك (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) يقول : فيبغوك الغوائل ، ويناصبوك العداوة، ويطيعوا فيك الشيطان (إنّ الشَّيْطانَ للإنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يقول : إن الشيطان لآدم وبنيه عدوّ ، وقد أبان لهم عداوته وأظهرها . يقول : فاحذر الشيطان أن يغرى إخوتك بك ، بالحسد منهم لك إن أنت قصصت عليهم رؤياك . وإنما قال يعقوب ذلك ، لأنه قد كان تبين له من إخوته قبل ذلك حسده .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزى ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : نزل يعقوب الشام ، فكان همه يوسف وأخاه ، فحسده إخوته لما رأوا حبّ أبيه له ، ورأى يوسف فى المنام كأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين فحدّث بها أباه فقال (يا بُنَيَّ لاتَقْصُصْ رُؤْياكَ على إخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) . . . الآية .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) فقال بعض نحويى البصرة : معناه : فيتخذوا لك كيدا ، وليست مثل (إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيا تَعْبُرُونَ) تلك أرادوا أن يوصل الفعل إليها باللام ، كما يوصل بالباء ، كما تقول : قدمت له طعاما : تريد قدّمت إليه . وقال : (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) ، ومثله قوله (قُلِ اللهُ يَهْدِى للحَقِّ) قال : وإن شئت كان : فيكيدوا لك كيدا ، فى معنى : فيكيدوك ، وتجعل اللام مثل (لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) وقد قال لربهم يرهبون، إنما هو بمكان : ربهم يرهبون . وقال بعضهم : أدخلت اللام فى ذلك ، كما تدخل فى قولهم : حمدت لك ، وشكرت لك ، وحمدتك ، وشكرتك ، وقال : هذه لام عليها الفعل ، فكذلك قوله (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) تقول : فيكيدوك ، ويكيدوا لك فيقصدوك ، ويقصدوا لك ، قال : وكيدا : توكيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يعقوب لابنه يوسف ، لما قصّ عليه رؤياه(وكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) وهكذا يجتبيك ربك . يقول : كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجودا ، فكذلك يصطفيك ربك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو العنقزى، عن أبى بكر الهذلىّ ، عن عكرمة (وكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) قال : يصطفيك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) فاجتباه واصطفاه وعلمه من عَبَر الأحاديث،وهو تأويل الأحاديث.

وقوله (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) يقول : ويعلمك ربك من علم ما يئول إليه أحاديث الناس عما يرونه فى منامهم ، وذلك تعبير الرؤيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ

الأحاديث) قال : تأويل الكلام : العلم والحلم ، وكان يوسف أعبر الناس ، وقرأ (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) .

وقوله (ويتم نعمته عليك) باجتبائه إياك ، واختياره وتعليمه إياك تأويل الأحاديث (وعلى آل يعقوب) يقول : وعلى أهل دين يعقوب وملته ، من ذريته وغيرهم (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق) باتخاذه هذا خليلا ، وتنجيته من النار ، وفديته هذا بذبح عظيم .

كالذى حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن عكرمة ، فى قوله (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق) قال : فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار ، وعلى إسحاق أن نجاه من الذبح .

وقوله (إن ربك عليم حكيم) يقول : إن ربك عليم بمواضع الفضل ، ومن هو أهل للاجتباء والنعمة ، حكيم فى تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

* لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره (لقد كان فى يوسف وإخوته) الأحد عشر (آيات) يعنى عبر وذكر (للسائلين) يعنى السائلين عن أخبارهم وقصصهم . وإنما أراد جل ثناؤه بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه يقال : إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه ، يعلمه فيها ما لقى يوسف من إخوته وإذايته من الحسد ، مع تكرمة الله إياه ، تسلية له بذلك ، مما يلقى من إذايته وأقاربه من مشركى قريش . كذلك كان ابن إسحاق يقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما قص الله تبارك وتعالى على محمد خبر يوسف ، وبغى إخوته عليه ، وحسدهم إياه حين ذكر رؤياه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغى قومه وحسده حين أكرمه الله عز وجل بنبوته ليتأسى به .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (آيات للسائلين) فقرأته عامة قراء الأمصار آيات على الجماع . وروى عن مجاهد وابن كثير أنهما قرءا ذلك على التوحيد .

والذى هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك على الجماع ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره : لقد كان فى يوسف وإخوته آيات لمن سأل عن شأنهم ، حين قالوا إخوة يوسف (ليوسف وأخوه) من أمه (أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة) يقولون : ونحن جماعة ذوو عدد

أحد عشر رجلا ، والعصبة من الناس هم عشرة فصاعدا ؛ قيل إلى خمسة عشر فصاعدا عشر ؛ ليس لها واحد من لفظها ، كالنفر والرهط (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يعنون : إن أبانا يعقوب لفي خطأ من فعله ، في إيثاره يوسف وأخاه من أمه علينا بالمحبة ، ويعنى بالمبين أنه خطأ ، يبين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ونظر إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزى ، عن أسباط ، عن السدىّ (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا) قال : يعنون بنيامين ؛ قال : وكانوا عشرة .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) قال : فى ضلال من أمرنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) قال : العصبة : الجماعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾

يقول جلّ ثناؤه : قال إخوة يوسف بعضهم لبعض : اقتلوا يوسف أو اطرحوه فى أرض من الأرض يعنون مكانا من الأرض (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) يعنون : يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف ، فإنه قد شغله عنا ، وصرف وجهه عنا إليه (وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف ، وذنبهم الذى يركبونه فيه ؛ فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوما صالحين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ، وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) قال : تتوبون مما صنعتم ، أو من صنيعكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال قائل من إخوة يوسف (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ) ؛ وقيل إن قائل ذلك روبيل كان ابن خالة يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) ذكر لنا أنه روبيل كان أكبر القوم ، وهو ابن خالة يوسف ، فنهاهم عن قتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (اقْتُلُوا يُوسُفَ) . . . إلى قوله (إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ) قال : ذكر لى والله أعلم أن الذى قال ذلك منهم روبيل الأكبر من بنى يعقوب ، وكان أقصدهم فيه رأيا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (لاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) قال : كان أكبر إخوته ، وكان ابن خالة يوسف ، فنهاهم عن قتله .

وقيل : كان قائل ذلك منهم شمعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله (قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) قال : هو شمعون .

وقوله (وألْقُوهُ فِي غَيابَتِ الجُبِّ) يقول : وألقوه فى قعر الجب حيث يغيب خبره .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (غَيابات الجُبِّ) على الجماع . وقرأ ذلك عامة قراء سائر الأمصار (غَيابَةِ الجُبِّ) بتوحيد الغيابة . وقراءة ذلك بالتوحيد أحب إلى ، والجب : بئر .

وقيل : إنه اسم بئر ببيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِي غَيابَةِ الْجُبِّ) قال : بئر ببيت المقدس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (غَيابَةِ الجُبِّ) قال : بئر ببيت المقدس . والغيابة : كل شىء غيب شيئا فهو غيابة ، والجب : البئر غير المطوية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فِي غَيابَةِ الجُبِّ) فى بعض نواحيها : فى أسفلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وألْقُوهُ فِي غَيابَةِ الجُبِّ) يقول : فى بعض نواحيها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ) قال : قالها كبيرهم الذي تخلف ، قال : والجبّ : بئر بالشأم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ) يعني : الركية .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : الجبّ : البئر .

وقوله (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) يقول : يأخذه بعض مارّة الطريق من المسافرين (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) يقول : إن كنتم فاعلين ما أقول لكم ، فذكر أنه التقطه بعض الأعراب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) قال : التقطه ناس من الأعراب .

وذُكر عن الحسن البصري أنه قرأ (تَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) بالتاء ، حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن هارون ، عن مطر الورّاق ، عن الحسن . وكأن الحسن ذهب في تأنيثه بعض السيارة ، إلى أن فعل بعضها فعلها ، والعرب تفعل ذلك في خبر كان عن المضاف إلى مؤنث يكون الخبر عن بعضه خبرا عن جميعه ، وذلك كقول الشاعر :

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي ... كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ [1]

فقال : أخذن مني ، وقد ابتدأ الخبر عن المراد ، إذ كان الخبر عن المرّ خبرا عن السنين ، وكما قال الآخر :

إذا ماتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ ... فَدَانَتْ لَهُ أَهْلُ القُرَى والكَنائِسِ [2]

فقال : دانت له ، والخبر عن أهل القرى ، لأن الخبر عنهم كالخبر عن القرى ؛ ومن قال ذلك ، لم يقل : فدانت له غلام هند ، لأن الغلام لو ألقي من الكلام ، لم تدلّ هند عليه ، كما يدل الخبر عن القرية على أهلها ، وذلك أنه لو قيل : فدانت له القرى ، كان معلوما أنه خبر عن أهلها ، وكذلك بعض السيارة ، لو ألقي البعض ، فقيل : تلتقطه السيارة ، علم أنه خبر عن البعض أو الكلّ ، ودلّ عليه الخبر عن السيارة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف إذ تآمروا بينهم ، وأجمعوا على الفرقة بينه وبين والده يعقوب

---

(١) السرار : الليلة التي يخفى فيها الهلال آخر الشهر . والشاهد في أخذن ، فقد أنثه بالنون ، التي تعود على مر السنين ، لأن المر وإن كان مذكرا إلا أنه لما أضيف إلى السنين ، اكتسب منها التأنيث .

(٢) البيت من شواهد الكسائي أورده الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ ص ١٥٠ – ١٥١) قال الفراء : والعرب إذا أضافت المذكر إلى المؤنث ، وهو فعل له أو بعض له ، قالوا فيه بالتأنيث والتذكير ، وأنشدونا . . . أورد بعض شواهد منها بيت الشاهد . ثم قال : وإنما جاز هذا كله ، لأن الثاني يكفي من الأول ؛ ألا ترى أنه لو قال : تلتقطه السيارة ، لجاز وكفى من بعض . ولا يجوز أن يقول : ضربتني غلام جاريتك ، لأنك لو ألقيت الغلام ، لم تدخل الجارية على معناه .

لوالدهم يعقوب (يا أبانا ما لَكَ لا تَأْمَنَّا على يوسُفَ) فتتركه معنا إذا نحن خرجنا خارج المدينة إلى الصحراء (وَنَحْنُ لَهُ ناصِحُونَ) نحوطه ونكلاؤه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة (يَرْتَعِ ويَلْعَبْ) بكسر العين من يرتع وبالياء فى يرتع ويلعب ، على معنى : يفتعل من الرعى : ارتعيت فأنا أرتعى ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : أرسله معنا غدا يرتع الإبل ، ويلعب (وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) .

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (أَرْسِلْهُ مَعَنا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) بالياء فى الحرفين جميعا ، وتسكين العين من قولهم : رتع فلان فى ماله : إذا لهى فيه ونعم ، وأنفقه فى شهواته ؛ ومن ذلك قولهم فى مثل من الأمثال : القيد والرتعة ؛ ومنه قول القطامى :

أَكُفْرًا بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّى وبعدَ عَطائِكَ المِئَةَ الرِّتاعَا[1]

وقرأ بعض أهل البصرة (نَرْتَعْ) بالنون (وَنَلْعَبْ) بالنون فيهما جميعا ، وسكون العين من نرتع .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : كان أبو عمرو يقرأ (نَرْتَع وَنَلْعَب) بالنون ، قال : فقلت لأبى عمرو : كيف يقولون : نلعب وهم أنبياء ؟ قال : لم يكونوا يومئذ أنبياء .

☼ وأولى القراءة فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأه فى الحرفين كليهما بالياء ، وبجزم العين فى يرتعْ ، لأن القوم إنما سألوا إياهم إرسال يوسف معهم ، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك عما ليوسف فى إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط ، بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ، ولعبه هنالك ، لا بالخبر عن أنفسهم . وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) يقول : يسع وينشط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يلهو ، وينشط ، ويسعى .

---

(١) البيت للقطامى (اللسان : عطا) قال : وقول القطامى : « وبعد عطائك . . . الخ » ليس على حذف الزيادة ، ألا ترى أن فى عطاء ألف فعال الزائدة ، ولوكان على حذف الزيادة لقال : « وبعدعطوك » . وقال البغدادى فى الخزانة (٣ : ٤٤٢) شاهد على أن العطاء هنا بمعنى الإعطاء ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثانى محذوف ، أى بعد إعطائك المئة الرتاع إياى . قال : وأورده شراح الألفية على أن العطاء اسم مصدر . وهو من قصيدة يمدح بها القطامى زفر بن الحارث الكلابى ، وحض قيسا وتغلب على الصلح . قال : وقال شارح ديوان : الرتاع : الراعية . يقول : أأخونك بعد هذا وقد مننت على وأطلقتنى . وفى اللسان : الرتع : الرعى فى الخصب . اهـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : ينشط ، ويلهو .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يسعى ، ويلهو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : قوله (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يتلهى ويلعب .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يتلهى ويلعب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : ينشط ويلعب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) : يلهو .

قال : ثنا حسين بن علىّ ، عن شيبان ، عن قتادة (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : ينشط ، ويلعب .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا نعيم بن ضمضم العامرى ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، فى قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ) قال : يسعى ، وينشط .

وكأن الذين يقرءون ذلك (يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ) بكسر العين من يرتعِ ، يتأولونه على الوجه الذى حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ) قال : يرعى غنمه ، وينظر ويعقل ، فيعرف ما يعرف الرجل .

وكان مجاهد يقول فى ذلك بما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، (قوله (نَرْتَعِ) : يحفظ بعضنا بعضا ، نتكالأ ، نتحارس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نَرْتَعِ) قال : يحفظ بعضنا بعضا : نتكالأ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن وَرْقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه .

فتأويل الكلام : أرسله معنا غدا نلهو ونلعب وننعم ، وننشط فى الصحراء ، ونحن حافظوه من أن يناله شىء يكرهه أو يؤذيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لهم : إنى ليحزننى أن تذهبوا به معكم إلى الصحراء ، مخافة عليه من الذئب أن يأكله ، وأنتم عنه غافلون لاتشعرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب : لئن أكل يوسف الذئب فى الصحراء ، ونحن أحد عشر رجلا معه نحفظه ، وهم العصبة ، (إنّا إذاً لخاسرون) يقول : إنا إذاً لعجزة هالكون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

وفى الكلام متروك حذف ذكره اكتفاء بما ظهر عما ترك ، وهو فأرسله معهم ، فلما ذهبوا به ، (وأجمعوا) يقول : وأجمع رأيهم وعزموا على (أن يجعلوه فى غيابت الجب) .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قوله (إنى ليحزننى أن تذهبوا به) . . . الآية ، قال : قال : لن أرسله معكم ، إنى أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنّا إذاً لخاسرون)فأرسله معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ؛ فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه ، فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لايرى منهم رحيما ، فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب ، لو تعلم ماصنع بابنك بنوالإماء ؛ فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا : أليس قد أعطيتمونى موثقا أن لاتقتلوه ، فانطلقوا به إلى الجبّ ليطرحوه ، فجعلوا يدلونه فى البئر ، فيتعلق بشفير البئر ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ردّوا علىّ قميصى أتوارى به فى الجبّ ؛ فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ، قال : إنى لم أر شيئا ، فدلوه فى البئر ، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت ، وكان فى البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ؛ قال : فلما ألقوه فى البئر جعل يبكى ، فنادوه ، فظنّ أنها رحمة أدركتهم ، فلباهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه ، فقام يهوذا فمنعهم ، وقال : قد أعطيتمونى موثقا أن لاتقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

وقوله (فلمّا ذهبوا به وأجمعوا) فأدخلت الواو فى الجواب ، كما قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أجَزْنا ساحةَ الحَيِّ وَانْتَحَى　　بِنَا بطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقافٍ عَقَنْقَلِ [1]

فأدخل الواو فى جواب لما ، وإنما الكلام : فلما أجزنا ساحة الحيّ انتحى بنا ، وكذلك (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وأجمَعُوا) لأن قوله « أجمعوا » هو الجواب .

وقوله (وَأَوْحَيْنا إلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بأمْرِهِمْ) يقول : وأوحينا إلى يوسف لتخبرنّ إخوتك بأمرهم هذا : يقول : بفعلهم هذا الذى فعلوه بك(وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) يقول : وهم لايعلمون ولا يدرون.

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله عزّ وجلّ بقوله (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) فقال بعضهم : عُنِى بذلك : أن الله أوحى إلى يوسف أن يوسف سينبئ إخوته بفعلهم به ما فعلوه من إلقائه فى الجبّ ، وبيعهم إياه ، وسائرماصنعوا به من صنيعهم ، وإخوته لايشعرون بوحى الله إليه بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأوْحَيْنا إلَيْهِ) إلى يوسف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأَوْحَيْنا إلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بأمْرِهِمْ هذَا) قال : أوحينا إلى يوسف : لتنبئنّ إخوتك .

قال : ثنا إسحاق ، قال: ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وأَوْحَيْنا إلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بأمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال: أوحى إلى يوسف وهو فى الجبّ أن سينبئهم بما صنعوا ، وهم لايشعرون بذلك الوحى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (وأَوْحَيْنا إلَيْهِ) قال : إلى يوسف .

وقال آخرون : معنى ذلك : وأوحينا إلى يوسف بما إخوته صانعون به ، وإخوته لايشعرون بإعلام الله إياه بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَوْحَيْنا إلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بأمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم وهو فى البئر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأَوْحَيْنا إلَيْهِ

---

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٢٧) وأجزنا : قطعنا . والساحة الفناء . والحى : القبيلة ، والجمع الأحياء . وانتحى : اعترض . والخبت : أرض مطمئنة ؛ والحقف من الرمل : المعوج . ويروى : ركام ، أى بعضه فوق بعض : والعقنقل : المتعقد ، المتداخل . ويروى : ذى قفاف ، جمع قف : وهوماغلظ وارتفع من الأرض، ولم يبلغ أن يكون جبلا بعضه فى بعض . قال الزوزنى فى شرحه للمعلقات السبع : وزعم أبو عبيدة وأكثر الكوفيين أن الواو فى : وانتحى مقحمة زائدة ، وهو عندهم جواب لما . قال : وكذلك قولهم فى الواو فى قوله تعالى : « وناديناه أن يا إبراهيم » . والواو لا تقحم زائدة فى جواب لما عند البصريين ، والجواب يكون محذوفا فى مثل هذا الموضع ، تقديره فى البيت : فلما كان كذا وكذا تنعمت وتمتعت بها ، والجواب قوله : « هصرت » . وفى الآية : فازا وظفرا بما أحبا . وحذف جواب لما كثير فى التنزيل وكلام العرب .

(لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ) قال : أوحى الله إلى يوسف وهو فى الجب أن ينبئهم بما صنعوا به ، وهم لايشعرون بذلك الوحى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سينبئهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن يوسف سينبئهم بصنيعهم به ، وهم لايشعرون أنه يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ) يقول : وهم لايشعرون أنه يوسف .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبدالعزيز ، قال : ثنا صدقة بن عبادة الأسدى ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما دخل إخوة يوسف ، فعرفهم وهم له منكرون ، قال : جىء بالصواع فوضعه على يده ، ثم نقره ، فطن ، فقال : إنه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم ، وإنكم انطلقتم به ، فألقيتموه فى غيابة الجب ، قال : ثم نقره ، فطن ، ، فأتيتم أباكم فقلتم : إن الذئب أكله ، وجئتم على قميصه بدم كذب ، قال : فقال بعضهم لبعض : إن هذا الجام ليخبره بخبركم ، قال ابن عباس : فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَجَاءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝

يقول جل ثناؤه : وجاء إخوة يوسف أباهم بعد ما ألقوا يوسف فى غيابة الجب (عِشَاءً يَبْكُونَ) وقيل : إن معنى قوله (نَسْتَبِقُ) ننتضل من السباق .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون ، فلما سمع أصواتهم ، فزع وقال : مالكم يابنى ؟ هل أصابكم فى غنمكم شىء ؟ قالوا : لا ، قال : فما فعل يوسف ؟ قالوا : يا أبانا (إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته وقال : أين القميص ؟ فجاءوه بالقميص عليه دم كذب ، فأخذ القميص فطرحه على وجهه ، ثم بكى حتى تخضب وجهه من دم القميص .

وقوله (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) يقولون : وما أنت بمصدقنا على قيلنا إن يوسف أكله الذئب (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا)

قال : بمصدّق لنا (ولَوْ كُنَّا صادِقِينَ)[1] إما خبر عنهم أنهم غير صادقين ؛ فذلك تكذيب منهم أنفسهم ، أو خبر منهم عن أبيهم أنه لا يصدقهم لو صدّقوه ؛ فقد علمت أنهم لو صدقوا أباهم الخبر صدّقهم ؟ قيل : ليس معنى ذلك بواحد منهما ، وإنما معنى ذلك : وما أنت بمصدّق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لايتهمون لسوء ظنك بنا وتهمتك لنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره (وَجاءُوا على قَميصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) وسماه الله كذبا ، لأن الذين جاءوا بالقميص وهو فيه كذبوا ، فقالوا ليعقوب : هو دم يوسف ؛ ولم يكن دمه ، وإنما كان دم سخلة[2] فيما قيل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَجاءُوا على قَميصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَجاءُوا على قَميصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة ، يعني : شاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : كان ذلك الدم كذبا ، لم يكن دم يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : بدم سخلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال : ذبحوا جديا من الغنم ، ثم لطخوا القميص بدمه ، ثم أقبلوا إلى أبيهم ، فقال يعقوب : إن كان هذا الذئب لرحيما كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه ؟ يا بنيّ يا يوسف مافعل بك بنو الإماء ؟

(١) لعله : فإن قال قائل : قوله : ولو كنا ... الخ .
(٢) السخلة : ولد الشاة : من المعز والضأن ، ذكرا كان أو أنثى .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثورى ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس (وَجَاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال: لو أكله السبع لخرق القميص .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد ، قال : ثنا سفيان بإسناده عن ابن عباس مثله ، إلا أنه قال : لو أكله الذئب لخرق القميص .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَجَاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لو كان الذئب أكله لخرقه .

حدثنى عبيد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا عثمان بن عمرو ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، قال: جيء بقميص يوسف إلى يعقوب ، فجعل ينظر إليه فيرى أثر الدم، ولا يرى فيه خرقا ، قال : يا بنىّ ما كنت أعهد الذئب حليما .

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصارى ، قال : ثنا أبو عاصم العقدى ، عن قرة ، قال : سمعت الحسن يقول : لما جاءوا بقميص يوسف ، فلم ير يعقوب شقا ، قال : يا بنىّ ، والله ماعهدت الذئب حليما .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، عن عمران بن مسلم ، عن الحسن ، قال : لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم ، قال : جعل يقلبه ، فيقول : ماعهدت الذئب حليما ، أكل ابنى ، وأبقى على قميصه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (وَجَاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لما أتوا نبىّ الله يعقوب بقميصه ، قال : ما أرى أثر سبع ولا طعن ولا خرق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِدَمٍ كَذِبٍ) الدم كذب ، لم يكن دم يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : ذبحوا جديا ، ولطخوه من دمه ؛ فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحا ، عرف أن القوم كذبوه ، فقال لهم : إن كان هذا الذئب لحليما ، حيث رحم القميص ، ولم يرحم ابنى ، فعرف أنهم قد كذبوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَجَاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لما أتى يعقوب بقميص يوسف ، فلم ير فيه خرقا ، قال: كذبتم ، لو أكله السبع لخرق قميصه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الأزرق، ويعلى ، عن زكريا، عن سماك ، عن عامر ، قال : كان فى قميص يوسف ثلاث آيات حين جاءوا على قميصه بدم كذب. قال : وقال يعقوب : لو أكله الذئب لخرق قميصه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد . قال : ثنا زكريا ، عن سماك ، عن عامر ، قال : إنه كان يقول : فى قميص يوسف ثلاث آيات ، حين ألقى على وجه أبيه فارتدّ بصيرا ، وحين قدّ من دبر ، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عامر ، قال : كان في قميص يوسف ثلاث آيات : الشق ، والدم ، وألقاه على وجه أبيه فارتدّ بصيرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، قال : لما جيء بقميص يوسف إلى يعقوب ، فرأى الدم ، ولم ير الشقّ ، قال : ما عهدت الذئب حليما .

قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، بمثله .

فإن قال قائل : كيف قيل (بِدَمٍ كَذِبٍ) وقد علمت أنه كان دما لاشكّ فيه ، وإن لم يكن كان دم يوسف ؟ قيل : في ذلك من القول وجهان : أحدهما : أن يكون قيل (بِدَمٍ كَذِبٍ) لأنه كُذِبَ فيه كما يقال : الليلة الهلال ، وكما قيل : (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) وذلك قول كان بعض نحويي البصرة يقوله .

والوجه الآخر : وهو أن يقال : هو مصدر بمعنى مفعول ، وتأويله : وجاءوا على قميصه بدم مكذوب ، كما يقال : ماله عقل ولا معقول ، ولا له جلد ، ولا له مجلود ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، تضع مفعولا في موضع المصدر ، والمصدر في موضع مفعول ، كما قال الراعي :

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولَا[1]

وذلك كان يقوله بعض نحويي الكوفة .

وقوله (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه أن الذئب أكل يوسف مكذّبا لهم في خبرهم ذلك : ما الأمر كما تقولون (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا في يوسف وحسنته ففعلتموه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) قال : يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا .

وقوله (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يقول : فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف ، صبر جميل ، أو فهو صبر جميل . وقوله (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) يقول : والله أستعين على كفايتي شرّ ماتصفون من الكذب . وقيل : إن الصبر الجميل : هو الصبر الذي لاجزع فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) قال : ليس فيه جزع .

(١) البيت للراعي النميري ، من قصيدة له يمدح عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة (جباة الزكاة) . وقد وردت في جمهرة أشعار العرب لابن أبي الخطاب القرشي (ص ١٧٢ – ١٧٦) يقول : إن السعاة ضربوا عريف القوم وهو رئيسهم بالسياط الأصبحية (في البيت قبله) حتى لم يتركوا على عظامه لحما ، ولا أبقوا في فؤاده عقلا . والمعقول : مصدر بمعنى العقل .

وأورده الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ ص ١٥١) قال : وقوله « وجاءوا على قميصه بدم كذب » معناه مكذوب . والعرب تقول : للكذب مكذوب ، وليس له عقد رأي ، ومعقود رأي ، فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولا ، ويقولون : هذا أمر ليس له معنى ، يريدون معنى ، قال الشاعر : « إن أخا المجلود من صبرا » . وقال آخر « حتى إذا لم يتركوا . . . » البيت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) فى غير جزع .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبى جبلة ، قال « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) قال : صبر لاشكوى فيه ، قال : من بثّ فلم يصبر » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبدالرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبى جبلة « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) قال : صَبْرٌ لاشكْوَى فِيهِ » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) : ليس فيه جزع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن رجل ، عن مجاهد فى قوله (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) : قال : فى غير جزع .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثورى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن بعض أصحابه ، قال : يقال ثلاث من الصبر : أن لاتحدّث بوجعك ، ولا بمصيبتك ، ولا تزكى نفسك .

قال : أخبرنا الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت ، أن يعقوب النبىّ صلى الله عليه وسلم كان قد سقط حاجباه ، فكان يرفعهما بخرقة ، فقيل له ماهذا ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : يا يعقوب أتشكونى ؟ قال : يارب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لى .

وقوله (وَاللهُ المُسْتَعَانُ على ما تَصِفُونَ) حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللهُ المُسْتَعَانُ على ما تَصِفُونَ) : أى على ما تكذبون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : وجاءت مارّة الطريق من المسافرين (فأرسلوا وَارِدَهُمْ) وهو الذى يرد المنهل والمنزل ، ووروده إياه : مصيره إليه ودخوله (فأدْلَى دَلْوَهُ) يقول : أرسل دلوه فى البئر ، يقال : دليت الدلو فى البئر إذا أرسلتها فيه ، فإذا استقيت فيها قلت : دلوت أدلو دلوا ، وفى الكلام محذوف

استغنى بدلالة ماذكر عليه فترك ، وذلك : فأدلى دلوه ، فتعلق به يوسف فخرج ، فقال المدلى : (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .

وبالذى قلنا فى ذلك ، جاءت الأخبار عن أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وجاءتْ سيَّارةٌ فأرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأدْلَى دَلْوَهُ) فتعلق يوسف بالحبل فخرج ، فلما رآه صاحب الحبل نادى رجلا من أصحابه يقال له بشرى (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .

حدثنا محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فأرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأدْلَى دَلْوَهُ) فتشبث الغلام بالدلو ، فلما خرج قال : يا بشرى هذا غلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) يقول : أرسلوا رسولهم ، فلما أدلى دلوه تشبث بها الغلام (قالَ يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .

واختلفوا فى معنى قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) فقال بعضهم : ذلك تبشير من المدلى دلوه أصحابه فى إصابته يوسف بأنه أصاب عبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) تباشروا به حين أخرجوه ، وهى بئر بأرض بيت المقدس ، معلوم مكانها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : بشّرهم واردهم حين وجد يوسف .

وقال آخرون : بل ذلك اسم رجل من السيارة بعينه ناداه المدلى لما خرج يوسف من البئر متعلقا بالحبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (يا بُشْرَى هَذا غُلامٌ) قال : نادى رجلا من أصحابه يقال له : بشرى ، فقال (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عن السدى ، فى قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : كان اسم صاحبه بشرى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، فى قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : اسم الغلام بشرى . قال : يا بشرى ، كما تقول : يا زيد.

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأ ذلك عامة القراء من أهل المدينة (يَابُشْرَىَّ) باثبات ياء الإضافة ، غير أنه أدغم الألف فى الياء طلبا للكسرة التى تلزم ما قبل ياء الإضافة من المتكلم فى قولهم : غلامى وجاريتى فى كل حال ، وذلك من لغة طيئ . كما قال أبو ذؤيب :

سَبَقُوا هَوَىَّ وأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فتُخُرِّموا ولكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ[١]

وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (يا بُشْرَى) بإرسال الياء وترك الإضافة ؛ وإذا قرئ ذلك كذلك ، احتمل وجهين من التأويل : أحدهما : ما قاله السديّ ، وهو أن يكون اسم رجل دعاه المستقى باسمه ، كما يقال : يا زيد ، ويا عمرو ، فيكون بشرى فى موضع رفع بالنداء . والآخر : أن يكون أراد إضافة البشرى إلى نفسه ، فحذف الياء وهو يريدها ، فيكون مفردا ، وفيه نية الإضافة ، كما تفعل العرب فى النداء فتقول : يا نفس اصبرى ، ويا نفس اصبرى ، ويا بُنَىّ لاتفعل ، ويا بنىَّ لاتفعل ، فتفرد وترفع ، وفيه نية الإضافة ، وتضيف أحيانا فتكسر ، كما تقول : ياغلام أقبل ، ويا غلامى أقبل .

وأعجب القراءة فى ذلك إلىّ قراءة من قرأه بارسال الياء وتسكينها ؛ لأنه إن كان اسم رجل بعينه ، كان معروفا فيهم ، كما قال السديّ ، فذلك هى القراءة الصحيحة لاشكّ فيها ، وإن كان من التبشير فإنه يحتمل ذلك إذا قرئ كذلك على ما بيَّنت . وأما التشديد والإضافة فى الياء فقراءة شاذّة لاأرى القراءة بها ، وإن كانت لغة معروفة لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها .

وأما قوله (وأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً) فإنّ أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : وأسرّه الوارد المستقى ، وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة استبضعناها بعض أهل مصر ، لأنهم خافوا إن علموا أنهم اشتروه بما اشتروه به ، أن يطلبوا منهم فيه الشركة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنما استبضعناه خيفة أن يشركوهم فيه إن علموا بثمنه ، وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثق منه لايأبق ، حتى وقفوه بمصر ، فقال : من يبتاعنى ويبشر ، فاشتراه الملك ، والملك مسلم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، واتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لايأبق ، حتى أوقفوه بمصر ، وسائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .

قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير أنه قال : خيفة أن يشاركوهم فيه إن علموا بثمنه .

(١) البيت لأبى ذؤيب يرثى أولاده (ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية ١ : ٢) . وهوى : هواى ، وهذه لغة هذيل ، يقلبون ألف المقصور المضاف إلى الياء ياء ، ثم يدغمونهما . فيقولون هذه عصى فى عصاى . وأعنقوا : أسرعوا . فتخرموا : أى أخذوا واحدا واحدا . وهو من شواهد النحويين . ورواه الفراء فى معانى القرآن ، عن القاسم بن معن باختلاف عن رواية الطبرى هنا ، قال :

تَرَكُوا هَوَىَّ وأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فَفَقَدْتُهُمْ ولكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا ثمنه ، وقال أيضا : حتى أوقفوه بمصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : لما اشتراه الرجلان فرقا من الرُّفقة أن يقولوا اشتريناه ، فيسألوهم الشركة ، فقالا : إن سألونا ما هذا ؟ قلنا بضاعة استبضعناه أهلُ الماء ، فذلك قوله (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) بينهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأسرّه التجار بعضهم من بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض .

وقال آخرون : معنى ذلك : وأسرّوا بيعه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : أسرّوا بيعه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن مجاهد (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : قالوا لأهل الماء : إنما هو بضاعة .

وقال آخرون : إنما عنى بقوله (وأسَرُّوه بِضَاعَةً) إخوة يوسف أنهم أسرّوا شأن يوسف أن يكون أخاهم ، قالوا : هو عبد لنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) يعنى إخوة يوسف أسرّوا شأنه ، وكتموا أن يكون أخاهم ، فكتم يوسف شأنه مخافة أن تقتله إخوته ، واختار البيع ، فذكره إخوته لوارد القوم ، فنادى أصحابه قال (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) يُباعُ فباعه إخوته .

* وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : وأسرّ وارد القوم المُدْلِى دلوه ، ومن معه من أصحابه من رُفقته السيارة أمر يوسف أنهم اشتروه خيفة منهم أن يستشركوهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة أبْضَعها معنا أهل الماء ، وذلك أنه عقيب الخبر عنه ، فلأن يكون ماوليه من الخبر خبرا عنه ، أشبه من أن يكون خبرا عمن هو بالخبر عنه غير متصل .

وقوله (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يعمله باعة يوسف ومشتروه فى أمره لايخفى عليه من ذلك شيء . ولكنه ترك تغيير ذلك ليمضى فيه وفيهم حكمه السابق فى علمه، وليرى إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرته فيه . وهذا ، وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنه تذكير من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وتسلية منه له عما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذى فيه. يقول له: فاصبر يا محمد على ما نالك فى الله ، فإنى قادر على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون ، كما كنتُ قادرا على تغيير ما لقى يوسف من إخوته فى حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا ، ولم يكن تركى ذلك لهوان يوسف علىّ ، ولكن لماضى علمى فيه وفى إخوته ، فكذلك تركى تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك علىّ ، ولكن لسابق علمى فيك وفيهم ، ثم يصير أمرك وأمرهم إلى علوّك عليهم ، وإذعانهم لك ، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم وعلوّ يوسف عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَشَرَوْهُ) به ، وباع إخوة يوسف يوسف ، فأما إذا أراد الخبر عن أنه ابتاعه ، قال : اشتريته ؛ ومنه قول ابن مفرِّغ الحميرى :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ قبل بُرْدٍ كُنْتُ هامَهْ[1]

يقول : بعت بُردا ، وهو عبد كان له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم ، أنه كره الشراء والبيع للبدوىّ ؛ قال : والعرب تقول : اشْرِلى كذا وكذا : أى بع لى كذا وكذا ، وتلا هذه الآية (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) يقول : باعوه ، وكان بيعه حراما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال: ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: إخوة يوسف أحد عشر رجلا باعوه حين أخرجه المُدْلى بدَلوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال: ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بمثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال: ثنا شبل ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وثنا إسحاق ، قال: ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٠٤) على أن شريت بمعنى بعت . وفى (اللسان : شرى): وشاهد شريت بمعنى بعت قول يزيد بن مفرغ وقد باع غلامه بردا ، فندم بعد بيعه :

شَرَيْتُ بُرْدًا ولَوْلا ما تكَنَّفَنِي مِنَ الحَوَادِثِ ما فارَقْتُهُ أبَدًا

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَشَرَوْهُ) قال : قال ابن عباس : فبيع بينهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : باعوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس فباعه إخوته بثمن بخس .

وقال آخرون : بل عنى بقوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) السيارة أنهم باعوا يوسف بثمن بخس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) وهم السيارة الذين باعوه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : تأويل ذلك : وشروا إخوة يوسف يوسف بثمن بخس ، وذلك أن الله عزّ وجلّ قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرّوا شراء يوسف من أصحابهم خيفة أن يستشركوهم بادعائهم أنه بضاعة ، ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلص لهم دونهم ، واسترخاصا لثمنه الذى ابتاعوه به ، لأنهم ابتاعوه ، كما قال جلّ ثناؤه (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين لم يكن لقيلهم لرفقائهم هو بضاعة معنى ، ولا كان لشرائهم إياه وهم فيه من الزاهدين وجه ، إلا أن يكونوا كانوا مغلوبا على عقولهم ، لأنه محال أن يشترى صحيح العقل ماهو فيه زاهد من غير إكراه مكره له عليه ، ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول : هو بضاعة ، لم أشتره مع زهده فيه ، بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضنين ، لنفاستها عنده ، ولما يرجو من نفيس الثمن لها ، وفضل الربح .

وأما قوله (بَخْسٍ) فإنه يعنى : نقص ، وهو مصدر من قول القائل : بخست فلانا حقه : إذا ظلمته ، يعنى : ظلمه فنقصه عما يجب له من الوفاء ، أبخسه بخسا ؛ ومنه قوله (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) وإنما أريد بثمن مبخوس : منقوص ، فوضع البخس وهو مصدر ، مكان مفعول ، كما قيل (بِدَمٍ كَذِبٍ) وإنما هو بدم مكذوب فيه .

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : قيل (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) لأنه كان حراما عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : البخس : الحرام .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن الحسين بن الفرج . قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان ثمنه بخسا حراما ، لم يحلّ لهم أن يأكلوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : باعوه بثمن بخس ، قال : كان بيعه حراما ، وشراؤه حراما .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : حرام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) يقول : لم يحلّ لهم أن يأكلوا ثمنه .

وقال آخرون : معنى البخس هنا : الظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : البخس : هو الظلم ، وكان بيع يوسف وثمنه حراما عليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : ظلم .

وقال آخرون : عنى بالبخس فى هذا الموضع : القليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن جابر ، عن عامر ، قال : البخس : القليل .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة ، مثله . وقد بيّنّا الصحيح من القول فى ذلك .

وأما قوله (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) فإنه يعنى عز وجلّ أنهم باعوه بدراهم غير موزونة ، ناقصة غير وافية لزهدهم كان فيه . وقيل : إنما قيل معدودة ليعلم بذلك أنها كانت أقلّ من الأربعين لأنهم كانوا فى ذلك الزمان . لايزنون ما كان وزنه أقلّ من أربعين درهما ، لأن أقلّ أوزانهم وأصغرها كان الأوقية ، وكان وزن الأوقية أربعين درهما ، قالوا : وإنما دلّ بقوله (مَعْدُودَةٍ) على قلة الدراهم التى باعوه بها ، فقال بعضهم : كان عشرين درهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن زهير ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : إن ما اشترى به يوسف عشرون درهما .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن نوف البكالى ، فى قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق عن نوف البكالي (بَخْسٍ دَرَاهِمَ) قال : كانت عشرين درهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحمّانيّ ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن نوف ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : كانت عشرين درهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أنه بيع بعشرين درهما ، وكانوا فيه من الزاهدين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي إدريس ، عن عطية ، قال : كانت الدراهم عشرين درهما اقتسموها ، درهمين درهمين .

وقال آخرون : بل كان عددها اثنين وعشرين درهما ، أخذ كلّ واحد من إخوة يوسف وهم أحد عشر رجلا ، درهمين درهمين منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : اثنين وعشرين درهما .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : اثنان وعشرون درهما لإخوة يوسف أحد عشر رجلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) ؛ قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقال آخرون : بل كانت أربعين درهما .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : أربعين درهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : باعوه ولم يبلغ ثمنه الذى باعوه به أوقية ، وذلك أن الناس كانوا يتبايعون فى ذلك الزمان بالأواقى ، فما قصر عن الأوقية ، فهو عدد . يقول الله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) أى لم يبلغ الأوقية .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة ، ولم يحدّ مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ، ولا وضع عليه دلالة فى كتاب، ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ، ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين ، وأن يكون كان أربعين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، وأىّ ذلك كان فإنها كانت معدودة غير موزونة ؛ وليس فى العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع فى دين ، ولا فى الجهل به دخول ضرّ فيه، والإيمان بظاهر التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلّف علمه .

وقوله (وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) يقول تعالى ذكره : وكان إخوة يوسف فى يوسف من الزاهدين ؟ لا يعلمون كرامته عند الله ، ولا يعرفون منزلته عنده ، فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده ليخلو لهم وجهه منه ، ويقطعوه عن القرب منه لتكون المنافع التى كانت مصروفة إلى يوسف دونهم مصروفة إليهم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبى مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) قال : لم يعلموا بنبوّته ومنزلته من الله .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، فى قوله (وَجاءَتْ سَيَّارَةٌ) فنزلت على الجبّ (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) فاستقى من الماء فاستخرج يوسف ، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاما لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه، فزهدوا فيه فباعوه وكان بيعه حراما ، وباعوه بدراهم معدودة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك (وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) قال إخوته زهدوا ، فلم يعلموا منزلته من الله ، ونبوّته ، ومكانه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إخوته زهدوا فيه ، لم يعلموا منزلته من الله عزّ وجلّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

يقول جلّ ثناؤه : وقال الذى اشترى يوسف من بائعه بمصر ، وذُكر أن اسمه قطفير .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس

قال : كان اسم الذى اشتراه قطفير . وقيل : إن اسمه إطفير بن روحيب ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد ، رجل من العماليق .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وقيل : إن الذى باعه بمصر كان مالك بن ذعر بن ثويب بن عنقاء بن مديان بن إبراهيم .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس (وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ) واسمها فيما ذكر ابن إسحاق : راعيل بنت رعائيل .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أَكْرِمِى مَثْوَاهُ) يقول : أكرمى موضع مُقامه وذلك حيث يثوى ويقيم فيه ، يقال : ثوى فلان بمكان كذا : إذا أقام فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَكْرِمِى مَثْوَاهُ) منزلته ، وهى امرأة العزيز .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ) قال : منزلته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، اشتراه الملك ، والملك مسلم .

وقوله (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) ذُكر أن مشترىَ يوسف قال هذا القول لامرأته حين دفعه إليها ، لأنه لم يكن له ولد ، ولم يأت النساء ، فقال لها : أكرميه عسى أن يكفينا بعض ما نعانى من أمورنا إذا فهم الأمور التى نكلّفها وعرفها ، أو نتخذه ولدا : يقول : أو نتبناه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان إطفير فيما ذكر لى رجلا لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل امرأة حسناء ناعمة طاعمة فى ملك ودنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، قال : « أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين تفرّس فى يوسف فقال لامرأته (أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وأبو بكر حين تفرّس فى عمر ، والتى قالت (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الْأَمِينُ) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : انطلق بيوسف إلى مصر ، فاشتراه العزيز ملك مصر فانطلق به إلى بيته ، فقال لامرأته (أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : «أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين قال لامرأته (أَكْرِمِى مَثْوَاهُ) والقوم فيه زاهدون . وأبو بكر حين تفرّس فى عمر فاستخلفه . والمرأة التى قالت (يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) » .

وقوله (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ) يقول عزّ وجلّ : وكما أنقذنا يوسف من أيدى إخوته ، وقد همّوا بقتله ، وأخرجناه من الجبّ بعد أن ألقى فيه . فصيرناه إلى الكرامة ، والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر ، كذلك مكنا له فى الأرض ، فجعلناه على خزائنها .

وقوله (وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) يقول تعالى ذكره : وكى نعلّم يوسف من عبارة الرؤيا مكنا له فى الأرض .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) قال : تعبير الرويا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح (وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) قال : عبارة الرُّؤيا .

وقوله (وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) يقول تعالى ذكره : والله مستول على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه . والهاء فى قوله (على أَمْرِهِ) عائدة على يوسف .

ورُوى عن سعيد بن جبير فى معنى غالب ، ما حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) قال : فعال .

وقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس الذين زهدوا فى يوسف فباعوه بثمن خسيس ، والذين صار بين أظهرهم من أهل مصر حين بيع فيهم ، لايعلمون ما الله بيوسف صانع ، وإليه يوسف من أمره صائر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ٢٢

يقول تعالى ذكره : لما بلغ يوسف أشدّه : يقول : لما بلغ منتهى شدّته وقوّته فى شبابه وحده ، وذلك فيما بين ثمانى عشرة إلى ستين سنة . وقيل إلى أربعين سنة . يقال منه : مضت أشدّ الرجل : أى شدته . وهو جمع مثل الأضر والأسرّ لم يسمع له بواحد من لفظه . ويجب فى القياس أن يكون واحده شدّ ، كما واحد الأضر ضر . وواحد الأسرّ . كما قال الشاعر :

هلْ غيرَ أنْ كَثُرَ الأشُدُّ وأهْلَكَتْ　　حَرْبُ المُلُوكِ أكاثِرَ الأمْوَالِ [١]

وقال حميد :

وقد أتى لَوْ تَعْتِبُ العَوَاذِلُ　　بَعْدَ الأشُدِّ أرْبَعٌ كَوَامِلُ [٢]

وقد اختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله به فى هذا الموضع من مبلغ الأشدّ ، فقال بعضهم : عُنى به ثلاث وثلاثون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن علىّ بن الهيثم ، عن بشر بن المفضل ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، قال : سمعت ابن عباس يقول فى قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : بضعا وثلاثين سنة .

وقال آخرون : بل عنى به : عشرون سنة .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن علىّ بن المسيب ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، فى قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : عشرين سنة .

ورُوى عن ابن عباس من وجه غير مرضىّ أنه قال : ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين ، وقد بيَّنت معنى الأشدّ .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشدّه حكما وعلما . والأشُدّ : هوانتهاء قوّته وشبابه ، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ولا دلالة فى كتاب الله

(١) فى اللسان : الأشد : مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة . وذلك ما بين الثمانى عشرة والثلاثين . قال الفراء : الأشد : واحدها : شد (بالفتح) فى القياس . قال : ولم أسمع لها بواحد . وقال سيبويه : واحدها : شدة ، كنعمة وأنعم. وقال ابن جنى : قال أبو عبيد : هو جمع أشد ، على حذف الزيادة . قال : وقال أبو عبيدة : ربما استكرهوا على حذف هذه الزيادة فى الواحد ، وأنشد بيت عنترة :

عَهْدِى بِهِ شَدَّ النهار كأنما　　خُضِبَ البَنَانُ ورأسُهُ بالعِظْلِمِ

أى أشد النهار ، يعنى أعلاه وأمتعه . قال ابن سيده : وذهب أبو عثمان ، فيما رويناه عن أحمد بن يحيى عنه : أنه جمع لا واحد له . وقال السيرافى : فى القياس : شد وأشد ، كما يقال : قد وأقد . وقال مرة أخرى : هو جمع لا واحد له . وقد يقال : بلغ أشده ، (بفتح الشين) ، وهى قليلة .

(٢) هذا الشاهد كالذى قبله ، وقد أوضحناه بما يكفى من نصوص اللغويين .

ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا فى إجماع الأمة على أىّ ذلك كان ، وإذا لم يكن ذلك موجودا من الوجه الذى ذكرت ، فالصواب أن يقال فيه ، كما قال عزّ وجلّ ، حتى تثبت حجة بصحة ما قيل فى ذلك من الوجه الذى يجب التسليم له ، فيسلم لها حينئذ .

وقوله (آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) يقول تعالى ذكره : أعطيناه حينئذ الفهم والعلم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حُكْما وَعِلْما) قال : العقل والعلم قبل النبوّة .

وقوله (وكذلكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إياى الحكمَ والعلم ، ومكنته فى الأرض ، واستنقذته من أيدى إخوته الذين أرادوا قتله ، كذلك نجزى من أحسن فى عمله ، فأطاعنى فى أمرى وانتهى عما نهيته عنه من معاصىّ ، وهذا وإن كان مخرّج ظاهره على كلّ محسن ، فإن المراد به محمد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، يقول له عزّ وجلّ : كما فعلتُ هذا بيوسف من بعد ما لقى من إخوته مالقى ، وقاسى من البلاء ماقاسى ، فكنته فى الأرض ، ووطّأت له فى البلاد ، فكذلك أفعل بك ، فأنجيك من مشركى قومك الذين يقصدونك بالعداوة ، وأمكن لك فى الأرض ، وأوتيك الحكم والعلم ، لأن ذلك جزائى أهلَ الإحسان فى أمرى ونهيى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وكذلكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول : المهتدين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : وراودت امرأة العزيز ، وهى التى كان يوسف فى بيتها عن نفسه أن يواقعها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ولما بلغ أشدّه راودته التى هو فى بيتها عن نفسه : امرأة العزيز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ) قال : أحبته .

قال : ثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : قالت تعاله .

وقوله (وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ) يقول : وغلّقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف لما أرادت منه ، وراودته عليه ، بابا بعد باب .

وقوله (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (هَيْتَ

لكَ) بفتح الهاء والتاء ، بمعنى : هلمّ لك وادن وتقرّب . كما قال الشاعر لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

أَبْلِغْ أَميرَ المُؤْمِنِينَ ... أخا العِراقِ إذَا أتَيْتَا

إنَّ العِرَاقَ وأهْلَهُ ... عُنُقٌ إليكَ فَهَيْتَ هَيْتَا [1]

يعني : تعال واقرب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، تأوّله من قرأه كذلك .

حدثني محمد بن عبد الله المخرمي ، قال : ثنا أبو الجوّاب ، قال : ثنا عمار بن زريق ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (هَيْتَ لكَ) قال : هلمّ لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَيْتَ لكَ) قال : هلمّ لك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال (هَيْتَ لكَ) تقول : هلمّ لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش . أنه كان يقرأ هذا الحرف (هَيْتَ لكَ) نصبا : أي هلمّ لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : قوله (هَيْتَ لكَ) قال : تقول : هلمّ لك .

حدثني أحمد بن سهيل الواسطي ، قال : ثنا قرة بن عيسى ، قال : ثنا النضر بن عليّ الجزري ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، في قوله (هَيْتَ لكَ) قال : هلمّ لك ، قال : هي بالحورانية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقالَتْ هَيْتَ لكَ) قال : كان الحسن يقول : هلمّ لك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيْتَ لكَ) يقول بعضهم : هلمّ لك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ (وَقالَتْ هَيْتَ لكَ) قال : هلم لك ، وهي بالقبطية .

---

(١) البيتان في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٠٥) قال : يريد علي بن أبي طالب رحمه الله ، أي تعال وتقرب وادنه ، وكذلك لفظ « هيت » للاثنين ، والجميع من الذكر والأنثى سواء ، إلا أن العدد فيما بعدها ، تقول : هيت لكما ، وهيت لكن . . وعنق إليك : مائلون إليك . وفي اللسان : وذكر ابن جني : أن هيت في البيت بمعنى أسرع . قال : وفيه أربع لغات : « هيت » بفتح الهاء والتاء . و « هيت » بكسر الهاء وفتح التاء . و « هيت » بفتح الهاء وضم التاء ، و « هيت » بكسر الهاء وضم التاء . قال الأخفش : هيت لك مفتوحة : هلم لك . قال : وكسر بعضهم التاء ، وهي لغة ، فقال : هيت لك . وروى الأزهري عن أبي زيد قال : هيت لك ، بالعبرانية : هيتا لج ، أي تعال ، أعربه القرآن . وعنق إليك : مائلون إليك ، متطلعون .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن عمرو ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) قال : كلمة بالسريانية : أى عليك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) قال : هلمّ لك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا محبوب ، عن قتادة ،عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) قال : هلمّ لك .

قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن زر (هَيْتَ لَكَ) : أى هلمّ .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثورى ، قال : بلغنى فى قوله (هَيْتَ لَكَ) قال هلمّ لك .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبوعبيد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ (هَيْتَ لَكَ) وقال : تدعوه إلى نفسها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (هَيْتَ لَكَ) قال : لغة عربية تدعوه بها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : لغة بالعربية تدعوه بها إلى نفسها .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد ابن عمرو سواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء ، وقال : تقول : هلمّ لك .

حدثنى الحرث ، قال أبوعبيدة : كان الكسائىّ يحكيها ، يعنى (هَيْتَ لَكَ) قال : وقال : وهى لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز ، معناها : «تعال» قال : وقال أبوعبيد : سألت شيخا عالما من أهل حوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (هَيْتَ لَكَ) قال : تعال .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) قال هلمّ لك إلىّ .

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين (وَقَالَتْ هِئْتُ لَكَ) بكسر الهاء و ضمّ التاء والهمز ، بمعنى : تهيأت لك ، من قول القائل : هئت للأمر أهيء هيئة . وممن رُوى ذلك عنه ابن عباس ، وأبوعبد الرحمن السُلمى وجماعة غيرهما .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحجاج ، عن هارون ، عن أبان العطار ، عن قتادة ، أن ابن عباس قرأها كذلك مكسورة الهاء مضمومة التاء ، قال أحمد ، قال أبو عبيد : لا أعلمها إلا مهموزة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبدالوهاب ، عن أبان العطار ، عن عاصم ، عن أبي عبد الرحمن السلمي (هِئْتُ لَكَ) أي تهيأت لك .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : تهيأت لك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (هِئْتُ لَكَ) قال عكرمة : تهيأت لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، قال : كان أبو وائل يقول : (هِئْتُ لَكَ) : أي تهيأت لك . وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائي ينكران هذه القراءة .

حُدثت عن عليّ بن المغيرة ، قال : قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : شهدت أبا عمرو وسأله أبو أحمد ، أو أحمد ، وكان عالما بالقرآن ، عن قول من قال (هِئْتُ لَكَ) بكسر الهاء وهمز الياء ، فقال : أبو عمرو يبنى أي باطل جعلها ، فعِلت[١] من تهيأت ، فهذا الخندق ، فاستعرض العرب حتى تنتهي إلى اليمن ، هل تعرف أحدا يقول : هئت لك ؟

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : لم يكن الكسائي يحكي (هِئْتُ لَكَ) عن العرب .

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة (هِيتَ لَكَ) بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء .

وقرأه بعض المكيين (هَيْتُ لَكَ) بفتح الهاء وتسكين الياء وضمّ التاء .

وقرأه بعض البصريين ، وهو عبد الله بن إسحاق (هَيْتِ لَكَ) بفتح الهاء وكسر التاء ، وقد أنشد بعض الرواة بيتا لطرفة بن العبد في هَيْتُ بفتح الهاء وضم التاء ، وذلك :

لَيْسَ قَوْمِي بالأبْعَدِينَ إذَا ما　　قالَ دَاعٍ مِنَ العَشِيرَةِ هَيْتُ[٢]

وأولى القراءة في ذلك ، قراءة من قرأه (هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء ، وتسكين الياء ، لأنها اللغة المعروفة في العرب دون غيرها ، وأنها فيما ذكر قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال ابن مسعود : قد سمعتُ القرأة فسمعتهم متقاربين ، فاقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع والاختلاف ، فإنما هو كقول أحدكم : هلمّ وتعال . ثم قرأ عبد الله (هَيْتَ لَكَ) فقلت : يا أبا عبدالرحمن إن ناسا يقرءونها (هِيتَ لَكَ) فقال عبد الله : إني أقرؤها كما علمت أحبّ إليّ .

(١) أصله على زعمهم : هيئت ، بوزن فعلت ، ثم حذفت الياء ، فصار وزنه : فلت .

(٢) لم أجد هذا البيت في شعر طرفة الذي بين أيدينا . والشاهد فيه أن « هيت » تبنى على الضم عند بعض العرب ، وقد تبنى على الكسر ، وعلى الفتح ، وهو الأكثر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ هذه الآية (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) قال : فقالوا له : ما كنا نقرؤها إلا (هِيتَ لَكَ) فقال عبد الله إني أقرؤها كما علمت أحبُّ إليّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، قال : قال عبد الله (هَيْتَ لَكَ) فقال له مسروق : إن ناسا يقرءونها (هِيتَ لَكَ) فقال : دعوني ، فاني أقرأ كما أقرئت أحبّ إليّ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال (هَيْتَ لَكَ) بنصب الهاء والتاء وبلا همز .

وذكر أبوعبيدة معمر بن المثنى ، أن العرب لاتثني (هَيتَ لَكَ) ولا تجمع ولا تؤنث ، وأنها تصوّره في كلّ حال ، وإنما يتبين العدد بما بعد ، وكذلك التأنيث والتذكير ، وقال : تقول للواحد : هيت لك ، وللاثنين : هيت لكما ، وللجمع : هيت لكم ، وللنساء : هيت لكن .

وقوله (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) يقول جلّ ثناؤه : قال يوسف إذ دعته المرأة إلى نفسها ، وقالت له : هلمّ إليّ : أعتصم بالله من الذي تدعونني إليه ، وأستجير به منه .

وقوله (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) يقول : إن صاحبك وزوجك سيدي .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي) قال : سيدي .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح (إِنَّهُ رَبِّي) قال : سيدي .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) قال : سيدي ، يعني : زوج المرأة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي) يعني : إطفير ، يقول : إنه سيدي .

وقوله (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) يقول : أحسن منزلتي ، وأكرمني وائتمنني فلا أخونه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) أمنني على بيته وأهله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) فلا أخونه في أهله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) قال : يريد يوسف سيده زوج المرأة .

وقوله (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يقول : إنه لايدرك البقاء ، ولا ينجح مَن ظلم ، ففعل ما ليس له فعله ، وهذا الذى تدعونى إليه من الفجور ظلم وخيانة لسيدى الذى ائتمننى على منزله .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) قال : هذا الذى تدعونى إليه ظلم ، ولا يفلح من عمل به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

ﷺ ذُكر أن امرأة العزيز لما همّت بيوسف ، وأرادت مراودته ، جعلت تذكر له محاسن نفسه ، وتشوّقه إلى نفسها .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : قالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك ، قال : هو أوّل ما ينتثر من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن وجهك ، قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطمعته ، فهمت به وهمّ بها ، فدخلا البيت ، وغلقت الأبواب ، وذهب ليحلّ سراويله ، فإذا هو بصورة يعقوب قائما فى البيت قد عضّ على أصبعه يقول : يا يوسف تواقعها ، فإنما مَثَلُكَ ما لم تواقعها مثل الطير فى جوّ السماء لايطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ووقع إلى الأرض ، لايستطيع أن يدفع عن نفسه ؛ ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لايُعمل عليه ، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه لايستطيع أن يدفع عن نفسه ، فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتدّ ، فأدركته ، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه ، فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط ، وطرحه يوسف ، واشتدّ نحو الباب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أكبت عليه ، يعنى المرأة تطمعه مرّة ، وتخيفه أخرى ، وتدعوه إلى لذّة من حاجة الرجال فى جمالها وحسنها ومُلكها ، وهو شاب مستقبل يجد من شبق الرجال ما يجد الرجل حتى رقّ لها مما يرى من كلفها به ، ولم يتخوّف منها حتى همّ بها وهمت به ، حتى خلَوَا فى بعض بيوته . ومعنى الهمّ بالشىء فى كلام العرب : حديث المرء نفسه بمواقعته ، مالم يواقع .

فأما ما كان من همّ يوسف بالمرأة وهمها به ، فإن أهل العلم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره :

وذلك ما حدثنا أبو كريب وسفيان بن وكيع ، وسهل بن موسى الرازى ، قالوا : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهِمْيان ، وجلس منها مجلس الخاتن ، لفظ الحديث لأبى كُريب .

حدثنا أبو كريب ، وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عيينة ، قال : سمع عبيد الله بن أبى يزيد ابن عباس فى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : جلس منها مجلس الخاتن ، وحلّ الهِمْيان .

حدثنا زياد بن عبد الله الحسانى ، وعمرو بن علىّ ، والحسن بن محمد ، قالوا : ثنا سفيان بن عيينة ،

عن عبد الله بن أبي يزيد ، قال : سمعت ابن عباس سئل : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : حل الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثني زياد بن عبد الله ، قال : ثنا محمد بن أبي عديّ ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجليها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : استلقت له ، وحلّ ثيابه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) ما بلغ ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجليها ، وحلّ ثيابه ، أو ثيابها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقت على قفاها ، وقعد بين رجليها لينزع ثيابه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سئل ابن عباس ، عن قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، يعني السراويل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الأعمش ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : حلّ السراويل حتى التبان ، واستلقت له .

حدثنا زياد بن عبد الله الحساني ، قال : ثنا مالك بن سعير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : حلّ سراويله ، حتى وقع على التُّبان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، قال : ثني القاسم بن أبي بزة (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : أما همّها به ، فاستلقت له ، وأما همه بها : فإنه قعد بين رجليها ، ونزع ثيابه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثني حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبدالله بن أبي مليكة ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجليها ينزع ثيابه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا يحيى بن اليمان ، عن سفيان ، عن عليّ بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير وعكرمة ، قالا : حلّ السراويل ، وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : استلقت ، وحلّ ثيابه حتى بلغ التبان .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : أطلق تكة سراويله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، قال : شهدت ابن عباس سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبيّ ؟ قيل : إن أهل العلم اختلفوا فى ذلك ، فقال بعضهم : كان ممن ابتلى من الأنبياء بخطيئة ، فإنما ابتلاه الله بها ، ليكون من الله عزّ وجلّ على وَجَل إذا ذكرها ، فيجدّ فى طاعته إشفاقا منها ، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته .

وقال آخرون : بل ابتلاهم الله بذلك ليعرّفهم موضع نعمته عليهم ، بصفحه عنهم ، وتركه عقوبته عليه فى الآخرة .

وقال آخرون : بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب فى رجاء رحمة الله ، وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا .

وأما آخرون ، ممن خالف أقوال السلف ، وتأوّلوا القرآن بآرائهم ، فإنهم قالوا فى ذلك أقوالا مختلفة ، فقال بعضهم : معناه : ولقد همّت المرأة بيوسف ، وهمّ بها يوسف أن يضربها ، أو ينالها بمكروه لهمها به مما أرادته من المكروه ، لولا أن يوسف رأى برهان ربه ، وكفه ذلك عما همّ به من أذاها ، لأنها ارتدعت من قِبَل نفسها . قالوا : والشاهد على صحة ذلك قوله (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ) قالوا : فالسوء : هو ما كان همّ به من أذاها ، وهو غير الفحشاء .

وقال آخرون منهم : معنى الكلام : ولقد همت به ، فتناهى الخبر عنها ، ثم ابتدئ الخبر عن يوسف ، فقيل : وهمّ بها يوسف ، لولا أن رأى برهان ربه ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن يوسف لم يهمّ بها ، وأن الله إنما أخبر أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهمّ بها ، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهمّ بها ، كما قيل (وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلاَّ قَلِيلاً) . ويفسد هذين القولين أن العرب لاتقدم جواب « لولا » قبلها ، لاتقول : لقد قمت لولا زيد ، وهى تريد : لولا زيد لقد قمت ، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين عنهم يؤخذ تأويله .

وقال آخرون منهم : بل قد همّت المرأة بيوسف ، وهمّ يوسف بالمرأة ، غير أن همهما كان تمثيلا منهما بين الفعل والترك ، لاعزما ولا إرادة ، قالوا : ولا حرج فى حديث النفس ، ولا فى ذكر القلب إذا لم يكن معهما عزم ولا فعل . وأما البرهان الذى رآه يوسف ، فترك من أجله مواقعة الخطيئة ، فإن أهل العلم مختلفون فيه ، فقال بعضهم : نودى بالنهى عن مواقعة الخطيئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : نودى : يا يوسف أتزنى ، فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ، فلا ريش له .

قال : ثنا ابن عيينة . عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قال : لم يتعظ على النداء حتى رأى برهان ربه ، قال : تمثال صورة وجه أبيه ، قال سفيان : عاضًا على أصبعه ، فقال : يا يوسف تزنى ، فتكون كالطير ذهب ريشه ؟

حدثني زياد بن عبد الله الحسانى ، قال : ثنى محمد بن أبي عدىّ ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة . قال : قال ابن عباس : نودى : يا ابن يعقوب لاتكن كالطائر له ريش ، فإذا زنى ذهب ريشه . أوقعد لاريش له . قال : فلم يتعظ على النداء ، فلم يزد على هذا .

قال ابن جريج : وحدثني غير واحد ، أنه رأى أباه عاضا على أصبعه .

حدثني أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نافع عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة . قال : قال ابن عباس (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : نودى فلم يسمع ، فقيل له : يا ابن يعقوب تريد أن تزنى ، فتكون كالطير نُتِف فلا ريش له .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن طلحة ، عن عمرو الحضرمىّ ، عن ابن أبي مليكة ، قال : بلغنى أن يوسف لما جلس بين رجلى المرأة ، فهو يحلّ هميانه نودى : يا يوسف بن يعقوب لا تزن ، فإن الطير إذا زنى تناثر ريشه فأعرض . ثم نودى فأعرض . فتمثل له يعقوب عاضا على أصبعه ، فقام .

حدثني المثنى . قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس . قال : نودى : يا ابن يعقوب لاتكن كالطير إذا زنى ذهب ريشه ، وبقى لاريش له ، فلم يتعظ [1] على النداء ، ففزع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودى : يا ابن يعقوب لاتكوننّ كالطائر له ريش ، فإذا زنى ذهب ريشه ، قال : أو قعد لاريش له ، فلم يتعظ على النداء شيئا ، حتى رأى برهان ربه ، ففرق ففرّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودى : يا ابن يعقوب أتزنى ، فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير فلا ريش له .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى نافع بن يزيد ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة قال : نودى يوسف فقيل : أنت مكتوب فى الأنبياء تعمل عمل السفهاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : نودى يوسف بن يعقوب تزنى ، فتكون كالطير نتف فلا ريش له .

وقال آخرون : البرهان الذى رأى يوسف فكفّ عن مواقعة الخطيئة من أجله : صورة يعقوب عليهما السلام يتوعّده .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى الدر المنثور (٤ : ١٤) من رواية للقاسم بن أبي بزة : « فلم يعرض للنداء » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العَنْقَزيّ ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة أو تمثال وجه يعقوب عاضًّا على أصبعه ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن العَنْقزى ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب ، فضرب في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال: رأى تمثال وجه أبيه قائلا[١] بكفه هكذا، وبسط كفه، فخرجت شهوته من أنامله.

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبي ، عن سفيان . عن أبي حصين . عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مُثِّل له يعقوب عاضا على أصابعه . فضرب صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج . عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، في قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة يعقوب واضعا أنملته على فيه يتوعده ، ففرّ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدّث ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) قال : حين رأى يعقوب في سقف البيت ، قال : فنزعت شهوته التي كان يجدها حتى خرج يسعى إلى باب البيت . فتبعته المرأة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبي . عن قرة بن خالد السدوسي . عن الحسن ، قال : زعموا ـ والله أعلم أن سقف البيت انفرج . فرأى يعقوب عاضا على أصابعه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال يعقوب عاضا على أصبعه يقول : يوسف . يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو العنقزى ، قال : أخبرنا سفيان الثورى ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه يعقوب ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عليّ بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، قال : رأى طورة فيها وجه يعقوب عاضا على أصابعه ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله ، فكلّ ولد يعقوب ولد له اثنا عشر رجلا إلا يوسف ، فإنه نقص بتلك الشهوة ، ولم يولد له غير أحد عشر.

(١) قائلا : محركا يده مشيرا بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، أن حميد ابن عبد الرحمن أخبره أن البرهان الذى رأى يوسفُ يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عيسى بن المنذر ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا يونس بن يزيد الإيلي ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : مثل له يعقوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته حتى رأى صورة يعقوب فى الجدار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (لَوْلا أن رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مُثِّل له يعقوب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : نودى : يا ابن يعقوب ، لاتكونَنَّ كالطير له ريش ، فإذا زنى قعد ليس له ريش ، فلم يعرض للنداء وقعد ، فرفع رأسه ، فرأى وجه يعقوب عاضًا على أصبعه ، فقام مرعوبا استحياء من الله تعالى ذكره ، فذلك قول الله سبحانه وتعالى : (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) وجه يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة ، قال : مثل له يعقوب عاضًا على أصابعه .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نضر بن عربيّ ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : مثل له يعقوب ، فدفع فى صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن عليّ بن بذيمة ، قال : كان يولد لكلّ رجل منهم اثنا عشر ابنا إلا يوسف ، ولد له أحد عشر من أجل ماخرج من شهوته .

حدثني يونس ، قال أخبرنا : ابن وهب ، قال : قال أبوشريح : سمعت عبيد الله بن أبي جعفر يقول : بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بنانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن محمد الخراسانيّ ، قال : سألت محمد بن سيرين ، عن قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب عاضّا على أصابعه يقول : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، اسمك في الأنبياء ، وتعمل عمل السفهاء ؟

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى يعقوب عاضّا على أصبعه يقول : يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة : رأى صورة يعقوب ، فقال : يا يوسف تعمل عمل الفجار ، وأنت مكتوب في الأنبياء ؟ فاستحيا منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) رأى آية من آيات ربه ، حجزه الله بها عن معصيته ؛ ذُكر لنا أنه مُثِّلَ له يعقوب حتى كلمه ، فعصمه الله ونزع كلّ شهوة كانت في مفاصله .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه مثل له يعقوب وهو عاضّ على أصبع من أصابعه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي سالم ، عن أبي صالح ، قال : رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضا على إصبعه يقول : يا يوسف ، يا يوسف ، يعني قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، ويونس عن الحسن ، في قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضا على أصبعه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي سالم ، عن أبي صالح مثله ، وقال عاضا على أصبعه يقول : يوسف ، يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : نظر يوسف إلى صورة يعقوب عاضا على أصبعه يقول : يا يوسف ، فذاك حيث كفّ ، وقام فاندفع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم وأبي حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضا على أصابعه ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من بين أنامله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه أبيه ، فخرجت الشهوة من أنامله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : تمثال صورة يعقوب في سقف البيت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : رأى يعقوب عاضا على يده .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّه) قال : يعقوب ضرب بيده على صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّه) آية من ربه . يزعمون أنه مثل له يعقوب ، فاستحيا.

وقال آخرون : بل البرهان الذى رأى يوسف ما أوعد الله عزّ وجلّ على الزنا أهله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظى ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت ، فإذا كتاب فى حائط البيت (لاتَقْرَبُوا الزّنا إنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتا وَساءَ سَبِيلاً) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مودود ، عن محمد بن كعب ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين همّ ، فرأى كتابا فى حائط البيت (لاتَقْرَبُوا الزّنا إنَّهُ كانَ فَاحِشَةً وَمَقْتا وَساءَ سَبِيلاً) .

قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّه) قال : لولا ما رأى فى القرآن من تعظيم الزنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى نافع بن يزيد ، عن أبي صخر ، قال : سمعت القرظى يقول فى البرهان الذى رأى يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله (إنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ) . . . الآية ، وقوله (وَما تَكُونُ فِي شأنٍ) . . . الآية ، وقوله (أفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) .

قال نافع : سمعت أبا هلال يقول مثل قول القُرَظِيّ ، وزاد آية رابعة (وَلا تَقْرَبُوا الزّنا) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّه) فقال : ماحرّم الله عليه من الزنا .

وقال آخرون : بل رأى تمثال الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّه) يقول : آيات ربه أُرِيَ تمثال الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان بعض أهل العلم فيما بلغنى يقول :

البرهان الذى رأى يوسف ، فصرف عنه السوء والفحشاء : يعقوب عاضًا على أصبعه ، فلما رآه انكشف هاربا . ويقول بعضهم : إنما هو خيال إطفير سيده حين دنا من الباب ، وذلك أنه لما هرب منها واتبعته ، ألفياه لدى الباب .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أخبر عن همّ يوسف وامرأة العزيز كلّ واحد منهما بصاحبه ، لولا أن رأى يوسف برهان ربه ، وذلك آية من آيات الله ، زجرته عن ركوب ماهمّ به يوسف من الفاحشة ، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب ، وجائز أن تكون صورة الملك ، وجائز أن يكون الوعيد فى الآيات التى ذكرها الله فى القرآن على الزنا ، ولا حجة للعذر قاطعة بأىّ ذلك من أىّ .

والصواب أن يقال فى ذلك ، ماقاله الله تبارك وتعالى ، والإيمان به ، وترك ماعدا ذلك إلى عالمه .

وقوله (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ) يقول تعالى ذكره : كما أرينا يوسف برهاننا على الزجر عما همّ به من الفاحشة ، كذلك نسبب له فى كل ماعرض له من همّ يهمّ به فيما لايرضاه مايزجره ويدفعه عنه ، كى نصرف عنه ركوب ماحرّمنا عليه ، وإتيان الزنا ، لنطهره من دنس ذلك .

وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ) اختلف القرّاء فى قراءة ذلك . فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ) بفتح اللام من المخلَصين ، بتأويل : إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا ، واخترناهم لنبوّتنا ورسالتنا . وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلِصِينَ) بكسر اللام ، بمعنى : أن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا ، فلم يشركوا بنا شيئا ، ولم يعبدوا شيئا غيرنا .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القرّاء ، وهما متفقتا المعنى ، وذلك أن من أخلصه الله لنفسه ، فاختاره ، فهو مخلص لله التوحيد والعبادة ، ومن أخلص توحيد الله وعبادته ، فلم يشرك بالله شيئا ، فهو ممن أخلصه الله ، فبأيّهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

يقول جلّ ثناؤه : واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت . أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه ، فزجره عنها . وأما المرأة فطلبها يوسف لتقضى حاجتها منه التى راودته عليها ، فأدركته فتعلقت بقميصه ، فجذبته إليها مانعة له من الخروج من الباب ، فقدّته من دبر ، يعنى : شقته من خلف لامن قدّام ، لأن يوسف كان هو الهارب ، وكانت هى الطالبة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ) قال : استبق هو والمرأة الباب (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى برهان ربه : انكشف عنها هاربا ، واتبعته ، فأخذت قميصه من دبر فشقته عليه .

وقوله (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) يقول جل ثناؤه : وصادفا سيدها وهو زوج المرأة لدى الباب يعني : عند الباب .

كالذي حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا) قال : سيدها : زوجها (لَدَى الْبَابِ) قال : عند الباب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أشعث ، عن الحسن ، عن زيد بن ثابت ، قال : السيد : الزوج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) أي عند الباب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) قال : جالسا عند الباب وابن عمها معه » فلما رأته (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) إنه راودني عن نفسي ، فدفعته عن نفسي ، فشققت قميصه ؛ قال يوسف : بل هي راودتني عن نفسي ، وفررت منها فأدركتني ، فشقت قميصي ، فقال ابن عمها : تبيان هذا في القميص ، فإن كان القميص قُدَّ من قبل ، فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قُدَّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فأتى بالقميص ، فوجده قد من دبر (قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) إطفير قائما على باب البيت ، (فقالت) وهابته (مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ولطخته مكانها بالسيئة فرقا من أن يتهمها صاحبها على القبيح ، فقال هو ، وصدقه الحديث (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي) .

وقوله (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز لزوجها لما ألفياه عند الباب ، فخافت أن يتهمها بالفجور : ما ثواب رجل أراد بامرأتك الزنا إلا أن يسجن في السجن أو إلا عذاب أليم ، يقول : موجع ، وإنما قال (إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) لأن قوله (إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ) بمعنى إلا السجن ، فعطف العذاب عليه ، وذلك أن « أن » وما عملت فيه بمنزلة الاسم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لما قذفته امرأة العزيز بما قذفته من إرادته الفاحشة منها مكذّبا لها فيما قذفته به ، ودفعا لما نُسب إليه ما أنا راودتها عن نفسها ، بل هي راودتني عن نفسي ، وقد قيل : إن يوسف لم يرد ذكر ذلك لو لم تقذفه عند سيدها بما قذفته به .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف الشيباني ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى (قالَتْ ماجَزَاءُ مَنْ أَرادَ بأَهْلِكَ سُوءًا) . . . الآية ، قال : فغضب فقال : هي راودتني عن نفسي .

وأما قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها) فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد ، فقال بعضهم : كان صبيا في المهد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة في المهد وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جُريج ، وعيسى بن مريم عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي بكر الهُذَلي ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن أبي هريرة ، قال : عيسى ، وصاحب يوسف ، وصاحب جُريج ، يعني تكلموا في المهد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها) قال : صبيّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها) قال : كان في المهد صبيا .

حدثني محمد بن عبيد المحاربيّ ، قال : ثنا أيوب بن جابر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها) قال : صبيّ .

حدثني يحيي بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان صبيا في مهده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن هلال بن يساف (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : صبيّ في المهد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : صبيّ أنطقه الله ، ويقال : ذو رأى برأيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرني عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ ، فذكر فِيهِمْ شاهِدَ يُوسُفَ » .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) يزعمون أنه كان صبيا في الدار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : كان صبيا في المهد .

وقال آخرون : كان رجلا ذا لحية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان ذا لحية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : كان من خاصة الملك .

وبه قال : حدثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، سمع عكرمة يقول (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : ما كان بصبيّ ، ولكن كان رجلا حكيما .

حدثنا سوّار بن عبد الله ، قال : ثنا عبد الملك بن الصباح ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، وذكر عنده (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) فقالوا : كان صبيا ، فقال : إنه ليس بصبيّ ولكنه رجل حكيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : كان رجلا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : رجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : رجل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : رجل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : ذو لحية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال ابن عمها كان الشاهد من أهلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : ذو لحية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان ذا لحية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : كان من خاصة الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال رجل حكيم كان من أهلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : رجل حكيم من أهلها .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : كان رجلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن ، في قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال رجل له رأي أشار برأيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : يقال : إنما كان الشاهد مشيرا رجلا من أهل إطفير ، وكان يستعين برأيه ، إلا أنه قال : أشهد إن كان قميصه قدّ من قبل لقد صدقت ، وهو من الكاذبين .

وقيل : معنى قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ) : حكم حاكم .

حدثت بذلك عن الفراء ، عن معلى بن هلال ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد .

وقال آخرون : إنما عنى بالشاهد : القميص المقدود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) قال : قميصه مشقوق من دبر ، فتلك الشهادة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قميصه مشقوق من دُبُر ، فتلك الشهادة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) لم يكن من الإنس .

قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : كان من أمر الله ، ولم يكن إنسيا .

والصواب من القول فى ذلك ، قول من قال : كان صبيا فى المهد للخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر من تكلم فى المهد ، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف . فأما ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود فما لامعنى له ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذى شهد بذلك أنه من أهل المرأة فقال (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) ولا يقال للقميص ، هو من أهل الرجل ولا المرأة .

وقوله (إنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكاذِبِينَ) لأن المطلوب إذا كان هاربا فإنما يؤتى من قبل دبره ، فكان معلوما أن الشقّ لو كان من قُبُل لم يكن هاربا مطلوبا ، ولكن كان يكون طالبا مدفوعا ، وكان يكون ذلك شهادة على كذبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال : أشهد إن كان قميصه قُدَّ من قُبُل لقد صدقت وهو من الكاذبين ، وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلا (وَإنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) وذلك أن الرجل لايأتى المرأة من دبر ، وقال : إنه لاينبغى أن يكون فى الحقّ إلا ذاك . فلما رأى إطفير قميصه قُدَّ من دبر عرف أنه من كيدها ، فقال (إنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال : يعنى الشاهد من أهلها : القميص يقضى بينهما (إنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكاذِبِينَ . وَإنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) وإنما حذفت أنّ التى تتلقى بها الشهادة ، لأنه ذهب بالشهادة إلى معنى القول ، كأنه قال : وقال قائل من أهلها : إن كان قميصه كما قيل (يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ) لأنه ذهب بالوصية إلى القول .

وقوله (فَلَمَّا رأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ) خبر عن زوج المرأة ، وهو القائل لها : إن هذا الفعل من كيدكنّ : أى صنيعكنّ ، يعنى من صنيع النساء ، إن كيدكنّ عظيم . وقيل : إنه خبر عن الشاهد أنه القائل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

وهذا فيما ذكر عن ابن عباس ، خبر من الله تعالى ذكره عن قيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف ، يعنى بقوله (يُوسُفُ) يا يوسف (أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا) يقول : أعرض عن ذكر ما كان منها إليك فيما راودتك عليه فلا تذكره لأحد .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا) قال : لاتذكره (وَاسْتَغْفِرِي) أنت زوجك ، يقول : سليه أن لايعاقبك على ذنبك الذى أذنبت ، وأن يصفح عنه فيستره عليك (إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) ، يقول : إنك كنت من المذنبين فى مراودة يوسف عن نفسه ، يقال منه : خطئ فى الخطيئة يَخْطَأُ خَطَأً وخِطْأً ، كما قال جل ثناؤه (إِنَّهُ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا) والخطأ فى الأمر ، وحكى فى الصواب أيضا الصَّوْب [1] ، والصوب كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنَّمَا خَطَئِى وَصَوْبِى عَلَىَّ وإِنَّ ما أَهْلَكْتُ مالُ [2]

وينشد بيت أمية :

عِبادُكَ يَخْطِئُونَ وأَنْتَ رَبٌّ بِكَفَّيْكَ المَنايا والحُتُومُ [3]

من خَطِئَ الرجل . وقيل (إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) لم يقل : من الخاطئات ، لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر ، عن النساء ، وإنما قصد به الخبر عمن يفعل ذلك فيخطئ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

---

(١) إن لم يكن مكررا فهو مبتدأ خبره كما قال الخ .

(٢) البيت لأوس بن غلفاء (اللسان : صوب) وقبله بيت آخر :

أَلا قالَتْ أُمامَةُ يَوْمَ غُولٍ تُقَطَّعَ بابْنِ غَلْفاءَ الحِبالُ

قوله « مال » : بالرفع ، أى إن الذى أهلكت إنما هو مال . يريد : إن هلك المال فلا ضير ، فعرضى موفور لم يثلم . ورواية اللسان : « دعينى » فى موضع : « لعمرك » .

(٣) البيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى (اللسان : خطئ) والشطر الثانى فيه « كريم لاتليق بك الذموم » . وفى اللسان : (حتم) :

حَناَنَيْ رَبَّنا وَلَهُ عَنَوْنا بِكَفَّيْهِ المَنايا والحُتُومُ

وقد أورده صاحب الصحاح كرواية المؤلف والمنايا : جمع منية ، وهى الموت . والحتوم : جمع حتم ، بمعنى القضاء .

وفى (اللسان : ذمم) لأمية بن أبى الصلت :

سَلامَكَ رَبَّنا فى كُلِّ فَجْرٍ بَرِيئاً ما تَعَنَّتْكَ الذُّمُومُ

قال : والذموم : العيوب . وتعنته : قصدته أو لحقته .

﴿ يقول تعالى ذكره : وتحدّث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز فى مدينة مصر ، وشاع من أمرهما فيها ما كان ، فلم ينكتم . وقلن: امرأة العزيز تراود فتاها : عبدها عن نفسه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وشاع الحديث فى القرية ، وتحدّث النساء بأمره وأمرها . وقلن (امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فتاها عَنْ نَفْسِهِ) أى عبدها . وأما العزيز فإنه الملك فى كلام العرب ؛ ومنه قول أبى دواد :

دُرَّةٌ غاصَ عَلَيْها تاجِرٌ جُلِيَتْ عِنْدَ عَزِيزٍ يَوْمَ طَلّ [١]

يعنى بالعزيز : الملك ؛ وهو من العزّة .

وقوله (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) يقول : قد وصل حبّ يوسف إلى شغاف قلبها ، فدخل تحته حتى غلب على قلبها ، وشغاف القلب : حجابه وغلافه الذى هو فيه ، وإياه عنى النابغة الذبيانى بقوله :

وَقَدْ حالَ هَمٌّ دُونَ ذلكَ داخِلٌ دُخُولَ شُغافٍ تَبْتَغِيهِ الأَصابِعُ [٢]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول ، فى قوله (شَغَفَها حُبًّا) قال : دخل حبه تحت الشغاف .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) قال : دخل حبه فى شغافها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) قال : دخل حبه فى شغافها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) قال : كان حبه فى شغافها .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن بن محمد ، عن شبابة .

---

(١) البيت لأبى دواد الإيادى . جعله المؤلف شاهدا على أن العزيز بمعنى الملك ، والعزيز فى الأصل : وصف بمعنى القوى ذى المنعة ، ثم قيل الملك مجازا ، ولا مانع من المجاز ما وجدت العلاقة والقرينة . ولم أجد العزيز بمعنى الملك فى اللسان ، ولا فى الأساس .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى (اللسان : شغف) . والرواية فيه :

وقدْ حالَ هَمٌّ دونَ ذلكَ وَالِجٌ مَكانَ الشَّغافِ تَبْتَغِيهِ الأَصابِعُ

والشغاف ، بالضم : داء يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن ، قال النابغة . . . البيت يعنى أصابع الأطباء . ويروى : « ولوج الشغاف » . والشغاف ، بالفتح : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب . ورواية البيت فى مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى صفحة ١٥٦ :

وقد حالَ هَمٌّ دونَ ذلكَ شاغِلٌ مكانَ الشَّغافِ تَبْتَغِيهِ الأَصابِعُ

بفتح الشين من الشغاف .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمى ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) يقول : علقها حبا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس . قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : غلبها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه عن أيوب بن عائذ الطائيّ عن الشعبي (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : المشغوف : المحبّ ، والمشغوف : المجنون .

وبه قال : حدثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن أبي رجاء والحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : أحدهما قد بطنها حبا ، وقال الآخر : قد صدقها حبا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد بطنها حبا . قال يعقوب : قال أبو بشر : أهل المدينة يقولون : قد بطنها حبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن . قال : سمعته يقول في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطنها حبا وأهل المدينة يقولون ذلك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن قرة ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد بطن بها حبا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطنها حبه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطن بها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : استبطنها حبها إياه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) أى قد علقها .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد علقها حبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هو الحبّ اللازق بالقلب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) يقول : هلكت عليه حبا ، والشَّغاف : شَغاف القلب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : والشغاف : جلدة على القلب يقال لها : لسان القلب ، يقول : دخل الحبّ الجلد حتى أصاب القلب .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار بالغين (قَدْ شَغَفَهَا) على معنى ما وصفت من التأويل . وقرأ ذلك أبو رجاء (قَدْ شَعَفَهَا) بالعين .

حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا أبوقطن ، قال : ثنا أبوالأشهب ، عن أبى رجاء (قَدْ شَعَفَهَا) .

قال : ثنا خلف ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى الأشهب ، أو عوف عن أبى رجاء (قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا) بالعين .

قال : ثنا خلف ، قال : ثنا محبوب ، قال : قرأه عوف (قد شَعَفَهَا) .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أسيد ، عن الأعرج (قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا) وقال : شغفها إذا كان هو يحبها ، ووجّه هؤلاء معنى الكلام إلى أن الحبّ قد عمها .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : هو من قول القائل : قد شُعِف بها ، كأنه ذهب بها كلّ مذهب من شعف الجبال ، وهى رءوسها .

ورُوى عن إبراهيم النخعى أنه قال : الشغف : شغف الحبّ . والشَّعَف : شَعَف الدابة حين تذعر .

حدثنى بذلك الحارث ، عن القاسم ، أنه قال : يُروى ذلك عن أبى عوانة ، عن مغيرة عنه .

قال الحارث : قال القاسم : يذهب إبراهيم إلى أنّ أصل الشعف : هو الذعر . قال : وكذلك هو كما قال إبراهيم فى الأصل ، إلا أن العرب ربما استعارت الكلمة فوضعتها فى غير موضعها ؛ قال امرؤ القيس :

أَتَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَها ... كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجلُ الطَّالى [1]

---

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٣٩) والرواية فيه : « أيقتلنى وقد شغفت » بالياء فى يقتلنى ، وبالغين فى « شغفت » ، ومعناه : بلغ حبى شغاف قلبها وهو حجابه . والمهنوءة : الناقة التى تهنأ ، أى تطلى بالقطران . يقول : بلغ حبى لها شغاف قلبها ، كما بلغ القطران داخل الجرب فى الناقة المطلية به ، وهى تستلذه حتى يكاد يغشى عليها . ويروى شعفت بالعين ، والشعف : إحراق الحب القلب ، مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هنىء بالقطران يجد له لذة مع حرقة . وقبل البيت أبيات ، قال :

وَصِرْنا إلى الحُسْنَى وَرَقَّ كَلامُنا ... وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أىَّ إذْلالِ
فأصْبَحْتُ مَعْشُوقا وأصْبَحَ بَعْلُها ... عَلَيْهِ القَتامُ سَيِّئَ الظَّنِّ والبالِ
يَغِطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِناقُهُ ... لِيَقْتُلَنِى والمَرْءُ لَيسَ بقَتَّالِ
أيَقْتُلُنِى والمَشْرَفِىُّ مُضاجِعِى ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنْيابِ أغْوالِ
ولَيسَ بذى رُمْحٍ فَيَطْعَنُنِى بهِ ... وليسَ بذى سَيفٍ وليسَ بنَبَّالِ
أيَقْتُلُنِى وقَدْ شَغَفْتُ فُؤادَها ... كما شَغَفَ المَهْنوءَةَ الرَّجلُ الطَّالى

(وفى اللسان : شغف) : « لتقتلنى » . ونظن أنه تحريف . قال : يقول : أحرقت فؤادها بحبى ، كما أحرق الطالى هذه المهنوءة ، ففؤادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة . وقوله تعالى : « قد شغفها حبا » : قرئت بالعين وبالغين ... فن قرأها بالعين المهملة فمعناه : تيمها . ومن قرأها بالغين المعجمة ، فمعناه أصاب شغافها . وقال : ومعنى شعف بفلان : إذا ارتفع حبه إلى أعلى المواضع من قلبه قال : وهذا مذهب الفراء . وقال غيره : الشعف : الذعر . فالمعنى : هو مذعور خائف قلق . والشعف : شعف الدابة حين تذعر ، ثم نقله العرب من الدواب إلى الناس .

قال : وشعف المرأة من الحبّ ، وشعف المهنوءة من الذُّعر ، فشبه لوعة الحبّ وجواه بذلك .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : إن الشَّغْف والشَّعَف مختلفان، والشعْف فى البغض ، والشغْف فى الحبّ . وهذا الذى قاله ابن زيد لامعنى له ، لأن الشعْف فى كلام العرب بمعنى عموم الحبّ أشهر من أن يجهله ذو علم بكلامهم .

والصواب فى ذلك عندنا من القراءة (قَدْ شَغَفَهَا) بالغين لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) قلن: إنا لنرى امرأة العزيز فى مراودتها فتاها عن نفسه ، وغلبة حبه عليها لفى خطأ من الفعل ، وجور عن قصد السبيل مبين ، لمن تأمله ، وعلمه أنه ضلال وخطأ غير صواب ، ولا سداد ، وإنما كان قيلهنّ ماقلن من ذلك ، وتحدّثهنّ بما تحدّثن به من شأنها وشأن يوسف مكرا منهنّ فيما ذكر لتريهنّ يوسف .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره: فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتى قلن فى المدينة ماذكره الله عزّ وجلّ عنهنّ ، وكان مكرهنّ ماحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) يقول : بقولهنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أظهر النساء ذلك من قولهنّ : تراود عبدها مكرا بها لتريهنّ يوسف، وكان يوصف لهنّ بحسنه وجماله (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) : أى بحديثهنّ ، أرسلت إليهنّ: يقول: أرسلت إلى النسوة اللاتى تحدّثن بشأنها وشأن يوسف (وَأَعْتَدَتْ) أفعلت من العتاد ، وهو العدّة ، ومعناه : أعدّت لهنّ متكئا يعنى مجلسا للطعام، وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد ، وهو مفتعل من قول القائل : اتكأت ، يقال ألق له مُتَّكَئا ، يعنى : ما يتكئُ عليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن اليمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً) قال : طعاما وشرابا ومتكئا .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وأعتدت لهن متكئا) قال : يتكئن عليه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : (وأعتدت لهن متكئا) قال : مجلسا .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن أنه كان يقرأ (متكأ) ويقول : هو المجلس والطعام .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد : من قرأ (متكئا) خفيفة ، يعنى طعاما . ومن قرأ (متكأ) يعنى المتكأ ، فهذا الذى ذكرنا عمن ذكرنا عنه من تأويل هذه الكلمة ، هو معنى الكلمة ، وتأويل المتكأ ، وأنها أعدّت للنسوة مجلسا فيه متكأ وطعام وشراب وأترجّ. ثم فسّر بعضهم المتكأ بأنه الطعام على وجه الخبر ، عن الذى أعدّ من أجله المتكأ ، وبعضهم عن الخبر عن الأترجّ ، إذ كان فى الكلام ، وآتت كلّ واحدة منهن سكينا ، لأن السكين إنما تعدّ للأترجّ ، وما أشبهه مما يقطع به .

وبعضهم على البزماورد[١] ، حدثنى هارون بن حاتم المقرئ ، قال : ثنا هشيم بن الزبرقان ، عن أبى روق عن الضحاك ، فى قوله (وأعتدت لهن متكئا) قال : البزماورد .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : المتكأ : هو النمرق يتكأ عليه ، وقال : زعم قوم أنه الأترجّ ، قال : وهذا أبطل باطل فى الأرض ؛ ولكن عسى أن يكون مع المتكإ أترج يأكلونه. وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام ، قول أبى عبيدة ، ثم قال : والفقهاء أعلم بالتأويل منه . ثم قال : ولعله بعض ماذهب من كلام العرب ، فإن الكسائى كان يقول : قد ذهب من كلام العرب شىء كثير انقرض أهله ، والقول فى أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبى عبيدة ، كما قال أبو عبيد : لاشكّ فيه ، غير أن أباعبيدة لم يبعد من الصواب فى هذا القول ، بل القول كما قال من أن من قال للمتكإ هو الأترجّ ، إنما بين المعدّ فى المجلس الذى فيه المتكأ ، والذى من أجله أعطين السكاكين ، لأن السكاكين معلوم أنها لاتعدّ للمتكإ إلا لتخريقه ، ولم يعطين السكاكين لذلك؛ ومما يبين صحة ذلك القول الذى ذكرناه عن ابن عباس، من أن المتكإ هو المجلس .

ثم روى عن مجاهد عنه ، ما حدثنى به سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وأعتدت لهن متكأ ، وآتت كل واحدة منهن سكينا) قال : أعطتهنّ أترجا ، وأعطت كل واحدة منهنّ سكينا ، فبين ابن عباس فى رواية مجاهد هذه ما أعطت النسوة ، وأعرض عن ذكر بيان معنى المتكإ ، إذ كان معلوما معناه .

ذكر من قال فى تأويل المتكإ ما ذكرنا

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وأعتدت لهن متكأ) قال : الترنج .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، قال : حدثت عن ابن عباس أنه كان يقرؤها (متكا) مخففة ، ويقول : هو الأترجّ .

(١) البزماورد : هو الرقاق الملفوف مع اللحم . وقيل : هو الطعام المعروف بلقمة القاضى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وأعتدت لهن متكئا) قال الطعام .

حدثني يعقوب والحسن بن محمد ، قالا : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وأعتدت لهن متكئا) قال : طعاما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا غندر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وأعتدت لهن متكئا) قال : طعاما .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير نحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : من قرأ (متكئا) فهو الطعام ، ومن قرأها (متْكاً) فخففها ، فهو الأترج .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (متكئا) قال : طعاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : من قرأ (متْكاً) خفيفة ، فهو الأترج .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، قال : سمعت بعضهم يقول : الأترج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأعتدت لهن متكئا) : أي طعاما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

قال : ثنا يزيد ، عن أبي رجاء ، عن عكرمة ، في قوله (متكئا) قال : طعاما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأعتدت لهن متكئا) يعني الأترج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وأعتدت لهن متكئا) والمتكأ : الطعام .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وأعتدت لهن متكئا) قال : الطعام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأعتدت لهن متكئا) قال : طعاما .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول

فى قوله (مُتَّكَئا) فهو كلّ شىء يحزّ بالسكين ، قال الله تعالى ذكره مخبرا عن امرأة العزيز ، والنسوة اللاتى تحدّثن بشأنها فى المدينة (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وأعطت كل واحدة من النسوة اللاتى حضرنها سكينا لتقطع به من الطعام ماتقطع به ، وذلك ماذكرت أنها آتتهنّ إما من الأترجّ ، وإما من البزماورد ، أو غير ذلك مما يقطع بالسكين .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) وأترجا يأكلنه .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبوكدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) قال : أعطتهنّ أترجا ، وأعطت كل واحدة منهنّ سكينا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) ليحتززن به من طعامهنّ .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) وأعطتهنّ ترنجا[1] وعسلا ، فكنّ يحززن الترنج بالسكين ، ويأكلن بالعسل ، وفى هذه الكلمة بيان صحة ماقلنا وأخبرنا فى قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئا) وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن إيتاء امرأة العزيز النسوة السكاكين ، وترك ماله آتتهنّ السكاكين ، إذ كان معلوما أن السكاكين لاتدفع إلى من دعى إلى مجلس إلا لقطع ما يؤكل إذا قطع بها ، فاستغنى بفهم السامع بذكر إيتائها صواحباتها السكاكين عن ذكر ماله آتتهنّ ذلك ، فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهنّ المتكأ عن ذكر ما يعتدّ له المتكأ مما يحضر المجالس من الأطعمة والأشربة والفواكه ، وصنوف الالتهاء لفهم السامعين بالمراد من ذلك ، ودلالة قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئا) عليه . فأما نفس المتكأ فهو ما وصفنا خاصة دون غيره .

وقوله (وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) يقول تعالى ذكره : وقالت امرأة العزيز ليوسف (اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) فخرج عليهنّ يوسف (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) يقول جلّ ثناوه : فلما رأين يوسف أعظمنه وأجللنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَكْبَرْنَهُ) : أعظمنه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) الترنج : ثمرة حامضة تشبه الليمون ، ولكنها أكبر ، وفيها استطالة ، ورائحتها قوية ، وقشرها أصفر .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) : أي أعظمنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) ليوسف (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) : عظمنه .

حدثنا إسماعيل بن سيف العجلى ، قال : ثنا علىّ بن عابس ، قال : سمعت السدىّ يقول فى قوله (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) قال : أعظمنه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) فخرج (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ) أعظمنه وبهتن .

حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عبد الصمد بن علىّ الهاشمىّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، فى قوله (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) قال : حضن .

حدثنا علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) يقول : أعظمنه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله . وهذا القول ، أعنى القول الذى رُوِى عن عبد الصمد ، عن أبيه ، عن جده ، فى معنى (أَكْبَرْنَهُ) أنه حِضْن ، إن لم يكن عنى به أنهن حضن من إجلالهن يوسف ، وإعظامهن لما كان الله قسم له من البهاء والجمال ، ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معاينتهن إياه ، فقول لامعنى له ، لأن تأويل ذلك : فلما رأين يوسف أكبرنه . فالهاء التى فى أكبرنه من ذكر يوسف . ولا شكّ أن من المحال أن يَحِضْن يوسف . ولكن الخبر إن كان صحيحا عن ابن عباس على ما رُوِى ، فخليق أن يكون كان معناه فى ذلك أنهن حضن لما أكبرن من حُسن يوسف وجماله فى أنفسهن . ووجدن مايجد النساء من مثل ذلك . وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده فى أكبرن ، بمعنى حضن ، بيتا لاأحسب أن له أصلا ، لأنه ليس بالمعروف عند الرواة ، وذلك :

نَأْتِى النِّساءَ على أطْهارِهِنَّ ولا نَأْتِى النِّساءَ إذا أكْبَرْنَ إكْبارا[1]

وزعم أن معناه : إذا حضن .

---

(١) البيت ورد فى (اللسان : كبر) قال : وأما قوله تعالى : «فلما رأينه أكبرنه» . فأكثر المفسرين يقول : أعظمنه . وروى عن مجاهد أنه قال : أكبرنه : حِضْن . وليس ذلك بالمعروف فى اللغة . وأنشد بعضهم : « نأتى النساء . . . البيت» . قال أبو منصور الأزهرى : وإن صحت هذه اللفظة فى اللغة بمعنى الحيض ، فلها مخرج حسن ، وذلك أن المرأة أول ما تحيض ، فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر ، فقيل لها : أكبرت : أى حاضت ، فدخلت فى حد الكبر ، الموجب عليها الأمر والنهى . وروى عن أبى الهيثم أنه قال : سألت رجلا من طيىء ، فقلت : يا أخا طيىء ، ألك زوجة ؟ قال : لا ، والله ما تزوجت ، وقد وعدت فى ابنة عم لى . قلت : وما سنها ؟ قال : قد أكبرت أو كبرت . قلت : ما أكبرت ؟ قال : حاضت . قال أبو منصور : فلغة الطائى أن إكبار المرأة أول حيضها . إلا أن هاء الكناية فى قوله تعالى : « أكبرنه » تنفى هذا المعنى . فالصحيح أنهن لما رأين يوسف راعهن جماله ، فأعظمنه . وروى الأزهرى بسنده عن ابن عباس فى قوله تعالى : « فلما رأينه أكبرنه » قال : حضن . قال أبو منصور : فان صحت الرواية سلمنا له ، وجعلنا الهاء فى قوله « أكبرنه» هاء وقفة ، لا هاء كناية ، والله أعلم بما أراد .

وقوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم: معناه : أنهن حززن بالسكين فى أيديهن ، وهن يحسبن أنهنّ يقطعن الأترجّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال: ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) حزا حزا بالسكين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : حزا حزا بالسكاكين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : حزّ حزا بالسكين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : جعل النسوة يحززن أيديهنّ : يحسبن أنهن يقطعن الأترجّ .

حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علىّ بن عابس ، قال : سمعت السدىّ يقول : كانت فى أيديهن سكاكين مع الأترجّ . فقطعن أيديهن ، وسالت الدماء ، فقلن : نحن نلومك على حبّ هذا الرجل، ونحن قد قطّعنا أيدينا وسالت الدماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد: جعلن يحززن أيديهن بالسكين، ولا يحسبن إلا أنهن يحززن الترنج ، قد ذهبت عقولهنّ مما رأين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) وحززن أيديهن .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال: ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا ابن كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : جعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترجّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : جعلن يحززن أيديهن ، ولا يشعرن بذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت ليوسف: اخرج عليهنّ ، فخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه ، وغلبت عقولهن عجبا حين رأينه، فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التى معهن ما يعقلن شيئا مما يصنعن (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهن قطعن أيديهن حتى أبنها وهن لايشعرن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قطّعن أيديهن حتى ألقينها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : قطعن أيديهن حتى ألقينها .

* والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عنهن أنهن قطعن أيديهن وهن لا يشعرن لإعظام يوسف ، وجائز أن يكون ذلك كان قطعا بإبانة ، وجائز أن يكون كان قطع حزّ وخدش ، ولا قول في ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عن عبد الله ، مثله .

وبه عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : قسم ليوسف وأمه ثلثُ الحسن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أعطى يوسف وأمه ثلثَ حسن الخلق .

حدثني أحمد بن ثابت ، وعبد الله بن محمد الرازيان ، قالا : ثنا عفان ، قال: أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال « أُعْطِيَ يُوسُفُ وأُمُّهُ شَطْرَ الحُسْنِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: « أُعْطِيَ يُوسُفُ وأُمُّهُ ثُلُثَ حُسْنِ أهْلِ الدُّنْيا ، وأُعْطِيَ النَّاسُ الثُّلُثَيْنِ » أو قال « أُعْطِيَ يُوسُفُ وأُمُّهُ الثُّلُثَيْنِ ، وأُعْطِيَ النَّاسُ الثُّلُثَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد، عن ربيعة الجرشي ، قال : قسم الحسن نصفين ، فأعطى يوسف وأمه سارّة نصف الحسن ، والنصف الآخر بين سائر الخلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي ، قال : قسم الحسن نصفين: فقسم ليوسف وأمه النصف ، والنصف لسائر الناس .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي ، قال : قسم الحسن نصفين ، فجعل ليوسف وسارّة النصف ، وجعل لسائر الخلق نصف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن: أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين .

وقوله (وَقُلْنَ حاشَ لِلّهِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفيين (حاشَ لِلّهِ)

بفتح الشين وحذف الياء . وقرأه بعض البصريين باثبات الياء حاشى لله ، وفيه لغات لم يقرأ بها (حاشَى اللهُ) كما قال الشاعر :

حاشَى أبي ثَوْبانَ إنَّ بهِ ضَنًّا عَنِ المَلْحاةِ والشَّتْمِ (١)

وذُكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بهذه اللغة (وحاشْ للهِ) بتسكين السين والألف يجمع بين الساكنين . وأما القراءة فانما هي باحدى اللغتين الأوليين ، فمن قرأ (حاشَ للهِ) بفتح الشين وإسقاط الياء فانه أراد لغة من قال : حاشى لله ، باثبات الياء، ولكنه حذف الياء لكثرتها على ألسن العرب ، كما حذفت العرب الألف من قولهم : لاأب لغيرك ، ولا أب لشانيك ، وهم يعنون : لاأبا لغيرك ، ولا أبا لشانيك.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يزعم أن لقولهم : حاشى لله ، موضعين فى الكلام : أحدهما : التنزيه ، والآخر : الاستثناء ، وهو فى هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله ، كأنه قيل : معاذ الله .

وأما القول فى قراءة ذلك، فإنه يقال للقارئ الخيار فى قراءته بأىّ القراءتين شاء، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين ، وهو (حاشَ للهِ) و (حاشَى للهِ) لأنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، وما عدا ذلك فلغات لاتجوز القراءة بها ، لأنا لانعلم قارئا قرأ بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير : عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقُلْنَ حاشَ للهِ) قال : معاذ الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (حاشَ للهِ) : معاذ الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح،عن مجاهد (وَقُلْنَ حاشَ للهِ) : معاذ الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حاشَ للهِ) : معاذ الله .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن عمرو ، عن الحسن (حاشَ للهِ) : معاذ الله .

(١) البيت منسوب لسبرة بن عمرو الأسدى (مجاز القرآن لأبى عبيدة) ، ونسبه فى المفضليات والأصمعيات إلى الجميع ، وهو منقذ بن الطماح الأسدى .

ويقال : حاشيته أى استثنيته . وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط : (٥ : ٣٠٠) كذا ينشده ابن عطية وأكثر النحويين ؛ وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر ، وهما من بيتين . قال :

حاشَى أبي ثَوْبانَ إنَّ أبا ثَوْبانَ لَيْسَ بِبَكْمَةٍ فَدْمِ
عَمْرُو بنُ عَبْدِ اللهِ إنَّ بهِ ضَنًّا عَنِ المَلْحاةِ والشَّتْمِ

وأورده صاحب (اللسان : حشا) كما فى رواية المؤلف ، ونسبه لسبرة بن عمرو .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (ما هَـٰذَا بَشَرًا) يقول : قلن ما هذا بشرا ، لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحدا ، فقلن : لو كان من البشر لكان كبعض ما رأينا من صورة البشر ، ولكنه من الملائكة لا من البشر .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ما هَـٰذَا بَشَرًا) : ما هكذا تكون البشر . وبهذه القراءة قرأ عامة قرّاء الأمصار .

وقد حُدثت عن يحيى بن زياد الفراء ، قال : ثني دعامة بن رجاء التيمي ، وكان غرًا عن أبي الحويرث الحنفي أنه قرأ (ما هَـٰذَا بِشِرَىً) : أي ما هذا بمشترى ، يريد بذلك أنهن أنكرن أن يكون مثله مستعبدا يشترى ويباع ، وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع قرّاء الأمصار على خلافها . وقد بيّنا أن ما أجمعت عليه ، فغير جائز خلافها فيه . وأما نصب البشر ، فمن لغة أهل الحجاز إذا أسقطوا الباء من الخبر نصبوه ، فقالوا : ما عمرو قائما . وأما أهل نجد ، فإن من لغتهم رفعه ، يقولون : ما عمرو قائم ؛ ومنه قول بعضهم حيث يقول :

لَشَتَّانَ ما أنْوِى ويَنْوِى بَنُو أبِى	جميعا ، فما هَـٰذَانِ مُسْتَوِيانِ
تَمَنَّوْا لِىَ المَوْتَ الذى يَشْعَبُ الفَتَى	وكُلُّ فَتًى والمَوْتُ يَلْتَقِيانِ (١)

وأما القرآن ، فجاء بالنصب في كل ذلك ، لأنه نزل بلغة أهل الحجاز .

وقوله (إنْ هَـٰذَا إلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) يقول : قلن ما هذا إلا ملك من الملائكة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنْ هَـٰذَا إلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) قال : قلن : ملك من الملائكة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن ، فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه ، وفي نظرة منكن نظرتن إليه ما أصابكن من ذهاب العقل ، وغروب الفهم ولهاً إليه ، حتى قطعتنّ أيديكنّ ، هو الذي لمتنني في حبي إياه ، وشغف فؤادي به ، فقلتنّ : قد شغف امرأة العزيز فتاها حبا ، إنا لنراها في ضلال مبين . ثم أقرّت لهنّ بأنها قد راودته عن نفسه ، وأن الذي تحدثن به عنها في أمره حقّ ، فقالت (وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فاسْتَعْصَمَ) مما راودته عليه من ذلك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ ، قالت (فَذَٰلِكُنَّ

(١) استشهد المؤلف بهذا الشعر على أن أهل نجد ترفع خبر المبتدأ بعد ما النافية ، ولا يعملونها . أما الحجازيون فينصبون بها خبر المبتدأ كما في قوله تعالى : « ما هذا بشرا » . والقرآن نزل بلسانهم . ويشعب الفتى : يفرقه ، أي يبعده عن أهله .

الذى لُمْتُنَّنى فيه ، وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فاسْتَعْصَمَ) : تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصى ، لا أدرى ما بدا له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاسْتَعْصَمَ) : أى فاستعصى .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فاسْتَعْصَمَ) يقول : فامتنع .

وقوله (لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونا مِنَ الصَّاغِرِينَ) تقول : ولئن لم يطاوعنى على ما أدعوه إليه من حاجتى إليه ليسجننّ ، تقول : ليحبسنّ فى السجن ، وليكوناً من أهل الصغار والذلة بالحبس والسجن . ولأهيننه . والوقف على قوله : ليسجننّ بالنون لأنها مشددة ، كما قيل : ليبطئنّ .

وأما قوله (وَلَيَكُونا) فإن الوقف عليه بالألف لأنها النون الخفيفة ، وهى شبيهة نون الإعراب فى الأسماء فى قول القائل : رأيت رجلا عندك ، فإذا وقف على الرجل قيل : رأيت رجلا ، فصارت النون ألفا ، فكذلك ذلك فى : وليكونا ، ومثله قوله (لَنَسْفَعا بالنَّاصِيَةِ ، ناصِيَةٍ) الوقف عليه بالألف لما ذكرت ؛ ومنه قول الأعشى :

وَصَلِّ على حِينِ العَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلا تعْبُدِ الشَّيْطانَ وَاللهَ فاعْبُدا (١)

وإنما هو : فاعبدن ، ولكن إذا وقف عليه كان الوقف بالألف .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

وهذا الخبر من الله يدلّ على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف فى المراودة عن نفسه ، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل مادعته إليه ، فاختار السجن على مادعته إليه من ذلك ، لأنها لولم تكن عاودته وتوعدته بذلك ، كان محالا أن يقول (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) وهو لايدعى إلى شىء ، ولا يخوّف بحبس ، والسجن هو الحبس نفسه ، وهو بيت الحبس ، وبكسر السين قرأه قرّاء الأمصار كلها ، والعرب تضع الأماكن المشتقة من الأفعال مواضع الأفعال فتقول : طلعت الشمس مَطْلِعا ، وغربت مَغْرِبا ، فيجعلونها وهى أسماء خلفاً من المصادر ، فكذلك السجن ، فإذا فتحت السين من السجن ،

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ١٧) ورواية البيت والذى قبله :

وَذا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ وَلا تَعْبُدِ الأَوْثانَ وَاللهَ فاعْبُدا

وَصَلِّ عَلى حِينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى وَلا تَحْمَدِ الشَّيْطانَ وَاللهَ فاحْمَدا

والشاهد فيه عند النحويين : قلب نون التوكيد الخفيفة عند الوقف ألفا ، كحكم التنوين .

كان مصدرا صحيحا ، وقد ذُكر عن بعض المتقدمين أنه يقرؤه (السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ) بفتح السين ، ولا أستجيز القراءة بذلك لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها . وتأويل الكلام: قال يوسف : يا ربّ الحبس فى السجن أحبّ إلىّ مما يدعوننى إليه من معصيتك ، ويراودننى عليه من الفاحشة .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) : من الزنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال : قال يوسف ، وأضاف إلى ربه واستعانه على ما نزل به (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) : أى السجن أحبّ إلىّ من أن آتىَ ماتكره.

وقوله (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) يقول : وإن لم تدفع عنى يا ربّ فعلهنّ الذى يفعلن بى فى مراودتهنّ إياى على أنفسهن أصب إليهنّ ، يقول: أميل إليهنّ ، وأتابعهنّ على مايردن منى ، ويهوين من قول القائل : صبا فلان إلى كذا ، ومنه قول الشاعر :

إلى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي وهِنْدٌ مِثْلُها يُصْبِي[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) يقول : أتابعهنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) : أى ما أتخوّف منهنّ (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) قال : إلا يكن منك أنت العون والمنعة ، لايكن منى ولا عندى .

وقوله (وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) يقول : وأكن بصبوتى إليهنّ من الذين جهلوا حقك ، وخالفوا أمرك ونهيك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) : أى جاهلا إذا ركبت معصيتك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٣٤﴾

إن قال قائل : وما وجه قوله (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ) ولا مسألة تقدمت من يوسف لربه ، ولا دعا بصرف كيدهنّ عنه ، وإنما أخبر ربه أن السجن أحبّ إليه من معصيته ؟ قيل : إن فى إخباره بذلك شكاية منه إلى ربه مما لقى منهنّ ، وفى قوله (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) معنى دعاء ومسألة

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣١١) قال : أصب إليهن : أى أهواهن وأميل إليهن . قال يزيد بن ضبة «إلى هند . . . البيت» .

منه ربه صرف كيدهنّ ، ولذلك قال الله تعالى ذكره (فاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ) وذلك كقول القائل لآخر : إن لاتزرنى أهنك ، فيجيبه الآخر : إذن أزورك ، لأن فى قوله : إن لاتزرنى أهنك،معنى الأمر بالزيارة. وتأويل الكلام : فاستجاب الله ليوسف دعاءه ، فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) : أى نجاه من أن يركب المعصية فيهنّ ،وقد نزل به بعض ماحذر منهنّ .

وقوله (إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) دعاء يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه ، ودعاء كل داع من خلقه (العَلِيمُ) بمطلبه وحاجته ، وما يصلحه ، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ٣٥

ﷺ يقول تعالى ذكره : ثم بدا للعزيز زوج المرأة التى راودت يوسف عن نفسه ، وقيل : بدا لهم ، وهو واحد ، لأنه لم يذكر باسمه ويقصد بعينه ، وذلك نظير قوله (الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ) وقيل : إنّ قائل ذلك كان واحدا . وقيل : معنى قوله (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ) فى الرأى الذى كانوا رأوه من ترك يوسف مطلقا، ورأوا أن يسجنوه (مِنْ بَعْدِ مارأَوُا الآياتِ) ببراءته مما قذفته به امرأة العزيز ، وتلك الآيات كانت : قدّ القميص من دُبر ، وخمشا فى الوجه ، وقطع أيديهن ،

كما حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نصر بن عوف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رأَوُا الآياتِ) قال : كان من الآيات قدّ فى القميص وخمش فى الوجه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى وابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ) قال : قدّ القميص من دُبر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ بَعْدِ ما رأَوُا الآياتِ) قال : قدّ القميص من دُبر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ) قال : الآيات : حزّهن أيديهن ، وقدّ القميص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قدّ القميص من دبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ) ببراءته مما اتهم به من شقّ قميصه من دُبر (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتى حِينٍ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ) قال : الآيات : القميص ، وقطع الأيدى .

وقوله (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتى حِينٍ) يقول : ليسجننه إلى الوقت الذى يرون فيه رأيهم ، وجعل الله ذلك الحبس ليوسف فيما ذكر عقوبة له من همه بالمرأة ، وكفّارة لخطيئته .

حُدثت عن يحيى بن أبى زائدة ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتى حِينٍ) عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات حين همّ بها فسجن ، وحين قال (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ - فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) وأنساه الشيطان ذكر ربه وقال لهم (إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) ف (قالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) .

وذُكر أن سبب حبسه فى السجن : كان شكوى امرأة العزيز إلى زوجها أمره وأمرها .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتى حِينٍ) قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبرانىّ قد فضحنى فى الناس يعتذر إليهم ، ويخبرهم أنى راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذرى ، فإما أن تأذن لى فأخرج فأعتذر ، وإما أن تحبسه كما حبستنى ، فذلك قول الله تعالى (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتى حِينٍ) .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه دخول هذه اللام فى (لَيَسْجُنُنَّهُ) فقال بعض البصريين : دخلت هاهنا لأنه موضع يقع فيه أىّ ، فلما كان حرف الاستفهام يدخل فيه دخلته النون ، لأن النون تكون فى الاستفهام ، تقول : بدا لهم أيهم يأخُذُنّ : أى استبان لهم . وأنكر ذلك بعض أهل العربية ، فقال : هذا يمين ، وليس قوله : هل تقومنّ بيمين ، ولتقومنّ ، لايكون إلا يمينا .

وقال بعض نحويى الكوفة : بدا لهم ، بمعنى : القول ، والقول يأتى بكلّ : الكلام بالقسم وبالاستفهام ، فلذلك جاز : بدا لهم قام زيد ، وبدا لهم ليقومنّ . وقيل : إن الحين فى هذا الموضع معنىّ به سبع سنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن داود ، عن عكرمة (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتى حين) قال : سبع سنين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : ودخل مع يوسف السجن فتيان ، فدلّ بذلك على متروك قد ترك من الكلام وهو

(ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) فسجنوه وأدخلوه السجن ، ودخل معه فتيان ، فاستغنى بدليل قوله (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ)على إدخالهم يوسف السجن من ذكره وكان الفتيان فيما ذكر : غلامين من غلمان ملك مصر الأكبر : أحدهما صاحب شرابه ، والآخر صاحب طعامه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فطرح في السجن : يعني يوسف ، ودخل معه السجن فتيان ، غلامان كانا للملك الأكبر : الريان بن الوليد ، كان أحدهما على شرابه ، والآخر على بعض أمره ، في سخطة سخطها عليهما ، اسم أحدهما مجلث ، والآخر نبو ، ونبو الذى كان على الشراب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ) قال : كان أحدهما خبازا للملك على طعامه ، وكان الآخر ساقيه على شرابه .

وكان سبب حبس الملك الفتيين فيما ذكر ، ماحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال : إن الملك غضب على خبازه ، بلغه أنه يريد أن يسمه ، فحبسه وحبس صاحب شرابه ، ظنّ أنه مالأه على ذلك فحبسهما جميعا ، فذلك قول الله تعالى ودخل معه السجن فتيان .

وقوله (قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما أدخل السجن ، قال لمن فيه من المحبَّسين ، وسألوه عن عمله : إنى أعبِّر الرؤيا ، فقال أحد الفتيين اللذين أدخلا معه السجن لصاحبه : تعال فلنجرّبه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال : لما دخل يوسف السجن قال : أنا أعبِّر الأحلام ، فقال أحد الفتيين لصاحبه : هلمّ نجرّب هذا العبد العبرانيّ نتراءى له ، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا ، فقال الخباز : إنى أرانى أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه . وقال الآخر : إنى أرانى أعصر خمرا .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : مارأى صاحبا يوسف شيئا ، وإنما كانا تحالما ليجرّبا علمه .

وقال قوم : إنما سأله الفتيان عن رؤيا كانا رأياها على صحة وحقيقة ، وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى الفتيان يوسف ، قالا : والله يافتى لقد أحببناك حين رأيناك .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، إن يوسف قال لهم حين قالا له ذلك : أنشدكما الله أن لاتحبانى ، فوالله ما أحبنى أحد قطّ إلا دخل علىّ من حبه بلاء ، لقد أحبتنى عمتى فدخل علىّ من حبها بلاء ، ثم لقد أحبنى أبي فدخل علىّ بحبه بلاء ، ثم لقد أحبتنى زوجة صاحبي هذا ، فدخل علىّ بحبها إياى بلاء ، فلا تحبانى بارك الله فيكما ، قال : فأبيا إلا حبه وإلفه حيث

كان ، وجعلا يعجبهما مايريان من فهمه وعقله ، وقد كانا رأيا حين أدخلا السجن رؤيا ، فرأى «مجلث» أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه ، ورأى «نبو» أنه يعصر خمرا ، فاستفتياه فيها وقالا له (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إن فعلت .

وعنى بقوله (أَعْصِرُ خَمْرًا) أى إنى أرى فى نومى أنى أعصر عنبا . وكذلك ذلك فى قراءة ابن مسعود فيما ذكر عنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى سلمة الصائغ ، عن إبراهيم بن بشير الأنصارىّ ، عن محمد ابن الحنفية قال فى قراءة ابن مسعود (إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ عِنَبًا) وذكر أن ذلك من لغة أهل عُمان ، وأنهم يسمون العنب خمرا .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا) يقول : أعصر عنبا ، وهو بلغة أهل عُمان ، يسمون العنب خمرا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا) قال : عنبا ، أرض كذا وكذا يدعون العنب خمرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا) قال : عنبا .

حُدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبى حمزة ، عن عكرمة ، قال : أتاه فقال : رأيت فيما يرى النائم أنى غرست حبلة من عنب ، فنبتت ، فخرج فيه عناقيد فعصرتهن ، ثم سقيتهنّ الملك ، فقال : تمكث فى السجن ثلاثة أيام ، ثم تخرج فتسقيه خمرا .

وقوله (وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّى أَرَانِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ) يقول تعالى ذكره : وقال الآخر من الفتيين : إنى أرانى فى منامى أحمل فوق رأسى خبزا : يقول : أحمل على رأسى ، فوضعت « فوق » مكان « على » (تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ) يعنى من الخبز .

وقوله (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ) يقول : أخبرنا بما يئول إليه ما أخبرناك أنا رأيناه فى منامنا ، ويرجع إليه .

كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ) قال : به . قال الحارث . قال أبو عبيد : يعنى مجاهد : أن تأويل الشىء : هو الشىء . قال : ومنه تأويل الرؤيا ، إنما هو الشىء الذى تئول إليه .

وقوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) اختلف أهل التأويل فى معنى الإحسان الذى وصف به الفتيان يوسف ، فقال بعضهم : هو أنه كان يعود مريضهم ، ويعزى حزينهم ، وإذا احتاج منهم إنسان جمع له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ،

عن الضحاك بن مزاحم ، قال : كنت جالسا معه ببلخ ، فسئل عن قوله (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) قال : قيل له: ما كان إحسان يوسف ؟ قال : كان إذا مرض إنسان قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق أوسع له .

حدثنا إسحاق ، عن أبي إسرائيل ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : سأل رجل الضحاك ، عن قوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا مرض إنسان في السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه المكان أوسع له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) قال : بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوي مريضهم ، ويعزّي حزينهم ، ويجتهد لربه . وقال : لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم ، واشتدّ بلاؤهم ، فطال حزنهم ، فجعل يقول : أبشروا واصبروا تؤجروا ، إن لهذا أجرا ، إن لهذا ثوابا ، فقالوا : يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك ، وأحسن خلقك ، لقد بورك لنا في جوارك ، ما نحبّ أنا كنا في غير هذا منذ حبسنا ، لما تخبرنا من الأجر والكفّارة والطهارة ، فمن أنت يا فتى ؟ قال : أنا يوسف بن صفيّ الله يعقوب ، ابن ذبيح الله إسحاق ، ابن إبراهيم خليل الله ، وكانت عليه محبة ، وقال له عامل السجن : يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ، ولكن سأحسن جوارك ، وأحسن إسارك ، فكن في أيّ بيوت السجن شئت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن خلف الأشجعي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك في (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) قال : كان يوسع للرجل في مجلسه ، ويتعاهد المرضى .

وقال آخرون : معناه : (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إذ نبأتنا بتأويل رؤيانا هذه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : استفتياه في رؤياهما ، وقالا له : (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إن فعلت .

❁ وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ، القول الذي ذكرناه عن الضحاك وقتادة .

فإن قال قائل : وما وجه الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت ، وقد علمت أن مسألتهما يوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما ليست من الخبر عن صفته بأنه يعود المريض ، ويقوم عليه ، ويحسن إلى من احتاج في شيء ، وإنما يقال للرجل : نبئنا بتأويل هذا فإنك عالم ، وهذا من المواضع التي تحسن بالوصف بالعلم لا بغيره ؟

قيل : إن وجه ذلك أنهما قالا له : نبئنا بتأويل رؤيانا محسنا إلينا في إخبارك إيانا بذلك ، كما نراك تحسن في سائر أفعالك ، إنا نراك من المحسنين .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره (قالَ) يوسف للفتيين اللذين استعبراه الرؤيا (لا يَأْتِيكُما) أيها الفتيان فى منامكما (طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إلاَّ نَبَّأْتُكُما بتأويلِهِ) فى يقظتكما (قَبْلَ أنْ يَأْتِيَكُما).

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال يوسف لهما (لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ) فى النوم (إلاَّ نَبَّأْتُكُما بتأويله) فى اليقظة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف لهما (لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ) يقول: فى نومكما (إلاَّ نَبَّأْتُكُما بتَأْوِيلِهِ) . ويعنى بقوله (بِتَأْوِيلِهِ) : ما يئول إليه ويصير ما رأيا فى منامهما من الطعام الذى رأيا أنه أتاهما فيه .

وقوله (ذَلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) يقول: هذا الذى أذكر أنى أعلمه من تعبير الرؤيا مما علمنى ربى فعلَّمته (إنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ باللهِ) وجاء الخبر مبتدأ: أى تركت ملة قوم . والمعنى ماملت . وإنما ابتدأ بذلك ، لأن فى الابتداء الدليل على معناه .

وقوله (إنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ باللهِ) يقول : إنى برئت من ملة من لا يصدّق بالله ، ويقرّ بوحدانيته (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ) يقول: وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله لا يقرّون بالمعاد والبعث ، ولا بثواب ولا عقاب، وكرّرت «هم» مرّتين ، فقيل (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ) لما دخل بينهما قوله (بالآخِرَةِ) فصارت «هم» الأولى كالملغاة ، وصار الاعتماد على الثانية ، كما قيل (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) وكما قيل (أيَعِدُكُمْ أنَّكُمْ إذا مِتُّمْ وكُنْتُمْ تُرَابًا وعِظاما أنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) .

فإن قال قائل : ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف ، وأين جوابه الفتيين عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام ؟

قيل له : إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما لما علم من مكروه ذلك على أحدهما ، فأعرض عن ذكره ، وأخذ فى غيره ليعرضا عن مسألته الجواب بما سألاه من ذلك .

وبنحو ذلك ، قال بعض أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (إنِّى أرانِى أعْصِرُ

خمرًا ، وقال الآخرُ إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله) . قال : فكره العبارة لهما ، وأخبرهما بشيء لم يسألاه عنه ليريهما أن عنده علما . وكان الملك إذا أراد قتل إنسان ، صنع له طعاما معلوما ، فأرسل به إليه ، ف(قال) يوسف (لا يأتيكما طعام ترزقانه) . . . إلى قوله (تشكرون) فلم يدعاه ، فعدل بهما ، وكره العبارة لهما ، فلم يدعاه حتى يعبر لهما ، فعدل بهما وقال (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) . . . إلى قوله (يعلمون) فلم يدعاه حتى عبّر لهما ، فقال (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) قالا : ما رأينا شيئا ، إنما كنا نلعب ، قال (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) . وعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جريج . فقوله (لا يأتيكما طعام ترزقانه) في اليقظة لا في النوم ، وإنما أعلمهما على هذا القول أن عنده علم ما يئول إليه أمر الطعام الذي يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره ، لأنه قد علم النوع الذي إذا أتاهما كان علامة لقتل من أتاه ذلك منهما ، والنوع الذي إذا أتاه كان علامة لغير ذلك ، فأخبرهما أنه عنده علم ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨ ﴾

يعني بقوله (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب) واتبعت دينهم لا دين أهل الشرك (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) يقول : ما جاز لنا أن نجعل لله شريكا في عبادته وطاعته ، بل الذي علينا إفراده بالألوهة والعبادة (ذلك من فضل الله علينا) يقول : اتباعي ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب على الإسلام ، وتركي (ملة قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة هم كافرون) ، من فضل الله الذي تفضل به علينا ، فأنعم إذ أكرمنا به ، (وعلى الناس) . يقول : وذلك أيضا من فضل الله على الناس ، إذ أرسلنا إليهم دعاة إلى توحيده وطاعته (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يقول : ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه ، لأنه لا يعلم من أنعم به عليه ، ولا يعرف المتفضل به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذلك من فضل الله علينا) أن جعلنا أنبياء (وعلى الناس) يقول : أن بعثنا إليهم رسلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) ذُكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول : يا رُبّ شاكر نعمة غير منعم عليه لا يدري ، ورُبّ حامل فقه غير فقيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ٣٩

ذُكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه ، قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن ، لأن أحدهما كان مشركا ، فدعاه بهذا القول إلى الإسلام ، وترك عبادة الآلهة والأوثان ، فقال (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) يعني : يا من هو في السجن ، وجعلهما صاحبيه لكونهما فيه ، كما قال الله تعالى لسكان الجنة (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وكذلك قال لأهل النار ، وسمّاهم أصحابها لكونهم فيها

وقوله (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يقول : أعبادة أرباب شتى متفرّقين ، وآلهة لاتنفع ولا تضرّ خير ، أم عبادة المعبود الواحد الذي لاثاني له في قدرته وسلطانه ، الذي قهر كلّ شيء فذلّله وسخّره ، فأطاعه طوعا وكرها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ) . . . إلى قوله (لايَعْلَمُونَ) لما عرف نبي الله يوسف أن أحدهما مقتول دعاهما إلى حظهما من ربهما ، وإلى نصيبهما من آخرتهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) يوسف يقوله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم دعاهما إلى الله ، وإلى الإسلام ، فقال (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) : أي خير أن تعبدوا إلها واحدا ، أو آلهة متفرّقة لاتغني عنكم شيئا ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٤٠

يعني بقوله (ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ) : ما تعبدون من دون الله ، وقال (ما تَعْبُدُونَ) وقد ابتدأ الخطاب بخطاب اثنين ، فقال (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) لأنه قصد المخاطب به ، ومن هو على الشرك بالله

مقيم من أهل مصر ، فقال للمخاطب بذلك : ما تعبد أنت ، ومن هو على مثل ما أنت عليه من عبادة الأوثان (إلاَّ أسماءً سَمَّيْتُمُوها أنْتُمْ وآباؤُكُمْ)، وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أربابا ، شركا منهم وتشبيها لها فى أسمائها التى سموها بها بالله تعالى ، عن أن يكون له مثل أو شبيه (ما أنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ) يقول : سموها بأسماء لم يأذنلهم بتسميتها ، ولا وَضَع لهم على أن تلك الأسماء أسماؤها دلالة ولا حجة ، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء .

وقوله (إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلهِ أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) يقول : وهو الذى أمر ألا تعبدوا أنتم وجميع خلقه ، إلا الله الذى له الألوهة والعبادة خالصة دون كلّ ماسواه من الأشياء .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس عن أبى العالية ، فى قوله (إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلهِ أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) قال : أسس الدين على الإخلاص لله وحده لاشريك له .

وقوله (ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ) يقول : هذا الذى دعوتكما إليه من البراءة ، من عبادة ماسوى الله من الأوثان ، وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار ، هو الدين القويم الذى لااعوجاج فيه ، والحقّ الذى لاشكّ فيه (وَلكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١ ﴾

يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف للّذين دخلا معه السجن (يا صاحِبَيِ السِّجْنِ ، أمَّا أحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) هو الذى رأى أنه يعصر خمرا ، فيسقى ربه : يعنى سيده ، وهو ملكهم خمرا : يقول : يكون صاحب شرابه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) قال : سيده .

وأما الآخر ، وهو الذى رأى أن على رأسه خبزا تأكل الطير منه ، فيصلب فتأكل الطير من رأسه ؛ فذكر أنه لما عبَّر ما أخبراه به أنهما رأياه فى منامهما ، قالا له : ما رأينا شيئا ، فقال لهما (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) يقول : فرغ من الأمر الذى فيه استفتيتما ، ووجب حكم الله عليكما بالذى أخبرتكما به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : قال اللذان دخلا السجن على يوسف : ما رأينا شيئا ، فقال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيان).

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيان) قال : لما قالا ما قالا ، أخبرهما ، فقالا : ما رأينا شيئا ، فقال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيان) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله فى الفتيين اللذين أتيا يوسف ، والرؤيا إنما كانا تحالما ليجرّباه ، فلما أوّل رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، قال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيان) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : ما رأى صاحبا يوسف شيئا ، إنما كانا تحالما ليجرّبا علمه ، فقال أحدهما : إنى أرانى أعصر عنبا ؛ وقال الآخر : إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه ؛ نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ، قال : يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، فلما عبر ، قالا : ما رأينا شيئا ، قال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيان) على ما عبّر يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال لمجلّث : أما أنت فتصلب فتأكل الطير من رأسك ، وقال لنبو : أما أنت فترد على عملك ، فيرضى عنك صاحبك (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيان) أو كما قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (فِيهِ تَسْتَفْتِيان)[1] .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيان) عند قولهما : ما رأينا رؤيا إنما كنا نلعب ، قال : قد وقعت الرؤيا على ما أوّلت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيان) فذكر مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : قال يوسف للذى علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا (اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ) يقول : اذكرنى عند سيدك ، وأخبره بمظلمتى ، وأنى محبوس بغير جرم .

(١) كذا فى أصله المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية ، وهو آخر سطر فى (ص ٣٨) . ونسى الكاتب أن يكتب التفسير فى أول الصفحة التالية .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعني لنبو (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) : أي اذكر للملك الأعظم مظلمتي وحبسي في غير شيء ، قال : أفعل .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال للذى نجا من صاحبي السجن ، يوسف يقول : اذكرني عند الملك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أسباط (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : عند ملك الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) يعني بذلك الملك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) الذى نجا من صاحبي السجن للملك يقول يوسف : اذكرني .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن إبراهيم التّيمي أنه لما انتهى به إلى باب السجن قال له صاحب له ، حاجتَكَ أوصني بحاجتك ، قال : حاجتي أن تذكرني عند ربك ، ينوى الربّ الذى ملك يوسف . وكان قتادة يوجه معنى الظنّ في هذا الموضع إلى الظنّ الذى هو خلاف اليقين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) وإنما عبارة الرؤيا بالظنّ ، فيُحقّ الله ما يشاء ويبطل ما يشاء ، وهذا الذى قاله قتادة من أن عبارة الرؤيا ظنّ : فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء . فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لايكون ، أو أنه غير كائن ثم يكون مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن ، لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها لم يؤمن مثل ذلك في كلّ أخبارها ، وإذا لم يؤمن ذلك في أخبارها سقطت حجتها على من أرسلت إليه . فإذا كان ذلك كذلك كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر إلا وهو حقّ وصدق ، فمعلوم إذ كان الأمر على ما وصفت أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن ، فيقول لأحدهما : (أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) ثم يؤكد ذلك بقوله (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) عند قولهما : لم نر شيئا ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه ، وكونه أنه كائن لامحالة لاشكّ فيه ، وليقينه بكون ذلك قال للناجي منهما (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) فبيّن إذن بذلك فساد القول الذى قاله قتادة في معنى قوله (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا) : وقوله (فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قِبَل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذى لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه ، ولكنه زلّ بها ، فأطال من أجلها في السجن حبسه ، وأوجع لها عقوبته .

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعِيّ، عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : لما قال يوسف للساقي (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : قيل : يا يوسف اتخذتَ من دوني وكيلا ، لأطيلنّ حبسك، فبكى يوسف وقال : يا ربّ أَنْسَى قلبي كثرةُ البلوى ، فقلت كلمةً ، فويلٌ لإخوتي .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْلا أنَّهُ » يعني يوسف « قالَ الكَلِمَةَ الَّتِي قالَ ما لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ يُوسُفَ لَوْلا كَلِمَتُهُ ما لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » . يعني قوله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : ثم يبكي الحسن فيقول : نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْلا كَلِمَةُ يُوسُفَ ما لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لَوْ لَمْ يَقُلْ يُوسُفُ » ، يعني الكلمة التي قال ، « ما لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » يعني حيث يبتغي الفرج من عند غير الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ لَمْ يَسْتَعِنْ يُوسُفُ على رَبِّهِ ما لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَوْلا أنَّ يُوسُفَ اسْتَشْفَعَ على رَبِّهِ ما لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ ، وَلَكِنْ إنَّمَا عُوقِبَ باسْتِشْفاعِهِ على رَبِّهِ » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال له (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا ، وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه ، وأمره بذكر الملك وابتغاء الفرج من عنده (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) ، بقوله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير أنه قال (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين) عقوبة لقوله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد ابن عمرو سواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث المثنى ، عن أبي حذيفة .

وكان محمد بن إسحاق يقول : إنما أنسى الشيطان الساقي ذكر أمر يوسف لملكهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما خرج ، يعني الذي ظنّ أنه ناج منهما ، ردّ على ما كان عليه ، ورضي عنه صاحبه ، فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك الذي أمره يوسف أن يذكره فلبث يوسف بعد ذلك في السجن بضع سنين . يقول جلّ ثناؤه : فلبث يوسف في السجن لقيله للناجي من صاحبي السجن من القيل : اذكرني عند سيدك بضع سنين ، عقوبة له من الله بذلك .

واختلف أهل التأويل في قدر البِضْع الذي لبث يوسف في السجن ، فقال بعضهم : هو سبع سنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد أبو عَثْمة ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لبث يوسف في السجن سبع سنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) قال : سبع سنين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو الهذيل الصَّنْعاني ، قال : سمعت وهبًا يقول : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك في السجن يوسف سبع سنين ، وعذب بختنصر [1] يجول في السباع سبع سنين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : زعموا أنها ، يعني البضع : سبع سنين ، كما لبث يوسف .

وقال آخرون : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت أبا قتادة يقول : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

حدثنا وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد (بِضْعَ سِنِينَ) قال : ما بين الثلاث إلى التسع .

وقال آخرون : بل هو مادون العشر .

---

(١) أي بالمسخ سبعا ، وصار يجول في السباع ، كما يؤخذ من الكامل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس: (بِضْعَ سِنِينَ) دون العشرة .

وزعم الفرّاء أن البِضْع لايذكر إلا مع عشر ، ومع العشرين إلى التسعين ، وهو نيف ما بين الثلاثة إلى التسعة ، وقال : كذلك رأيت العرب تفعل ولايقولون بضع ومئة ، ولا بضع وألف ، وإذا كانت للذكران قيل : بضع .

والصواب فى البضع من الثلاث إلى التسع إلى العشر ، ولا يكون دون الثلاث ، وكذلك مازاد على العقد إلى المئة ، وما زاد على المئة فلا يكون فيه بضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

يعنى جلّ ذكره بقوله : وقال ملك مصر (إنّى أرَى) فى المنام (سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ) من البقر (عِجافٌ) وقال : إنى أرى ، ولم يذكر أنه رأى فى منامه ولا فى غيره لتعارف العرب بينها فى كلامها إذا قال القائل منهم : أرى أنى أفعل كذا وكذا أنه خبر عن رؤيته ذلك فى منامه وإن لم يذكر النوم ، وأخرج الخبر جلّ ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم (وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ) يقول : وأرى سبع سنبلات خضر فى منامى (وأُخَرَ) يقول : وسبعا أخر من السنبل (يابِساتٍ يَأَيُّها المَلأُ) يقول : يا أيها الأشراف من رجالى وأصحابى (أفْتُونِي فِي رُؤْيايَ) فاعْبُرُوها (إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيا) عَبرَة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : إن الله أرى الملك فى منامه رؤيا هالته ، فرأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وأخر يابسات ، فجمع السحرةَ والكهنةَ والحزاةَ والقافةَ ، فقصها عليهم (فقالُوا أضْغاثُ أحْلامٍ وَما نَحْنُ بتَأْوِيلِ الأحْلامِ بِعالِمِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن الملك الرَّيَّان بن الوليد رأى رؤياه التى رأى ، فهالته ، وعرف أنها رؤيا واقعة ، ولم يدر ما تأويلها ، فقال للملإ حوله من أهل مملكته (إنّى أرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ) . . . إلى قوله (بِعالِمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه : رؤياك هذه أضغاث أحلام ، يعنون أنها أخلاط رؤيا كاذبة لاحقيقة لها ، وهي جمع ضِغْث ، والضِّغْث : أصله الحُزْمة من الحشيش ، يُشَبَّهُ بها الأحلام المختلطة التي لاتأويل لها ، والأحلام جمع حُلْم ، وهو ما لم يصدقُ من الرؤيا ، ومن الأضغاث قول ابن مقبل :

خَوْدٌ كأنَّ فِراشَها وُضِعَتْ بِهِ أضْغاثُ رَيْحانٍ غَــداةَ شَمالِ [١]

ومنه قول الآخر :

يَحْمِي ذِمارَ جَنينٍ قَلَّ مانِعُــهُ طاوٍ كضِغْثِ الخَلا في البطنِ مُكْتَمِنِ [٢]

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى . قال : ثنا عبد الله . قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَضْغاثُ أحْلامٍ) يقول : مشتبهة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَضْغاثُ أحْلامٍ) كاذبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما قصّ الملك رؤياه التي رأى على أصحابه . قالوا : أضغاث أحلام : أي فعل الأحلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَضْغاثُ أحْلامٍ) قال : أخلاط أحلام (وَما نَحْنُ بِتأويلِ الأحْلامِ بِعالِمِينَ) .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : أضغاث أحلام كاذبة .

قال : ثني المحاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قالوا : أضغاث ، قال : كذب .

---

(١) البيت لابن مقبل . وقال في اللسان : الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا (بالتحريك) . وقيل الجارية الناعمة والجمع : خودات وخود (بضم الخاء في الأخير) . و (في اللسان : ضغث) : وأضغاث الأحلام : الرؤيا التي لا يصح تأويلها لاختلاطها . والضغث : الحلم الذي لا تأويل له ، ولا خير فيه . والضغث الحزمة من الحشيش : أو كل ما ملأ الكف من النبات أو الحشيش المختلط . والشمال : الريح الباردة . يريد أن ريح فراشها بعد النوم كأنما وضع فيه صنوف من الريحان تذيع ريحها ريح الشمال اللطيفة .

(٢) في (اللسان : ذمر) : الذمار : كل ما يلزم الإنسان حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه وإن ضيعه لزمه اللوم . وطاو ضامر ، يريد أنه صغير ، والضغث : الحزمة من الزرع والبقل ونحوه . والخلا : الرطب من الحشيش يختلي في الربيع (كالبرسيم) فإذا يبس فهو حشيش ، يريد أن لا يزال طريا في بطن أمه كحزمة الخلا في لينه ، لم تصلب عظامه . والمكتمن : الخافي المضمر .

حُدثت عن الحسين بن الفرَج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَضْغاثُ أَحْلامٍ) : هي الأحلام الكاذبة .

وقوله (وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعالِمِينَ) يقول : وما نحن بما تئول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين . والباء الأولى التي في التأويل من صلة العالمين ، والتي في العالمين الباء التي تدخل في الخبر مع « ما » التي بمعنى الجحد . ورفع أضغاث أحلام ، لأن معنى الكلام : ليس هذه الرؤيا بشيء إنما هي أضغاث أحلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : وقال الذي نجا من القتل من صاحبي السجن اللذين استعبرا يوسف الرؤيا ، وادّكر . يقول : وتذكر ما كان نسي من أمر يوسف ، وذكر حاجته للملك التي كان سأله عند تعبيره رؤياه أن يذكرها له بقوله : (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ـ بَعْدَ أُمَّةٍ) يعني بعد حين .

كالذي حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رُزَين ، عن ابن عباس (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رُزَين ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن عاصم ، عن أبي رزين عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رُزَين قال (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس مثله.

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) يقول : بعد حين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : ذكر بعد حين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) بعد حين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير (بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس (بعدَ أُمَّةٍ) قال : بعد سنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) أى بعد حِقْبة من الدهر .

وهذا التأويل على قراءة من قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) بضمّ الألف وتشديد الميم ، وهى قراءة القرّاء فى أمصار الإسلام .

وقد رُوى عن جماعة من المتقدّمين : أنهم قرءوا ذلك (بَعْدَ أَمَةٍ) بفتح الألف وتخفيف الميم وفتحها بمعنى بعد نسيان . وذكر بعضهم أن العرب تقول من ذلك : أَمِهَ الرجلُ يأمَهُ أمَهاً : إذا نسى ، وكذلك تأوّله من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (بَعْدَ أمَهٍ) ويفسرها : بعد نسيان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بَهزْ بن أسد ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قرأ (بَعْدَ أمَهٍ) يقول : بعد نسيان .

حدثني أبو غسان مالك بن الخليل اليحمَدىّ ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن أبي هارون الغنوىّ ، عن عكرمة أنه قرأ (بَعْدَ أمَهٍ) والأمه : النسيان .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو هارون الغنوى ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : قال هارون ، وثنى أبو هارون الغنوى ، عن عكرمة (بَعْدَ أمَهٍ) : بعد نسيان .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (وَادَّكَرَ بَعْدَ أمَهٍ) : بعد نسيان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس : أي بعد نسيان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ) قال : من بعد نسيانه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الكريم أبي أمية المعلم ، عن مجاهد ، أنه قرأ (وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ) قال : بعد نسيان .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ) يقول : بعد نسيان ،

وقد ذكر فيها قراءة ثالثة ، وهي ماحدثني به المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال ثنا عبد الله بن الزُّبَيْر ، عن سفيان ، عن حميد ، قال : قرأ مجاهد (وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمْهٍ) مجزومة الميم مخففة ، وكأن قارئُ ذلك كذلك أراد به المصدر من قولهم : أمِهَ يأْمَهُ أمْهاً ، وتأويل هذه القراءة ، نظير تأويل من فتح الألف والميم .

وقوله (أنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ) يقول : أنا أخبركم بتأويله (فَأَرْسِلُونِ) يقول : فأطلقوني أمضي لآتيكم بتأويله من عند العالم به . وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك ، وذلك فأرسلوه فأتى يوسف ، فقال له : يا يوسف يا أيها الصديق .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق[1] قال (قالَ المَلِكُ) للملإ حوله (إنّي أرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمانٍ) . . . الآية ، وقالوا له ما قال ، سمع «نبو» من ذلك ماسمع ، ومسألته عن تأويلها ذكر يوسف ، وما كان عبر له ولصاحبه ، وما جاء من ذلك على ما قال من قوله ، قال (أنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) يقول الله تعالى (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : أي حقبة من الدهر ، فأتاه فقال : يا يوسف إن الملك قد رأى كذا وكذا ، فقصَّ عليه الرؤيا ، فقال فيها يوسف ما ذكر الله تعالى لنا في الكتاب فجاءهم مثلَ فلَق الصبح تأويلها ، فخرج نبْوٌ من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك ، وأخبره بما قال . وقيل : إن الذي نجا منهما إنما قال : أرسلوني ، لأن السجن لم يكن في المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) قال ابن عباس : لم يكن السجن في المدينة ، فانطلق الساقي إلى يوسف ، فقال (أفْتِنا في سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمانٍ) . . . الآيات .

قوله (أفْتِنا في سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ ، وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ

---

(١) لعل صواب عبارة ابن إسحاق هو « عن ابن إسحاق قال : لما قال الملك : إني أرى سبع ...الآية وقالوا له ماقالوا ، وسمع « نبو » من ذلك ماسمع ، ومسألته عن تأويلها ، ذكر يوسف . . . الخ » .

وأُخَرَ يابِسات) فإن معناه : أفتنا في سبع بقرات سمان رُئِينَ في المنام يأكلهن سبع منها عجاف ، وفي سبع سنبلات خضر رئين أيضا ، وسبع أخر منهن يابسات . فأما السمان من البقر : فإنها السنون المخصبة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أفْتِنا في سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمانٍ يأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ) قال : أما السمان : فسنون منها مخصبة . وأما السبع العجاف : فسنون مجدبة لا تنبت شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أفْتِنا في سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمانٍ) فالسمان المخاصيب ، والبقرات العجاف : هي السنون المُحُول الجُدُوب .

قوله (وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابِساتٍ) أما الخضر : فهنّ السنون المخاصيب ، وأما اليابسات : فهنّ الجدوب المحول . والعجاف : جمع عجف ، وهي المهازيل .

وقوله (لَعَلِّي أرْجِعُ إلى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) يقول : كي أرجع إلى الناس فأخبرهم ، لعلهم يعلمون : يقول : ليعلموا تأويل ما سألتك عنه من الرؤيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا) يقول : تزرعون هذه السبع السنين ، كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى . والدّأب[1] : العادة ومن ذلك قول امرئ القيس :

كدَأبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قبلَها ... وجارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ[2]

يعني كعادتك منها .

وقوله (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إلاّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ) وهذا مشورة أشار بها نبيّ الله صلى الله عليه وسلم على القوم ، ورأى رآه لهم صلاحا يأمرهم باستبقاء طعامهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال لهم نبيّ الله يوسف (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا) . . . الآية ، فإنما أراد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم البقاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾

(١) الدأب ، بسكون الهمزة وفتحها : العادة والشأن .

(٢) البيت لامرىء القيس من معلقته المشهورة (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٤) وكدأبك ، يروى . « كدينك » أي عادتك وشأنك . وأم الحويرث : أخت الحارث بن حصين بن ضمضم من كلب ، وهي امرأة حجر أبي امرئ القيس . ومأسل ، بفتح السين : جبل بعينه . وبكسر السين : ماء بعينه والرواية بالفتح .

يقول : ثم يجيء من بعد السنين السبع التي تزرعون فيها دأبا ، سنون سبع شداد : يقول : جُدوب قحطة[1] (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) يقول : يؤكل فيهن ما قدمتم فى إعداد ما أعددتم لهن فى السنين السبعة الخصبة ، من الطعام والأقوات ، وقال جل ثناؤه (يَأْكُلْنَ) فوصف السنين بأنهن يأكلن ، وإنما المعنى : أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن ، كما قيل :

نَهارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لكَ لازِمُ[2]

فوصف النهار بالسهو والغفلة ، والليل بالنوم ، وإنما يسهى فى هذا ويغفل فيه ، وينام فى هذا لمعرفة المخاطبين بمعناه ، والمراد منه : إلا قليلا مما تحصنون . يقول : إلا يسيرا مما تحرزونه . والإحصان : التصيير فى الحصن وإنما المراد منه : الإحراز .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (يَأْكُلْنَ ماقَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) يقول : يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهن من القوت (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ) وهن الجدوب المحول (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ) وهن الجدوب (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) : مما تدخرون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) يقول : تخزُنون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (تُحْصِنُونَ) : تحرزون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) قال : مما ترفعون .

وهذه الأقوال فى قوله (تُحْصِنُونَ) وإن اختلفت ألفاظ قائليها فيه ، فإن معانيها متقاربة ، وأصل الكلمة وتأويلها على ما بيّنت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

(١) يقال : عام قحط ، بسكون الحاء ، وبكسرها ؛ وقحيط أيضا .

(٢) الشاهد فى هذا البيت : إسناد السهو والغفلة إلى اليوم إسنادا مجازيا عقليا ، لأن السهو والغفلة إنما يقعان فى النهار ، ولا يقعان منه ، ولكن لما كان النهار هو الزمان الذى يقعان فيه ، فلهذه الملابسة الزمانية ساغ الإسناد إلى زمان الحدث . والعلاقة هى الزمانية .

﷽ وهذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن فى رؤيا ملكهم ، ولكنه من علم الغيب الذى آتاه الله دلالة على نبوّته ، وحجة على صدقه .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها ، فقال (ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذلكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) ويعنى بقوله (فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ) بالمطر والغيث .

وبنحو ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذلكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ) قال : فيه يغاثون بالمطر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك (فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ) قال : بالمطر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذلكَ عامٌ) قال : أخبرهم بشىء لم يسألوه عنه ، وكان الله قد علّمه إياه عام فيه يغاث الناس بالمطر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ) بالمطر .

وأما قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وفيه يعصرون العنب والسمسم ، وما أشبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : الأعناب والدهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) السمسم دهنا ، والعنب خمرا ، والزيتون زيتا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) يقول : يصيبهم غيث ، فيعصرون فيه العنب ، ويعصرون فيه الزيت ، ويعصرون من كلّ الثمرات .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : يعصرون أعنابهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : العنب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : كانوا يعصرون الأعناب والثمرات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الخصب ، هذا علم آتاه الله يوسف لم يسئل عنه .

وقال آخرون : معنى قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) وفيه يحلبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى فضالة ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : فيه يحلبون .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا الفرج بن فضالة ، عن علىّ بن أبى طلحة ، قال : كان ابن عباس يقرأ (وَفِيهِ تَعْصِرُونَ) بالتاء ، يعنى تحتلبون .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء أهل المدينة والبصرة والكوفة (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) بالياء ، بمعنى ما وصفت من قول من قال : عصر الأعناب والأدهان . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (وَفِيهِ تَعْصِرُونَ) بالتاء ، وقرأه بعضهم (وَفِيهِ يُعْصَرُونَ) بمعنى : يمطرون ، وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها ما عليه من قرّاء الأمصار .

والصواب من القراءة فى ذلك أن لقارئه الخيار فى قراءته بأىّ القراءتين الأخريين شاء، إن شاء بالياء ردّا على الخبر به عن الناس ، على معنى (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) أعنابهم وأدهانهم ، وإن شاء بالتاء ردّا على قوله (إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ) وخطابا به لمن خاطبه بقوله (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ) لأنهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الأمصار باتفاق المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بهما ، وذلك أن المخاطبين بذلك كان لاشكّ أنهم أغيثوا وعصروا : أغيث الناس الذين كانوا بناحيتهم وعصروا ، وكذلك كانوا إذا أغيث الناس بناحيتهم وعصروا ، أغيث المخاطبون وعصروا ، فهما متفقتا المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بقراءة ذلك . وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) إلى : وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من العَصَر ، والعَصَر التى بمعنى المنجاة من قول أبى زبيد الطائى :

صَادِيا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ ... وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المَجْنُودِ [1]

أى المقهور ، ومن قول لبيد :

---

(1) البيت لأبى زبيد الطائى : (اللسان : عصر) قال ؛ وقال أبو عبيدة : هو فى العصر ، بالتحريك ، وهو المنجاة . والعصرة والمعتصر والمعصر ، بفتح العين وتشديد الصاد المفتوحة ، قال لبيد . « وما كان وقافا بدار معصر » . وقال أبو زيد : صاديا . . أى كان ملجأ المكروب .

فباتَ وأسْرَى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كانَ وَقّافا بِغَيْرِ مُعَصَّرِ[1]

وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين . وأما القول الذى روى الفرج بن فضالة عن علىّ بن أبى طلحة ، فقول لامعنى له ، لأنه خلاف المعروف من كلام العرب ، وخلاف مايعرف من قول ابن عباس رضى الله عنهما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝

يقول تعالى ذكره : فلما رجع الرسول الذى أرسلوه إلى يوسف ، الذى قال (أنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فأرْسِلُونِ) فأخبرهم بتأويل رؤيا الملك عن يوسف ، علم الملك حقيقة ما أفتاه به من تأويل رؤياه ، وصحة ذلك ، وقال الملك : ائتونى بالذى عَبَر رؤياى هذه .

كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فخرج « نبو » من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك ، حتى أتى الملك ، فأخبره بما قال : فلما أخبره بما فى نفسه بمثل النهار ، وعرف أن الذى قال كائن كما ، قال قال : ائتونى به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أتى الملكَ رسولُه ، قال : ائتونى به .

وقوله (فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ) يقول : فلما جاءه رسول الملك يدعوه إلى الملك (قالَ ارْجِعْ إلى رَبِّكَ) يقول : قال يوسف للرسول : ارجع إلى سيدك (فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) وأبى أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك حتى يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قذفوه به من شأن النساء ، فقال للرسول : سل الملك ما شأن النسوة اللاتى قطّعن أيديَهن ، والمرأة التى سُجِنتُ بسببها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) والمرأة التى سجنت بسبب أمرها عما كان من ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره (قالَ ائْتُونِى بِهِ) فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك أبى يوسف الخروج معه ، وقال (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) . . . الآية ، قال السدىّ ، قال ابن عباس :

(1) البيت للبيد . وقد أورد اللسان الشطر الثانى منه كما نقلناه فى الشاهد قبله . والرواية فيه : « بدار معصر » فى مكان : « بغير معصر » . ونقل التاج البيت كاملا ورواية الشطر الثانى كرواية اللسان .

لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ، ما زالت فى نفس العزيز منه حاجة ، يقول : هذا الذى راود امرأته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن رجل ، عن أبي الزناد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُ اللهُ يُوسُفَ إنْ كانَ ذَا أناةٍ ، لَوْ كُنْتُ أنا المَحْبُوسَ ثُمَّ أُرْسِلَ إلَيَّ لَخَرَجْتُ سَرِيعا ، إنْ كان لَحَلِيما ذَا أناةٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوسلمة ، عن أبي هريرة قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ ما لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ جاءَنِي الدَّاعِي لأجَبْتُهُ ، إذْ جاءَهُ الرَّسُولُ فَقالَ ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ » . . . الآية .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا زكريا بن أبان المقرئ ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنى بكر بن مُضَر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى أبوسلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبيهريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ ما لَبِثَ يُوسُفُ لأجَبْتُ الدَّاعِيَ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا حماد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبيهريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأ هذه الآية (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ ، إنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) قال النبيّ صلى الله عليه وسلم « لَوْ كُنْتُ أنا لأسْرَعْتُ الإجابَةَ ، وَما ابْتَغَيْتُ العُذْرَ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ومحمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قرأ (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) . . . الآية ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم «لَوْ بُعِثَ إلَيَّ لأسْرَعْتُ فِي الإجابَةِ وَما ابْتَغَيْتُ العُذْرَ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وكَرَمِهِ ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ حِينَ سُئِلَ عَنِ البَقَرَاتِ العِجافِ والسِّمانِ ، وَلَوْ كُنْتُ مَكانَهُ ما أخْبَرْتُهُمْ بِشَيْءٍ حَتى أشْتَرِطَ أنْ يُخْرِجُونِي ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسفَ وَصَبْرِهِ وكَرَمِهِ

والله يَغْفِرُ لَهُ حِينَ أتاهُ الرَّسُولُ . وَلَوْ كُنْتُ مَكانَهُ لَبادَرْتُهُمُ البابَ ، وَلكِنَّهُ أرادَ أنْ يَكُونَ لَهُ العُذْرُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ) أراد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن لايخرج حتى يكون له العذر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) قال : أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن .

وقوله (إنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) يقول : إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهنّ وأفعالهن التي فعلن بي ويفعلن بغيرى من الناس ، لايخفى عليه ذلك كله ، وهو من وراء جزائهنّ على ذلك . وقيل : إن معنى ذلك : إن سيدى إطفير العزيز زوج المرأة التي راودتني عن نفسي ذو علم ببراءتي مما قذفتني به من السوء .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾

وفي هذا الكلام متروك ، قد استغنى بدلالة ماذكر عليه عنه وهو فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته ، فدعا الملك النسوة اللاتى قطّعن أيديهن ، وامرأة العزيز ، فقال لهنّ (ما خَطْبُكُنَّ إذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) ؟

كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله إليه جمع النسوة (وَقالَ ماخَطْبُكُنَّ إذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) .

ويعنى بقوله (ما خَطْبُكُنَّ) ما كان أمركنّ ، وما كان شأنكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه ، فأجبنه (فَقُلْنَ حاشَ لله ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوء ، قالَتِ امْرَأةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) تقول : الآن تبين الحقّ وانكشف فظهر (أنا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) وإن يوسف لمن الصادقين فى قوله (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي) .

وبمثل ما قلنا فى معنى (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) قال : تبين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) تبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) الآن تبين الحق.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) قال : تبين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) قال : تبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت راعيل امرأة إطفير العزيز (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) : أى الآن برز الحقّ وتبين (أنا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما كان قال يوسف مما ادّعت عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال : قال الملك : ائتونى بهنّ ، فقال : (ما خَطْبُكُنَّ إذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حاشَ لِلهِ ماعَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ، ودخل معها البيت وحلّ سراويله ، ثم شدّه بعد ذلك ، فلا تدرى ما بدا له ، فقالت امرأة العزيز (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) تبين . وأصل حصحص : حَصّ ؛ ولكن قيل : حصحص ، كما قيل : فكبكبوا فى كبوا . وقيل : كفكف فى كفّ ، وَذَرْذَر فى ذَرّ . وأصل الحصّ : استئصال الشىء ، يقال منه : حَصّ شعره : إذا استأصله جزّا ، وإنما أريد فى هذا الموضع : حصحص الحقّ : ذهب الباطل والكذب ، فانقطع ، وتبين الحقّ فظهر .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

يعنى بقوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ) هذا الفعل الذى فعلته من ردّى رسول الملك

إليه ، وتركى إجابته والخروج إليه ، ومسألتى إياه أن يسأل النِّسْوَةَ اللاتى قطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ ، عن شأنهن إذ قطعن أيديهن ، إنما فعلته ليعلم أنى لم أخنه فى زوجته بالغيب : يقول : لم أركب منها فاحشة فى حال غيبته عنى ، وإذا لم يركب ذلك بمغيبه ، فهو فى حال مشهده إياه أحرى أن يكون بعيدا عن ركوبه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول يوسف (ذلكَ لِيَعْلَمَ) إطفير سيده (أَنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) أنى لم أكن لأخالفه إلى أهله من حيث لايعلمه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) يوسف يقوله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذَلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) يوسف يقوله : لم أخن سيدى .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال يوسف يقوله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال : هذا قول يوسف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح ، فى قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) هو يوسف يقول : لم أخن الملك بالغيب .

وقوله (وأنَّ اللهَ لايَهْدِى كَيْدَ الخائنينَ) يقول : فعلت ذلك ليعلم سيدى أنى لم أخنه بالغيب ، وأن الله لايهدى كيد الخائنين : يقول : وأن الله لايسدِّد صنيع من خان الأمانات ، ولا يرشد فعالهم فى خيانتهموها ، واتصل قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) بقول امرأة العزيز (أنا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإنَّه لَمِنَ الصَّادِقِينَ) لمعرفة السامعين لمعناه ، كاتصال قول الله تعالى (وكذلكَ يَفْعَلُونَ) بقول المرأة (وجعلوا أعزَّةَ أهْلِها أذِلَّة) ، وذلك أن قوله (وكذلكَ يَفْعَلُونَ) خبر مبتدإ ، وكذلك قول فرعون لأصحابه فى سورة الأعراف (فَمَاذَا تَأْمُرُونِ) وهو متصل بقول الملأ (يُرِيدُ أن يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ) .

والله أعلم .

تمّ الجزء الثانى عشر من تفسير الإمام ابن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثالث عشر

وأوّله : القول فى تأويل قوله تعالى (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي)

